السيرة النبوية

عيون الأثر

في فنون المغازي والشمائل والسير



تأليف

الحافظ أبي الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري

المتوفى سنة ٧٣٤ هـ

الجزء الأول

حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه

د. محمد العيد الخطراوي محيي الدين مستو

مكتبة دار التراث
المدينة المنورة

دار ابن كثير
دمشق - بيروت


بسم الله الرحمن الرحيم

(١)
مقدّمة التحقيق

الحمد لله الذي أرسلَ محمد بن عبد الله بالهدى ودين الحق ؛ وأظهره على الدين كله ، اصطفاه لنفسه من أكرم أرومة وأشرف محتد ، ورعاه في طفولته ، وربَّاه على عينه ، وأدبه فأحسن تأديبه ، وبعثه ليتمم مكارم الأخلاق ، فكان خلقه القرآن .

وجعل سيرته وحياته بداية التاريخ المجيد للأمة الإسلامية ، ومدرسة تربوية لمجتمعاتها الفاضلة وأجيالها الصالحة .

فصلواتُ الله وسلاماته وبركاته عليه ، وعلى آله وصحبه ، ومن اقتفى أثره ، وتفيَّأ ظلال هديه ، وتأسى بسنته .

وبعد :

فقد سبق أن مَنَّ الله علينا بتحقيق كتاب « الفصول في سيرة الرسول ﷺ » للحافظ ابن كثير ، الذي هيأ لنا ــ بحمد الله تعالى ــ أن نعيش في أجواء السيرة النبوية المباركة ، وأن نتعرف على الكثير من الكتب المؤلفة فيها ، ونضع أيدينا على أوجه التشابه[1] والاختلاف بينها ، إذ أن تلك السِّيَر برغم مظاهر التشابه الكبير بينها ، لاتحاد منابعها ومواردها ، ولنظرتهم ــ رحمهم الله ــ لها على أساس حديثيٍّ معتمدٍ على الرواية والإسناد ؛ فإن المنهج المتبع في تناول أحداث السيرة وموضوعاتها تختلف من مصنف لآخر ، ويبقى لكل مؤلف خصوصيته وشخصيته العلمية المتميزة ؛ مما يكون سبباً بينهم للتفاضل والتفاوت في الاختصار أو البسط ، أو مناقشة الأخبار ، أو تعليل الأحداث وتمحيص الأسانيد ، أو ذكر التنبيهات والفوائد .. مما يجعل من جهة أخرى هذه الكتب يكمل بعضها بعضاً ، ويضيف للمهتمين بالسيرة النبوية ما لا غنى لهم عنه .

---

(١) انظر « الفصول » طبعة دار التراث الخامسة ص ٢٥ ، بتحقيقنا .

وقد كنا نلمسُ ذلك جلياً في تعاملنا مع تلك الكتب حينما كنا نرجع إليها في توثيق نص ، أو تحقيق عبارة ، أو نقد رواية ، ولعل من أبرز ما لفت نظرنا منها ، وحفزنا إلى التعلق بها سيرة « عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير » لابن سيد الناس المتوفى سنة ٧٣٤ هـ ، فعقدنا العزم على تحقيقها بعد أن قلبنا النظر فيها ، وأدركنا كثيراً من جوانب تميزها ، مما يجعلها جديرة بأن تخدم وتقدم للناس ، ذلك أنها وإن سبق طبعها منذ ستين عاماً تقريباً ، وعلى وجه التحديد سنة ١٣٥٦ هـ بعناية مكتبة القدسي بالقاهرة ؛ لم تخل من بعض الأسقاط والتصحيفات المؤثرة على السياق التاريخي ، وما تضمنته من روايات وأخبار ؛ ربما كان سببها التطبيع أو الرغبة في سرعة إنجاز العمل ، وتوفيره كنص مطبوع لأول مرة بين أيدي الناس ، وقد أشرنا إلى بعض من ذلك في أماكنه . وفي اعتقادنا أن هذه السيرة تميزت بمجموعة من الخصائص التي تجعل من حقها علينا أن نهتم بها ، ونوليها الجهد والوقت ، ونتنفع بما فيها من وقفات ومشاهد ، وتوثيقات وفوائد ، ويمكننا إيجاز دوافع اختيارنا لها فيما يلي :

١ ــ أنها جاءت وسطاً بين السير المطولة والمختصرة ، وهذه الميزة تجعل قراءتها والانتفاع بها ميسرين للعامة والخاصة ، وقد كانت هذه الوسطية من أهم دوافع تأليف ابن سيد الناس ــ رحمه الله تعالى ــ للسيرة ؛ ومن أبرز الأسس التي بنى عليها منهجه فيها حيث قال في المقدمة :

« فلما وقفت على ما جمعه الناس قديماً وحديثاً في المجاميع في سير النبي ﷺ ومغازيه وأيامه إلى غير ذلك مما يتصل به ؛ لم أر إلا مطيلاً مملاً أو مقصراً بأكثر المقاصد مخلاً[1] ... » .

٢ ــ أنه برغم أن معالم التأليف في السيرة النبوية تحددت أو كادت على يد من سبق ابنَ سيد الناس من الرواة والمؤلفين ؛ فإنه استطاع أن ينهج لنفسه خُطة خاصة تمثلت في طريقة أهل الحديث :

● فعمد أولاً إلى بسط الكلام عن علمين من أعلام السير والمغازي ، وهما ابن

(١) انظر تتمة كلام المؤلف فيما يأتي من مقدمته ص ٥٢ .

إسحاق والواقدي[1] ، والاعتذار عن طعن الطاعنين عليهما ؛ باعتبارهما أساساً لكل من جاء بعدهما ، والناس عالة عليهما في هذا الجانب العلمي الهام .

● وحرص في توثيق أخبار السيرة على ما أُنزل من القرآن ، وما ورد في السنة ، وما لم يجد فيه شيئاً من ذلك رجع إلى كتب السير والمغازي المروية عنده سماعاً أو إجازة بالأسانيد ، وبعض هذه الكتب لم تصلنا ؛ فسدَّت « عيون الأثر »مَسدَّها .

● وقد دفعته الروح الحديثية التي تناول بها موضوعاته إلى طلب الأسانيد العالية ـ وهو شيء يحرص عليه جُلُّ المحدثين ، ويعدونه من مفاخرهم ، ويتكبدون من أجله مشاق الرحلة والطلب ـ وهذا وإن كان يُحسب لابن سيد الناس ويُعدُّ في حسناته ، لا يمنعنا من أن نذكر أن ذلك كان يصرفه أحياناً عن كتب أعلى منزلة حديثية إلى كتب أقل منها ، ليس له من دافع وراء ذلك غيرُ إثبات فضل علو الإسناد[2] .

● وإمعاناً منه في إضفاء صيغة الطريقة الحديثية على هذه السيرة النبوية ؛ ختم كتابه بأسانيده إلى المراجع الأساس التي اعتمد عليها ؛ سواء في ذلك الكتب الستة وغيرها من كتب الحديث ؛ أم كتب السير والمغازي والأنساب ؛ مما تلقاه عن مشايخه الأثبات سماعاً أو إجازة[3] .

٣ ـ ثناء العلماء على هذه السيرة والإشادة بها ؛ للفت انتباه الناس إليها من بين كتب السيرة ، ولا يعرف الفضل إلا ذووه :

● يقول التاج السبكي المتوفى سنة (٧٧١ هـ) في كتابه « طبقات الشافعية الكبرى » : وصنّف الشيخ فتح الدين كتاباً في المغازي والسِّيَر سماه « عيون الأثر » أحسن فيه ما شاء[4] .

---

(١) استوفى الحافظ ابن سيد الناس أقوال علماء الجرح والتعديل فيهما ، ووفق في الدفاع عنهما ، حتى أصبح هذا المبحث في عيون الأثر مرجعاً للعلماء وحجة للدارسين .

(٢) وقد تتبعه الشيخ سبط ابن العجمي رحمه الله تعالى في ذلك ، وأشرنا إليه في تخريجنا للأحاديث .

(٣) انظر ذلك في خاتمة الكتاب ص ٤٥٥ ، من الجزء الثاني .

(٤) طبقات الشافعية الكبرى ٩/٢٦٩ .

● ويقول الحافظ ابن كثير المتوفى سنة (٧٧٤ هـ) : وقد جمع سيرة حسنة في مجلدين[١] .

● ويقول الحافظ ابن حجر المتوفى سنة (٨٥٢ هـ) : وصنف في السيرة كتابه المسمى « عيون الأثر »وهو كتاب جيد في بابه[٢] .

● ويقول الشوكاني المتوفى سنة (١٢٥٠ هـ) : له تصانيف ؛ منها السيرة النبوية المشهورة ، التي انتفع بها الناس من أهل عصره فمن بعدهم[٣] .

وقد اعتمد عليها من جاء بعده من المؤلفين في السيرة ، واستفادوا منها في كثير من الأبواب ؛ كالشيخ محمد بن يوسف الصالحي الشامي المتوفى سنة (٩٤٢ هـ) في كتابه « سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد » ، المعروفة بالسيرة الشامية ، والشيخ علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي الشافعي المتوفى سنة (١٠٤٤ هـ) في كتابه « إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون » المعروفة بالسيرة الحلبية .

ولم يقف الأمر عند بعضهم على الثناء عليها أو الاستفادة منها ، بل ظفرت بما ظفرت به سيرة ابن إسحاق من عناية واهتمام :

فقد قام بشرحها عالم كبير ومحدث حافظ ثبت هو الإمام إبراهيم بن محمد بن خليل الحلبي الشافعي ، المعروف بسبط ابن العجمي ، المتوفى سنة (٨٤١ هـ) ؛ شرحاً مطولاً في مجلدين بخط يده ، سماه « نور النبراس على سيرة ابن سيد الناس »[٤] .

ونظمها الشمس محمد بن يونس الشافعي المتوفى سنة (٨٤٥ هـ) .

وشرح غريبها الشيخ يوسف بن حسن بن عبد الهادي الحنبلي المتوفى سنة (٩٠٩ هـ)

---

(١) البداية والنهاية ١٤/١٦٩ .
(٢) الدرر الكامنة ٤/٣٣١ .
(٣) البدر الطالع ٢/٢٥٠ .
(٤) لقد عقدنا العزم على تحقيق هذا الكتاب وطبعه بهامش السيرة ؛ كالروض الأُنف ؛ ولدينا صورة عن نسخة تامة بخط المؤلف ، وعدد من الأجزاء يُكمل بعضها بعضاً من الهند والمغرب ودمشق ، ونسأل الله تعالى أن يمدنا بعونه وتوفيقه .

في كتاب سماه « اقتباس الاقتباس لحل مشكل سيرة ابن سيد الناس » .

ونظمها أيضاً القاضي فتح الدين النابلسي في أرجوزة سماها « الفتح القريب في سيرة الحبيب » وهي في ثلاث مجلدات ، قال في خطبتها : « نظمت منها في خمسين نهاراً تسعة آلاف بيت ، استوفت هذه الجملة متون « عيون الأثر » . ثم كمل تطريراً لله الحمد وله الشكر وعنده المزيد والمنة بتاريخ نهار الاثنين ١٧ من المحرم أول شهور العام المكمل ١٠٨٠ هـ أرانا الله خيره وكفانا شره آمين » .

ونحن نسأل الله تعالى أن يكون عملنا في تحقيق هذا الكتاب وتقديمه لعشاق السيرة النبوية ؛ إسهاماً في إعادة هذه السيرة إلى موقعها الجديرة به ، وجهداً موصولاً بجهود هؤلاء العلماء المحققين الذين أشادوا بها أو تولوها بالنظم والشرح والتعليق ، إنه سبحانه وتعالى أكرم مسؤول .

* * *

(٢)
هذه السيرة

١ ـ التوثيق :

تقتضي أصول وقواعد التحقيق العلمي التأكد من صحة عنوان الكتاب ، الذي يراد تحقيقه ، ثم التأكد من صحة نسبته إلى مؤلفه ، وبخاصة حينما يُحيط بهذين الأمرين الجهالة والشك ، أو محاولة بعض الجهات التغيير بغية التدليس أو التلبيس ، أو في بعض حالات أخرى ناتجة من التشابه في أسماء الكتب والمصنفين .

ولكننا في هذه السيرة التي بين أيدينا إزاء كتاب بلغ منَ الشيوع والانتشار في عصر المؤلف وما بعده حدَّ التواتر ؛ مما لا يجعل في اسمه ولا في صحة نسبته إلى صاحبه أدنى شك أو ريب . وقد حافظ النساخ والرواة ، ومنهم المؤلف نفسه على اسم الكتاب كما وُضع أول مرة ؛ علماً بأن أسماء بعض الكتب كانت تتعرض للتغيير طلباً للاختصار ، أو لاستحسان عنوان وتفضيله على عنوان آخر ؛ كما فعل ابن سيد الناس نفسه في كتابه الذي شرح فيه سنن الترمذي ولم يتمه ، فقد كان سماه « العَرْف الشذي » ثم غيره بإشارة من تلميذه صلاح الدين الصفدي المتوفى سنة (٧٦٤ هـ) إلى « النَّفْح الشذي في شرح جامع الترمذي » بغية إحداث التجانس اللفظي بين كلمتي النفح والشرح[١] .

أما ما وقع في « الوافي بالوفيات » على لسان تلميذه وصديقه الصفدي : وصنف : « عيون السير في فنون المغازي والشمائل والسير » سمعت بعضه من لفظه[٢] ، وتابعه ابن

---

(١) الوافي بالوفيات ٢٩٢/١ .

(٢) المصدر السابق ٢٩٢/١ وبهامش الأصل بخط الحافظ ابن حجر : « الأثر » وهو الصواب . والحافظ ابن حجر ــ رحمه الله تعالى ــ إنما يصوب جازماً ؛ لأنه تلقى « عيون الأثر » سماعاً عن شيخين كبيرين هما : الحافظ ابن الملقن والإمام الفرسيسي ؛ اللذان تلقياها سماعاً من مؤلفها مباشرة .

تَغْري بردي المتوفى سنة (٨١٣ هـ) في « النجوم الزاهرة »[1] على ذلك ؛ فهو سبق قلم أو تحريف من النساخ .

وقد تلقى هذه السيرة مشافهة أو إجازة مكتوبة من المؤلف تلاميذُه ، والعلماء المعاصرون له ؛ إذ كان رحمه الله تعالى يعكف في كثير من الأحيان على كتابتها بخط يده ، فيتم له ذلك في عشرين يوماً[2] .

وحصل لنا من التوفيق والتوثيق ونحن نجمع صور النسخ المخطوطة للسيرة « عيون الأثر » ولشرحها « نور النبراس » ؛ حقائق ثابتة كانت تملأ نفوسنا غبطة وتدفعنا إلى العمل دفعاً ، **فالنسخة المدنية** المحفوظة في مكتبة عارف حكمة ، مقروءة على الشيخ البابلي المتوفى سنة ١٠٧٧ هـ ، وعلى هامشها تعليقات وتصحيحات منه ومن نور النبراس . **والنسخة الدمشقية** المحفوظة في المكتبة الظاهرية مروية بالإسناد عن المؤلف ، وفي إسنادها الشيخ البابلي ، وعلى هامشها تعليقات وتصحيحات مقتبسة من « نور النبراس » . **والنسخة القاهرية** المحفوظة في دار الكتب المصرية ، قد قرئت على الشيخ جلال الدين البُلْقِيني المتوفى سنة ٨٤٢ هـ ، وعلى هامشها تعليقات منه ومن « نور النبراس » . **والنسخة المدنية** من « نور النبراس » مكتوبة بخط مؤلفها سبط ابن العجمي رحمه الله تعالى سنة ٨٢٦ هـ ، وهو تلقى السيرة بالسماع[3] من شيخه الشمس الفرسيسي ، والذي تلقاها سماعاً من مؤلفها الإمام الحافظ أبي الفتح ابن سيد الناس . وهذا النقل المسطور يكفي « هذه السيرة » في اسمها ونسبتها إلى مؤلفها توثيقاً ليس بعده إلا اليقين .

فالحمد لله على توفيقه ، وله المِنَّة على الدوام .

٢ ـ المنهج والأسلوب :

لقد رسم المؤلف طريقته التي اتبعها في تصنيفه لكتابه بوضوح تام ، واجتهد في جميع الموضوعات التي حشدها في أن يلتزم بها ويسير على هديها ، ونستطيع أن نتلمس تلك

---

(١) النجوم الزاهرة ٣٠٣/٩ : وبهامشه : في الأصل « السير » ، والتصحيح من شذرات الذهب وغيره .
(٢) الدرر الكامنة ٣٣٣/٤ . والوافي بالوفيات ٢٩١/١ .
(٣) وقد ذكر كثيراً أثناء شرحه أنه يملك نسخة صحيحة من السيرة « عيون الأثر » .

الطريقة من خلال مقدمته ، التي تتلخص فيما يلي :

١ ــ أنه رتب السيرة النبوية على أساس زمني حسب تتابعها التاريخي ، فهو يقول : « ... سالكاً في ذلك ما اقتضاه التاريخ من إيراد واقعة بعد أخرى ، لا ما اقتضاه الترتيب من ضم الشيء إلى شكله ومثله »[1] . و لم يخالف هذا المنهج إلا في بعض الحالات التي أحسَّ أن لها مقتضيات تخصها ، فأفصح عن بعضها وأمسك عن الآخر ، يقول : « ... حاشا ذكرَ أزواجه وأولاده عليه الصلاة والسلام ، فإني لم أسق ذكرهم على ما اقتضاه التاريخ ، بل دخل ذلك كله فيما أتبعت باب المغازي والسير من باب الحِلَى والشمائل ، و لم أستثن من ذلك إلا خبر تزويجه عليه الصلاة والسلام خديجة ؛ لما وقع في أمرها من أعلام النبوة »[1] . وقد نبه الحافظ سبط ابن العجمي إلى هذه النقطة في مقدمة « نور النبراس » فقال : « وقد اشترط فيها أن يذكر ما اقتضاه التاريخ إلا ما استثناه ، و لم يخالف ذلك إلا في أماكن يسيرة يعرفها الأنباه »[2] . ثم حدد مهمته في حالة مخالفة المؤلف لشرطه هذا ، فقال : « وإن وقع له وَهَم أو خالف شرطه في الترتيب ذكرته إن نبهني الله له »[2] فالمخالفة الواقعة إذاً في عمومها قليلة لا تكوِّن ظاهرة تخدش المنهج أو تنال منه .

٢ ــ البعد عن التكرار في ذكر أسانيده إلى موارده من الكتب الستة والمصنفات التي تكررت استفادته منها بنقل أو ترجيح ؛ بل اكتفى بذكر هذه الأسانيد مرة واحدة في آخر الكتاب ، كما ابتعد عن التكرار في ذكر الأنساب ، فهو يستوعب نسب الرجل عند وروده لأول مرة ، ثم لا يرفع نسبه إذا تكرر مرة أخرى ، بل يكتفي برمز مرسوم بالحمرة ينبه به على أن هذا العَلَم تقدم نسبه مرفوعاً إلى منتهاه في السابقين الأولين ، أو المهاجرين إلى الحبشة ، أو المهاجرين إلى المدينة ... إلخ . وقد التزم المؤلف بذلك ، غير أن تلك الرموز التي أشار إليها في مقدمته لم تصادفنا في النسخ الخمسة التي بين أيدينا ؛ إلا في ذكر من شهد بدراً من المسلمين ، وهي ليست بخط المؤلف لنحكم أن إسقاطها بعد ذلك كان منه أو من النساخ بعده .

---

(١) مقدمة المؤلف ٥٣/١ .

(٢) مقدمة « نور النبراس على سيرة ابن سيد الناس » لوحة (٢) خ عارف حكمة .

٣ ـ لم يغفل الأشعار ذات الصلة بأحداث السيرة ، ولم يكثر منها إلى الحد الذي يجعلها مقصداً من مقاصده ، ومع قدرته الظاهرة على النقد والتمحيص ؛ فإن بعض تلك القصائد والأشعار لم يخل من سمات الوضع والانتحال .

٤ ـ الاهتمام بشرح ما يرد في بعض الأخبار من ألفاظ غريبة ، وحل ما قد يُشكل في متونها وأسانيدها ، دون بسط أو إفاضة ، ويضع ذلك في آخر كل موضوع مستقل تحت عنوان « ذكر فوائد تتعلق بهذا الخبر » وقد يسميه عندما يكون بارزاً ومتميزاً .

وهذه هي العناصر البارزة في منهجه الذي تحدث عنه في مقدمته ، وبقيت مظاهر أخرى لهذا المنهج يمكن رصدها من خلال القراءة المتأنية للكتاب ، وهي :

أ ـ إيراد الآيات القرآنية المتصلة بالأحداث التاريخية ؛ شاهدَ إثبات ، وإظهار الترابط القائم بين القرآن الكريم والسيرة النبوية ، وبخاصة عندما تكون الوقائع أسباباً لنزول الآيات والأحكام .

ب ـ إيراده الأحاديث والآثار بالأسانيد المتصلة ، يسلك ذلك في الأخبار الكبيرة والصغيرة على حد سواء ، وذلك إحساساً منه بالمسؤولية العلمية والأمانة التاريخية ، وأن السيرة النبوية جزء لا يتجزأ من علم الحديث رواية ودراية .

ج ـ لم يكن أبو الفتح ابن سيد الناس في أغلب أحواله بالناقل الحرفي الذي يأخذ من هنا وهنا ، ويقول ألفت أنا ، بل يختصر ويتصرف في العبارة حسبما يقتضيه منهجه من التوسط بين البسط والاختصار ، وكأنه بذلك ينتقي من الخبر عناصره المهمة ؛ التي يرى أنها تكفي لتصوير الموقف والحَدَث ، ونراه مرةً أخرى يلتزم بحرفية النص للغرض ذاته .

د ـ لم يكن الرجل حاطب ليل ، ولم يكن همه حشو كتابه بأمور ليست بذات صلة وثيقة بموضوعات السيرة ، بل كان يشرع مِبْضعه النقدي بكل وعي وصدق في تزييف بعض الروايات ، ومناقشتها مناقشة حديثية هادئة ، مع الإقرار لمن تقدمه بالريادة والأسبقية ، وهذا ما طبع كتابه بشخصيته الحديثية المتميزة ، وأعطاه مكانته المتفردة بين كتب السير .

هـ ـ لم يُثقل كتابه بأسلوب السجع والمحسِّنات ، الذي كان سائداً في عصره ، بل

أطلق عبارته من كل قيد ، وربما كان ذلك راجعاً إلى تأثره بالموارد التي استقى منها كتابه ، بالإضافة إلى إحساسه بأنه يُعالج موضوعات تاريخية مهمة ، تتطلب الدقة والوضوح ، ولذلك رأيناه حين أحسَّ بغياب هذه المسؤولية ؛ لجأ إلى أسلوب عصره في المقدمة والخاتمة ؛ فسجعَ وجانسَ وطابقَ وأغربَ .

٣ ـ الموارد :

وكما قدَّمَ الحافظ ابن سيد الناس لكتابه بخطته التي رسم فيها منهجه في التأليف لكتاب السيرة ؛ فإنه وضع في آخره ثبتاً بموارده الرئيسة ؛ التي كانت الأساس لأكثر موضوعاته ، وهو بذلك يلتقي مع ما يفعله الباحثون اليوم ، وزاد عليهم ـ رحمه الله تعالى ـ بالأسانيد التي رافقت هذا الثبت ، ويمكن تصنيف هذه الموارد في ثلاثة اتجاهات :

أ ـ كتب الحديث ، وتشمل :

صحيح البخاري ـ صحيح مسلم ـ سنن أبي داود ـ سنن الترمذي ـ سنن النسائي ـ سنن ابن ماجه ـ معاجم الطبراني الثلاثة ـ مسند أبي يعلى الموصلي ـ الفوائد (الغيلانيات) ـ معجم ابن جُميع الغسانيّ .

ب ـ كتب الطبقات والمغازي والسير ، وتشمل :

طبقات أبي عروبة ـ سيرة ابن إسحاق ـ مغازي موسى بن عقبة ـ مغازي ابن عائذ ـ الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ـ الدرر في اختصار المغازي والسير ؛ لأبي عمر ابن عبد البر ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ ؛ للقاضي عياض ـ الروض الأنف ؛ لأبي القاسم السهيلي .

ج ـ كتب الأنساب :

اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار[١] ؛ لعبد الله بن علي الرُّشاطي .

د ـ وهناك موارد أخرى لم يشملها هذا الثبت ، استفاد منها المؤلف في سيرته ، وذكرها بأسمائها أو أسماء مؤلفيها ، وترددت موضوعاتها بين كتب الحديث والتراجم واللغة

(١) الرشاطي متوفى سنة ٥٤٢ هـ ، ويُعرف كتابه بـ « الأنساب » .

والأدب والبلدان ، وذلك لقلة المادة المنقولة منها ، أو لعدم تكرر مواطن النقل ، أو لأنه لا يملك الأسانيد إليها كسابقتها ؛ ومنها :

الموطأ ؛ للإمام مالك ـ تاريخ المدينة ؛ لابن شبة ـ المستدرك على الصحيحين وغيره ؛ للحاكم ـ تاريخ الطبري ؛ لأبي جعفر الطبري ـ سنن الدارقطني وغيره ؛ للدارقطني ـ مغازي الأموي ـ الأموال وغريب الحديث ؛ لأبي عُبيد القاسم بن سلّام ـ جمهرة أنساب العرب ؛ لابن حزم ـ المخصص ؛ لابن سيده ـ الفصول ؛ لمحمد ابن الحسن بن فُورَك ـ التاريخ الأوسط ؛ للبخاري ـ المعارف وغيره ؛ لابن قُتيبة ـ غريب السيرة ؛ لأبي ذر الخشني ـ تاريخ بغداد وغيره ؛ لأبي بكر الخطيب ـ التاريخ الكبير ؛ لأحمد بن زهير بن أبي خيثمة ـ معجم الصحابة وغيره ؛ لأبي القاسم عبد الله ابن محمد بن عبد العزيز البغوي ـ المختصر في سيرة خير البشر ؛ لعبد المؤمن بن خلف الدمياطي[1] .

* * *

(١) الدمياطي متوفى سنة ٧٠٥ هـ وهو من شيوخ ابن سيد الناس ـ رحمه الله تعالى ـ .

(٣)
وصف النسخ المخطوطة
وعملنا في تحقيق الكتاب

١ ـ وصف النسخ المخطوطة :

أ ـ نسخة « مكتبة عارف حكمة » بالمدينة المنورة ، ورمزنا إليها بحرف « أ » رقمها ٤٢/٧٣ سيرة ، كتبت سنة ١١٦٩ هـ في ٤٢٠ ورقة ، مسطرتها ٢٤ ـ ٢٥ قياس ٩,٥ × ١٨ سم ، الخط فيها نسخ واضح وكُتبت بالحبر الأسود ، فرغ من نسخها محمد خليل الحنفي ، وعلى هامشها تعليقات وتصحيحات ، وعناوين الموضوعات مبدوءة دائماً بكلمة « مَطْلَب » وبخط مغاير قليلاً ، وقد اخترنا هذه النسخة لتكون أصلاً ؛ لأنها تامة ومقابلة ومصححة ، وعلى هوامشها تعليقات وتقريرات للشيخ البابلي المتوفى سنة ١٠٧٧ هـ ، فكثير من التقريرات انتهت بعبارة : « هكذا قرره شيخنا البابلي » وعرفنا من النسخة الدمشقية أن الشيخ محمد بن علاء الدين البابلي أحد رواة السيرة النبوية « عيون الأثر » بالإسناد إلى مؤلفها ـ وقد رجحنا أن نسخة « عارف حكمة » رحمه الله تعالى كُتبت عن نسخة قُرئَت على الشيخ البابلي ـ رحمه الله تعالى ، كما توجد على الهامش تعليقات مستفادة من « نور النبراس .. » ؛ لسبط ابن العجمي رحمه الله تعالى .

ب ـ نسخة « دار الكتب المصرية » ورمزنا إليها بحرف « ب » رقمها ٢٣١٧٤/ب ، كتبت سنة ١٠٢٧ هـ في ٢٦٨ ورقة ، مسطرتها ٢٧ قياس ٩ × ١٥,٥ سم والخط فيها نسخ واضح ، وكتبت بالحبر الأسود ، ما عدا عناوين الموضوعات فكتبت بالخط المثقل ، فرغ من نسخها علي بن أحمد بن علي البهيشي بلداً ، الشافعي مذهباً ، في يوم السبت المبارك عاشر شهر جمادى الأولى ، وختمها بهذين البيتين :

ولا بد من عيب فإن تجدنَّه   فسامح وكن بالستر أكرم مفضل

فمن ذا الذي ما ساء قط ومن له الـ محاسن قد تمت سوى خيرِ مُرسل

ج ـ نسخة « المكتبة الظاهرية » بدمشق ، ورمزنا إليها بحرف « ج » رقمها ١٨٠٤ سيرة ، كُتبت سنة ١٠٨٠ هـ في ٤٤٥ ورقة ، مسطرتها ٢٥ قياس ٩ × ١٥ سم ، وكتبت بالحبر الأسود ، والخط فيها نسخ واضح ، فرغ من نسخها أبو بكر الدلجي بلداً ، الشافعي مذهباً ، يوم السبت من شهر ربيع الأول . وعليها تصحيحات وحواشي وتعليقات مأخوذة من نور النبراس ، وفي أولها فهرس للموضوعات .

وهذه النسخة مقابلة على نسخة مغربية للأمير عبد القادر الجزائري ، كما أثبت ذلك عز الدين التنوخي بخطه في أولها في ١٧ رجب من عام ١٣٥٥ هـ .

د ـ نسخة « الخزانة الملكية » بالرباط ، ورمزنا إليها بحرف « د » ، كتبت سنة ١٠٧١ هـ في ٤٤٢ ورقة ، مسطرتها ٢٣ قياس ١٠ × ١٦ سم وكتبت بالحبر الأسود والخط فيها مغربي واضح ، وأولها : « قال الشيخ الإمام العالم العلامة النسَّابة أبو الفتح ... » وناسخها مجهول ، فرغ منها ظهر يوم الأحد المبارك وهو العشرون من شهر جمادى الآخرة سنة إحدى وسبعين وألف .

وعلى هوامش صفحاتها تعليقات وفوائد مستفادة من نور النبراس تنتهي بعبارة « هـ . حلبي » وأحياناً : « قاله الحلبي » ، ومقابلة على أكثر من نسخة ، ومشكولة شكلاً صحيحاً ؛ يلتقي غالباً مع ضبط الحافظ سبط ابن العجمي ، وقد وجدنا تشابهاً كبيراً بين هذه النسخة والنسخة الدمشقية .

هـ ـ وهي نسخة مجهولة المصدر ، وناقصة من أولها ، صورناها من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة . ورمزنا إليها بحرف « هـ » ، تبدأ بالجزء الأخير من « ذكر شهداء أحد » ثم ما قيل من الشعر يوم أُحد .. ١٨٩ ورقة مسطرتها ٢١ قياس ٨,٥ × ١٤ .

وخطها نسخ واضح ، وهوامشها خالية من أي تصحيح أو تعليق ، وفي بعض صفحاتها مسح وآثار تلف ظاهر . فرغ منها عبد الله بن محمد أبو اليسر الكتبي ، في سابع عشر ربيع الثاني سنة ١١٠٢ هـ .

٢ ـ عملنا في تحقيق الكتاب :

لقد أمضينا في إنجاز هذا العمل أربع سنوات ؛ نلتقي ثلاثة أيام في الأسبوع ، وفي كل جلسة تستمر القراءة والمقابلة والكتابة أربع ساعات تقريباً ، وكان العمل يتوقف خلال الإجازة الصيفية ، وينشط في أيام الإجازات الرسمية وأيام الجمع أحياناً .. وكانت شخصية رسول الله ﷺ الجامعة ، وأنفاسه الحبيبة ، وأطياف أصحابه المتفانين في حبه وطاعته ، تدفع فينا الحماسة والنشاط ، والثبات والمثابرة ، واشتمل عملنا من أول السيرة إلى نهايتها على الخطوات التالية :

١ ــ المقابلة بين النسخ ، واختيار العبارة الصحيحة ؛ كما وضعها المؤلف ابن سيد الناس رحمه الله أو أرادها ؛ وتخليص النص بقدر الاستطاعة من تصحيفات النساخ وتحريفاتهم ، وكان الحكم الفصل عند اختلاف النسخ « نور النبراس » ؛ لأن مؤلفه سبط ابن العجمي رحمه الله تعالى تلقى السيرة بالسماع ، وكانت عنده نسخ منها ، وكان يشير إلى إحداها بأنها « صحيحة » ، مما أضفى على العمل موضوعية ظاهرة في المقابلة ، والتوصل إلى النص الأكمل بحول من الله تعالى .

٢ ــ ترجمة بعض الأعلام من الرواة أو المؤلفين ، أو ممن وقع في اسمه أو موقعه من الرواية أو الحدث وهم أو اشتباه .

٣ ــ شرح بعض الغريب الذي أغفله المؤلف ، أو تقريب ما شرحه من لغة العصر ، وتحديد مواقع بعض الأمكنة ، وضبط بعض الأعلام والألفاظ المتشابهة بالحركات أحياناً ، وبالألفاظ والكلمات أحياناً أخرى .

٤ ــ الرجوع إلى الموارد المطبوعة ، والمطابقة بينها وبين النص المنقول منها ، وتثبيت الفروق إن كانت جوهرية من حيث التأثير في المضمون والمعنى .

٥ ــ تخريج الأحاديث في مصادرها والحكم عليها صحة وضعفاً إن كانت مروية في غير الصحيحين ؛ مسترشدين بأقوال علماء الجرح والتعديل القدماء والمعاصرين .

٦ ــ صنع بعض العنوانات ووضعها ضمن أقواس هكذا (   ) ، وإبراز فقرات الموضوعات وأجزائها ببدايات مناسبة عن طريق دوائر سوداء ، أو تثقيل الخط ؛ للفت انتباه

القارىء ، وبخاصة في فوائد المؤلف ، وذكر المبايعين أو الشهداء من الصحابة الكرام .

٧ ـ الاستفادة من « نور النبراس » للحافظ الحلبي سبط ابن العجمي ، وبخاصة في استدراكه على المؤلف أحياناً ، وتخريجاته لبعض الأحاديث ونقده لأسانيدها ، والتعريف بترجمة الرواة والأعلام .

٨ ـ صنعنا للسيرة فهارس للأحاديث النبوية ، والأعلام المترجمين ، والموضوعات .

٩ ـ أرجعنا رموز المحدِّثين إلى مدلولاتها اللفظية في جميع « روايات السيرة ، فحيثما وردت « ثنا » كتبناها : « حدثنا » ، وحيثما وردت « أنا » كتبناها « أخبرنا » ؛ وذلك تسهيلاً لعامة الناس أن ينتفعوا بأخبار السيرة ؛ بعيداً عن الرموز العلمية ، ونحن لا ندعو إلى إهمالها أو إلغائها ، وإنما ندعها للدارسين المتخصصين ، وفي أمهات الكتب المتخصصة أيضاً .

كما جمعنا للرسول ﷺ ، الصلاة مع السلام كلما ورد ذكره ، والله نسأل أن يجعل ذلك في صحائف أعمالنا ، وأن يدخره لنا إلى يوم نلقى الأحبةَ:محمداً ﷺ وصحبَه ، والحمد لله أولاً وآخراً .

* * *

(٤)
ترجمة المؤلف
الحافظ أبي الفتح

١ ـ نسبه :

هو أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن محمد ابن أبي القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن سيد الناس بن أبي الوليد بن منذر ابن عبد الجبار بن سليمان اليَعْمُـريّ ، الرَّبَعِـيّ ، الإشْبيلـيّ ، الأنـدلسيّ ، الـمِصْريّ ، القاهريّ ، الشّافعيّ[١] ، المعروف بابن سيد الناس .

فهو يعمري نسبة إلى بطن من كنانة[٢] .

وربَعي : نسبة إلى ربيعة بن نزار[٣] .

وهو **إشبيليٌّ أندلسيٌّ** : تبعاً لآبائه وأجداده .

وقاهري مصري : تبعاً لولادته بالقاهرة وامتداد حياته فيها .

وهو **شافعي** : نسبة إلى مذهبه الفقهي .

وكان يحمل رحمه الله كعامة أعلام أهل عصره لقباً عُرف به هو فتح الدين ، كما عُرف بكنيتين ؛ أولاهما : **ابن سيد الناس** : وهي كنية مستمدة من اسم جـده الحادي عشر ويشاركه فيها من أسرته : والده أبو عمرو ، وجده أبو بكر ، وأخواه : أبو سعد محمد المتوفى سنة ٧٢٨ هـ ، وأبو القاسم محمد المتوفى سنة ٧٤٩ هـ[٤] ، لكنها إذا أُطلقت لا

---

(١) الدرر الكامنة ٤/٣٣٠ ، والسيوطي في ذيل تذكرة الحفاظ ٣٥٠ .

(٢) اللباب ؛ لابن الأثير ٣/٤/٤١٤ .

(٣) اللباب ؛ لابن الأثير ٢/١٥ .

(٤) الدرر الكامنة ؛ لابن حجر ٤/٢١٣ .

تكاد تنصرف إلا إليه عند المؤلفين ؛ ولهذا حرص كلٌّ من ترجم له على ختم نسبه بعبارة : « المعروف بابن سيد الناس » .

أما كنيته الثانية فهي « **أبو الفتح** » كناه بها شيخه المسند عبد اللطيف بن عبد المنعم ابن علي ، المعروف بالنجيب الحراني المتوفى سنة ٦٧٢ هـ : سنة مولده ، حين أحضره والده إليه في مجلس الحديث[1] ، فاشتهر بها بين مشايخه وأقرانه ، ولذلك نرى شيخه ابن دقيق العيد المتوفى سنة ٧٠٢ هـ ؛ يناديه بها في درسه[2] حين يتوجه بسؤال إليه ، بالإضافة إلى أنها الكنية التي تميزه عن بقية أفراد أسرته إذا لم تكن ثمَّة قرائن أخرى .

٢ ـ نشأته :

ذكر المؤلف في إجازته لتلميذه ابن أيبك الصفدي ؛ أن مولده كان في رابع عشر ذي القعدة سنة ٦٧١ هـ بالقاهرة[3] ، وهي مُهاجَر والده الذي كان قد استقر فيها في وقت مبكر ، وولي مشيخة الكاملية بعد ابن دقيق العيد ، ثم انتزعها منه البدر بن جَماعة ، وأسندها إلى غيره . وقد كان جده الحافظ أبو بكر محمد مستقراً ببجاية من بلاد الجزائر ، بعد هجرة هذه الأسرة من الأندلس ، وكانت بجاية إذ ذاك من الحواضر العلمية[4] في المغرب حيث كان أبو بكر أحد أعلامها وشيوخها .

وهذا يؤكد أن صاحبَنا أبا الفتح قد وُلد في بيت علم وفضل ودين ، يحرصُ على أن يُنَشَّأ أبناؤه تنشئة علمية وفقَ ما تعارفت عليه البيئات العلمية آنذاك ، التي كانت تولي التلقي والمشافهة والإسناد الشأن الأكبر في التعليم والتعلّم ، ولذلك نرى والده أبا عمرو محمد يأخذه وهو بعدُ في تمائمه ، في سنته الأولى من عمره إلى مجلس شيخه النجيب عبد اللطيف ابن عبد المنعم الحراني[3] ؛ فكان ذلك أول عهده بالإحضار والإجازة برواية الحديث . ثم أحضره حينَ بلغ الرابعة من عمره سنة ٦٧٥ هـ ، وهي سن الإحضار[5] عادة عند

(١) الدرر الكامنة ٤/٣٣٠ .
(٢) المصدر السابق ٤/٣٣٢ .
(٣) الوافي بالوفيات ١/٣٠٩ .
(٤) انظر عنوان الدراية في علماء بجاية ؛ للغبريني .
(٥) تدريب الراوي ٢/٥ .

المحدثين ، عدة مجالس ، منها مجلس شمس الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي .

واستمرت عناية هذا الوالد بولده أبي الفتح ، وإحضاره إلى مجالس العلم والحديث ، حيث كان يأخذه إليها وهو في الخامسة[1] ، ويتولى بنفسه القراءة ليُسمعَه ، وشاهدُ ذلك بعض مسموعاته في هذه السن ؛ ومنها : كتاب الشفاء ؛ للقاضي عياض ، الذي سمعه بقراءة والده على ابن رشيق[2] بمصر سنة ٦٧٧ هـ . وما جاء في إجازته لصلاح الدين الصفدي ؛ حيث قال : « أخبرنا أبو العز عبد العزيز بن عبد المنعم بن علي الحراني ـ رحمه الله ـ بقراءة والدي ـ رحمه الله ـ عليه ، وأنا أسمع سنة ٦٧٦ هـ[3] .. كما سمع بعد ذلك بقراءة والده أيضاً صحيح البخاري[4] ، والفوائد (الغيلانيات)[5] .

ولما بلغ سن الرابعة عشرة من عمره ، بدأ بالتلقي المباشر عن الأشياخ ، فهو يقول : ثم في سنة ٦٨٥ هـ كتبت الحديث عن شيخنا الإمام قطب الدين أبي بكر محمد بن أحمد القسطلاني ـ رحمه الله ـ بخطي ، وقرأتُ عليه بلفظي ، وعلى الشيوخ من أصحاب المُسنِد أبي حفص بن طبرزذ ، والعلامة أبي اليمن الكندي ، والقاضي أبي القاسم الحرستاني ، والصوفي أبي عبد الله بن البنا ، وأبي الحسن بن البنا ، وغيرهم ؛ بمصر والإسكندرية والشام والحجاز ، وغير ذلك[6] .

وبهذا تكون قد تكاملت له كلُّ عناصر التنشئة العلمية التي فتحت الطريق أمامه واسعاً بعد ذلك لطلب العلم داخلَ مصر وخارجها ، حتى غدا شيخاً علماً ومُحَدِّثاً حافظاً ، له مكانته بين أقرانه وأهل عصره ، قادراً على الإجازة والإقراء والتدريس والتصنيف ، وتولي المناصب العلمية الرفيعة .

---

(١) وهي سن مرحلة السماع عند المحدثين . انظر تدريب الراوي ٢/٥ .
(٢) عيون الأثر ٢/٤٦٠ .
(٣) الوافي ١/٣٠٩ .
(٤) عيون الأثر ٢/٤٥٥ .
(٥) عيون الأثر ٢/٤٥٩ .
(٦) الوافي ١/٣٠٩ .

٣ ـ حياته العلمية :

كانت حياة فتح الدين بن سيد الناس العلمية زاخرة منذ بدايتها ، حافلة بما بذله من جُهد مبكر في الطلب والتحصيل العلمي من علماء بلده ، ثم الرحلة وتحمل وعثاء السفر ، لملاقاة الشيوخ طلباً لإجازةٍ ، أو سعياً وراء سند عالٍ ، أو صلة بشيخ ثبت ، أو السماع منه ، أو القراءة عليه ؛ حتى قاربت مشيخته الألف .

وقد أشرنا قريباً أنه نشأ في بيت علم ، فتلقى من أبيه أول ما تلقى علم الحديث ، وتدرج برعايته في الإجازة ، والإحضار ، والسماع ، وهو لا يزال طفلاً في عمر الزهور .

وبعد أن اشتد عوده ، وقوي ساعده ، ارتحل إلى الإسكندرية[١] ، فاكتملت بذلك مرحلة تكوينه العلمي الأولى ، بأخذه عمن ذكَرَ من علماء عصره الزاخر بالعلم والمعرفة ، وأخذِه عن العز الحراني (عبد العزيز بن الصيقل) وابن الأنماطي ، وغازي الحَلاوي ، وابن الخيمي ، وشامية بنت البكري ، وابن خطيب المزة ، والصفي خليل وطبقتهم . ثم ارتحل إلى دمشق سنة ٦٩٠ هـ ، فسمع من أبي عبد الله محمد بن مؤمن الصوري ، ومن أبي الفتح بن المجاور ، وابن عساكر ، وأبي إسحاق الواسطي وطبقتهم . وكان حريصاً على الأخذ من الفخر ابن البخاري ، ولكنه وصل دمشق بعد وفاته بليلتين ، فتألم لذلك كثيراً[٢] .

ثم عاد إلى مصر ليلازمَ شيخه تقيَّ الدين بن دقيق العيد الذي كان آنذاك شيخَ الحديث بالمدرسة الكاملية بالقاهرة . ولمس فيه هذا الشيخ تفوقاً فعينه معيداً لدرسه ، وكان يحبه لذلك التفوق ، ويثق في نقله وحفظه ؛ قال الصفدي : « أخبرني من لفظه القاضي عماد الدين إسماعيل بن القيسراني ، قال : كان الشيخ تقي الدين إذا حضرنا درسه وتكلَّمَ ، فإذا جاء ذكر أحد من الصحابة ، أو أحد من رجال الحديث قال : أيش ترجمة هذا يا أبا الفتح ؟! فيأخذ فتح الدين في الكلام ، ويسرد والناس كلُّهم سكوت ، والشيخ مُصغٍ إلى ما يقوله »[٣] .

---

(١) الوافي بالوفيات ١/٢٩٠ .

(٢) ذيل ابن رجب على طبقات الحنابلة ٢/٣٢٩ .

(٣) الوافي بالوفيات ١/٢٩١ والدرر الكامنة ٤/٣٣١ .

ولم يكتف ابن سيد الناس بالرحلة إلى الشام ، ولا برحلاته الداخلية في مصر ، بل لجأ إلى استجازة المحدثين والعلماء في كثير من الأقطار الإسلامية ؛ كالحجاز والعراق وأفريقية والأندلس وغيرها[1] .

ولم يقتصر من جهة أخرى على تحصيل الحديث وعلومه ، فاتجه إلى دراسة الفقه وأصوله ، وحفظ في ذلك بعض المتون في الفقه الشافعي ، كالتنبيه[2] ، وتخرج في ذلك بشيخه ابن دقيق العيد ، وكان يقول عن الشافعية « أصحابنا » ، وقد ذكره أصحاب كتب طبقات الفقهاء الشافعية : فقيهاً شافعياً يُشار إليه بالبَنان . كما اهتم بدراسة علوم العربية ، فكان أهمَّ مشايخه فيها ؛ بهاءُ الدين بن النحاس .

أما علم العروض فقد درسه بنفسه ، ولم يكن له فيه شيخ ، ووضع فيه مصنفاً[3] .

ودرس أيضاً الخط وأصوله بنفسه ، وأتقن الخط المغربي والمشرقي ، وكتب بهما[4] ، ولعل الجمع بينهما وعدم اقتصاره على الخط المشرقي كان راجعاً إلى التواصل الثقافي القائم بين الأقطار الإسلامية حينئذ ، وإلى أن مكتبة والده كانت تكتظ بمجموعة من الكتب الأمهات ، التي أحضرها معه من بلاد المغرب إلى مصر .

وكان أبو الفتح إلى جانب ذلك مهتماً بتفسير كتاب الله تعالى ، آخذاً من الأدب والشعر بالحظ الوافر والنصيب الأوفى ، وله في ذلك ديوان من الشعر في المدائح النبوية اسمه « بشرى اللبيب بذكرى الحبيب » كما جمع ما أمكنه جمعه لغيره من المدائح النبوية ، بعد أن ضم إليه ديوانه « بشرى اللبيب » وسماه « مِنح المِدَح » .

ومن رقائق شعره ، يناجي الله عزَّ وجَل :

فقري لمعروفِك المعروف يُغنيني ... يا من أرجِّيه والتقصير يُرجيني
إنْ أوبقتني المطايا عن مَدى شرفٍ ... نجا بإدراكه الناجون من دوني

---

(١) الوافي بالوفيات ١/٣١٠ .
(٢) الدرر الكامنة ٤/٣٣١ وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/٥١١ .
(٣) الوافي بالوفيات ١/٢٩١ .
(٤) الدرر الكامنة ٤/٣٣١ .

أو غضَّ من أملي ما ساءَ من عملي   فإنَّ لي حسنُ ظَنٍّ فيك يكفيني[1]

أما اهتمامه بالتاريخ فقد كان منصباً على السيرة النبوية ، وتراجم الصحابة والرواة ، والتعريف بأحفظ من لقي من أشياخه . ومن هنا يتضح أن تأليفه لعيون الأثر كان منطلقه فيه اهتمامه بعلوم الحديث ، فهو محدث بالدرجة الأولى ، ويؤكد ذلك شرحه الذي بدأه لجامع الترمذي ولم يكمله ، كما يؤيده قول الذهبي عنه : « وكان صدوقاً في الحديث ، حجة فيما ينقله ، له بصر نافذ في الفن ، وخبرة بالرجال وطبقاتهم ، ومعرفة بالاختلاف »[2] .

وقول البرزالي : « كان أحد الأعيان معرفة وإتقاناً ، وحفظاً للحديث ، وتفهماً في علله وأسانيده ، عالماً بصحيحه وسقيمه ، مستحضراً للسيرة »[3] .

وقال القطب الحلبي : « إمام محدث ، حافظ ، أديب شاعر ، بارع ، جمع وألف ، وخرج وأتقن ، وصارت له يد طولى في الحديث والأدب مع الإتقان ، ثبت فيما ينقل ويضبط »[4] .

وقال الإسنوي معاصره : « حافظ الديار المصرية »[5] .

ولعل هذه المكانة الحديثية هي التي أهلته لتولي مشيخة درس الحديث بالظاهرية بالقاهرة ، ومدرسة أبي حُليقة المعروفة بالمهذبيّة ، نسبة إلى بانيها الحاكم مهذب الدين أبي حُليقة ، وكانت تقع على بركة الفيل[6] من حيّ السيدة زينب حالياً ، وتدريسه أيضاً بجامع الصالح ، ومسجد الرصد بالقاهرة أيضاً[7] .

---

(١) الوافي بالوفيات ١/٣٠٢ .
(٢) الدرر الكامنة ٤/٣٣١ و ٣٣٣ .
(٣) المصدر السابق ٤/٣٣٢ .
(٤) المصدر السابق ٤/٣٣٢ .
(٥) المصدر السابق ٤/٣٣٣ .
(٦) الوافي بالوفيات ١/٢٩٢ .
(٧) الوافي بالوفيات ١/٢٩٢ والدرر الكامنة ٤/٣٣٣ .

وإذا كان للحديث وعلومه هذا الشأن في حياة ابن سيد الناس العلمية والوظيفية ، فإن للأدب وعلوم العربية شأناً آخر أيضاً ، حيث أذلقتْ لسانَه وقوّتْ جَنَانَه ، وقرَّبته من قلوب الناس ، فأهلته للخطابة في جامع الخندق بناحية الخندق خارج القاهرة[1] ، ومكنته من تجويد الشعر ، وحببته للأمراء والولاة في مصر ، فقد كان الأمير علم الدين الدواداري يحبه ويلازمه كثيراً ، ويقضي أشغال الناس عنده ، ودخل به إلى السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين ، وقال أحضرتُ لك هذا .. فاحترمَه ، وأجلسَه معه على الطرَّاحة ، وألقى بين يديه قصيدة امتدحه بها ، فلما رأى خطه وسمع كلامه ازداد إعجابُه به ، وقال : هذا ينبغي أن يكون في ديوان الإنشاء ، فرُتِّب في جملة الموقعين ، ولكنه ضاق بالزِّي الخاص الذي كان يلتزم به كتَّاب الديوان ؛ وهو الشيخ المحدث الذي يحرص على سمت العلم والعلماء ، فسأل الإعفاء من ذلك ، ولما علم السلطان سببَ ضيقه أعفاه من ذلك ، وأبقى له الراتب إلى أن مات[2] .

وكان صاحبنا أبو الفتح في عامة حياته يضيق بكل ما يُقَيِّده ، أو يُلزمه بغير واقعه النفسي ، فكان يرى أن مكانته العلمية لا تمنعه من الدعابة والمزاح المهذب ، ومجالسة الأمراء ، ومعاشرة الكتاب ، ما لم يتخلل ذلك حرام أو منكر لا يرضاه ، وهذا ما وجد فيه بعضهم مغمزاً عليه ، كما شغله من جهة أخرى عن تحقيق ما كان يتناسب مع علمه وحفظه ؛ قال الذهبي : « ولو أكبَّ على العلم كما ينبغي لشُدَّت إليه الرحال ، ولكنه كان يتلهى عن ذلك بمعاشرة الكتبة »[3] وقال : « وكان رحمه الله معروفاً بصحة العقيدة[4] وجمال الهيئة ، وكثرة التواضع ، وخفة الروح ، وطيب المجالسة ، والكِياسة والظرف »[5] .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) الوافي بالوفيات ١/٢٩٢ .

(٣) طبقات الشافعية ؛ لابن قاضي شهبة ٢/٣٩١ .

(٤) قال ابن كثير في البداية والنهاية ١٤/١٤٧ موضحاً معنى صحة عقيدته بقوله : « وله العقيدة السلفية الموضوعة على الآي والأخبار والآثار ، والاقتفاء بالآثار النبوية .

(٥) الدرر الكامنة ٤/٣٣٣ .

٤ ـ شيوخه وتلاميذه :

أ ـ **شيوخه** : من الطبيعي أن لا تكون استفادة ابن سيد الناس من أشياخه متساوية ؛ كشأن أي دارس ومتعلم ؛ إذ تتحكم في ذلك مجموعة من العوامل ؛ كالقرب والبعد من الشيخ ، ورحابة صدره أو ضيقه أحياناً ، ومدى الحاجة إلى تخصصه ، والعلوم التي يبرعُ فيها ؛ فإذا ما وجدنا الذهبي وغيره يُوصل شيوخ الحافظ ابن سيد الناس إلى قريب من الألف[١] ، فلا نستغرب ذلك ، ولنعلم أن هذا العدد يشمل كل أنواع التلقي العلمي المتاحة في ذلك العصر ؛ من إجازة وسماع وملازمة .

و لم يتيسر لأبي الفتح أن يكتب معجماً جامعاً لمشايخه ؛ كما فعل أكثر الحفاظ والمحدثين ، ولكن تلميذه وصديقه الصفدي استثاره بسؤال عن أحفظ من لقي منهم ، فردَّ عليه بأجوبة اعتبرت تصنيفاً من كتبه ، يحتوي على أسمائهم وعلمهم ، وما تميز به كل واحد منهم من الحفظ والإتقان ، وقد استفاد من هذه التراجم ابن فهد في تذييله على تذكرة الحفاظ[٢] .

ونضع بين يدي القارىء نماذج لثلاثة أصناف من مشايخه حسب التلقي منهم :

● فممن أجازه :

ـ عبد اللطيف بن عبد المنعم بن علي ، المعروف بالنجيب الحراني[١] .

ـ والإمام عز الدين أحمد بن إبراهيم الفاروثي[٢] المتوفى سنة ٦٩٤ هـ .

ـ وأبو القاسم الخضر بن أبي الحسين بن الخضر بن عبدان الأزدي[٣] الدمشقي .

● وممن سمع منهم وأكثر :

ـ أبو الحسن الغَرَّافي[٤] ، تاج الدين علي بن أحمد بن عبد المحسن بن أبي العباس الحسيني الإسكندري المتوفى سنة ٧٠٤ هـ .

---

(١) الدرر الكامنة ٣٣١/٤ .

(٢) انظر ذيل ابن فهد على تذكرة الحفاظ ص ٨٣ و ٨٤ و ٨٦ و ٩٠ و ٩٥ .

(٣) انظر تذكرة الحفاظ ١٤٩١/٤ .

(٤) انظر ذيل ابن فهد على تذكرة الحفاظ ص ٩٤ ــ ٩٥ .

ـ شامية[1] بنت الحافظ أبي علي الحسن بن محمد بن البكري ، أمة الحق ، توفيت سنة ٦٨٥ هـ .

ـ إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الرحمن المخزومي[2] ، المعروف بابن قريش ، المتوفى سنة ٦٩٤ هـ .

ـ عز الدين أبو القاسم أحمد بن محمد بن عبد الواحد الحسيني[3] ، نقيب الأشراف ، المتوفى سنة ٦٩٥ هـ .

● وممن لازمهم وتخرج بهم :

ـ والده أبو عمرو[4] محمد بن محمد بن سيد الناس المتوفى سنة ٧٠٥ هـ .

ـ تقي الدين ، أبو الفتح ، محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري ، المنفلوطي ، الصعيدي ، المالكي ، الشافعي ، شيخ الإسلام ؛ المعروف بابن دقيق العيد[5] ، المتوفى سنة ٧٠٤ هـ .

ـ محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي نصر ، أبو عبد الله ، بهاء الدين بن النحاس الحلبي[6] ، النحوي ، المتوفى سنة ٦٩٨ هـ .

ب ـ تلاميذه : كان ابن سيد الناس إلى جانب غزارة علمه ، وتنوع تخصصاته ، يتحلى بصفات أخرى ، تجعل طلاب العلم ، يقبلون على مجالسه ودروسه ، ولا يترددون في الأخذ عنه ، والسماع منه ، والتخرج به . من أهمها :

تواضعه ، وحبه الذي كان يُغدقه على طلاب العلم بعامة ، وطلاب الحديث بصفة خاصة ، وجمال عبارته ، وحسن محاضرته ، ورقة محاورته . والإحسان إلى فقراء طلبة العلم ، وإعارته إياهم الكتب التي يحتاجون إليها من مكتبته النفيسة التي ورثها عن والده ،

---

(١) العبر للذهبي ٣٥٩/٣ .
(٢) المصدر السابق ٣٨٢/٣ .
(٣) انظر ذيل ابن فهد على تذكرة الحفاظ ص ٨٩ ـ ٩٠ .
(٤) الدرر الكامنة ١٦٢/٤ .
(٥) طبقات الشافعية الكبرى ؛ لابن السبكي ٢٠٧/٩ .
(٦) معرفة القراء الكبار ؛ للذهبي ٧٢٩/٢ .

ونماها بنفسه وخط يده .

ولذلك تخرج به عدد كثير من التلاميذ ، كان لبعضهم شأن كبير فيما أخذوا عنه ؛ كالصفدي[1] في الأدب والتراجم ، وكالمُسنِد أبي الفرج الغزي[2] في الرواية والسماع . كما هيأ له اشتغاله بالتدريس على مستوى النطاق الرسمي الذي أشرنا إليه في حياته العلمية ، وتوليه الخطابة ؛ مجالاً آخر لاحتواء مجموعة من التلاميذ المحبين .

٥ ـ مؤلفاته :

ناهزت مؤلفاته رحمه الله تعالى عشرة كتب ، تتفق موضوعاتها مع تكوينه الثقافي واهتماماته العلمية ؛ إذ لم تخرج عن نطاق الحديث والسيرة والتراجم والأدب .

وهي على قلة عددها ـ إذا ما قيست بإنتاج الأعلام الكبار والمحدثين الحفاظ المعاصرين له ؛ كابن كثير والذهبي وابن القيم رحمهم الله تعالى ـ تكشف عن شخصية علمية متميزة ، وتضعه في مَصَافِّ المؤلفين الكبار الذين أثرَوا تخصصاتهم ، وأسهموا فيها بنصيبٍ وافر ، وشاركوا في إضافة لبنات صالحة فيها ، وتركوا على موضوعاتها بصمات خيِّرة وباقية ، تشهد لهم بالعلم والأصالة ، ولعل كتابه « عيون الأثر .. » الذي نحن بصدد تحقيقه ، وما كتبناه حوله في هذا التقديم ؛ يقوم شاهداً على ما لهذا الرجل من أصالة علمية ، ونضج فكري ، ومنهج سوي في الكتابة والتصنيف ، وتمتد هذه الميزة إلى جميع كتبه ، وتتمثل فيها واضحة جلية . وهي :

أ ـ كتب أتم تأليفها :

١ ـ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير :

وهو هذا الكتاب الذي نقوم بتحقيقه ونشره ، وقد اتفق كل من ترجم له على ذكره ؛ كالصفدي في الوافي ٢٩٢/١ ، والتاج السبكي في طبقات الشافعية الكبرى ٢٦٩/٩ ، وابن حجر في الدرر الكامنة ٣٣١/٤ ، وغيرهم . ولا ريب أن الكتاب سيرة كاملة ، بدأها

---

(١) انظر ترجمته في طبقات الشافعية ؛ لابن قاضي شهبة ١١٩/٣ ـ ١٢٠ .

(٢) الدرر الكامنة ٣٢٤/٢ .

المؤلف بالنسب النبوي الكريم وختمها بالوفاة ، وزاد عليها المعجزات والشمائل النبوية ، ولذلك وجدنا بعض المؤلفين يُطلقون عليها « السيرة الكبرى » و « السيرة النبوية » وقد قدمنا حوله دراسة وافية فيما سبق تحت عنوان « هذه السيرة » .

٢ ـ نور العيون :

وهو مختصر في شمائل الرسول ﷺ وأزواجه وأولاده ، وشيء يسير جداً من سيرته . قال المؤلف رحمه الله في مقدمته : لما وضعت كتابي المسمى « عيون الأثر » رأيت أن ألخص في هذه الأوراق ما قرب مأخذه ونقله ، وسهل تناوله وحمله ؛ ليكون للمبتدىء تبصرة ، وللمنتهي تذكرة[١] .

ذكره الصفدي في الوافي ٢٩٢/١ فقال بعد أن ذكر « عيون الأثر » : ومختصر ذلك سماه « نور العيون » ، وسمعته من لفظه . كما ذكره الإسنوي في طبقاته ٥١١/٢ فقال : وصنف « السيرة الصغرى » . وقال الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة ٣٣١/٤ : وله مختصر السيرة سماه « نور العيون » .

وله في الظاهرية مخطوطة تقع في ٢٨ ورقة مسطرتها ١٥ قياس ١٨ × ١٣ سم ، تحت رقم ٤٣٧٥ عام .

وسمعنا أن الكتاب مطبوع ، ولم نره .

٣ ـ بشرى اللبيب بذكرى الحبيب :

ذكره الصفدي في الوافي ٢٩٢/١ وقال : قرأته عليه بلفظي ، وذكره ابن حجر في الدرر الكامنة ٣٣١/٤ وقال : هو عبارة عن قصائد نبوية وشرحها ، ويقع في مجلد . وقال الحافظ ابن كثير عنه ١٤٧/١٤ : وله مدائح في رسول الله ﷺ حسان . وتوجد نسخة مخطوطة من الكتاب في مكتبة شستربيتي برقم ٥١٦٣ ، ومصورة عنها في معهد المخطوطات بالكويت برقم/١٥٩٢ سيرة وتاريخ ، بدأه المؤلف بقصيدة حاذى بها قصيدة كعب بن زهير « بانت سعاد » ثم أتبعها بقصائد عديدة مرتبة على حروف المعجم ، ومشتملة على

---

(١) فهارس مخطوطات المكتبة الظاهرية ، قسم التاريخ ؛ وضعها الدكتور يوسف العش ص ١٨ .

ما وقف عليه من أسماء الرسول ﷺ ، وعددها ستون اسماً ، فصار مجموع ما نظمه ديواناً ، وقال في مقدمته : وسميته بكتاب « بشرى اللبيب بذكرى الحبيب » .

٤ ـ تحصيل الإصابة في تفضيل الصحابة :

وهو في فضائل الصحابة رضي الله عنهم جميعاً ؛ و لم يذكر هذا الكتاب سوى الصفدي في الوافي ٢٩٢/١ ، فقال : وسمعته من لفظه .

٥ ـ المقامات العلية في كرامات الصحابة الجلية :

وموضوعه ظاهر من اسمه ، ذكره الصفدي في الوافي ٢٩٣/١ ، والحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة ٣٣١/٤ ، وحاجي خليفة في كشف الظنون ١٧٨٦/٢ . وطُبع الكتاب في دمشق سنة ١٤٠٦ هـ بتحقيق عفة وصال حمزة .

٦ ـ مِنَح المِدَح :

ذكره علاء الدين الصفدي في الوافي بالوفيات ٢٩٣/١ وقال : وسمعته من لفظه إلى ترجمة عبد الله بن الزِّبعرى . ويظهر من هذا الكلام أن المؤلف رحمه الله كان يترجم الصحابي أو التابعي أولاً ، ثم يذكر ما ورد عنه من الشعر في مدح النبي ﷺ .

كما أشار إلى هذا الكتاب الصفدي في قصيدته التي رثى بها المؤلف ، فقال :

يكفيه ما خطَّه في الصُّحْفِ من مِدَحِ النبيِّ
يكفيهِ هذا القدرُ يكفيه[1]

وذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٥٣٩/١٠ ، والدرر الكامنة ٣٣١/٤ ، وابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات ٢٨٨/٣ ، وحاجي خليفة في « كشف الظنون » وقال : إن المؤلف جمع فيه المدائح التي مدح بها الأصحابُ والتابعون الرسولَ ﷺ ، والمدائح التي له ، المسماة ببشرى اللبيب[2] . وطُبع في دار الفكر بدمشق سنة ١٤٠٧ هـ ، بتحقيق عفة وصال حمزة .

---

(١) الوافي ٣٠١/١ .

(٢) كشف الظنون ١٨٥٩/٢ .

٧ ـ أحفظ من لقي :

وهو كتاب جمع فيه المؤلف تراجم أحفظ من لقي من الشيوخ ، وأن لقب الحافظ إنما يستحقه من الشيوخ من جمع بين الرواية والحديث والدراية لعلومه . وكان الكتاب جواباً لسؤال صديقه الصفدي .

ذكره ابن فهد في تذييله على تذكرة الحفاظ ص ٧٧ وص ٨٣ واستفاد منه في ترجمة بعض الشيوخ الحفاظ في كتابه .

٨ ـ كتاب في علم العروض :

ذكره الصفدي في كلام المؤلف له ؛ قال : لم يكن لي في العروض شيخ ، ونظرتُ فيه جمعة ، فوضعت فيه مصنفاً . قال الصفدي : وقد رأيت هذا المصنف[١] .

ب ـ كتاب بدأ تأليفه ولم يتمه :

النَّفْح الشَّذي في شرح جامع الترمذي :

ذكره الصفدي في الوافي بالوفيات ٢٩٢/١ وقال : ولم يكمل ، جمعَ فأوعى ، وكان قد سماه « العَرْف الشذي » فقلت له : سمه « النفح الشذي » ليقابل الشرح بالنفح ، فسمَّاه كذلك .

وقال الإسنوي في طبقاته ٥١١/٢ : وشرح قطعة من الترمذي نحو مجلدين ، وشرعَ في إكماله حافظ الوقت زين الدين العراقي ؛ إكمالاً مناسباً لأصله . وقال ابن العماد في شذرات الذهب ١٠٨/٦ وشرح قطعة من كتاب الترمذي إلى كتاب الصلاة في مجلدين . والكتاب طبع حديثاً في مجلدين ، طبعته دار العاصمة بالرياض سنة ١٤٠٩ هـ بتحقيق د . أحمد معبد عبد الكريم .

٦ ـ وفاته :

وبعد حياة حافلة بالتعلُّم والتعليم ، والخطابة والتدريس ، والكتابة والتأليف ؛ جاء

---

(١) الوافي ٢٩١/١ .

الأجلُ المكتوب ، والقضاءُ المحتوم ، ومات ابن سيد الناس ، اخترمته المنية وهو يستقبل في مجلسه أحدَ أصدقائه بمنزله في مدرسة الحديث الظاهرية ، فقد هبَّ لاستقباله ، ثم سقط من قامته ، وتوفي رحمه الله من ساعته[1] ، ودفن من غده بالقرافة في جنازة حاشدة ، شيعها القضاة والأمراء والجند والفقهاء[2] ، ولما بلغت وفاته تلميذه الصفدي رثاه بقصيدة[3] مطلعها :

ما بعدَ فقدِكَ لِي أُنسٌ أرجِّيه ... ولا سرور من الدنيا أُقَضِّيه
يا حافظاً ضاعَ نَشْرُ العلم منه إلى ... أن كادَ يعرفه من لا يُسمِّيه
صان الرواية بالإسناد فامتنعت ... ثغورُها حين حاطتها عواليه
حفظتَ سنَّة خير المرسلين فما ... أراكَ تُمسي مضاعاً عند باريه
لله سعيك من حبر تبحَّر في ... علم الحديثِ فما خابَتْ مساعِيه
وهل يخيبُ معاذَ الله سعيُ فتىً ... في سنة المصطفى أفنى لياليه
سقى الغمام ضريحاً قد تضمَّنه ... صَوْباً إذا انهلَّ لا ترقى غواديه

رحم الله أبا الفتح ابن سيد الناس رحمة واسعة وجمعنا به تحت لواء سيدنا رسول الله ﷺ .

* * *

---

(١) شذرات الذهب ٦/١٠٩ .

(٢) الوافي بالوفيات ١/٣٠٠ .

(٣) القصيدة في الوافي ٤١ بيتاً وقد اخترنا منها رقم ١ و ١٦ و ١٧ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٤٠ .

صور النسخ المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مجلي محاسن السنة المحمدية بدر اخبارها ومجلي
ميامن السيرة النبوية عن غرر آثارها ومؤيد نور من اقتبس نور
هدايته من مشكاة انوارها ومسدد من التمس عز حمايته من ازرق
سنانها وابيض بتارها ومسهل طريق الجنة من اتبع مستقيم
صراطها واهتدى بضياء منارها ومذلل سبيل الحديقة لمن اقتفى
سرائر سيرها وسير اسرارها احمده على ما اولى من نعم
قعد لسان الشكر عن القيام بمقدارها واشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له شهادة تبلغنا من ميادين القبول غاية
مضمارها وتسوغنا من مشارع الرحمة اصفى مواردها واعذب
انهارها واشهد ان محمدا عبده ورسوله الذي تعبد الله وقد
طمت بحار الكفر بتيارها وطغت شياطين الضلال بعنادها
واصرارها وعتت طائفة الاوثان وعبدة الاصنام على
خالقها وجبارها فقام بامره حتى انجلت غياهب ظلمها
عن سائر ديارها وجاهد في الله حق جهاده حتى اسفر
ليل جهلها عن صباح نهارها صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
الذين حازت نفوسهم الابية من مراضيه غاية اوطارها
وفازت من سماع مقاله ورواية احواله ورؤية جلاله
بما ملئ مسامعها وافواهها وابصارها وسلم تسليما كثيرا
وبعد فلما وقفت على ما جمعه الناس قديما وحديثا
من الجوامع في سير النبي صلى الله عليه وسلم ومغازيه وايامه
الى غير ذلك مما يتصل به لم ار الا مطيلا مملا او مقتصرا بأكثر
المقاصد مخلا فالمطيل اما معتن بالاسماء والانساب والاشعار
والآداب وآخر ياخذ كل مأخذ في جمع الطرق والروايات
ويصرف الى ذلك ما تصل اليه القدرة من العنايات والمقصد

لا يجدوا

صورة الصفحة الثانية من المخطوطة « أ » وتبدأ فيها مقدمة المؤلف .

سمع عليه الكثير بقراءة والده قال قرئ كتاب الروض الانيف
والمشرع الروي على ابي القاسم عبد الرحمن بن ابي الحسن الخثعمي
السهيلي في مصنفه من اوله الى اخره مرتين وانا اسمع ومن
كتابه هذا اثبت ما اثبت عنده هنا وربما اثبت فوايد في الغص
المتعلقة بشرح الاخبار السابقة لها وما اشتملت عليه من الغريب
من فوائد الفيتها بخط جدي ابي بكر محمد بن احمد علقها عن شيخه
الاستاذ ابي علي عمر بن محمد الازدي بن الشلوبين رحمه
الله تعالى عند قراءة السيرة الهشامية عليه واثبتها
في طرر كتابه رحمهم الله تعالى جميعهم ونفعنا بما يسر لنا
من ذلك بمنه وكرمه تم كتاب عيون الاثر في المغازي
والشمايل والسير بعون الله تعالى وحسن توفيقه وحسبنا
الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى
الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم وكان الفراغ
من نسخ ذلك يوم الاحد المبارك تاسع شهر
ربيع الاخر من شهور سنة ١١٦٩
من الهجرة النبوية على يد كاتبه
خليل الحنفي تغمده الله بالرحمة
والرضوان وغفر الله لمن
قرأ فيه ودعا له بالمغفرة
ولسائر المسلمين
اجمعين
آمين

كتاب الروض الانيف

كتاب عيون الاثر في المغازي والشمايل والسير للعلامة ابن سيد الناس رحمه الله رحمة واسعة

طالعته وانا العبد الفقير السيد محمد الكوملجنوي عامله المولى المتعال بلطفه الصوري والمعنوي
سنة ١١٨٦ في ٢ شوال

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة « أ » وفيها خاتمة المؤلف وتاريخ النسخ ، وقراءة مالك النسخة محمد الكوملجنوي سنة ١١٨٦ هـ .



بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي ورجائي
قال الشيخ الإمام العالم العلامة أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد
ابن أحمد بن سيد الناس اليعمري الحمد لله مجلي محاسن السنة النبوية
بدور خبارها، ومجتني ما من الشجرة النبوية من عبير ثمارها [illegible]
من اقتبس نور هدايته من مشكاة أنوارها، ومسدد من انتمى
عن حمايته من أزرق سنانها وأبيض شفارها، ومنهج طريق
الجنة لمن اتبع مستقيم صراطها واهتدى بضياء أقمارها، ومذلل
سبل الهداية لمن اقتفى آثار مشرعها ومتبع أسرارها أحمده
على ما أولى من نعم تؤذن بأن الشكر عن القيام بحق [illegible] وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنقذنا
من ميادين الغفول عاثية مضمارها وتشرعنا من مشارع الإخلاص
مواردها وأعذب أنهارها، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي
بعثه الله وقد طمت علينا الكفر بتيارها وطغت شياطين الضلال
جنادها وأصرارها وعتت طائفة الأوثان وعبدت الأصنام
على علاتها وعيارها فقام بأمره حتى أخلت [illegible] عن منار
إنذارها وجاهد في سبيل الله حق جهاده حتى أسفر ليل جهلها
عن صباح نهارها صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه الذين [illegible]
[illegible]

صورة الصفحة الأولى من المخطوطة « ب » وتبدأ فيها المقدمة .

السهيلي مصنفه رحمه الله تعالى من أوله إلى آخره مرتين وأنا أسمع ومن كتابه هذا
أثبت ما أثبت عنه هنا وربما أثبت فوائد في الفصول المتعلقة بشرح الأحاديث
السابقة لها وما اشتملت عليه من الغريب من فوائد أثبتها بخط جدي أبي محمد بن
أبي خلد رحمه الله تعالى علقها عن شيخه الأستاذ أبي علي عمر بن محمد الأزدي بن الشلوبين
رحمه الله تعالى عند قراءة السيرة الهشامية وأثبتها في طرر كتابه رحمهم الله تعالى
جميعهم ونفعنا بما يسر لنا من ذلك بمنه وكرمه تم جميع كتاب عيون الأثر في المغازي
والشمائل والسير بعون الله تعالى وحسن توفيقه ولطفه ولا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما
كثيرا دائما أبدا إلى يوم الدين ما هطل الغمام وغردت الحمام وادم يا ربنا ذلك
على الدوام وذلك على يد العبد الفقير الذليل الحقير المعترف بالذنب
والتقصير والراجي عفو ربه القدير وأفقر العباد وأحوجهم
إلى رحمة ربه الفار إليه من ذنبه الفقير علي بن أحمد بن
علي الهيثمي بلدا الشافعي مذهبا وقد علقتها بيده
الفانية لنفسه لينتفع بها قراءة ومطالعة ومن بعد ذلك
غفر الله له ولوالديه ولمن دعا له بالمغفرة
والرحمة ومن نظر فيها خطأ وأصلح أثابه
آمين وكان الفراغ من نسخها يوم السبت
المبارك عاشر شهر جمادى الأولى
من شهور سنة سبع وستين وألف
من الهجرة النبوية على صاحبها
أفضل الصلاة والسلام إلى يوم
القيامة وساعة الشام والحمد لله
وحده وصلى الله على من لا نبي بعده
النبي الأمي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا إلى يوم الدين

ولابد من عيب فإن تجدنه ... فسامح وكن بالستر أكرم مفضل
فمن ذا الذي ما ساء قط ومن له ... المحاسن قد تمت سوى خير مرسل

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة « ب » .

وامير الحاج على مدرسة والده المرحوم المغفور له الحاج اسمعيل باشا واشرط الواقف انه لا يخرج من

كتاب عيون الاثر في المغازي والشمايل والسير تاليف الشيخ الامام الحبر الهمام الحافظ المحدث البارع عمدة المحدثين فتح الدين ابي الفتح محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن احمد ابن سيد الناس اليعمري الربعي رحمه الله تعالى ورضي عنه بجاه محمد واله امين

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد واله وبعد فلما كان في سنة سبعة وثمانين من الهجرة بعد الالف اخبرنا سيدنا ومولانا العالم العلامة ولي الدين الشيخ منصور الطوخي عن شيخه شيخ الاسلام العالم العلامة الشيخ محمد البابلي قال اخبرنا العلامة الشيخ ابراهيم اللقاني قال اخبرنا العلامة الشيخ السنهوري قال اخبرنا الشيخ نجم الدين الغيطي قال اخبرنا شيخ الاسلام زكريا الانصاري قال اخبرنا الحافظ ابن حجر العسقلاني قال اخبرنا الشمس الفرسيسي قال اخبرنا الامام ابو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن احمد بن سيد الناس اليعمري رضي الله تعالى عنه وبيننا وبينه بهذا السند رحمهم الله تعالى اجمعين ونفعنا ببركاتهم وكاتبه الاحقر الفقير ابو بكر بن ابي الفتح الدجي قراه على المذكور في الدرس اه

صورة الصفحة الأولى من المخطوطة « ج » ، وفيها الإسناد إلى مؤلفها رحمه الله تعالى .

صورة الصفحة الثانية من المخطوطة « ج » وتظهر فيها مقدمة المؤلف والحواشي والتعليقات .. من نور النبراس .

محمد بن عبد الله بن محمد بن عيسى التميمي اجازة
انا القاضي عياض سماعا وما كان فيه عن الاستاد
ابي القاسم السهيلي فمن روايتي عن والدي
رحمه الله قال انا الشيخ الراوية الزاهد ابو الحسين
محمد بن احمد بن السراج اجازة ان لم يكن سماعا وقد
سمع عليه الكثير بقراءة والدي قال قرئ كتاب
الروض الانف والشرح السهيلي مصنفه من اوله
الى اخره مرتين وانا اسمع ومن كتابه هذا اثبت
ما اثبت منه هنا وربما اثبت زوايد في الفصول
المتعلقة بشرح الاخبار تابعة لها وما اشتملت
عليه من الغريب من فوائد الفقيه بخط
جدي ابي بكر محمد بن احمد علقها عن شيخه الاستاد
ابي علي عمر بن محمد الازدي الشلوبين عند قراءته
السيرة الهاشمية عليه واثبتها في طرر كتابه رحم الله
جميعهم ونفعنا بما يسرت من ذلك بمنه وكرمه
والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد النبي
الامي وعلى اله وصحبه اجمعين الى يوم الدين وعلقته
لنفسه ثم لمن يشا الله من بعده العبد الفقير الى الله تعالى
الراجي عفو ربه ابو بكر الدلجي بلدا الشافعي مذهبا
لطف الله به وبوالديه وبجميع المسلمين وذلك في ضحى
يوم السبت المبارك في شهر ربيع الاول من شهور سنة ١٠٨٥
من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام
وكان الفراغ على يد كاتبها الفقير الى الله تعالى [illegible]
[illegible] تعالى [illegible] الاشبيلي بن عبيد الله بن طلحة بن سليمان بن هاشم
الراجي عفو ربه رمضان [illegible] الشافعي مذهبا [illegible] وبوالديه وجميع
المسلمين امين امين
والحمد لله

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة « ج » وفيها خاتمة المؤلف وتاريخ النسخ .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام العالم العلامة النسابة ابو الفتح محمد بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سيد الناس اليعمري

الحمد لله على محاسن السنة المحمدية بدور رحب رحابها وتجلى سماء السيرة النبوية عن غرر آثارها ومؤيد من اقتبس نور هدايته من مشكاة انوارها ومسدد من التمس عز حمايته من ازرق سنانها وابيض شفارها ومسهل طريق الجنة لمن اتبع مستقيم منهاجها واقتدى بضياء منارها وممهد السبيل الهداية لمن اقتفى سرائر سيرها وسير اسرارها احمده على ما اولى من نعم تعدد لسان الشكر عن القيام بمقدارها واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة بلغت بنا من سائر القبول غاية مضمارها ومتعتنا من مسارح الرحمة اصفى مواردها واعذب انهارها واشهد ان محمدا عبده ورسوله الذي ابتعثه الله وقد طمت بحار الكفر بتيارها وطغت شياطين الضلال بعنادها واضرارها وعتت طائفة الاوثان وعبدة الاصنام على خالقها وجبارها فقام بامره حتى اجلت غياهب ظلمها عن سنا ابدارها وجاهد في الله حق جهاده حتى اسفر ليل جهلها عن صباح نهارها صلى الله عليه وعلى اله وصحبه الذين حازت نفوسهم الابية من مراضيه غاية اوطارها وفازت من سماع مقاله ورواية احواله ورؤية جلاله بملي سماعها

واوزارها

صورة المخطوطة « د » المغربية وتبدأ فيها المقدمة .

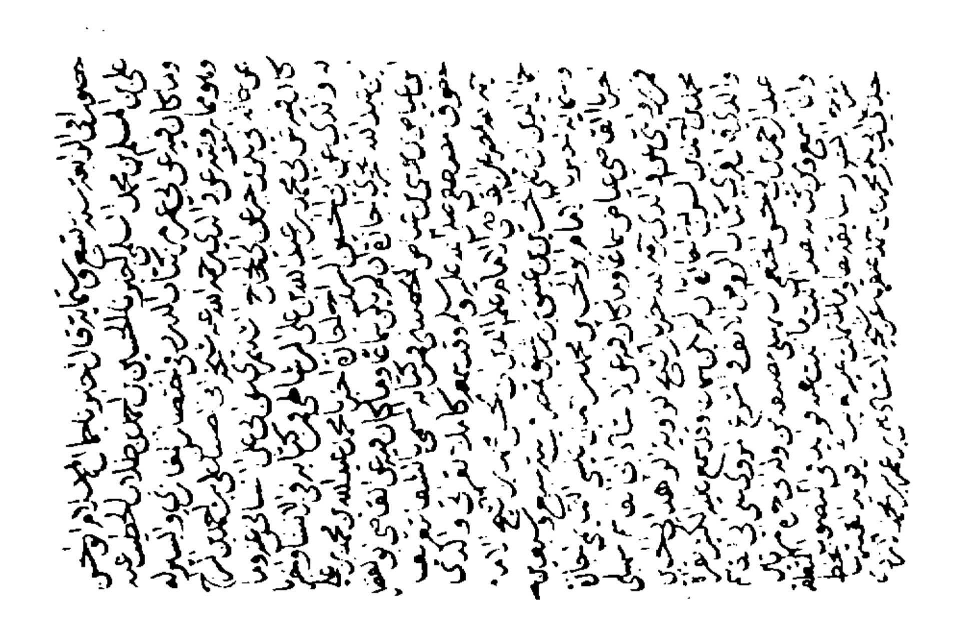
الروض الأنف

لشيخ جدي ... أنبأنا الشيخ أبو [illegible] ... عن
الأستاذ أبي القاسم السهيلي [illegible] رحمه الله
قال أنبأنا الشيخ [illegible] الزاهد أبو الحسن [illegible] أحمد بن
[illegible] عليه الكثير [illegible]
[illegible] كتاب الروض الأنف والمشرع الروي في
[illegible] أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي الحسن الخثعمي السهيلي [illegible]
[illegible]
[illegible]
المتعلقة بشرح الأخبار النبوية [illegible]
على [illegible] من فوائد [illegible] بخط جدي أبي بكر
محمد بن أحمد [illegible] عن شيخه الأستاذ أبي [illegible] محمد
[illegible] عند قراءة السيرة [illegible]
عليه وانتهى [illegible] رحمهم الله أجمعين •
ونفعنا [illegible] •
[illegible] السيرة النبوية • والحمد لله [illegible] • وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا إلى يوم
الدين • ووافق الفراغ من تعليقها [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] والحمد
[illegible]

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة « د » وفيها خاتمة الكتاب وتاريخ النسخ .

ابن العلا بن لوذان بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عدي بن مالك بن
زيد مناة بن حبيب بضعة وأربعون عند ابن إسحاق فمنهم سبعة وثلاثون
فجميعهم ستة وتسعون منهم المهاجرين ومن ذكر معهم أحد عشر ومن الأنصار
خمسة وثمانون من الأوس ثمانية وثلاثون ومن الخزرج سبعة وأربعون
منهم عند ابن إسحاق من المهاجرين أربعة ومن الأنصار أحد وستون من
الأوس أربعة وعشرون ومن الخزرج سبعة وثلاثون والباقون عند
موسى بن عقبة وعن ابن سعد أو عن ابن هشام وقد ذكر أبو عمر فيهم زياد
ابن السكن أبا عمارة بن زياد وقد حكينا عن ابن إسحاق كيف وهم ذكره
عنده وهو داخل في العدد من بني عبد الأشهل وممن ذكر أبو عمر [illegible]
أبا زيد الأنصاري وهو أبو بشير ابن أبي زيد ذكره عن ابن الكلبي في باب
الكنى بشير أبيه وذكر في كتاب الصحابة حارثة بن عمرو الأنصاري من
بني ساعدة ولم يصل نسبه وذكر الحافظ أبو محمد الدمياطي في نسب الأوس
له حراش بن قتادة بن ربيعة بن خالد الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد
لخالد بن قتادة وقال شهد بدرا وقيل لم يشهد قاله ابن الكلبي وقد
ذكرنا الخالد أنه شهد أحدا وذكر أبو عمر في كتابه في المغازي منهم
عمير بن عدي الخطمي وغيره يقول في عمير لم يشهد أحدا وكان ضرير البصر
فقد تجاوزوا بهذه الزيادات المائة على أنه قد ذكر أن قتلى أحد سبعون ومن
الناس من يجعل السبعين من الأنصار خاصة وكذلك قال ابن سعد في باب
غزوة أحد لكنه في تراجم الطبقات لم يرد واعمل ذلك في تفسير قوله تعالى
أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها أنه تسلية للمؤمنين عمن أصيب
منهم يوم أحد بأنهم أصابوا من المشركين يوم بدر سبعين قتيلا وسبعين

صورة بداية النسخة « هـ » الناقصة





صورة الصفحتين الأخيرتين من النسخة « هـ » .

السيرة النبوية

عيون الأثر

في فنون المغازي والشمائل والسير



تأليف

الحافظ أبي الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري

المتوفى سنة ٧٣٤ هـ

الجزء الأول

حقق نصوصه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه

د. محمد العيد الخطراوي   محيي الدين مستو

مكتبة دار التراث
المدينة المنورة

دار ابن كثير
دمشق - بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد[1] لله محلّي محاسن السنة المحمدية بدرر أخبارها ، ومجلّي ميامن[2] السيرة النبوية عن غرر آثارها ، ومؤيِّد من اقتبس نورَ هدايته من مِشكاة أنوارها ، ومسدِّد من التمس عِزَّ حمايته من أزرقِ سنانها وأبيض بتَّارها ، ومُسهِّل طريق الجنة لمن اتَّبعَ مستقيمَ صراطها ، واهتدى بضياء منارها ، ومذلِّل سبيلَ الهداية لمن اقتفى سرائرَ سَيْرِها وسِيَرَ أسرارها .

أحمده على ما أولى من نعم قعدَ لسانُ الشكر عن القيام بمقدارها ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً تبلغنا من ميادين القبول غاية مضمارها ، وتسوغنا من مَشَارع[3] الرحمة أصفى موارِدها وأعذب أنهارها ، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله الذي ابتعثه وقد طَمَتْ[4] بحارُ الكفر بتيارها ، وطغت شياطين الضلال بعنادها وإصرارها ، وعتت طائفة الأوثان وعبدة الأصنام على خالقها وجبَّارها ، فقام بأمره حتى تجلَّت غياهب ظلمها عن سنا أبدارها ، وجاهد في الله حقَّ جهاده حتى أسفر ليلُ جهلها عن صباح نهارها . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين حازت نفوسهم الأبية من مراضيه غاية أوطارها ، وفازت من سماع مقاله ورواية أحواله ورؤية جلاله بِمَلءِ مسامعها وأفواهها وأبصارها ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد :

فلما وقفت على ما جمعه الناس قديماً وحديثاً من المجاميع في سِير النبي ﷺ ومغازيه

---

(١) في « ب » و « ج » و « د » قال الشيخ الإمام العالم العلَّامة النسَّابة ، أبو الفتح محمد بن أحمد بن عبد الله بن سيد الناس اليعمري : الحمدُ لله مُحلِّي محاسن السُّنة ... .

(٢) « ميامن » : جمع ميمنة ، وهي اليمن والبركة .

(٣) « مَشَارع » : جمع مشرعة ، وهي مورد الماء .

(٤) « طَمَت » : امتلأت وزاد ماؤها ، ومضارعها « يَطمي » .

وأيامه إلى غير ذلك مما يتصل به ،(لم أر إلا مطيلاً مملاً أو مقصراً بأكثر المقاصد مخلاً ؛ فالمطيل[1] إما معتن بالأسماء والأنساب والأشعار والآداب ، أو آخر يأخذ كل مأخذ في جمع الطرق والروايات ، ويصرف إلى ذلك ما تصل إليه القدرة من العنايات . والمقصر لا يعدو المنهج الواحد ، ومع ذلك فلا بد وأن يترك كثيراً مما فيه من الفوائد ، وإن كانوا رحمهم الله هم القدوة في ذلك ، ومما جمعوه يستمد من أراد ما هنالك ، فليس لي في هذا المجموع إلا حسن الاختيار من كلامهم ، والتبرك بالدخول في نظامهم ، غير أن التصنيف يكون في عشرة[2] أنواع كما ذكره بعض العلماء ، فأحدها جمع المتفرقات وهو ما نحن فيه (فإني أرجو أن الناظر في كتابي هذا لا يجد ما ضمّنته إياه في مكان ولا مكانين ولا ثلاثة ولا أكثر من ذلك إلا بزيادة كثيرة تتعب[3] القاصد ، ويتعذر بها على أكثر الناس المقاصد ، فاقتضى ذلك أن جمعت هذه الأوراق ، وضمّنتها كثيراً مما انتهى إليَّ من نسب سيدنا ونبينا محمد رسول الله ﷺ ، ومولده ، ورضاعه ، وفصاله ، وإقامته في بني سعد ، وما عرض له هنالك من شق الصدر وغيره ، ومنشئه وكفالة عبد المطلب جده إياه إلى أن مات ، وانتقاله إلى كفالة عمّه أبي طالب بعد ذلك ، وسفره إلى الشام ورجوعه منه ، وما وقع له في ذلك السفر من إظلال الغمامة إياه ، وإخبار الكهان والرهبان عن نبوته ، وتزويجه خديجة عليها السلام ، ومبدأ البعث والنبوة ونزول الوحي ، وذِكْر قوم من السابقين الأولين في الدخول في الإسلام ، وما كان من الهجرتين إلى أرض الحبشة ، وانشقاق القمر ، وما عرض له بمكة من الحصار بالشِّعْب ، وأمر الصحيفة ، وخروجه إلى الطائف ، ورجوعه بعد ذلك إلى مكة ، وذكر العقبة ، وبدء إسلام الأنصار ، والإسراء والمعراج ، وفرض الصلاة ، وأخبار الهجرة إلى المدينة ، ودخوله عليه الصلاة والسلام المدينة ، ونزوله حيث

---

(١) كذا في جميع النسخ ، والأنسب « والمطيل » .

(٢) لم نعثر على هذا القول ، وفي خلاصة الأثر ٤/٤١ : قال الشيخ محمد بن علاء الدين ، أبو عبد الله شمس الدين البابلي القاهري ، المتوفى سنة ١٠٧٧ هـ : « لا يؤلف أحدٌ كتاباً إلا في أحد أقسام سبعة ، ولا يمكن التأليف في غيرها ، وهي إما أن يؤلف في شيء لم يُسبق إليه يخترعه ، أو شيء ناقص يتممه ، أو شيء مستغلق يشرحه ، أو طويل يختصره ، دون أن يُخِلَّ بشيءٍ من معانيه ، أو شيء مختلط يرتبه ، أو شيء أخطأ فيه مصنفه يبيّنه ، أو شيء مفرّق يجمعه » .

(٣) المراد أن ما ضمنه كتابه يمتاز بالوضوح ، ويعرض المعلومة بعيداً عن الزيادات المملة التي قد توجد في غيره .

نزل ، وبناء المسجد ، واتخاذ المنبر ، وحنين الجذع ، ومغازيه وسيره[1] وبعوثه ، وما نزل من الوحي في ذلك ، وعُمَرِه ، وكَتْبِهِ إلى الملوك ، وإسلام الوفود ، وحجة الوداع ، ووفاته ﷺ ، وغير ذلك .

ثم أتبعت ذلك بذكر أعمامه وعماته وأزواجه وأولاده وحِلْيته وشمائله وعبيده وإمائه ومواليه وخيله وسلاحه ، وما يتصل بذلك مما ذكر العلماء في ذلك على سبيل الاختصار والإيجاز سالكاً في ذلك ما اقتضاه التاريخ من إيراد واقعة بعد أخرى ، لا ما اقتضاه الترتيب من ضم الشيء إلى شكله ومثله ، حاشا ذكر أزواجه وأولاده عليه الصلاة والسلام فإني لم أسق ذكرهم على ما اقتضاه التاريخ ، بل دخل ذلك كلُّه فيما أتبعت به باب المغازي والسِّيَر من باب[2] الحِلَى والشمائل ، ولم أستثن من ذلك إلا ذكرَ تزويجه عليه الصلاة والسلام خديجة ؛ لما وقع في أمرها من أعلام النبوة .

وقد أتحفتُ الناظر في هذا الكتاب من طُرَف[3] الأشعار بما يقف الاختيار عنده ، ومن نتف الأنساب بما لا يعدو التعريف حدَّه ، ومن عوالي الأسانيد بما يستعذب الناهلُ ورْدَه ، ويستنجح الناقلُ قصدَه .

وأرحته من الإطالة بتكرار ما يتكرر منها ، وذلك أني عمدت إلى ما يتكرر النقل منه من كتب الأحاديث والسنن والمصنفات على الأبواب والمسانيد وكتب المغازي والسير ، وغير ذلك مما يتكرر ذكره ، فأذكر ما أذكره من ذلك بأسانيدهم إلى منتهاها : في مواضعه ، وأذكر أسانيدي[4] إلى مصنفي تلك الكتب في مكان واحد عند انتهاء الغرض من هذا المجموع ، وأما ما لا يتكرر النقل منه إلا قليلاً ، أو ما لا يتكرر منه نقل مما حصل من الفوائد الملتقطة والأجزاء المتفرقة فإني أذكر تلك الأسانيد عند ذكر ما أورده بها ؛ ليحصل بذلك الغرض من الاختصار وذكرُ الأسانيد مع عدم التكرار .

---

(١) كذا في جميع النسخ ، وفي هامش « أ » « وسراياه » وهو الأنسب .
(٢) « الحِلَى » : بكسر الحاء ، جمع حلية ، وهي الخلقة والصورة والصفة .
(٣) « طُرَف الأشعار » : خيارها وأحاسنها .
(٤) « وأذكر أسانيدي » : لقد وفَّى المؤلف رحمه الله تعالى بذلك ، فذكر أسانيده إلى الكتب التي تكررت روايته عنها في نهاية الكتاب .

وأما الأنساب فمن ذكرته استوعبتُ نسبَه إلى أن يصل إلى فَخِذِه أو بطنه المشهور أو أبعد من ذلك من شَعبه أو قبيلته بحسب ما يقتضيه الحال إن وجدته ، فإن تكرر ذكره لم أرتفع في نسبه ، واكتفيت بما سلف من ذلك ، غير أني أنبه على المكان الذي سبق فيه نسبه مرفوعاً بعلامة أرسمها بالحمرة ، فمن ذكر في السابقين الأولين أعلمت له « س » ، وللمهاجرين الأولين إلى أرض الحبشة « ها » ، وللثانية « هب » ، ولمهاجرة المدينة « هـ » ، ولأهل العقبة الأولى « عا » ، والثانية « عب » ، وللمذكورين في النقباء « ق » ولأهل العقبة الثالثة « عج »[1] ، وللبدريين « ب » ولأهل أُحد « أ » .

وعمدتنا فيما نورده من ذلك على محمد بن إسحاق إذ هو العمدة في هذا الباب لنا ولغيرنا ، غير أني قد أجد الخبر عنده مرسلاً وهو عند غيره مسند ؛ فأذكره من حيث هو مسند ترجيحاً لمحل الإسناد . وإن كانت في مرسل ابن إسحاق زيادة أتبعته بها . ولم أتتبع إسناد مراسيله وإنما كتبت ذلك بحسب ما وقع لي .

وكثيراً ما أنقل عن الواقدي من طريق محمد بن سعد وغيره أخباراً لعلَّ كثيراً منها لا يوجد عند غيره ، فإلى محمد بن عمر انتهى علم ذلك أيضاً في زمانه ، وإن كان قد وقع لأهل العلم كلام في محمد بن إسحاق وكلام في محمد بن عمر الواقدي أشدُّ منه فسنذكر[2] نبذة مما انتهى إليَّ من الكلام فيهما جرحاً وتعديلاً ، فإذا انتهى ما أنقله من ذلك أخذت في الأجوبة عن الجرح فصلاً فصلاً بحسب ما يقتضيه النظر ويؤدي إليه الاجتهاد ، والله الموفق .

ابنُ إسحاق

فأما ابن إسحاق فهو : محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار ويقال ابن يسار بن كُوثان المديني ، مولى قيس بن مَخْرَمة بن المطلب بن عبد مناف ، أبو بكر ، وقيل أبو عبد الله .

---

(١) يلاحظ أن المؤلف رمز بالحرف الأول للحدث ، وبالحرف الثاني لترتيبه الأبجدي حسب وقوعه .

(٢) في « د » ولنذكر .

رأى أنسَ بن مالك وسعيدَ بن المسيِّب وسمع القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، وأبانَ بن عثمان بن عفان ، ومحمد بن علي[1] بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وأبا سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف ، وعبد الرحمن[2] بن هرمز الأعرج ، ونافعاً مولى ابن عمر ، والزهريَّ وغيرَهم . وحدَّث عنه أئمة العلماء منهم : يحيى بن سعيد الأنصاري ، وسفيان الثوري ، وابن جُريج ، وشُعبة ، والحمَّادان ، وإبراهيم بن سعد ، وشريك بن عبد الله النخعي ، وسفيان بن عُيينة ومَنْ بعدهم .

ذكر ابن المديني عن سفيان بن عُيينة أنه سمع ابن شهاب يقول : لا يزال بالمدينة عِلْمٌ ما بقي هذا ، يعني ابن إسحاق . وروى ابن أبي ذئب عن الزهري أنه رآه مقبلاً فقال : لا يزال بالحجاز عِلْم كثير ما دام[3] هذا الأحول بين أظهرهم ، وقال ابن[4] عُلَيَّة : سمعت شعبة يقول : محمد بن إسحاق صدوق في الحديث . ومن رواية يونس بن بُكير عن شعبة : محمد بن إسحاق أمير المحدثين . فقيل له : لم ؟ فقال : لحفظه . وقال ابن أبي خيثمة : حدثنا ابن المنذر ، عن ابن عيينة أنه قال : ما تقول أصحابُك في محمد بن إسحاق ؟ قال : قلت إنهم يقولون : إنه كذاب ، قال : لا تقل ذلك . وقال ابن المديني : سمعت سفيان ابن عُيينة سئل عن محمد بن إسحاق ، فقيل له و لم لم يروِ أهلُ المدينة عنه ؟ فقال : جالسته منذ بضع وسبعين سنة وما يتهمه أحد من أهل المدينة ولا يقولون فيه شيئاً . وسئل أبو زُرعة عنه فقال : مَنْ تكلَّم في محمد بن إسحاق ؟ هو صدوق . وقال أبو حاتم[5] : يُكتب

---

(١) محمد بن علي بن الحسين : أبو جعفر ، الملقب بالباقر ، روى عن أبيه وجديه الحسن والحسين وغيرهم ، وروى عنه أبو إسحاق السبيعي والزهري والأوزاعي وغيرهم . وثقه ابن سعد والعجلي . وعدّه النسائيّ من فقهاء التابعين بالمدينة . توفي سنة ١١٤ هـ . تهذيب التهذيب ٩/٣٥٠ .

(٢) عبد الرحمن بن هرمز الأعرج : أبو داود المدني ، روى عن أبي هريرة وأبي سعيد وابن عباس وغيرهم . وروى عنه صالح بن كيسان والزهري ومحمد بن إسحاق وغيرهم . وثقه ابن سعد وابن المديني والعجلي وأبو زُرْعة . توفي سنة ١١٧ هـ . تهذيب التهذيب ٦/٢٩٠ .

(٣) كذا في جميع النسخ المخطوطة ، وفي المطبوع « ما بقي » .

(٤) ابن عُلَيّة : إسماعيل بن إبراهيم بن مِقْسم ، أبو بِشر الأسدي مولاهم ، البصري ، المتوفى سنة ١٩٣ هـ . انظر ميزان الاعتدال ١/٢١٦ ــ ٢٢٠ .

(٥) قال في نور النبراس لوحة (٨) : كذا في نسخة صحيحة ، وفي أخرى ابن أبي حاتم . فأما أبو حاتم :

حديثه . وقال ابن المديني : مدار حديث رسول الله ﷺ على ستة فذكرهم ، ثم قال : وصار علمُ الستة عند اثني عشر رجلاً ، أحدُهم ابن إسحاق . وسُئل ابن شهاب عن المغازي ، فقال : هذا أعلم الناس بها ، يعني ابن إسحاق . وقال الشافعي : من أرادَ أن يتبحَّرَ في المغازي فهو عِيالٌ على ابن إسحاق . وقال أحمد بن زهير : سألت يحيى بن معين عنه ، فقال : قال عاصم بن عمر بن قتادة : لا يزالُ في الناس علم ما عاشَ محمد بن إسحاق . وقال ابن أبي خيثمة : حدثنا هارون بن معروف ، قال : سمعت أبا معاوية يقول : كان ابن إسحاق من أحفظ الناس ، فكان إذا كان عند الرجل خمسة أحاديث أو أكثر جاء فاستودَعها محمد بن إسحاق ، فقال : احفظْها عليَّ ، فإن نسيتُها كنتَ قد حفظتَها عليَّ . وروى الخطيبُ بإسناد له إلى ابن نُفيل ، حدثنا عبد الله بن فائد ، قال : كنا إذا جلسنا إلى محمد بن إسحاق فأخذ في فن من العلم قضى مجلسه في ذلك الفن . وروينا من طريق البخاري قال : قال لي إبراهيم بن المنذر : حدثنا عثمان بن عمر أن الزهري كان يتلقفُ المغازي من ابن إسحاق[1] . وقال أبو زُرعة عبد الرحمن بن عمرو النَّصْري : محمد بن إسحاق قد أجمعَ الكبراءُ من أهل العلم على الأخذ عنه ، منهم : سفيان ، وشعبة ، وابن عُيينة ، والحمَّادان ، وابن المبارك ، وإبراهيم بن سعد . وروى عنه من الأكابر يزيدُ بن أبي حبيب . وقد اختبره أهل الحديث فرأوا صدقاً وخيراً ؛ مع مِدْحة ابن شهاب له . وقد ذاكرت دُحَيْماً قول مالك ــ يعني فيه ــ فرأى أن ذلك ليس للحديث إنما هو لأنه اتهمه بالقدر . وقال إبراهيمُ بن يعقوب الجُوزْجَاني[2] : الناس يشتهون حديثه ، وكان يُرمى بغير نوع من البدع . وقال ابن نمير : كان يُرمى بالقدر وكان أبعدَ الناس منه . وقال البخاري : بلغني أن له[3] ألف حديث ينفردُ بها لا يُشاركه فيها أحد . وقال علي بن المديني ، عن سفيان : ما رأيتُ أحداً يتهم محمد بن إسحاق . وقال أبو سعيد الجعفي :

= فهو الإمام الحافظ الكبير محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي الرازي .. المتوفى سنة ٢٧٧ .. وأما ابنه على ما في بعض النسخ : فهو الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم التميمي الحنظلي الرازي .. المتوفى سنة ٣٢٧ هـ .

(١) قول ابن المنذر سقط من المطبوع .

(٢) الجوزجاني : بضم الجيم ويفتحُها بعضهم ؛ نسبة إلى « جوزجان » مدينة بخراسان مما يلي بلخ .

(٣) كذا في الأصل ، وفي « ج » و « د » و « ب » والمطبوع : « ينبغي أن يكون له » وهو تصحيف ظاهر .

كان ابن إدريس معجباً بابن إسحاق ؛ كثير الذكر له ، ينسُبه إلى العلم والمعرفة والحفظ . وقال إبراهيم الحربي[1] : حدثني مصعب قال : كانوا يطعنون عليه بشيء من غير جنس الحديث . وقال يزيد بن هارون : لوسُوِّد أحدٌ في الحديث لسوِّد محمد بن إسحاق . وقال شعبة فيه : أمير المؤمنين في الحديث . وروى يحيى بن آدم ، حدثنا أبو شهاب قال : قال لي شُعبة بن الحجاج : عليك بالحجاج بن أرطاة ، وبمحمد بن إسحاق ، وقال ابن علية : قال شعبة : أما محمد بن إسحاق وجابر الجعفي فصدوقان .

وقال يعقوب بن شيبة : سألت ابنَ المديني : كيف حديث محمد بن إسحاق ؟ صحيح ؟ قال : نعم . حديثه عندي صحيح . قلت له : فكلام مالك فيه ؟ قال : لم يجالسْه ولم يعرفه . ثم قال عليٌّ : ابن إسحاق أيُّ شيء[2] ! حدَّث بالمدينة . قلت له : فهشام ابن عروة قد تكلَّمَ فيه . فقال عليٌّ : الذي قال هشام ليس بحجة ، لعلَّه دخل على امرأته وهو غلام فسمع منها . وسمعت علياً يقول : إن حديث محمد بن إسحاق ليتبين فيه الصدق ، يروي مرة : حدثني أبو الزناد ، ومرة : ذكرَ أبو الزناد . وروي عن رجل عمن سمع[3] منه يقول : حدثني سفيان بن سعيد عن سالم أبي النضر عن عُمير[4] « صوم يوم عرفة »[5] ، وهو من أروى الناس عن أبي النضر . ويقول : حدثني الحسن بن دينار ، عن أيوب ، عن عمرو بن شعيب في « سَلَفٍ وبيع »[6] ، وهو من أروى الناس عن عمرو

(١) « الحربي » : نسبة إلى « حربية » محلة ببغداد .

(٢) « أي شيء ! » يريد بذلك تعظيم ابن إسحاق في المدينة ، فقد حدَّث بالمدينة مع وجود الأكابر من العلماء .

(٣) « وروي عن رجل عمن سمع منه » : أي أن ابن إسحاق كان يروي بواسطة عمن أكثر الرواية عنهم مباشرة ، لكونه سمع ذلك الحديث بعينه من الواسطة ، ولم يسمعه منهم ، فدلَّ ذلك على عدالته وأمانته .

(٤) في جميع النسخ « عمر » والتصحيح من نور النبراس . وعمير : هو أبو عبد الله بن عبد الله الهلالي مولى لأم الفضل ، ويقال مولى ابن عباس . ثقة ، توفي سنة ١٠٤ هـ . تقريب التهذيب ص ٤٣١ .

(٥) رواه البخاري في الصوم (باب صوم يوم عرفة) رقم /١٦٥٨/ ، ومسلم في الصوم (باب استحباب الفطر للحاج يوم عرفة) رقم /١١٢٣/ ، وأبو داود في الصوم (باب في صوم يوم عرفة بعرفة) رقم /٢٤٤١/ .

(٦) رواه النسائي في البيوع (باب سلف وبيع) ٢٨٨/٧ ، والترمذي في البيوع (باب كراهية بيع ما ليس عندك) رقم /١٢٣٤/ ، وأبو داود في الإجارة (باب في الرجل يبيع ما ليس عنده) رقم /٣٤٠٥/ ، وابن ماجه في التجارات (باب النهي عن بيع ما ليس عندك) رقم /٢١٨٨/ . وإسناده حسن .

ابن شعيب . وقال عليٌّ : لم أجد لابن إسحاق إلا حديثين منكرين : نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ « إذا نَعِسَ أحدُكم يوم الجمعة »[1] . والزهري عن عروة عن زيد[2] بن خالد « إذا مسَّ أحدُكم فرجَه .. »[3] هذين لم يروهما عن أحد ، والباقون يقولون : ذكر فلان ، ولكن هذا فيه حدثنا . وقال مرة : وقع إليَّ من حديثه شيء فما أنكرتُ منه إلا أربعة أحاديث ، ظننتُ أن بعضه منه وبعضه ليس منه . وقال البخاري : رأيت عليَّ بن المديني يحتج بحديثه ، وقال لي : نظرتُ في كتابه فما وجدتُ عليه إلا حديثين ، ويمكن أن يكونا صحيحين . وقال العِجليُّ[4] : ثقة . وروى المفضل بن غسان ، عن يحيى بن معين : ثبتٌ في الحديث . وقال يعقوب بن شيبة : سألت يحيى بنَ معين عنه : في نفسك شيءٌ من صدقه ؟ قال : لا ، هو صدوق . وروى ابن أبي خيثمة عن يحيى : ليس به بأس . وقال ابن المديني : قلت لسفيان : كان ابن إسحاق جالسَ فاطمة بنتَ المنذر ؟ فقال : أخبرني أنها حدثته ، وأنه دخل عليها ـ فاطمة هذه هي زوجُ هشام بن عروة ـ وكان هشام يُنكر على ابن إسحاق روايته عنها ، ويقول : لقد دخلتُ بها وهي بنتُ تسع سنين وما رآها مخلوق حتى لحقتْ بالله . وقال الأثرم : سألت أحمد بن حنبل عنه فقال : هو حسنُ الحديث .

---

(١) رواه الترمذي في الصلاة (باب ما جاء فيمن نعس يوم الجمعة أنه يتحول من مجلسه) رقم /٥٢٦/ ، وأبو داود في الصلاة (باب الرجل ينعس والإمام يخطب) رقم /١١١٩/ ، وهو عند أحمد في « المسند » ١٣٥/٢ مصرحاً فيه ابن إسحاق بالتحديث ، فإسناده صحيح .

(٢) زيد بن خالد : الجهني المدني ، صحابي مشهور ، مات سنة ٦٨ أو ٧٠ هـ بالكوفة . قال في « النبراس » : وأما حديث زيد بن خالد فوهم فيه فيما يُقال ، وصوابه عن بُسرة بنت صفوان بدل زيد ، والله أعلم .

(٣) رواه الترمذي ، وأخرجه أحمد والبزار ، من طريق عروة عنه ، قال البخاري : إنما رواه الزهري ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عروة ، عن بُسرة . وقال ابن المديني : أخطأ فيه ابن إسحاق . وأخرجه البيهقي في « الخلافيات » من طريق ابن جريج : حدثني الزهري ، عن عبد الله بن أبي بكر عن عروة ، عن بُسرة وزيد بن خالد . وأخرجه إسحاق بن راهويه في « مسنده » عن محمد بن أبي بكر البرساني ، عن ابن جريج ، وهذا إسناد صحيح . تلخيص الحبير ١٢٤/١ .

(٤) العِجْلي : هو أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح الكوفي ، نزيل طرابلس الغرب ، وبها توفي سنة ٢٦١ هـ . وله كتاب « الثقات » . الأعلام ١٥٦/١ .

ذكر الكلام في محمد بن إسحاق والطعن عليه :

روينا عن يعقوب بن شيبة ، قال : سمعت محمد بن عبد الله بن نمير وذكرَ ابن إسحاق فقال : إذا حدَّثَ عمن سمعَ منه من المعروفين فهو حسن الحديث صدوق ، وإنما أُتِي من أنه يُحدِّث عن المجهولين أحاديثَ باطلة . وقال أبو موسى محمد بن المثنى : ما سمعت يحيى القطان يُحدِّث عن ابن إسحاق شيئاً قط . وقال الميموني : حدثنا أبو عبد الله أحمد بن حنبل بحديث استحسنه عن محمد بن إسحاق ، فقلت له : يا أبا عبد الله ما أحسنَ هذه القصص التي يجيءُ بها ابن إسحاق ! فتبسم إليَّ متعجباً . وروى ابن معين عن يحيى بن القطان أنه كان لا يرضى محمد بن إسحاق ، ولا يُحدِّث عنه . وقال عبد الله بن أحمد ، وسأله رجلٌ عن محمد بن إسحاق ، فقال : كان أبي يتتبع حديثه ويكتبه كثيراً بالعلو والنزول ، ويُخرجه في المسند ، وما رأيته اتَّقى حديثه قط . قيل له : يحتج به ؟ قال : لم يكن يحتجُّ به في السنن[1] . وقيل لأحمد : يا أبا عبد الله ! إذا تفرَّدَ بحديث تقبله[2] ؟ قال : لا والله ، إني رأيته يحدِّث عن جماعة بالحديث الواحد ، ولا يفصلُ كلامَ ذا من كلام ذا . وقال ابنُ المديني مرة : هو صالح وسط . وروى الميموني عن ابن معين : ضعيف . وروى عنه غيره : ليس بذلك . وروى الدُّوري عنه : ثقة ولكنه ليس بحجة . وقال أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو : قلت ليحيى بن معين وذكرت له الحجة ، فقلت : محمد بن إسحاق منهم ؟ فقال : كان ثقة ، إنما الحجة عبيد[3] الله بن عمر ، ومالكُ بن أنس ، وذكر قوماً آخرين . وقال أحمد بن زهير : سُئل يحيى عنه مرة ، فقال : ليس بذاك ، ضعيف . قال : وسمعته مرة أخرى يقول : هو عندي سقيم ليس بالقوي . وقال النسائيُّ: ليس بالقوي . وقال البرقاني : سألتُ الدارقطني عن محمد بن إسحاق بن يسار ، عن أبيه ، فقال : جميعاً لا يُحتج بهما وإنما يُعتبر بهما . وقال عليٌّ : قلت ليحيى بن سعيد : كان

---

(١) « في السنن » : أي في الحلال والحرام .

(٢) في « ج » و « د » : تكتبه ؟ .

(٣) عبيد الله بن عمر : بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب العدوي ، أبو عثمان ، ثقة ثبت ، أحد الفقهاء السبعة . توفي سنة ١٤٧ هـ . تقريب التهذيب ص ٣٧٣ .

ابن إسحاق بالكوفة وأنت بها ؟ قال : نعم . قلت : تركته متعمِّداً ؟ قال : نعم ، ولم أكتب عنه حديثاً قط . وروى أبو داود ، عن حمَّاد بن سلمة ، قال : لولا الاضطرارُ ما حدَّثتُ عن محمد بن إسحاق . وقال أحمد : قال مالك وذكره فقال : دجَّال من الدجاجلة . وروى الهيثم بن خلف الدوري ، حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا أبو داود[1] ، قال : حدثني من سمع هشام بن عروة ، وقيل له : إن ابن إسحاق يُحدِّث بكذا وكذا عن فاطمة[2] ، فقال : كذبَ الخبيثُ . وروى القطَّان عن هشام أنه ذكره فقال : العدو لله الكذَّابُ يروي عن امرأتي ! من أين رآها ؟ . وقال عبد الله بن أحمد : فحدثتُ أبي بذلك فقال : وما ينكر ؟ لعله جاء فاستأذنَ عليها فأذنتْ له . أحسبه قال ولم يعلم . وقال مالك : كذاب . وقال ابن إدريس[3] : قلت لمالك — وذكر المغازي فسكت[4] — قال ابن إسحاق : أنا بيطارها . فقال : نحن نفيناه عن المدينة . وقال مكي بن إبراهيم : جلستُ إلى محمد بن إسحاق ، وكان يخضب بالسواد ، فذكر أحاديث في الصفة[5] ، فنفرتُ منها ، فلم أعد إليه . وقال مرة : تركتُ حديثَه وقد سمعتُ منه بالريِّ عشرين مجلساً . وروى السَّاجي عن المفضل بن غسان : حضرتُ يزيد بن هارون وهو يحدث بالبقيع وعنده ناس من أهل المدينة يسمعون منه ، حتى حدَّثهم عن محمد بن إسحاق ، فأمسكوا ، وقالوا : لا تُحدِّثنا عنه ، نحن أعلم به . فذهب يزيد يحاولهم فلم يقبلوا ، فأمسك يزيد . وقال أبو داود سمعت أحمد بن حنبل ذكره فقال : كان رجلاً يشتهي الحديث فيأخذ كتب الناس فيضعها في كتبه ؛ وسئل أبو عبد الله أيُّهما أحب إليك : موسى بن

---

(١) أبو داود : هو الحافظ أبو داود الطيالسي ، نسبة إلى الطيالسة التي تُجعل على العمائم ، واسمه سليمان ابن داود بن الجارود . توفي سنة ٢٠٤ هـ . وفي « ب » و « ج » و « د » والمطبوع : أبو داود صاحب الطيالسة .

(٢) فاطمة : هي فاطمة بنت المنذر بن الزبير بن العوَّام ، زوج هشام بن عروة ، ثقة . تقريب التهذيب ص ٧٥٢ .

(٣) « ابن إدريس » : هو عبد الله بن إدريس بن يزيد بن عبد الرحمن الأَوْدي ، أبو محمد الكوفي ثقة فقيه عابد ، توفي سنة ١٩٢ هـ . تقريب التهذيب ص ٢٩٥ .

(٤) في « ب » و « ج » و « د » : قلت لمالك — وذكر المغازي — فقلت : قال ابن إسحاق .. .

(٥) « في الصِّفة » : في صفات الله تعالى .

عبيدة الرَّبَذي أو محمد بن إسحاق ؟ قال : لا ، محمد بن إسحاق . وقال أحمد : كان يدلس ، إلا أن كتاب[1] إبراهيم بن سعد إذا كان سماعٌ قال : حدثني ، وإذا لم يكن قال : قال . وقال أبو عبد الله : قدم محمد بن إسحاق إلى بغداد فكان لا يُبالي عمن يحكي عن الكلبي وغيره ، وقال : ليس بحجة . وقال[2] الفلَّاس : كنا عند وهب بن جرير فانصرفنا من عنده ، فمررنا بيحيى القطان ، فقال : أين كنتم ؟ فقلنا : كنا عند وهب بن جرير – يعني نقرأ عليه كتاب المغازي عن أبيه عن محمد بن إسحاق – فقال : تنصرفون من عنده بكذب كثير . وقال عباس الدوري : سمعت أحمد بن حنبل – وذكر محمد بن إسحاق – فقال : أما في المغازي وأشباهها فيكتب ، وأما في الحلال والحرام فيحتاج إلى مثل هذا ، ومدَّ يده وضمَّ أصابعه[3] . وروى الأثرم عن أحمد : كثير التدليس جداً ، أحسن حديثه عندي ما قال : أخبرني وسمعت[4] ، وعن ابن معين : ما أحبُّ أن أحتج به في الفرائض . وقال ابن أبي حاتم : ليس بالقوي ضعيف الحديث ، وهو أحبُّ إلي من أفلح بن سعيد يُكتب حديثه . وقال سليمان التيمي : كذاب . وقال يحيى القطان : ما تركت حديثه إلا لله ، أشهد أنه كذاب . وقد قال يحيى بن سعيد : قال لي وهيب بن خالد : إنه كذاب . قلت لوهيب : ما يدريك ؟ قال : قال لي مالك : أشهد أنه كذاب . قلت لمالك : ما يدريك ؟ قال : قال لي هشام بن عروة : أشهد أنه كذاب . قلت لهشام : ما يدريك ؟ قال : حدث عن امرأتي فاطمة ... الحديث .

---

(١) « كتاب إبراهيم بن سعد » : هو كتاب لإبراهيم بن سعد ، الحافظ الثقة ، المتوفى سنة ١٨٣ هـ ، روى فيه عن ابن إسحاق نحو سبعة عشر ألف حديث في الأحكام سوى المغازي . كان فيه ابن إسحاق بعيداً عن التدليس ، فإذا سمع قال : حدثني ، وإذا لم يسمع قال : قال . تهذيب التهذيب ١/١٢١ – ١٢٢ .

(٢) في « ج » ابن الفلَّاس ، والصواب ما أثبتناه ، والفلَّاس : هو عمرو بن علي بن بحر الباهلي ، أبو حفص ، روى عن أبي داود الطيالسي ويحيى بن سعيد القطان ، ووهب بن جرير بن حازم وغيرهم ، وروى عنه الجماعة وأبو زُرْعة وأبو حاتم ، وثقه النسائي وقال عنه : صاحب حديث حافظ ، توفي سنة ٢٤٩ هـ . تهذيب التهذيب ٨/٨٠ .

(٣) « ومدَّ يده وضمَّ أصابعه » : يُريد أنه يحتاج إلى ما يعضده ويقويه .

(٤) في « ب » و « ج » : أحسن حديثه عندي : حدثنا ، أخبرنا ، وسمعت .

قلت : والكلام فيه كثير جداً ، وقد قال أبو بكر الخطيب : قد احتج بروايته في الأحكام قوم من أهل العلم وصدف عنها آخرون . وقال في موضع آخر : قد أمسك عن الاحتجاج بروايات ابن إسحاق غير واحد من العلماء لأسباب ، منها : أنه كان يتشيع ، ويُنسب إلى القدر ، ويدلس ، وأما الصدق فليس بمدفوع عنه . انتهى كلام الخطيب .

وقد استشهد به البخاري ، وأخرج له مسلم متابعة ، واختار أبو الحسن[1] بن القطان في كلام له : أن يكون حديثه من باب الحسن ؛ لاختلاف الناس فيه .

أما روايته عن فاطمة ، فروينا عن أبي بكر الخطيب قال : حدثنا القاضي أبو بكر أحمد ابن الحسن الحرشي ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ، حدثنا أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو بدمشق ، حدثنا أحمد بن خالد الوهبي ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن فاطمة بنت المنذر ، عن أسماء بنت أبي بكر ، قالت : سمعت امرأة وهي تسأل النبيَّ ﷺ فقالت : إن لي ضرّةً وأنا أتشبع من زوجي بما لم يعطنيه لتغيظها بذلك قال : « المُتَشَبِّعُ بما لَم يُعطَ كلابسِ ثوبَيْ زور »[2] .

وقال أبو الحسن ابن القطان الحديث الذي من أجله وقع الكلام في ابن إسحاق من روايته عن فاطمة حتى قال هشام إنه كذاب ، وتبعه في ذلك مالك ، وتبعه يحيى بن سعيد ، وتتابعوا بعدهم تقليداً لهم : حديث « فلتقرصْه ، ولتنضحْ ما لم تَرَ ولتصلِّي فيه »[3] . وقد روينا من حديثه عنها غيرَ ذلك .

(١) « أبو الحسن بن القطان » : هو علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميدي الفاسي ، كان حافظاً ثقة مأموناً ، توفي سنة ٦٢٨ هـ . شذرات الذهب ١٢٨/٥ .

(٢) الحديث رواه البخاري في النكاح (باب المتشبع بما لم ينل وما يُنهى من افتخار الضرة) رقم /٥٢١٩/ ومسلم في اللباس (باب النهي عن التزوير في اللباس وغيره ، والتشبّع بما لم يُعط) رقم /٢١٢٩/ ، وأبو داود في الأدب (باب المتشبع بما لم يُعط) رقم /٤٩٩٧/ ، والترمذي في البر والصلة (باب ما جاء في المتشبع بما لم يُعط) رقم /٢٠٣٥/ . قال الحافظ ابن حجر : المتشبِّع : المتزيِّن بما ليس عنده يتكثر بذلك ويتزيَّن بالباطل . فتح الباري ٣١٧/٩ .

(٣) رواه البخاري في الطهارة (باب غسل دم الحيض) رقم /٣٠٧/ ، ومسلم في الطهارة (باب نجاسة الدم وكيفية غسله) عن هشام بن عروة رقم /٢٩١/ ، وأبو داود في الطهارة (باب المرأة تغسل ثوبها الذي تلبسه في حيضها) رقم /٣٦٠/ عن محمد بن إسحاق ، ورقم /٣٦١/ عن هشام بن عروة ،

ذكر الأجوبة عما رُمي به :

قلتُ : أما ما رمي به من التدليس والقدر والتشيّع فلا يُوجب رد روايته ولا يوقع فيها كبير وهن . أما التدليس فمنه القادح في العدالة وغيره ولا يحمل ما وقع ها هنا من مطلق التدليس على التدليس المقيد بالقادح في العدالة . وكذلك القدر والتشيّع لا يقتضي الرد إلا بضميمة[1] أخرى و لم نجدها ها هنا .

وأما قول مكي بن إبراهيم أنه ترك حديثه و لم يعد إليه ، فقد علل ذلك بأنه سمعه يحدث أحاديث في الصفات فنفر منه ، وليس في ذلك كبير أمر ، فقد ترخص قوم من السلف في رواية المشكل من ذلك وما يحتاج إلى تأويله ، لا سيما إذا تضمن الحديث حكماً أو أمراً آخر ، وقد تكون هذه الأحاديث من هذا القبيل .

وأما الخبر عن يزيد بن هارون أنه حدَّث أهل المدينة عن قوم فلما حدَّثهم عنه أمسكوا ، فليس فيه ذكر ما يقتضي الإمساك ، وإذا لم يذكر لم يبق إلا أن يحول الظن فيه ، وليس لنا أن نعارض عدالة مقبولة بما قد نظنه جَرْحاً .

وأما ترك يحيى القطان حديثه ؛ فقد ذكرنا أن السبب في ذلك وتكذيبه إياه : روايته[2] عن وهيب بن خالد عن مالك عن هشام ، فهو ومن فوقه في هذا الإسناد تبع لهشام ، وليس ببعيد من أن يكون ذلك هو المنفر لأهل المدينة عنه في الخبر السابق عن يزيد بن هارون ، وقد تقدم الجواب عن قول هشام فيه عن أحمد بن حنبل وعلي بن المديني بما فيه مغنى .

وأما قول ابن نمير أنه يحدث عن المجهولين أحاديث باطلة ؛ فلو لم ينقل توثيقه وتعديله لتردد الأمر في التهمة بها بينه وبين من نقلها عنه ، وأما مع التوثيق والتعديل فالحمل فيها على المجهولين المشار إليهم لا عليه ، وأما الطعن على العالم بروايته عن المجهولين فغريب ،

= والترمذي في الطهارة (باب نجاسة الدم ...) رقم /١٣٨/ .

(١) « إلا بضميمة » : وذلك كأن يكون صاحب بدعة يتعمد الدعوة إليها .

(٢) في « أ » و « ب » و « ج » رواية ، والتصحيح من « د » .

قد حكي ذلك عن سفيان الثوري وغيره ، وأكثر ما فيه التفرقة بين بعض حديثه وبعض ، فيرد ما رواه عن المجهولين ويقبل ما حمله عن المعروفين . وقد روينا عن أبي عيسى الترمذي : سمعتُ محمد بن بشار يقول : سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول : ألا تعجبون من سفيان ابن عيينة : لقد تركت[1] لجابر الجعفي – لما حكي عنه – أكثر من ألف حديث . ثم هو يحدث عنه ؟! قال الترمذي : وقد حدَّث شعبة عن جابر الجعفي وإبراهيم الهجري ومحمد ابن عبيد الله العَرْزَمي وغير واحد ممن يضعف في الحديث .

وأما قول أحمد : يحدِّث عن جماعة بالحديث الواحد ولا يَفصِل كلام ذا من كلام ذا . فقد تتحد ألفاظ الجماعة وإن تعددت أشخاصهم ، وعلى تقدير أن لا يتحد اللفظ فقد يتحد المعنى . روينا عن واثلة بن الأسقع قال : إذا حدثتكم على المعنى فحسبكم . وروينا عن محمد بن سيرين قال : كنت أسمع الحديث من عشرة ، اللفظ مختلف والمعنى واحد . وقد تقدم[2] من كلام ابن المديني أن حديثه ليتبين فيه الصدق يروي مرة حدثني أبو الزناد ومرة ذكر أبو الزناد الفصل ، إلى آخره : ما يصلح لمعارضة هذا الكلام . واختصاص[3] ابن المديني بسفيان معلوم كما علم اختصاص سفيان بمحمد بن إسحاق . وأما قوله : كان يشتهي الحديث فيأخذ كتب الناس فيضعها في كتبه . فلا يتم الجرح بذلك حتى ينفي أن تكون مسموعة له ، ويثبت أن يكون حدث بها . ثم ينظر بعد ذلك في كيفية الإخبار ، فإن كان بألفاظ لا تقتضي السماع تصريحاً فحكمه حكم المدلسين ، ولا يحسن الكلام معه إلا بعد النظر في مدلول تلك الألفاظ . وإن كان يروي ذلك عنهم مصرِّحاً بالسماع ولم يسمع ، فهذا كذب صُرَاح واختلاق محض لا يحسن الحمل عليه إلا إذا لم نجد للكلام مخرجاً غيره . وأما قوله : لا يُبالي عمن يحكي عن الكلبي وغيره . فهو أيضاً إشارة إلى الطعن بالرواية عن الضعفاء ؛ لمحل ابن الكلبي من التضعيف . والراوي عن الضعفاء لا

---

(١) « لقد تركت » : أي حيث قال : لقد تركت ... إلخ .

(٢) تقدم كلام علي بن المديني ص ٥٧ .

(٣) « واختصاص ابن المديني .. » : أي أن سفيان أخذ عن محمد بن إسحاق روايته عن المعروفين ، وترك روايته عن المجهولين ، وكذلك فَعَلَ ابن المديني في أخذه عن سفيان ؛ فرواية الشيخ عن المجهولين أحياناً لا تقتضي رد جميع مروياته .

يخلو حاله من أحد أمرين : إما أن يصرح باسم الضعيف أو يدلسه ؛ فإن صرح به فليس فيه كبير أمر ، يروي عن شخص و لم يعلم حاله ، أو علم وصرَّح به ليبرأ من العهدة . وإن دلَّسه : فإما أن يكون عالما بضعفه أو لا ، فإن لم يعلم فالأمر في ذلك قريب ، وإن علم به وقصد بتدليس الضعيف وتغييره وإخفائه ترويجَ الخبر حتى يُظنّ أنه من أخبار أهل الصدق وليس كذلك ، فهذه جرحة من فاعلها وكبيرة من مرتكبها ، وليس في أخبار أحمد عن ابن إسحاق ما يقتضي روايته عن الضعيف وتدليسه إياه مع العلم بضعفه حتى ينبني على ذلك قدح أصلاً . وجواب ثان : محمد بن إسحاق مشهور بسعة العلم وكثرة الحفظ ، فقد يميز من حديث الكلبي وغيره ممن يجري مجراه : ما يقبل مما يرد ؛ فيكتب ما يرضاه ويترك ما لا يرضاه . وقد قال يعلى بن عبيد : قال لنا سفيان الثوري : اتقوا الكلبي . فقيل له : فإنك تروي عنه ؟ قال : أنا أعرف صدقه من كذبه . ثم غالب ما يُروى عن الكلبي أنساب وأخبار من أحوال الناس وأيام العرب وسِيَرهم وما يجري مجرى ذلك مما سمح كثير من الناس في حمله عمن لا تُحمل عنه الأحكام ، وممن حُكي عنه الترخص في ذلك الإمام أحمد ، وممن حُكي عنه التسوية في ذلك بين الأحكام وغيرها يحيى بن معين ، وفي ذلك بحث ليس هذا موضعَه .

وأما قول عبد الله عن أبيه : لم يكن يُحتج به في السنن . فقد يكون لما آنس منه التسامح في غير السنن التي هي جلّ علمه من المغازي والسير طَرد الباب فيه ، وقاس مروياته من السنن على غيرها . وطَرْدُ الباب في ذلك يعارضه تعديل من عدَّله .

وأما قول يحيى[1] : ثقة وليس بحجة . فيكفينا التوثيق ولو لم يُقبل إلا مثل العمري[2] ومالك لقلَّ المقبولون .

وأما ما نقلناه عن يحيى بن سعيد من طريق ابن المديني ووهب بن جرير فلا يبعد أن يكون قلَّدَ مالكاً ، لأنه روى عنه قول هشام فيه .

وأما قول[1] يحيى : ما أحب أن أحتج به في الفرائض ، فقد سبق الجواب عنه فيما

---

(١) « وأما قول يحيى .. » هو يحيى بن معين .

(٢) « العُمَري » : هو عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب .

نقلناه عن الإمام أحمد رحمه الله ، على أن المعروف عن يحيى في هذه المسألة التسوية بين المرويات من أحكام وغيرها والقبول مطلقاً أو عدمه من غير تفصيل .

وأما ما عدا ذلك من الطعن فأمور غير مفسرة ومعارضة في الأكثر من قائلها بما يقتضي التعديل ، وممن يُصَحِّح حديثَه ويحتج به في الأحكام أبو عيسى الترمذي رحمه الله تعالى[1] ، ولم نتكلف الرد عن طعن الطاعنين فيه إلا لما عارضه من تعديل العلماء له وثنائهم عليه ، ولولا ذلك لكان اليسير من هذا الجرح كافياً في ردِّ أخباره ، إذ اليسير من الجرح المفسر منه وغير المفسر كاف في ردّ من جهلت حاله قبله ولم يُعَدِّله مُعَدِّلٌ .

وقد ذكره أبو حاتم ابن حبان في كتاب « الثقات » له فأعرب عما في الضمير فقال : تكلم فيه رجلان هشام ومالك ؛ فأما هشام فأنكر سماعه من فاطمة ، والذي قاله ليس مما يجرح به الإنسان في الحديث ، وذلك أن التابعين كالأسود وعلقمة سمعوا من عائشة من غير أن ينظروا إليها ، بل سمعوا صوتها ، وكذلك ابن إسحاق كان يسمع من فاطمة والستر بينهما مسبل . قال : وأما مالك فإنه كان ذلك منه مرة واحدة ثم عاد له إلى ما يحب[2] ، وذلك أنه لم يكن بالحجاز أحد أعلم بأنساب الناس وأيامهم من ابن إسحاق ، وكان يزعم أن مالك من موالي ذي أصبح[3] ، وكان مالك يزعم أنه من أنفسها[4] ، فوقع بينهما لذلك مفاوضة ، فلما صنف مالك الموطأ قال ابن إسحاق : ائتوني به فأنا بيطاره . فنُقل ذلك إلى مالك ، فقال : هذا دجال من الدجاجلة يروي عن اليهود . وكان بينهما ما يكون بين الناس ، حتى عزم محمد على الخروج إلى العراق فتصالحا حينئذ ، وأعطاه عند الوداع خمسين ديناراً ونصف ثمرته تلك السنة . ولم يكن يقدح فيه مالك من أجل الحديث إنما كان ينكر عليه تتبعه غزوات النبي ﷺ من أولاد اليهود الذين أسلموا[5] ،

---

(١) في « ب » و « ج » و « د » والمطبوع : « أبو عيسى الترمذي وأبو حاتم بن حبان رحمهما الله تعالى .. » .

(٢) كذا في « أ » وفي « ب » : « ثم عاد إلى ما يَجِبْ » والمعنى في العبارتين : أن الإمام مالك عاد عن الطعن في ابن إسحاق .

(٣) « ذي أصبح » : أصبح : ملك من ملوك اليمن ، وهو من أجداد الإمام مالك بن أنس .

(٤) « من أنفسِها » : أي منها صلبية .

(٥) « الذين أسلموا » : في هامش الأصل : ضمير أسلموا راجع لليهود لا للأولاد .

وحفظوا قصة خيبر وقريظة والنضير ، وما أشبه ذلك من الغرائب عن أسلافهم . وكان ابن إسحاق يتتبع ذلك عنهم ليعلم ذلك من غير أن يحتج بهم ، وكان مالك لا يرى الرواية إلا عن متقن صدوق .

قلت : ليس ابن إسحاق أبا عُذْرة[1] هذا القول في نسب مالك ، فقد حكي شيء من ذلك عن الزهري وغيره ، والرجل أعلم بنسبه ، وتأبى له عدالته وإمامته أن يخالف قولُه عملَه .

وأما قول ابن إسحاق : أنا جِهْبذُها ، فقد أتى أمْرَاً إمْراً ، وارتقى مُرتقى وعراً ، ولم يدر ما هنالك مَنْ زَعَم أنه في الإتقان كمالك ، وقد ألقته آمالُه في المهالك ، مَنْ أنفه في الثرى وهو يُطاول النجومَ الشوابك .

الواقدي

وأما الواقدي فهو محمد بن عمر بن واقد ، أبو عبد الله المديني . سمع ابن أبي ذئب ، ومعمر بن راشد ، ومالك بن أنس ، ومحمد بن عبد الله ابن أخي الزهري ، ومحمد بن عجلان ، وربيعة بن عثمان ، وابن جريج ، وأسامة بن زيد[2] ، وعبد الحميد بن جعفر ، والثوري ، وأبا معشر ، وجماعة . روى عنه كاتبه محمد بن سعد ، وأبو حسان الزيادي ، ومحمد بن إسحاق الصاغاني ، وأحمد بن الخليل البُرْجُلاني[3] ، وعبد الله بن الحسين الهاشمي ، وأحمد بن عبيد بن ناصح ، ومحمد بن شجاع الثلجي ، والحارث بن أبي أسامة ، وغيرهم .

ذكره الخطيب أبو بكر ، وقال : هو ممن طبَّق شرقَ الأرض وغربَها ذكرُه ، ولم يخف

---

(١) « ليس ابنَ إسحاق أبا عذرةَ هذا القول » : أي ليس هو أول من قاله .

(٢) أسامة بن زيد : بن أسلم العدوي ، بالولاء ، أبو زيد المدني ، روى عن أبيه عن جده وعن سالم ونافع وغيرهم ، وروى عنه ابن المبارك وابن وهب وغيرهما ، ضعفه أحمد وابن معين من قبل حفظه ، قال أبو حاتم والنسائي : يكتب حديثه ولا يحتج به ، توفي في خلافة المنصور . تهذيب التهذيب ٢٠٧/١ .

(٣) البُرْجُلاني : نسبة إلى قرية من قرى واسط ، وهو أبو جعفر أحمد بن الخليل بن ثابت ، توفي سنة ٢٧٧ هـ . اللباب في الأنساب ١٣٤/١ .

على أحد عرف أخبار الناس أمرُه ، وسارت الركبان بكتبه في فنون العلم من المغازي والسير والطبقات وأخبار النبي ﷺ والأحداث التي كانت في وقته وبعد وفاته ﷺ ، وكتب الفقه واختلاف الناس في الحديث ، وغير ذلك . وكان جواداً كريماً مشهوراً بالسخاء .

وقال ابن سعد : محمد بن عمر بن واقد أبو عبد الله مولى عبد الله بن بريدة الأسلمي ، كان من أهل المدينة ، قدم بغداد في سنة ثمانين ومائة في دَيْن لحقه ، فلم يزل بها ، وخرج إلى الشام والرقَّة ، ثم رجع إلى بغداد فلم يزل بها إلى أن قدم المأمون من خراسان ، فولَّاه القضاء بعسكر المهدي ، فلم يزل قاضياً حتى مات ببغداد ليلة الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة سبع ومائتين ، ودفن يوم الثلاثاء في مقابر الخيزران ، وهو ابن ثمان وسبعين سنة وذكر أنه ولد سنة ثلاثين ومائة في آخر خلافة مروان بن محمد . وكان عالماً بالمغازي واختلاف الناس وأحاديثهم .

الكلام فيه جرحاً وتعديلاً :

وقال محمد بن خلَّاد سمعت محمد بن سلام الجُمَحي يقول : محمد بن عمر الواقدي عالم دهره . وقال إبراهيم الحربي : الواقدي آمن الناس على أهل الإسلام . وقال الحربي أيضاً : كان الواقدي أعلم الناس بأمر الإسلام ، فأما الجاهلية فلم[1] يعمل فيها شيئاً .

وقال يعقوب بن شيبة : لما انتقل الواقدي من الجانب الغربي إلى ها هنا يقال إنه حمل كتبه على عشرين ومائة وِقر . وقيل : كانت كتبه ستمائة قمطر . وقال محمد بن جرير الطبري : قال ابن سعد : كان الواقدي يقول : ما من أحد إلا وكتبه أكثر من حفظه ، وحفظي أكثر من كتبي . وروى عنه غيره قال : ما أدركت رجلاً من أبناء الصحابة وأبناء الشهداء ولا مولى لهم إلا سألته : هل سمعت أحداً من أهلك يخبرك عن مشهده وأين قتل ؟ فإذا أعلمني مضيت إلى الموضع فأعاينه ، ولقد مضيت إلى المريسيع فنظرت إليها ، وما علمت غزاة إلا مضيت إلى الموضع حتى أعاينه أو نحو هذا الكلام ، وقال ابن منيع : سمعت هارون الفَرْوي يقول : رأيت الواقدي بمكة ومعه ركوة ، فقلت : أين تريد ؟ قال : أريد

(١) كذا في الأصول ، وفي تهذيب التهذيب ٣٦٥/٩ : « وأما الجاهلية فلم يعلم فيها شيئاً » .

أن أمضي إلى حُنين حتى أرى الموضع والوقعة ، وقال إبراهيم الحربي : سمعت المسيِّبي[1] يقول : رأيت الواقدي يوماً جالساً إلى أسطوانة في مسجد المدينة وهو يدرس ، فقلنا له : أي شيء تدرس ؟ فقال : حزبي من المغازي .

وروينا عن أبي بكر الخطيب قال : وأخبرنا الأزهري قال : أخبرنا محمد بن العباس قال : حدثنا أبو أيوب قال : سمعت إبراهيم الحربي يقول : وأخبرني إبراهيم بن عمر البرمكي ، حدثنا عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري ، حدثنا محمد بن أيوب ابن المعافى قال : قال إبراهيم الحربي : سمعت المسيبي يقول : قلنا للواقدي : هذا الذي تجمع الرجال تقول : حدثنا فلان وفلان وجئت بمتن واحد ، لو حدثتنا بحديث كل رجل على حدة . قال : يطول . فقلنا له : قد رضينا . قال : فغاب عنا جمعة ، ثم أتانا بغزوة واحداً وعشرين جلداً . وفي حديث البرمكي مائة جلد . فقلنا له ، ردنا إلى الأمر الأول . معنى اللفظين متقارب[2] . وعن يعقوب بن شيبة قال : ومما ذكر لنا أن مالكاً سُئل عن قتل الساحرة[3] ، فقال : انظروا هل عند الواقدي في هذا شيء ؟ فذاكروه ذلك فذكر شيئاً عن الضحاك بن عثمان ، فذكروا أن مالكاً قنع به . وروي أن مالكاً سئل عن المرأة التي سمَّتِ النبيَّ ﷺ بخيبر : ما فعل بها ؟ فقال : ليس عندي بها علم . وسأسأل أهلَ العلم . قال : فلقي الواقدي . فقال يا أبا عبد الله : ما فعلَ النبيُّ ﷺ بالمرأة التي سمَّتْه بخيبر ؟ فقال : الذي عندنا أنه قتلها . فقال مالك : قد سألت أهل العلم فأُخبروني أنه قتلها . وقال أبو بكر الصاغاني لولا أنه عندي ثقة ما حدَّثت عنه ، حدث عنه أربعة أئمة ؛ أبو

---

(١) المسيِّبي : هو محمد بن إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن المسيب المخزومي ، أبو عبد الله المدني ، روى عن أبيه إسحاق المسيبي وابن عيينة وعبد الله بن نافع الصائغ وغيرهم ، وروى عنه مسلم وأبو داود وإبراهيم الحربي وغيرهم ، توفي سنة ٢٣٦ هـ . تهذيب التهذيب ٣٧/٩ .

(٢) « معنى اللفظين متقارب » : مراد هم أن المعنى في حالتي الاختصار والبسط واحد ، وإن اختلف اللفظ ، ولذلك هم يوافقونه على الاختصار .

(٣) قال مالك : الساحرُ كافر يقتل بالسحر ولا يُستتاب ، ولا تُقبل توبته ، بل يتحتم قتله . وبقول مالك قال أحمد بن حنبل ، وهو مروي عن جماعة من الصحابة والتابعين . وقال الشافعية : إن تعلم السحر وتعليمه حرام ، فإن كان يتضمن ما يقتضي الكفر كفر وإلا فلا ، وإذا لم يكن فيه ما يقتضي الكفر عُزِّر واستتيب منه ، فلا يُقتل عند الشافعية ، فإن تابَ قُبلت توبته .

بكر بن أبي شيبة ، وأبو عبيد وأحسبه ذكر أبا خيثمة ورجلاً آخر . وقال عمرو الناقد : قلت للدراوَردي[1] ما تقول في الواقدي ؟ فقال : تسألني عن الواقدي ؟! سل الواقدي عني . وذكر الدراوردي الواقديَّ فقال : ذلك أمير المؤمنين في الحديث . وسئل أبو عامر العَقَدي عن الواقدي فقال . نحن نسأل عن الواقدي : إنما يُسأل هو عنا ، ما كان يفيدنا الأحاديث والشيوخ بالمدينة إلا الواقدي . وقال الواقدي : لقد كانت ألواحي تضيع فأؤتى بها من شهرتها بالمدينة . يقال : هذه ألواح ابن واقد . وقال مصعب الزبيري : والله ما رأينا مثله قط . قال مصعب : وحدثني من سمع عبدَ الله بن المبارك يقول : كنتُ أقدم المدينةَ فما يفيدني ولا يدلني على الشيوخ إلا الواقدي . وقال مجاهد بن موسى ما كتبتُ عن أحد أحفظ منه . وسئل عنه مصعب الزبيري ، فقال : ثقة مأمون . وكذلك قال المسيبي . وسئل عنه معن بن عيسى ، فقال : أنا أسأل عنه ؟! هو يُسأل عني . وسئل عنه أبو يحيى الزهري ، فقال : ثقة مأمون . وسُئل عنه ابن نمير فقال : أما حديثه عنا[2] فمستوٍ ، وأما حديث أهل المدينة فهم أعلم به . وقال يزيد بن هارون : ثقة . وقال عباس العنبري : هو أحبُّ إليَّ من عبد الرزاق . وقال أبو عُبيد القاسم بن سلَّام : ثقة . وقال إبراهيم[3] : وأما فقه أبي عُبيد فمن كتاب محمد بن عمر الواقدي ، الاختلاف والإجماع كان عنده . وقال إبراهيم الحربي : من قال إن مسائل مالك بن أنس وابن أبي ذئب تؤخذ عمن هو أوثق من الواقدي فلا يصدق لأنه يقول سألت مالكاً وسألت ابن أبي ذئب . وقال إبراهيم بن جابر : حدثني عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : كتب أبي عن أبي يوسف ومحمد ثلاثة قماطر . قلت له : كان ينظر فيها ؟ قال : كان ربما نظر فيها ، وكان أكثر نظره في كتب الواقدي . وسئل إبراهيم الحربي عما أنكره أحمد على الواقدي ، فقال : إنما أنكر عليه جمعه الأسانيد ومجيئه بالمتن واحداً . قال إبراهيم : وليس هذا عيباً ، فقد فعل

---

(١) الدراوردي : نسبة إلى دراورد ، قرية من قرى خراسان ، وهو عبد العزيز بن محمد بن عُبيد ، أبو محمد المدني مولى جهينة ، توفي سنة ١٨٧ هـ . تهذيب التهذيب ٣٥٤/٦ .

(٢) في تهذيب التهذيب ٣٦٦/٩ : « أما أحاديثه هنا .. » وهو يقصد العراق .

(٣) إبراهيم : هو إبراهيم الحربي ، تلميذ الواقدي ، وقد تقدمت الرواية عنه ، والحربي نسبة إلى حربية ، محلة ببغداد . توفي سنة ٢٨٥ هـ . سير أعلام النبلاء ٣٥٦/١٣ .

هذا الزهري وابن إسحاق . قال إبراهيم : لم يزل أحمد بن حنبل يوجه في كل جمعة بحنبل ابن إسحاق إلى محمد بن سعد ، فيأخذ له جزأين من حديث الواقدي ، فينظر فيهما ثم يردهما ويأخذ غيرهما . وكان أحمد بن حنبل ينسبُه لتقليب الأخبار كأنه يجعل ما لمعمَر لابن أخي الزهري ، وما لابن أخي الزهري لمعمَر .

وأما الكلام فيه فكثير جداً قد ضعّف ونُسب إلى وضع الحديث ، وقال أحمد : هو كذَّاب ، وقال يحيى : ليس بثقة . وقال البخاري والرازي والنسائي : متروك الحديث . وللنسائي فيه كلام أشدُّ من هذا . وقال الدارقطني : ضعيف ، وقال ابن عدي : أحاديثه غير محفوظة والبلاء منه .

قلت : سعة العلم مظنة لكثرة الإغراب ، وكثرةُ الإغراب مظنة للتهمة . والواقدي غير مدفوع عن سعة العلم فكثرت بذلك غرائبه ، وقد روينا عن علي بن المديني أنه قال : للواقدي عشرون ألف حديث لم نسمع بها . وعن يحيى بن معين : أغرب الواقدي على رسول الله ﷺ في عشرين ألف حديث . وقد روينا عنه من تتبعه آثار مواضع الوقائع وسؤاله من أبناء الصحابة والشهداء ومواليهم عن أحوال سلفهم ما يقتضي انفراداً برواة[1] وأخبار لا تدخل تحت الحصر ، وكثيراً ما يَطعن في الرَّاوي برواية وقعت له : مَنْ أنكر تلك الرواية عليه واستغربها منه ، ثم يظهر له أو لغيره بمتابعة متابع أو سبب من الأسباب ، براءته من مقتضي الطعن فيتخلص بذلك من العهدة . وقد روينا عن الإمام أحمد رحمه الله ورضي عنه أنه قال : ما زلنا ندافع أمر الواقدي حتى روى : عن معمَر ، عن الزهري ، عن نبهان ، عن أم سلمة ، عن النبي ﷺ : « أفعمَيَاوانِ أنتما ؟ »[2] . فجاء بشيء لا حيلة فيه . والحديث حديث يونس لم يروه غيره . وروينا عن أحمد بن منصور الرمادي : قدم علي بن المديني بغداد سنة سبع ومائتين والواقدي يومئذ قاض علينا ، وكنت أطوف مع عليّ على الشيوخ الذين يُسمع منهم ، فقلت : أتريد أن تسمع من الواقدي ؟ ثم قلت له

(١) هكذا في « أ » ، وفي « ب » برواية ، وفي « د » بروايات .

(٢) رواه الإمام أحمد في « المسند » ٢٩٦/٦ ، وأبو داود في اللباس (باب في قوله عز وجل : وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) رقم /٤١١٢/ والترمذي في الأدب (باب في احتجاب النساء) رقم /٢٧٧٩/ وقال : حسن صحيح .

بعد ذلك ، فقال[1] : لقد أردت أن أسمع منه . فكتب إليَّ أحمدُ بن حنبل : كيف تستحلّ الرواية عن رجل روى عن معمر حديث نبهان مكاتب أم سلمة . وهذا حديث يونس تفرد به ؟! قال أحمد بن منصور الرمادي : فقدمت مصر بعد ذلك ، فكان ابنُ أبي مريم يحدثنا به عن نافع بن يزيد عن عُقيل عن ابن شهاب عن نبهان ، وقد رواه أيضاً يعقوب ابن سفيان عن سعيد بن أبي مريم عن نافع بن يزيد كرواية الرمادي . قال الرمادي : فلما فرغ ابن أبي مريم من هذا الحديث ضحكتُ . فقال : مم تضحك ؟ فأخبرته بما قال علي وكتب إليه أحمد . فقال لي ابن أبي مريم : إن شيوخنا المصريين لهم عناية بحديث الزهري . وكان الرمادي يقول : هذا مما ظلم فيه الواقدي . فقد ظهر في هذا الخبر أن يونس لم ينفرد به ، وإذ قد تابعه عقيل فلا مانع من أن يتابعه معمر ، وحتى لو لم يتابعه عُقيل لكان ذلك محتملاً ، وقد يكون فيما رمي به من تقليب الأخبار ما ينحو هذا النحو .

وقد أثبتنا من كلام الناس في الواقدي ما يعرف به حاله والله الموفق .

وربما حصل[2] إعلام في بعض الأحيان بغريبٍ يوجد في الخبر ، وتنبيه على مشكل يقع فيه متناً أو إسناداً على وجه الإيماء والإشارة لا على سبيل التقصي وبسط العبارة .

وسميته بعيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير . والله المسؤول أن يجعل ذلك لوجهه الكريم خالصاً ، وأن يؤوينا إلى ظله إذا الظل أضحى في القيامة قالصاً ، بمنّه وكرمه إن شاء الله تعالى .

* * *

---

(١) سقطت كلمة « فقال » من « ب » و « د » والمطبوع ، وإثباتها هو الصواب .

(٢) بعد تمام الحديث عن ابن إسحاق والواقدي ، تابع المؤلف شرح منهجه في هذا الكتاب .

ذكرُ نسب سيدنا ونبينا رسول الله ﷺ

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، ويُدعى شيبة الحمد ، ابن هاشم ، وهو عمرو العلا[1] ، بن عبد مناف ؛ واسمه المغيرة ، بن قصي ، ويسمى زيداً ، ويدعى مجمعاً أيضاً قال الشاعر :

أبوكُـم قصيٌّ كانَ يُدعـى مُجَمِّعـاً ... بـه جمعَ اللهُ القبائِـلَ مِـن فِهْـرِ

ابن كلاب ، بن مرة ، بن كعب ، بن لؤي ، بن غالب ، بن فهر ، بن مالك بن النضر ، بن كنانة ، بن خزيمة ، بن مدركة ، بن إلياس ، بن مضر ، بن نزار ، بن معد ، ابن عدنان .

هذا هو الصحيح المجمع عليه في نسبه ، وما فوق ذلك مختلف فيه . ولا خلاف أن عدنان من ولد إسماعيل نبي الله ابن إبراهيم خليل الله عليهما السلام ، وإنما الخلاف في عدد من بين عدنان وإسماعيل من الآباء ، فمقِلٌّ ومُكثر ، وكذلك من إبراهيم إلى آدم عليهما السلام لا يعلم ذلك على حقيقته إلا الله تعالى . روينا عن ابن سعد : أخبرنا هشام ، أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ كان إذا انتسبَ لم يُجاوز معدَّ بن عدنان بن أدد ، ثم يمسك ويقول : « كذبَ النسَّابون . قال الله عزَّ وجل : ﴿ وقروناً بين ذلك كثيراً ﴾ »[2] [الفرقان : ٣٨] . وقال ابن عباس : لو شاء رسول الله ﷺ أن يُعلِّمَه لعُلِّمَه . وعن عائشة رضي الله عنها : ما وجدنا أحداً يعرف ما وراء عدنان ولا قحطان إلا تخرصاً . وقد روي نحو ذلك عن عمر وعكرمة وغير واحد .

---

(١) استحق عمرو أن يُضاف إلى العلا ؛ لما كان يتصف به من كرم وجود ، وفيه قال عبد الله بن الزِّبَعْرَى :

عمـرو العُـلا هَشَمَ الثريـدَ لقومِـه ... ورجـالُ مكّـةَ مُسنتـون عِجَـافُ

(٢) الطبقات الكبرى ١/٥٦ ، وإسناد الحديث ضعيف جداً ، فيه هشام بن محمد بن السائب الكلبي متروك ، وأبوه أبو النضر الكلبي مفسر ضعيف جداً كابنه ، وأبو صالح باذام مولى أم هانىء ضعيف ، ولم يسمع من ابن عباس ، باختصار من نور النبراس ، لوحة ٣٦ .

والذي رجَّحه بعض النسابين في نسب عدنان[1] أنه ابن أد ، بن أدد ، بن اليسع ، ابن الهميسع ، بن سلامان ، بن نبت ، بن حمل ، بن قيذار ، بن الذبيح إسماعيل ، بن الخليل إبراهيم ، بن تارح – وهو آزر – بن ناحور ، بن سارُوح ، بن أرغُو ، بن فالِخ ، بن عابر ، بن شَالَخ ، بن أرْفَخشذ ، بن سام ، بن نوح ، بن لَمْك ، بن مَتُّوشَلَخ ، بن أخْنُوخ – وهو إدريس النبي عليه السلام – بن يارد ، بن مَهلاييل ، بن قينان ، بن أنوش ، بن شيث – وهو هبة الله – بن آدم ، عليهما أفضل الصلاة والسلام .

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الفاروثي[2] الإمام بدمشق ، أنبأنا الحسين بن علي العلوي ببغداد ، أنبأنا ابن ناصر[3] قراءة عليه وأنا أسمع ، أنبأنا أبو طاهر بن أبي الصقر الأنباري ، أنبأنا القاضي أبو البركات أحمد بن عبد الواحد بن الفضل الفراء ، أنبأنا الشريف أبو جعفر محمد بن عبد الله بن طاهر الحسيني ، حدثنا أبو سليمان أحمد بن محمد المكي بالمدينة سنة تسع وتسعين ومائتين ، حدثنا إبراهيم بن حمزة الزبيري ، حدثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي ، عن ابن أبي ذئب ، عمن لا يُتَّهم ، عن عمرو بن العاصي ، فذكر حديثاً وفيه : ثم قال : يعني رسول الله ﷺ : « إن الله اختار العربَ على الناس ، واختارني على من أنا منه » ثم قال : « أنا محمد بن عبد الله ... حتى بلغَ النَّضْرَ بن كِنانة » ثم قال : « فَمن قال غيرَ هذا فقد كذب »[4] .

---

(١) في السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٢ والفصول في سيرة الرسول ﷺ للحافظ ابن كثير ص ٧٦ بتحقيقنا : « عدنان بن أدد ، بن مُقوِّم ، بن ناحور ، بن تَيْرح ، بن يَعرب ، بن يَشجُب ، بن نابِت ، بن إسماعيل ابن إبراهيم » . وهو مختلف مع ما ذكره المؤلف مما يؤكد ما أشار إليه من اختلاف النسَّابين في ذلك وعدم وصولهم إلى قول صحيح يُركن إليه .
وانظر بقية النسب ما فوق إبراهيم في الكتب المذكورة ، فستجد أنه لا تخلو من بعض الاختلافات .

(٢) الفَارُوثي : نسبة إلى قرية من قرى واسط . نور النبراس ، لوحة ١/٤٠ .

(٣) ابن ناصر : الإمام الحافظ ، أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر السَّلامي ، محدث العراق . قال ابن الجوزي : كان ثقة حافظاً ضابطاً ، من أهل السنة ، لا مغمز فيه . توفي سنة ٥٥٠ هـ . نور النبراس لوحة ٤٠ ، وسير أعلام النبلاء ٢٠/٢٦٥ .

(٤) إسناده ضعيف ، فيه رجل مبهم ، وقول محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن أبي ذئب : عمن لا يُتَّهم ، لا يكفي في توثيقه . ونبَّه في نور النبراس فقال : توثيق المبهم فيه ثلاثة أقوال ، والصحيح أنه لا يكفي ، والله أعلم .

وبه عن عبد العزيز بن محمد ، عن ابن أبي ذئب ، عن جُبير بن أبي صالح ، عن ابن شهاب ، عن سعد بن أبي وقاص ، قال : قيل : يا رسول الله ! قُتل فلان ـ لرجل من ثقيف ـ فقال : « أبعدَه الله إنَّه كَان يُبغضُ قريشاً »[1] .

وروينا من طريق مسلم ، حدثنا محمد بن مهران الرازي ، ومحمد بن عبد الرحمن بن سَهم ، جميعاً عن الوليد ، قال ابنُ مِهْران : حدثنا الوليدُ بن مسلم ، حدثنا الأوزاعيُّ ، عن أبي عمَّار شدَّادٍ : أنه سمع واثلةَ بن الأسقع يقول : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إنَّ الله اصطفى كِنانةَ من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً مِن كِنانة ، واصطفى مِن قُريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم »[2] .

والعرب على ست طبقات : شعب وقبيلة وعمارة وبطن وفَخِذ وفصيلة . وسميت الشعوب لأن القبائل تشعبت منها . وسميت القبائل لأن العمائر تقابلت عليها ، فالشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر ، والعمارة تجمع البطون ، والبطن تجمع الأفخاذ ، والفَخِذ تجمع الفصائل ، فيقال : مضر شعب رسول الله ﷺ ، وكنانة قبيلته ، وقريش عمارته ، وقصي بطنه ، وهاشم فخذه ، وبنو العباس فصيلته . هذا قول الزبير ، وقيل : بنو عبد المطلب فصيلته ، وعبد مناف بطنه ، وسائر ذلك كما تقدم . وقيل : بعد الفصيلة العشيرة وليس بعد العشيرة شيء . وقيل : الفصيلة هي العشيرة ، وقيل غير ذلك .

ذكر تزويج عبد الله بن عبد المطلب

آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهْرة بن كلاب ، وكانت في حِجْر عمها وهيب بن عبد مناف

قال الزبير : وكان عبد الله أحسن رجل مرئيٍّ في قريش قطّ ، وكان أبوه عبد المطلب قد مر به فيما يزعمون على امرأة من بني أسد بن عبد العزى ، وهي أخت ورقة بن نوفل ،

---

(١) إسناده ضعيف أيضاً ، فيه جُبير بن أبي صالح مجهول ، لم يرو عنه غير ابن أبي ذئب ، وذكره ابن حِبَّان في الثقات ، والزهري لم يسمع من سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه . نور النبراس باختصار لوح ٤١/١ .

(٢) رواه مسلم في الفضائل (باب فضل نسب النبي ﷺ) رقم /٢٢٧٦/ .

وهي عند الكعبة . فقالت له : أين تذهب يا عبد الله ؟ قال : مع أبي . قالت : لك مثل الإبل التي نحرت عنك ـ وكانت مائة ـ وقعْ عليَّ الآن . قال : أنا مع أبي ولا أستطيعُ خلافَه ولا فِراقَه . وأنشدَ بعضُ أهل العلم في ذلك لعبد الله بن عبد المطلب :

أمـا الحرامُ فالممـاتُ دونَـه   والحِـلُّ لا حِـلَّ فأستبينَـه
فكيـفَ بالأمـر الـذي تبغينَـه   (يحمي الكريمُ عِرضَه ودينَـه)[1]

أخبرنا الإمام العلامة أبو العباس أحمد بن إبراهيم الواسطي سماعاً بدمشق ، أنبأنا الأمير أبو محمد الحسن بن علي العلوي ببغداد سماعاً عليه ، قال : أخبرنا الحافظ أبو الفضل محمد ابن ناصر بن محمد بن علي السَّلامي قراءةً عليه وأنا أسمع ، قال : أنبأنا أبو طاهر بن أبي الصقر ، أنبأنا القاضي أبو البركات أحمد بن عبد الوهاب الفراء ، أنبأنا الشريف أبو جعفر محمد بن عبد الله الحسيني ، حدثنا أبو بكر الخضر بن داود بمكة ، حدثنا الزبير بن بكار ، حدثني سفيان بن عيينة ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : ﴿ لقد جاءَكُم رسولٌ من أنفسكم ﴾ [التوبة : ١٢٨] . قال : أحدكم من أنفسكم ، لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية . قال : وكان رسولُ الله ﷺ يقول : « خرجتُ من نكاح ولم أخرجْ من سِفاح »[2] . وروينا عن ابن سعد قال : أنبأنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبيه ، قال : كتبتُ للنبي ﷺ خمسمائة أم ، فما وجدت فيهن سفاحاً ولا شيئاً مما كان من أمر الجاهلية[3] .

وروينا مرفوعاً من حديث ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « خرجتُ من نكاحٍ غير سفاح »[4] .

---

(١) ما بين القوسين زيادة من السهيلي ، وأثبتناها من « ج » وما في البيتين من التعبيرات الإسلامية يدل على أنهما مصنوعان ، ولعل الخبر كلَّه مصنوع من أساسه ، ولهذا أورده أصحاب السير بـ « يزعمون ... » من غير سند .

(٢) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٦٠/١ وتتمته « من لدن آدم ، لم يصبني من سفاح أهل الجاهلية شيء ، لم أخرجْ إلا من طُهْره » وفي صحيح الجامع الصغير ١٠٩/٣ : حديث حسن .

(٣) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٦٠/١ ، وفي سنده الكلبي الابن هشام ، قال الدراقطني عنه : رافضي غير ثقة . والكلبي الأب متهم بالوضع .

(٤) ابن سعد ٦١/١ ، وفي صحيح الجامع الصغير ١٠٩/١ حديث حسن .

رجع إلى الأول : فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وُهيب بن عبد مناف بن زهرة وهو يومئذ سيد بني زهرة سناً وشرفاً ، فزوَّجه آمنة بنت وَهبٍ ، وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً ، فزعموا أنه دخل عليها حين أُمْلِكَها مكانه فوقع عليها ، فحملت برسول الله ﷺ ، ثم خرج من عندها فأتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت ، فقال لها : ما لك لا تعرضين عليَّ اليومَ ما عرضت بالأمس ؟ فقالت له : فارقك النور الذي كان معك بالأمس ، فليس لي بك اليوم حاجة . وقد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل أنه كائن في هذه الأمة نبي . قال أبو عمر[1] : كان تزوَّجَهَا وعمره ثلاثون سنة ، وقيل : خمس وعشرون ، وقيل بينهما ثمانية وعشرون عاماً . وتزوَّج عبد المطلب في ذلك المجلس هالة بنت وُهيب بن عبد مناف فولدت له حمزة والمُقَوَّم وحَجْلاً وصفيّة أمّ الزبير . قال محمد بن السائب الكلبي : لما تزوَّج عبدُ الله بن عبد المطلب آمنة أقَامَ عندها ثلاثاً ، وكانت تلك السُّنةُ عندهم إذا دخل الرجلُ على امرأته في أهلها .

ذكر حمل آمنة برسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق ، ويزعمون فيما يتحدث الناس ـ والله أعلم ـ أن أمه كانت تحدث أنها أُتيتْ حين حملتْ به ، فقيل لها : إنك قد حملتِ بسيّد هذه الأمة ، فإذا وقع إلى الأرض فقولي : أُعيذه بالواحد من شرِّ كلِّ حاسد ، ثم سمّيه محمداً[2] . ومن طريق محمد بن عمر : عن عليّ بن زيد ، عن عبد الله بن وهب بن زمعة ، عن أبيه ، عن عمته ، قالت : كنا نسمع أنَّ رسولَ الله ﷺ لما حملتْ به أُمُّه آمنةُ بنتُ وَهب كانت تقول :

---

(١) أبو عمر : هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البَرّ بن عاصم النمري ، وشهرته بابن عبد البر أشهر وأسير ، وُلد بقرطبة ونشأ في بيت علم ، إذ كان أبوه من فقهاء قرطبة ومحدثيها ، وقد وجهه منذ نعومة أظفاره إلى الدراسات الدينية ، فأصبح إمام الأندلس في علوم الشريعة ورواية الحديث ، ومصنفاته مشهورة منها : « التمهيد » و « الاستيعاب في معرفة الأصحاب » و « الدرر في اختصار المغازي والسير » و « جامع بيان العلم وفضله » توفي سنة ٤٦٣ هـ . نور النبراس لوحة ٤٤/١ .

(٢) السيرة النبوية ، لابن هشام ١٥٨/١ .

ما شعرت بأني حملت به ، ولا وجدتُ له ثَقَلَةً[1] كما تجد النساء ، إلا أني أنكرت رفعَ حيضتي . وربما كانت تقول : أتاني آتٍ وأنا بين النائم واليقظان فقال : هل شعرتِ أنك حملت ؟ فكأني أقول : ما أدري . فقال : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ونبيِّها . وذلك يوم الاثنين .. الحديث ، وفيه : وأمهلني حتى دنتْ ولادتي أتاني فقال : قولي ، أُعيذه بالواحد[2] . وعن الزهري قال : قالت آمنة : لقد علقتُ به فما وجدتُ له مشقةً حتى وضعتُه[3] .

ذكر وفاة عبد الله بن عبد المطلب

قال ابن إسحاق : ثم لم يلبث عبدُ الله بن عبد المطلب أن هلكَ وأم رسول الله ﷺ حاملٌ به . هذا قول ابن إسحاق . وغيره يقول : إن رسول الله ﷺ كان في المهد حين توفي أبوه ، رويناه عن الدولابي[4] . وذكر ابنُ أبي خيثمة : أنه كان ابنَ شهرين . وقيل : ابنَ ثمانية وعشرين شهراً – وقبره في المدينة في دار من دور بني عدي بن النجار كان خرج إلى المدينة يمتار تمراً – وقيل : بل خرج به إلى أخواله زائراً وهو ابن سبعة أشهر[5] . وفي خبر سيف بن ذي يزن : مات أبوه وأمه ، فكفله جده وعمه . وروى ابن وهب ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، قال : بعث عبد المطلب ابنه عبد الله يمتار له تمراً من يثرب فمات بها وهو شاب عند أخواله ، ولم يكن له ولد غير رسول الله ﷺ .

(١) « ثقلة » : ثقلاً وفتوراً ، وفي شرح المواهب للزرقاني ١٠٦/١ « ولا وجدت له ثِقَلاً » .

(٢) الطبقات الكبرى ، لابن سعد ٩٨/١ وفي سنده الواقدي ضعيف ، وعلي بن زيد ضعيف أيضاً . نور النبراس لوحة ٤٥/١ .

(٣) الطبقات الكبرى ، لابن سعد ٩٨/١ وهو خبر مرسل ضعيف .

(٤) الدُّولابي : الحافظ محمد بن أحمد بن حماد الأنصاري الرازي ، سمع محمد بن بشَّار وهارون بن سعيد وطبقتهما ، وروى عن ابن أبي حاتم وابن عديّ وابن حبان وغيرهم ، قال الدارقطني : تكلموا فيه ، وقال ابن عدي : ابن حماد متهم ، وقال ابنُ يونس : ضعيف . لسان الميزان ٤١/٥ وشذرات الذهب ٢٦٠/٢ .

(٥) في « شرح المواهب » ١٠٩/١ : والراجح المشهور كما قال ابن كثير ، ورجحه الواقدي وابن سعد والبلاذري والذهبي هو الأول – يعني أنه مات وهو حمل – والحجة له ما في « المستدرك » ٦٠٥/٢ عن قيس بن مخرمة : توفي أبو النبي ﷺ وأمُّه حُبلى به . قال الحاكم : على شرط مسلم ، وأقره الذهبي .

والذي رجّحه الواقدي ـ وقال : هو أثبت الأقاويل عندنا في موت عبد الله وسببه[1] ـ أنه كان خرج إلى غزة في عير من عِيرات قريش يحملون تجارات ، ففرغوا من تجاراتهم وانصرفوا فمروا بالمدينة وعبدُ الله بن عبد المطلب يومئذ مريض ، فقال : أنا أتخلف عند أخوالي بني عدي بن النجار ، فأقام عندهم مريضاً شهراً ، ومضى أصحابه فقدموا مكة فسألهم عبدُ المطلب عن عبد الله ، فقالوا : خلّفناه عند أخواله بني عدي بن النجار وهو مريض ، فبعث إليه عبد المطلب أكبرَ ولده الحارث فوجده قد توفي ودُفن في دار التابعة[2] . قيل : كان بينه وبين ابنه عليه الصلاة والسلام ثمانية وعشرون عاماً . وقد تقدم في تزويج عبد الله آمنة ما حُكي عن السلف في ذلك .

ذكر مولد رسول الله ﷺ

وولد سيدنا ونبينا محمد رسول الله ﷺ يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول عام الفيل . قيل : بعد الفيل بخمسين يوماً . وقال الزبير : حملت به أمه ﷺ في أيام التشريق في شعب أبي طالب عند الجمرة الوسطى . ووُلد ﷺ في الدار التي تُدعى لمحمد بن يوسف أخي الحجاج : يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان . وقيل : بل يوم الاثنين في ربيع الأول لليلتين خلتا منه . قال أبو عمر : وقد قيل : لثمان خلون منه . وقيل : إنه أول اثنين من ربيع الأول . وقيل : لاثنتي عشرة ليلة خلت منه عام الفيل . وقيل : إنه ولد في شعب بني هاشم . ورُوي عن ابن عباس قال : وُلد رسول الله ﷺ يوم الفيل . أخبرناه أبو المعالي أحمد[3] بن إسحاق فيما قرأت عليه ، قلت : قال أخبركم الشيخان أبو الفرج الفتح[4] بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد السلام ، وأبو

---

(١) في الأصل والمطبوع « وسنّه » وأثبتنا ما في « ب » و « ج » .

(٢) الطبقات الكبرى ٩٩/١ ، والتابعة : اسم رجل من بني عدي بن النجار .

(٣) أحمد بن إسحاق : هو الأَبَرقوهي المُسنِدِ المعروف ، قال الذهبي في معجم شيوخه : كان رجلاً خيراً متواضعاً ، حدّث عن أحمد بن صِرْما وغيره ، توفي سنة ٧٠١ هـ . العبر ٥/٤ .

(٤) الفتح بن عبد الله : بن محمد بن علي بن هبة الله ، أبو الفرج البغدادي ابن عبد السلام ، مُسْنِدُ العراق ، حدث عنه الشهاب الأَبرقُوهيّ ، قال المنذري : كان شيخاً حسناً ، كاتباً أديباً ، وقال ابن الحاجب :

العباس أحمد بن أبي الحسين بن أبي الفتح بن[1] صِرْما « ح » قال : وقرأت على الإمام أبي إسحاق إبراهيم[2] بن علي بن أحمد الحنبلي الزاهد بسفح قاسيون ، قال : قلت له أخبركم أبو البركات داود بن[3] أحمد بن محمد البغدادي ، قالوا : أخبرنا أبو الفضل محمد بن[4] عمر بن يوسف الأرْمَوي سماعاً عليه ، قال أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد[5] بن النقور ، قال أخبرنا أبو الحسين علي بن عمر[6] السكري ، قال : أخبرنا أحمد بن الحسن[7] ابن عبد الجبار ، حدثنا يحيى بن معين ، حدثنا حجَّاج بن محمد ، حدثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي[8] إسحاق ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال : وُلد رسول الله ﷺ يوم الفيل . وعن قيس بن مخرمة قال : وُلدت أنا ورسول الله ﷺ يوم الفيل فنحنُ

= كان ثقة صحيح السماع . توفي سنة ٦٢٤ . سير أعلام النبلاء ٢٢/٢٧٢ .

(١) ابن صِرْما : أبو العباس ، أحمد بن يوسف بن الشيخ محمد بن أحمد بن صِرمَا الأَزَجيُّ المُشتريُّ ، سمع من ابن ناصر ، توفي سنة ٦٢١ هـ . سير أعلام النبلاء ٢٢/١٩١ .

(٢) إبراهيم بن علي : بن أحمد الحنبلي ، الزاهد ، الشيخ المجمع على غزارة علمه وتعبده وكثرة تلاوته ، وهو من أعيان الحنابلة ، سمع الكثير بدمشق ، وتوفي فيها سنة ٦٩٢ هـ . نور النبراس لوحة ١/٥٠ ، والعبر ٣/٣٧٨ .

(٣) داود بن أحمد : بن محمد بن منصور بن ثابت بن ملاعب الأزجي ، أبو البركات ، وكيل القضاة ، روى عن الأرموي وابن ناصر وطائفة — توفي سنة ٦١٦ هـ العبر ٣/١٦٩ .

(٤) محمد بن عمر : بن يوسف ، أبو الفضل ، الفقيه الشافعي ، تفقه على الشيخ أبي إسحاق ، وانتهى إليه علوُّ الإسناد بالعراق . توفي سنة ٥٤٧ هـ . العبر ٣/٣ .

(٥) أحمد بن محمد : بن النقور ، البغدادي البزار ، المحدِّث الصدوق ، روى عن علي الحربي وأبي القاسم بن حَبَّابة وطائفة ، توفي سنة ٤٧٠ هـ . شذرات الذهب ٣/١٣٤ .

(٦) علي بن عمر : السكري الحربي ، روى عن أحمد بن الحسن بن عبد الجبار ، وغيره . قال العتيقي : كان ثقة مأموناً ، توفي سنة ٣٨٦ هـ . لسان الميزان ٤/٢٤٦ .

(٧) أحمد بن الحسن بن عبد الجبار : أبو عبد الله الصوفي ، روى عن يحيى بن معين وطبقته ، وثقه الدارقطني والخطيب البغدادي ، توفي سنة ٣٠٦ هـ . لسان الميزان ١/١٥١هـ .

(٨) أبو إسحاق : هو السبيعي ، عمرو بن عبد الله ، ثقة ، أحد الأعلام ، توفي سنة ١٢٩ هـ . تقريب التهذيب ص ٤٢٣ .

وسعيد بن جبير تابعي ثقة ، وهذا الأثر عن ابن عباس صحيح الإسناد .

لِدَان[1] . وقيل : بعد الفيل بشهر ، وقيل : بأربعين يوماً ، وقيل بخمسين يوماً . وذكر أبو بكر محمد[2] بن موسى الخُوارزمي قال : كان قدوم الفيل مكة لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم . وقد قال ذلك غير الخوارزمي وزاد : يوم الأحد . قال : وكان أول المحرم تلك السنة يوم الجمعة . قال الخوارزمي : وولد رسول الله ﷺ بعد ذلك بخمسين يوماً يوم الاثنين لثمان خلت من ربيع الأول ، وذلك يوم عشرين من نيسان . قال : وبُعث نبينا يوم الاثنين لثمان خلت من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من عام الفيل ، فكان من مولده إلى أن بعثه الله أربعون سنة ويوم ، ومن مبعثه إلى أول المحرم من السنة التي هاجر فيها اثنتا عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرون يوماً ، وذلك ثلاث وخمسون سنة تامة من عام الفيل .

وذكر ابن[3] السكن : من حديث عثمان بن أبي العاص ، عن أمه فاطمة بنت عبد الله أنها شهدت ولادة النبي ﷺ ليلاً . فما شيءٌ أنظر إليه من البيت إلا نور ، وإني لأنظر إلى النجوم تدنو حتى إني لأقول لتقعن علي[4] . ويقال : وضعت عليه جفنة فانفلقت عنه فلقتين فكان ذلك من مبادىء أمارات النبوة في نفسه . وذكر ابن أبي خيثمة[5] عن أبي صالح[6] السمان قال : قال كعب : إنا لنجد في كتاب الله : محمد عليه الصلاة والسلام

---

(١) رواه ابن إسحاق في السيرة ١٥٩/١ ، وفي سنده ضعف ، وأثر ابن عباس قبله يشهد له . « لِدَان » : يقال فلان لِدَةُ فلان ؛ إذا وُلد معه في وقت واحد . والصَّوَابُ فيه لِدَتان .

(٢) محمد بن موسى : الخُوارزمي ، رياضي فلكي مؤرخ ، كان قيِّماً على خزانة المأمون ، ترجم كثيراً من الكتب اليونانية ، توفي بعد سنة ٢٣٢ هـ وكنيته في الأعلام ١٨٣/٦ أبو عبد الله . أما أبو بكر الخوارزمي ، فهو محمد بن العباس ، كان كاتباً شاعراً ثقة في اللغة ، توفي سنة ٣٨٣ هـ كما في الأعلام ١٨٣/٦ .

(٣) ابن السكن : الحافظ الحجة ، أبو علي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن البغدادي ، سمع أبا القاسم البغوي ، وروى عنه ابن مندة وغيره ، توفي سنة ٣٥٣ هـ . شذرات الذهب ١٢/٣ .

(٤) انظر كلام فاطمة بنت عبد الله أم عثمان بن أبي العاص في « تاريخ الطبري ١٥٧/٢ ، والاستيعاب ٣٨٥/٤ » . وسنده ضعيف جداً .

(٥) ابن أبي خيثمة : أحمد بن زهير بن حرب ، الحافظ الحجة ، صاحب التاريخ الكبير ، قال الدارقطني : ثقة مأمون ، وقال الخطيب : ثقة عالم متقن حافظ ، توفي سنة ٢٧٩ هـ . تذكرة الحفاظ ص ٥٩٦ .

(٦) أبو صالح السمان : هو ذكوان بن عبد الله السمان الزيات ، الحافظ الحجة ، مولى أم المؤمنين جويرية ، وهو من كبار العلماء بالمدينة ، وثقه الإمام أحمد . توفي سنة ١٠١ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ٣٦/٥ .

مولده بمكة . وعن عبد الملك[1] بن عمير قال : قال كعب : إني أجد في التوراة : عبدي أحمد المختار مولده بمكة . وحكى أبو الربيع[2] بن سالم أن بقي بن[3] مخلد ذكر في « تفسيره » : أن إبليس لعنه الله رنَّ[4] أربع رنات : رنة حين لُعن ، ورنة حين أُهبط ، ورنة حين ولد رسول الله ﷺ ، ورنة حين نزلت فاتحة الكتاب .

أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن محمد الدمشقي بقراءتي عليه قلت له : أخبركم الشيخان أبو عبد الله[5] محمد بن نصر بن عبد الرحمن بن محمد بن محفوظ القرشي ، والأمير سيف الدولة أبو عبد الله محمد بن غسان[6] بن غافل بن نِجاد الأنصاري قراءةً عليهما وأنتَ حاضر في الرابعة ، قالا : أخبرنا الفقيه أبو القاسم علي بن[7] الحسن الحافظ قراءة عليه ونحن نسمع ، قال : أخبرنا المشائخ أبو الحسن علي بن[8] المسلَّم بن محمد بن الفتح بن

---

(١) عبد الملك بن عُمير : الفَرَسي ، أبو عمرو اللخمي الكوفي ، روى عن جابر بن سمرة وعبد الله بن الزبير وغيرهما ، وروى عنه الأعمش والثوري ، وغيرهما . قال العجلي : صالح الحديث ، توفي سنة ١٣٦ هـ . تهذيب التهذيب ٤١١/٦ .

(٢) أبو الربيع بن سالم : الإمام الحافظ البارع ، محدِّث الأندلس ، سليمان بن مُوسى بن سالم بن حسان الحميري الكِلاعي البستي ، توفي شهيداً بيد العدو سنة ٦٣٤ هـ . سير أعلام النبلاء ١٣٤/٢٣ .

(٣) بقي بن مَخْلَد : الحافظ ، شيخ الإسلام ، أبو عبد الرحمن ، صاحب المُسْنَد الكبير والتفسير الجليل ، وكان ثبتاً حجة ، عديم النظير في زمانه ، ومناقبه جمة ، توفي سنة ٢٧٦ هـ . سير أعلام النبلاء ٢٨٦/٣ .

(٤) رنَّ : صوَّتَ ، يُقال : رنَّت المرأة ترن رنيناً وأرنَّتْ أيضاً : صاحت . والخبر في « الحلية » لأبي نُعيم عن مجاهد بن جبير كما في نور النبراس لوحة ٥٤/١ . وفي الروض الأنف ١٠٥/١ .

(٥) محمد بن نصر : شرف الدين ، الدمشقي ، أديب شاعر ، صالح زاهد ، روى عن ابن عساكر ، توفي سنة ٦٣٥ هـ . العبر ١٤٥/٥ .

(٦) محمد بن غسان : بن غافل بن نِجَاد بن غسان بن ثامر الأنصاريّ الخزرجيّ الحِمْصيّ . حدَّث عنه أبو الفضل بن عساكر ، تفرَّد بأجزاء ، توفي سنة ٦٣٢ هـ . سير أعلام النبلاء ٣٨١/٢٢ .

(٧) علي بن الحسن : بن هبة الله ، الحافظ ابن عساكر ، صاحب تاريخ دمشق ، محدِّث الشام ، ثقة الدِّين ، عُني بالحديث ورجاله ، وساد أهل زمانه في ذلك ، توفي سنة ٥٧١ هـ . العبر ٢١٢/٤ .

(٨) علي بن المسلم بن محمد بن علي بن الفتح السُّلمي الدمشقي ، : أبو الحسن ، مفتي الشام ، جمال الإسلام ، قال ابن عساكر : سمعنا منه الكثير ، وكان ثقة ثبتاً ، عالماً بالمذهب والفرائض . توفي سنة ٥٣٣ هـ سير أعلام النبلاء ٣١/٢٠ .

علي الفقيه ، وأبو الفرج غَيث بن[1] علي بن عبد السلام بن محمد بن جعفر بن الأرمنازي الصُّوري الخطيب ، وأبو محمد عبد الكريم[2] بن حمزة بن الخَضِر بن العباس الوكيل بدمشق ، قالوا : أخبرنا أبو الحسن أحمد بن عبد[3] الواحد بن محمد بن أحمد بن عثمان ابن أبي الحديد السُّلَمي ، أخبرنا جدي أبو بكر محمد[4] بن أحمد أخبرنا أبو بكر محمد ابن[5] جعفر بن محمد بن سهل الخرائطي ، حدثنا علي[6] بن حرب ، حدثنا أبو أيوب يعلى ابن عمران[7] من آل جرير بن عبد الله البَجَليّ ، قال : حَدَّثني مخزوم[8] بن هانىء المخزومي[9] عن أبيه — وأتت له خمسون ومائة سنة — قال : لما كان ليلة وُلد رسول الله

(١) غيث بن علي : بن عبد السلام ، المحدث المفيد ، أبو الفرج الأَرْمَنَازي ، ثم الصُّوري ، خطيبُ صور ومُحدِّثُها . كان ثقة حسن الخط ، توفي بدمشق سنة ٥٠٩ هـ . سير أعلام النبلاء ٣٨٩/٩ .

(٢) عبد الكريم بن حمزة : بن الخضر بن العباس ، أبو محمد السلمي الدمشقي ، الحداد ، وكيل المقرئين ، قال الحافظ ابن عساكر : كان شيخاً ثقة ، مستوراً سهلاً ، توفي سنة ٥٢٦ هـ . سير أعلام النبلاء ٦٠٠/١٩ .

(٣) أحمد بن عبد الواحد : ابن المحدِّث أبي بكر بن محمد بن أحمد بن عثمان بن أبي الحديد السُّلمي الدمشقي ، حدث عنه جمال الإسلام علي بن المسلم ، كان ثقة نبيلاً . توفي سنة ٤٦٩ هـ . سير أعلام النبلاء ٤١٨/١٨ .

(٤) محمد بن أحمد : بن عثمان بن الوليد بن الحَكَم بن أبي الحَديد السُّلَمي الدمشقي ، سمع أبا بكر محمد ابن جعفر الخرائطي وغيره ، وحدَّث عنه حفيده أحمد وعبيد الله ابنا عبد الواحد وغيرهما ، كان ثقة مأموناً ، متفرداً بعلوّ الرواية . وُلد سنة ٣٠٩ هـ . سير أعلام النبلاء ١٨٤/١٧ .

(٥) محمد بن جعفر : أبو بكر الخرائطي ، الإمام الحافظ الصدوق المصنِّف ، صاحب كتاب « مكارم الأخلاق » ، سمع عليَّ بن حرب وغيره ، وحدث عنه محمد بن أحمد بن عثمان بن أبي الحديد وغيره . توفي سنة ٣٢٧ هـ . سير أعلام النبلاء ٢٦٧/١٥ .

(٦) علي بن حرب : محمد بن علي بن حيّان بن مازن بن الغضوبة ، الإمام المحدِّث الثقة الأديب ، مسند وقته ، حدث عنه النسائيُّ وقال : صالح . توفي سنة ٢٦٥ هـ بالموصل . سير أعلام النبلاء ٢٥١/١٥ .

(٧) يعلى بن عمران : لم نعثر له على ترجمة .

(٨) مخزوم بن هانىء : قال سبط ابن العجمي : لا أعرف له ترجمة ، والله أعلم . نور النبراس لوحة ٥٥/١ .

(٩) هانىء المخزومي : أبو مخزوم ، ذكره في الصحابة أبو الوليد الدباغ مستدركاً على ابن عبد البر ، وقال الحافظ ابن حجر : وليس في الحديث الذي أخرجه ابن السكن من طريق يعلى بن عمران البجلي ما يدل على صحبته — الإصابة ٥٩٧/٣ . وقد صحح الذهبي في تجريده أنه تابعي ، نور النبراس لوحة ٥٥/١ .

ﷺ ارتجس(١) إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة ، وخمدت نار فارس و لم تخمد قبل ذلك بألف عام ، وغاضتْ بُحيرة ساوة ، ورأى المُوبَذان(٢) إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها ، فلما أصبح كسرى أفزعه ذلك فصبر عليه تشجعاً ، ثم رأى أن لا يدخر(٣) ذلك عن مرازبته ، فجمعهم ولبس تاجه وجلس على سريره ، ثم بعث إليهم فلما اجتمعوا عنده قال : أتدرون فيما بعثت إليكم ؟ قالوا : لا إلا أن يخبرنا الملك . فبينا هم كذلك إذ ورد عليهم كتاب بخمود النيران ، فازداد غماً إلى غمّه ، ثم أخبرهم ما رأى وما هاله . فقال الموبذان : وأنا ــ أصلح الله الملك ــ قد رأيت في هذه الليلة رؤيا ، ثم قصَّ عليه رؤياه في الإبل . فقال : أي شيء يكون هذا يا مُوبذان ؟ قال : حَدَثٌ يكون في ناحية العرب ــ وكان أعلمَهم في أنفسهم ــ فكتب عند ذلك : من كسرى ملك الملوك إلى النعمان بن المنذر أما بعد : فوجِّه إليّ برجل عالم بما أُريد أن أسأله عنه ، فوجّه إليه بعبد المسيح بن عمرو بن حيان بن بُقَيْلَة الغساني ، فلما ورد عليه قال له : ألك علم بما أريد أن أسألك عنه ؟ قال : ليخبرني الملك أو ليسألني عما أحبَّ فإن كان عندي منه علم وإلا أخبرته بمن يعلمه . فأخبره بالذي وجَّه إليه فيه . قال : علم ذلك عند خالٍ لي يسكن مشارف الشام يُقال له سطيح . قال : فأْته فاسأله عما سألتك عنه ثم ائتني بتفسيره . فخرج عبدُ المسيح حتى انتهى إلى سطيح ، وقد أشفى على الضريح ، فسلَّم عليه وكلَّمه فلم يرد عليه سطيح جواباً ، ثم أنشأ يقول :

أصُمٌّ أم يسمعُ غِطْريفُ اليَمن(٤) ؟ .

في أبيات ذكرها . قال : فلما سمع سطيح شعرَه رفع رأسه يقول : عبد المسيح على جمل مشيح إلى سطيح وقد أوفى على الضريح ، بعثك ملك بني ساسان لارتجاس الإيوان

---

(١) ارْتَجَسَ : اضطرب وتحرك حركة سُمِع لها صوت .

(٢) الموبذان : الرئيس الديني للمجوس ، الفقيه بديانتهم .

(٣) في الأصل و « ب » و « ج » : ثم رأى أن لا يدخر ــ وقال الفقيه : أنه لا يدخر ــ وما أثبتناه من « د » والمقصود بـ « الفقيه » الحافظ ابن عساكر .

(٤) هو صدر بيت ورد ضمن مقطوعة أوردها الطبري في تاريخه ١٦٧/٢ ، ظاهرة النحل والصنعة ، مطلعها :

أصُمٌّ أم يسمـــــعُ غِطْريـــــفُ اليمن   يـا فـاصلَ الخُطَّـةِ أعْـيَتْ مَـنْ ومَـنْ

وخمود النيران ورؤيا الموبذان ، رأى إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها ، يا عبد المسيح ! إذا كثرت التلاوة ، وظهر صاحب الهراوة ، وفاض وادي السماوة ، وغاضت بحيرة ساوة ، وخمدت نار فارس ، فليس الشام لسطيح شاماً ، يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات ، وكل ما هو آت آت ، ثم قضى سطيح مكانه ، فنهض عبدُ المسيح إلى راحلته وهو يقول :

شَمِّر فإنك ماضي الهمِّ شِمِّير ... لا يُفزعنَّكَ تفريقٌ وتغييرُ
إن يُمسِ ملكُ بني ساسانَ أفرطهُم ... فإن ذَا الدَّهر أطوارٌ دُهاريرُ
فربما ربما أضحَوا بمنزلةٍ ... تهابُ صولَهم الأسدُ المهاصيرُ
منهم أخو الصَّرحِ بهْرَامٌ وإخوتُه ... والهرمُزان وسابُورٌ وسابورُ
والنَّاسُ أولادُ عَلاَّتٍ فمن عَلِمُوا ... أن قد أقلَّ فمحقورٌ ومهجورُ
وهم بنو الأُمِّ إمَّا إن رأوا نَشَباً ... فذاكَ بالغيب محفوظٌ ومنصورُ
والخيرُ والشرُّ مَقْرونَانِ في قَرَن ... فالخيرُ مُتَّبَعٌ والشرُّ محذورُ

فلما قدم عبدُ المسيح على كسرى أخبره بما قال له سطيح فقال كسرى إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكاً كانت أمور وأمور[1] . فملك منهم عشرة في أربع سنين ، وملك الباقون إلى خلافة عثمان رضي الله عنه .

قال ابن إسحاق : فلما وضعته أمه أرسلت إلى جده عبد المطلب : أنه قد ولد لك غلام فانظر إليه ، فأتاه ونظر إليه ، وحدثته بما رأت حين حملت به وما قيل لها فيه وما أُمرت أن تسميه ، فيزعمون أن عبد المطلب أخذه فدخل به الكعبة فقام يدعو الله ويتشكر له ما أعطاه ، ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها .

---

(١) القصة في سيرة ابن هشام ١/١١ — ١٤ ، ودلائل النبوة للبيهقي ١/١٢٦ — ١٢٩ ، ودلائل النبوة لأبي نُعيم ١/١٧٣ — ١٧٧ ، وتاريخ الطبري ٢/١٣١ — ١٣٢ ، وشرح المواهب اللدنية ١/١٢١ ، والبداية والنهاية ٢/٢٦٨ — ٢٦٩ ، والخصائص الكبرى للسيوطي ١/٥١ كلهم من حديث مخزوم ابن هانىء ، عن أبيه .
وهو خبر مرسل ليس بصحيح ، ولا يجوز قوله ولا إنشاده إلا مسنداً على جهة النقد والتمحيص .

وولد ﷺ معذوراً مسروراً ، أي مختوناً مقطوع السُّرة ، ووقع إلى الأرض مقبوضة أصابع يده مشيراً بالسَّبَّابة كالمسبح بها ، حكاه السهيلي(١) .

أخبرنا أبو حفص عمر بن عبد المنعم الدمشقي بقراءتي عليه بعربيل – قرية بغوطة دمشق – أخبركم أبو القاسم بن الحرستاني قراءة عليه وأنت حاضر في الرابعة فأقرَّ به ، أخبرنا جمال الإسلام أبو الحسن علي بن مسلّم السلمي أخبرنا أبو نصر الحسين بن محمد ابن طَلاّب(٢) ، حدثنا ابن جُميع(٣) ، حدَّثنا عمر بن موسى بالمِصّيصة(٤) ، حدثنا جعفرُ ابن عبد الواحد(٥) قال : قال لنا صفوان بن هُبَيرة(٦) ومحمد بن البرساني(٧) عن ابن جريج

---

(١) الروض الأنف ١/١٨١ .

(٢) كذا في جميع النسخ ، وذكر سبط ابن العجمي في « نور النبراس » أن المؤلف رحمه الله تعالى ضرب في نسخته بخطه على رجال إسناده إلى ابن جُميع ، وأثبت عبارة : وروينا عن ابن جُميع . علماً بأن هذا الإسناد قد أورده المؤلف في مواضع من كتابه ، وفي نهاية الكتاب عند ذكر أسانيده إلى الكتب التي روى منها .

(٣) ابن جُميع : بضم الجيم ، وهو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن يحيى بن جُمَيْع ، الغساني الصيداوي ، صاحب المعجم . سمع ببغداد من المحاملي وابن مخلد وغيرهما ، وحدث عنه ولده السَّكَنُ بن جُمَيْع وغيره . قال الصوريُّ : كان شيخاً صالحاً ثقة مأموناً . توفي سنة ٤٠٢ هـ . سير أعلام النبلاء ١٧/١٥٢ .

(٤) بالمَصِّيصَة : بكسر الميم وفتحها ، وتخفيف الصاد – وشدّها بعضهم – بلدة على ساحل البحر الأبيض ، قريبة من طرسوس .

(٥) جعفر بن عبد الواحد : الهاشمي القاضي ، قال الدارقطني : يضع الحديث ، وقال أبو زُرْعة : روى أحاديث لا أصلَ لها ، وقال ابن عديّ : يسرق الحديث ويأتي بالمناكير عن الثقات ، وذكر ابن عدي هذا الحديث ضمن أحاديث كلها بواطل ، توفي سنة ٢٥٨ هـ . لسان الميزان ٢/١١٨ .

(٦) صفوان بن هُبيرة : التَّيْمي العيشي ، أبو عبد الرحمن البصري ، روى عن أبيه وابن جريج وغيرهما ، قال أبو حاتم : شيخ روى له ابن ماجه حديثاً واحداً في الطب . قال العقيلي : لا يُتابع على حديثه ولا يُعرف إلا به . تهذيب التهذيب ٤/٤٣١ .

(٧) محمد بن بكر البُرْساني : أبو عبد الله البصري ، روى عن ابن جُريج ، وروى عنه أحمد وعلي بن المديني ، وابن معين وغيرهم ، وثقه ابن معين وأبو داود والعجلي وغيرهم ، توفي سنة ٢٠٣ هـ . تهذيب التهذيب ٩/٧٧ .

عن عطاء عن ابن عباس قال : وُلد النبي ﷺ مسروراً مختوناً[1] .

* * *

(١) إسناد الحديث ضعيف جداً ، وقال السيوطي في تخريج أحاديث الشفاء ص ٨ : أخرج ابن سعد والبيهقي في الدلائل بسند ضعيف عن ابن عباس عن أبيه قال : وُلد النبي ﷺ مختوناً مسروراً . وأخرجَ ابن جُميع في « معجمه » بسند واه عن ابن عباس و لم يذكر أباه .
وقد ذكر الحاكم في « المستدرك » ما لفظه : تواترت الأخبار أن رسول الله ﷺ وُلد مختوناً مسروراً . وتعقبه الحافظ الذهبي فقال : ما أعلم صحة ذلك ، فكيف صح متواتراً ! وقال ابن القيم في زاد المعاد ٨٢/١ : وقد وقع في هذه المسألة بين رجلين فاضلين ، صنف أحدهما مصنفاً في أنه وُلد مختوناً ، وأجلبَ فيه من الأحاديث التي لا خِطام لها ولا زِمام ، وهو كمال الدين بن طلحة ، فنقضه عليه كمال الدين بن العديم ، وبين فيه أنه ﷺ خُتن على عادة العرب ، وكان عُموم هذه السُّنة للعرب قاطبة مغنياً عن نقل معيّن فيها ، والله أعلم .

ذكر تسميته محمداً وأحمد ﷺ

روينا عن أبي جعفر محمد بن علي من طريق ابن سعد قال : أُمرتْ آمنةُ وهي حامل برسول الله ﷺ أن تسميه أحمد[1] . وروينا عن ابن إسحاق فيما سلفَ أنها أُتيت حين حملت به فقيل لها : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ، وفيه : ثم سمّيه محمداً[2] .

وروينا من طريق الترمذي ، حدثنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومي ، حدثنا سفيان ، عن الزهري ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لي أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشرُ الناسَ على قدمي ، وأنا العاقب الذي ليس بعدي نبي »[3] وصححه ، وقال : في الباب عن حذيفة . وروى حديثَ جبير البخاري ومسلم والنسائي ، وسيأتي الكلام على بقية الأسماء إن شاء الله تعالى .

وذكر أبو الربيع بن سالم قال : ويُروى أن عبد المطلب إنما سماه محمداً لرؤيا رآها ، زعموا أنه رأى في منامه كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الأرض وطرف في المشرق وطرف في المغرب ، ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور ، وإذا أهل المشرق والمغرب يتعلقون بها ، فقصَّها فعُبِّرتْ له بمولود يكون من صُلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء والأرض ؛ فلذلك سمَّاه محمداً مع ما حدثته به أمه .

وروينا عن أبي القاسم السُّهيلي[4] رحمه الله قال : لا يُعرف في العرب من تسمَّى بهذا

---

(١) الطبقات الكبرى ١/١٠٤ ، وهو خبر مرسل ، وفي سنده الواقدي ضعيف .

(٢) انظر الخبر ص ٧٨ .

(٣) رواه الترمذي في الأدب (باب ما جاء في أسماء النبي) رقم /٢٨٤٢/ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح . وهو عند البخاري في المناقب (باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ) رقم /٣٥٣٢/ ، ومسلم في الفضائل (باب في أسمائه ﷺ) رقم /٢٣٥٤/ والنسائي في السنن الكبرى .

(٤) الروض الأنف ١/١٠٥ .

الاسم قبله ﷺ إلا ثلاثة ، طمع آباؤهم حين سمعوا بذكر محمد ﷺ وبقرب زمانه وأنه يُبعث بالحجاز أن يكون ولداً لهم ، ذكرهم ابن فُورَك[1] في كتاب « الفصول » وهم : محمد بن سفيان بن مجاشع جد الفرزدق الشاعر ، والآخر محمد بن أُحيحة بن الجُلاَح ابن الحَريش بن جَحْجَبا بن كُلْفة بن عوف بن عمرو بن مالك بن الأوس ، والآخر محمد ابن حُمْران وهو من ربيعة ، ذكر معهم محمداً رابعاً أنسيته . وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفدوا على بعض الملوك الأُول ، وكان عنده علم بالكتاب الأوّل ، فأخبرهم بمبعث النبي ﷺ وباسمه ، وكان كلُّ واحد منهم قد خَلَّفَ امرأته حاملاً ، فنذر كل واحد منهم إن وُلد له ولد ذكر أن يسميه محمداً ففعلوا ذلك .

وروينا عن القاضي أبي الفضل عياض رحمه الله في تسميته ﷺ محمداً وأحمد ، قال : ثم في هذين الاسمين من بدائع آياته وعجائب خصائصه أن الله جلَّ اسمه حمى أن يُسمَّى بهما أحدٌ قبل زمانه ، أما أحمد الذي أتى في الكتب وبشَّرت به الأنبياء ، فمنع الله تعالى بحكمته أن يسمى به أحد غيره ، ولا يُدعى به مدعوٌّ قبله ؛ حتى لا يدخل لَبْسٌ على ضعيف القلب أو شك ، وكذلك محمد أيضاً لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبيل وجوده ﷺ وميلاده : أن نبياً يُبعث اسمه محمد ، فسمَّى قومٌ قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو والله أعلم حيث يجعل رسالاته ، وهم : محمد بن أحيحة ابن الجُلاح الأوسي ، ومحمد بن مسلمة الأنصاري ، ومحمد بن براء البكري ، ومحمد بن سفيان بن مجاشع ، ومحمد بن حُمْران الجعفي ، ومحمد بن خزاعي السلمي لا سابع لهم . ويقال : إن أول من سُمِّي به محمدُ بن سفيان ، واليمن تقول : بل محمد بن اليحمد الأزدي . ثم حمى الله كلَّ من تسمّى به أن يدعي النبوة أو يدعيها أحدٌ له ، حتى تحققت التسميتان له ، ولم ينازع فيهما ، والله أعلم[2] .

* * *

(١) ابن فُورَك : هو محمد بن الحسن بن فُورَك ، أبو بكر الأصبهاني المتكلم ، صاحب التصانيف في الأصول والعلم ، توفي سنة ٤٠٦ هـ . شذرات الذهب ١٨١/٣ .

(٢) الشفاء ؛ للقاضي عياض ٣١٣/١ ـــ ٣١٤ طبعة دار الكتاب العربي ١٤٠٤ هـ .

ذكر الخبر عن رضاعه ﷺ
وما يتصل بذلك من شق الصدر

روينا عن ابن سعد ، أخبرنا محمد بن عمر بن واقد الأسلمي قال : حدثني موسى ابن شيبة ، عن عميرة بنت عبد الله بن كعب بن مالك ، عن برّة بنت أبي تَجْرَاة قالت : أولُ من أرضع رسول الله ﷺ ثويبة بلبن ابن لها يقال له مسروح أياماً ، قبل أن تقدم حليمة ، وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب وبعده أبا سلمة بن عبد الأسد[1] .

أخبرنا أبو العباس الساوي بقراءة والدي عليه ، أخبرنا أبو روح المطهر بن أبي بكر البيهقي سماعاً عليه ، قال : أخبرنا أبو بكر الطوسي ، قال : أخبرنا أبو علي الخُشنامي أخبرنا أحمد بن الحسن النيسابوري ، أخبرنا محمد بن أحمد ، أخبرنا محمد بن يحيى ، حدثنا محمد ابن عبيد ، حدثنا الأعمش عن سعد بن عُبيدةَ ، عن أبي عبد الرحمن ، عن علي قال : قلت يا رسول الله : مالك لا تتوّق[2] في قريش ولا تتزوج إليهم ؟ قال : « وعندك ؟ » قلت : نعم ابنة حمزة . قال : « تلك ابنة أخي من الرضاعة »[3] .

---

(١) الطبقات الكبرى ١/١٠٨ ، وفي إسناده موسى بن شيبة ، قال أحمد : أحاديثه مناكير ، وقال أبو حاتم : صالح الحديث . وعُميرة بنت عبد الله بن كعب بن مالك ؛ لم نجد لها ترجمة أو ذكراً إلا رواية هذا الخبر . وبرة : صحابية ، روت عن النبي ﷺ . انظر الإصابة ٤/٢٥٠ .
ويشهد له ما رواه البخاري في النكاح (باب : وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم) رقم /٥١٠١/ ، وقال عروة : وثويبةُ مولاةُ أبي لهب ، كان أبو لهب أعتقها ، فأرضعت النبي ﷺ ..

(٢) « تتوّقُ » : أصلها تتتوّق ، فعل مضارع من التوَق ، حذفت تاؤه الأصلية تخفيفاً ، والتوقُ : الشوق إلى الشيء والنزوع إليه . والمعنى : لم تتزوج من قريش غيرنا ، وتدعنا نحن بني هاشم .
قال ابن الأثير في « النهاية » ١/٢٠٠ ، ويُروى « تنوّق » بالنون ، وهو من التنوُّق في الشيء إذا عمل على استحسان وإعجاب به . يقال تنوَّق وتأنق .

(٣) رواه مسلم في الرضاع (باب تحريم ابنة الأخ من الرضاعة) رقم /١٤٤٦/ ، والنسائي في النكاح (باب تحريم بنت الأخ من الرضاعة ٦/٩٩ ، كلاهما عن أبي معاوية ، عن الأعمش .. إلخ .

قرأت على أبي النور إسماعيل بن نور بن قمر الهيتي بسفح قاسيون[1] أخبرك أبو نصر موسى بن عبد القادر الجيلي قراءة عليه وأنت تسمع ، أخبرنا أبو القاسم سعيد بن أحمد ابن البناء قال : أخبرنا أبو نصر محمد بن محمد الزينبي ، أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن علي الورَّاق ، حدثنا أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث ، حدثنا أبو موسى عيسى بن حمَّاد زُغْبَةُ ، أخبرنا الليث ، عن هشام بن عروة ، عن عروة ، عن زينب بنت أبي سلمة ، عن أم حبيبة أنها قالت : دخل عليَّ رسول الله ﷺ فقلت : هل لك في أختي ابنة أبي سفيان وفيه قالت : فوالله لقد أنبئت أنك تخطب دُرّة بنت أبي سلمة . قال : « ابنة أبي سلمة ؟ »قالت : نعم . قال : « فوالله لو لم تكنْ ربيبتي في حِجْري ما حلَّت لي ، إنها لابنةُ أخي من الرضاعة ، أرضعتني وإياها ثويبةُ ، فلا تعرضْنَ علي بناتكنَّ ولا أخواتكن .. »الحديث[2] .

وذكر الزبير[3] أن حمزةَ أسنُّ من النبي ﷺ بأربع سنين ، وحكى أبو عمر نحوه ، وقال : وهذا لا يصح عندي ، لأن الحديث الثابت أن حمزة وعبد الله بن عبد الأسد أرضعتهما ثويبة مع رسول الله ﷺ ، إلا أن تكون أرضعتهما في زمانين[4] . قلتُ : وأقرب من هذا ما روينا عن ابن إسحاق من طريق البكائي أنه كان أسنَّ من رسول الله ﷺ بسنتين ، والله أعلم .

واستُرضع له من بني سعد بن بكر امرأة يقال لها حليمة بنت أبي ذؤيب ، وكانت

---

(١) قاسيون : جبل يُطِلُّ على دمشق من جهة الشمال ، وبني في سفحه حي سكني حديث ، يُعرف بالمهاجرين ، ويعرف قديماً بجبل الصالحية .

(٢) رواه البخاري في النكاح (باب : وربائبكم اللاتي في حجوركم) رقم /٥١٠٦/ ورقم /٥١٠٧/ ، ومسلم في الرضاع (باب : تحريم الربيبة) رقم /١٤٤٩/ ، وأبو داود في النكاح (باب : يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب) رقم /٢٠٥٦/ ، وابن ماجه في النكاح (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب) رقم /١٩٣٩/ .

(٣) هو الزبير بن بكار المعروف بقاضي مكة المتوفى سنة ٢٥٦ هـ ، كان علامة حافظاً نسَّابة ، قال أبو بكر الخطيب : كان الزبير ثقة ثبتاً . من كتبه « جمهرة نسب قريش » . انظر سير أعلام النبلاء ٣١١/١٢ .

(٤) الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، لابن عبد البر ٢٧١/١ على هامش الإصابة .

تُحدِّث أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها تُرضعه ، في نسوة من بني سعد بن بكر . قالت : وفي سنة شهباء[1] لم تبق لنا شيئاً . قالت : فخرجتُ على أتانٍ لي قمراء[2] ، معنا شارفٌ لنا والله ما تَبِضُّ[3] بقطرة لبن ، وما ننام ليلتنا أجمع مع صبيِّنا الذي معنا من بكائه من الجوع ، ما في ثديَيّ ما يغنيه ، وما في شارفنا ما يغذيه ، ولكنا نرجو الغيث والفرج ، فخرجت على أتاني فلقد أَدَمَّت[4] بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفاً وعجفاً ، حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء ، فما منا إمرأة إلا وقد عُرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه إذا قيل لها إنه يتيم ، وذلك أنا إنما كنا نرجو المعروف من أبي الصبي ، فكنا نقول : يتيم ! ما عسى أن تصنع أمه وجده ؟ فكنا نكرهه لذلك ، فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعاً ، غيري . فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي : والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعاً ، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه . قال : لا عليك أن تفعلي ، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة . قالت : فذهبت إليه فأخذته ، وما حملني على أخذه إلا أني لم أجد غيره ، فلما أخذته رجعت به إلى رحلي ، فلما وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن ، وشرب حتى رَوي ، وشرب معه أخوه حتى روي ، ثم ناما وما كنا ننام معه قبل ذلك ، فقام زوجي إلى شارفنا تلك فإذا إنها لحافل[5] ، فحلب منها ما شرب وشربت حتى انتهينا رِيّاً وشِبعاً ، فبتنا بخير ليلة.يقول صاحبي حين أصبحنا : تَعَلَّمي[6] والله يا حليمة لقد أخذتِ نَسَمةً[7] مباركة . قلت : والله إني لأرجو ذلك ، ثم خرجت وركبت أتاني وحملته عليها معي ، فوالله لقطعتُ بالركب ما يقدر عليَّ شيءٌ من حمرهم ، حتى إن صواحبي ليقلن لي يا بنت أبي ذؤيب ويحك

---

(١) « سنة شهباء » : مجدبة ، والشهباء : هي الأرض البيضاء التي لا خُضرة فيها .

(٢) « قمراء » : بيضاء فيها كدرة ، ويُقال للحمار إذا كان كذلك : أقمر .

(٣) « ما تَبِضُّ بقطرة » : ما ترشح ولا تسيل بشيء من اللبن ، والشّارف : المُسِنّة من الإبل .

(٤) انظر شرح المؤلف لها في آخر هذا الخبر ص ٩٥ .

(٥) « لحافل » : ممتلىء ضَرْعُها باللبن .

(٦) « تَعلَّمي » : بفتح التاء وتشديد اللام المفتوحة ، بمعنى : اعلمي .

(٧) « نسمة » : بفتح النون والسين ، النَّفس .

اربعي[1] علينا ، أليست هذه أتانَك التي كنتِ خرجت عليها ؟ فأقول لهن : بلى والله إنها هي . فيقلن : والله إن لها لشأناً . قالت : ثم قدمنا منازلنا من بني سعد ولا أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها ، فكانت غنمي تروح عليَّ حين قدمنا به معنا شباعاً لُبَّناً ، فنحلب ونشرب وما يحلب إنسان قطرة لبن ولا يجدها في ضَرع ، حتى كان الحاضر[2] من قومنا يقولون لرعيانهم : ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب ، فتروح أغنامهم جياعاً ما تبض بقطرة لبن ، وتروح غنمي شباعاً لُبَّناً ، فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته ، وكان يَشِبُّ شباباً لا يشبُّه الغلمان ، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جَفْراً[3]. فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا لما نرى من بركته ، فكلمنا أمه ، وقلتُ لها : لو تركت بني عندي حتى يغلظ فإني أخشى عليه وباء مكة ، فلم نزل بها حتى ردته معنا فرجعنا به ، فوالله إنه بعد مقدمنا به بأشهر مع أخيه لفي بَهم لنا خلف بيوتنا ، إذ أتانا أخوه يشتد فقال لي ولأبيه : ذاك أخي القرشي عبد الله قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعاه فشقا بطنه فهما يسوطانه . قالت : فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه قائماً منتقعاً وجهه ، قال : فالتزمته والتزمه أبوه فقلنا : ما لك يا بني ؟ قال : جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني فشقا بطني فالتمسا فيه شيئاً لا أدري ما هو . قالت : فرجعنا به إلى خبائنا ، وقال لي أبوه : يا حليمة ! لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أُصيب فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به . قالت : فاحتملناه فقدمنا به على أمه . فقالت : ما أقدمك يا ظئرُ[4] ؟ ولقد كنتِ حريصة عليه وعلى مكثه عندك . قلت : قد بلَّغ الله بابني ، وقضيت الذي عليَّ وتخوفت الأحداث عليه فأديته عليك كما تحبين . قالت : ما هذا شأنك فاصدُقيني خبرك . قالت : فلم تدعْني حتى أخبرتها . قالت : أفتخوفت عليه الشيطان ؟ قلت : نعم . قالت : كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وإن لبُنَيَّ لشأناً أفلا أخبرك خبره ؟ قلت : بلى . قالت : رأيت حين حملت به أنه خرج

---

(١) « اربعي » : ارفقي وانتظري علينا .

(٢) « الحاضر من قومنا » : المقيمون في الحضر ، وضدها أهل البادية .

(٣) « جَفْراً » : مستقلاً بأموره ، بنومه وأكله وشربه . والأنثى : جفرة .

(٤) « ياظِئر » : الظِّئر : المرأة التي تُرضِعُ غير ولدها .

مني نور أضاء له قصورُ بصرى من أرض الشام ، ثم حملت به فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف منه ولا أيسر منه ، ووقع حين ولدته وإنه لواضع يديه بالأرض رافع رأسه إلى السماء ، دعيه عنك وانطلقي راشدة[1] .

قال السهيلي : وذكر غيرُ ابن إسحاق في حديث الرضاع أن رسول الله ﷺ كان لا يُقبل إلا على ثديها الواحد ، وتَعرض عليه الآخر فيأباه ، كأنه قد أُشعر أن معه شريكاً في لبانها ، وكان مفطوراً على العدل مجبولاً على جميل المشاركة والفضل ﷺ[2] .

ويُروى أن نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا له : يا رسول الله ؛ أخبرنا عن نفسك . قال : « نعم ، أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بن مريم عليهما الصلاة السلام ، ورأت أمي حين حملت بي أنه قد خرج منها نور أضاء له قصور الشام ، واستُرضعت في بني سعد بن بكر ، فبينا أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بَهماً لنا أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجاً ، فأخذاني فشقا بطني ، ثم استخرجا قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ، ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه ، ثم قال أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمته فوزنني بعشرة فوزنتهم ، ثم قال : زنه بمائة من أمته فوزنني بهم فوزنتهم ، ثم قال زنه بألف من أمته فوزنني بهم فوزنتهم . فقال : دعه عنك فلو وزنته بأمته لوزنها[3] .

وفي رواية : « فاستخرجا منه مَغْمزَ الشيطان وعَلَق الدم » . وفيها : « وجعلَ الخاتم بين كتفي كما هو الآن »[3] .

---

(١) روى قصة الرضاع وما وقع فيها من بشائر النبوة : ابن إسحاق ، وابن راهَوْيه ، وأبو يَعلى ، والطبراني ، وابن حِبَّان : عن عبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنهما قال : حدثتني حليمة . والبيهقي وابن عساكر . عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وفي سنده من تُكُلِّم فيه ، لكن لأكثره شاهد قويٌّ . والبيهقي : عن الزهري ، وأبو يعلى وأبو نُعيم : عن شداد بن أوس مرفوعاً مختصراً . والإمام أحمد والدارميّ : عن عتبة ابن عبد الله مرفوعاً مختصراً . وأبو نُعيم : عن بُريدة . وابن سعد وأبو نُعيم وابن عساكر : عن يحيى بن يَزيد السعدي . وابن سعد : عن زيد بن أسلم . رضي الله تعالى عنهم . السيرة الشامية ١/٤٧٠ .

(٢) الروض الأنف ١/١٨٧ .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٦٠٠ ، وقال : صحيح الإسناد و لم يخرجاه ، وأقره الذهبي وهو في السيرة

شرح الغريب :

قوله في هذا الخبر : « وما في شارفنا ما يغذيه » : قيل بالدال المهملة من الغداء وقيل بالمعجمة . وقال أبو القاسم : وهو أتم من الاقتصار على ذكر الغداء دون العشاء . وعند بعض الناس : يُعْذبه : ومعناه ما يقنعه حتى يرفع رأسه وينقطع عن الرضاع ، يقال منه : عذبته وأعذبته إذا قطعته عن الشرب ونحوه ، والعَذُوب ، وجمعه عُذوب بالضم ، ولا يُعرف فَعول جُمع على فُعول غيره ، قاله أبو عبيد . انتهى كلام السُّهيلي[1] رحمه الله . وأنشدني أبي رحمه الله لبعض العرب يهجو قوماً بات ضيفهم :

بتنا عُذوباً وباتَ البَقُّ يَلبسُنا   نشوى القَراح كأن لاحيَّ بالوادي

وذُكر في فَعول على فُعول غير عذوب ، وحكي ذلك عن « كتاب ليس » لابن خالويه .

وقوله : « أدمّت بالركب » حبستهم وكأنه من الماء الدائم وهو الواقف . ويروى أذمّت : أي الأتان ، أي جاءت بما تذم عليه ، أويكون من قولهم : بئر ذَمّة : أي قليلة الماء .

وقوله « يسوطانه » . يقال : سُطْتُ اللبن أو الدم أو غيرهما أسوطه ، إذا ضربتَ بعضه ببعض ، و « المِسْوطُ » : عود يُضرب به .

وقوله : « مغمز الشيطان » : هو الذي يغمزه الشيطان من كل مولود إلا عيسى بن مريم وأمه لقول أمها حنة : ﴿ وإني أعيذُها بكَ وذُرِّيَّتهَا من الشيطان الرجيم ﴾ [آل عمران : ٣٦] ولأنه لم يخلق من مَنِيِّ الرجال وإنما خُلق من نفخة روح القدس . قال السهيلي : ولا يدل هذا على فضل عيسى عليه الصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ ؛ لأن محمداً عندما نزع ذلك منه مُلِيء حكمة وإيماناً بعد أن غسله روحُ القدس بالثلج والبرد[2] .

النبوية ؛ لابن هشام ١/١٧٧ ، ودلائل النبوة ؛ للبيهقي ١/١٤٥ ، والبداية والنهاية ٢/٢٧٥ .
وحديث شق صدره ﷺ في سن الرضاع رواه مسلم في الإيمان (باب الإسراء برسول الله ﷺ) رقم /١٦٢/ ، والنسائي في الصلاة (باب أين فُرضت الصلاة) ١/٢٢٤ .

(١) الروض الأنف ١/١٨٦ .

(٢) الروض الأنف ١/١٨٩ .

وقد روي أنه عليه الصلاة والسلام ليلة الإسراء أُتي بطست من ذهب ممتلىء حكمةً وإيماناً فأُفرغ في قلبه ، وأنه غُسل قلبُه بماء زمزم ، فوهم بعض أهل العلم مَنْ روى ذلك ذاهباً في ذلك إلى أنها واقعة واحدة متقدمة التاريخ على ليلة الإسراء بكثير . قال السهيلي : وليس الأمر كذلك بل كان هذا التقديس وهذا التطهير مرتين : الأولى في حال الطفولية ليُنقّى قلبُه من مغمز الشيطان ، والثانية : عندما أراد الله أن يرفعه إلى الحضرة المقدسة ، وليُصلّي بملائكة السماوات ، ومن شأن الصّلاة الطهور ، فقدس باطناً وظاهراً وملىء قلبه حكمة وإيماناً ، وقد كان مؤمناً ، ولكن الله تعالى قال : ﴿ ويزدَادَ الذينَ آمَنُوا إيمَاناً ﴾ [المدثر : ٣١](١) .

رَجْعٌ إلى الأول : وانطلق به أبو طالب(٢) ، وكانت حليمة بعد رجوعها من مكة لا تدعه أن يذهب مكاناً بعيداً ، فغفلت عنه يوماً في الظهيرة ، فخرجت تطلبه حتى تجده مع أخته . فقالت : في هذا الحر ؟ فقالت أخته يا أمّه ما وجد أخي حراً ، رأيت غمامة تظل عليه إذا وقف وقفت وإذا سار سارت ، حتى انتهى إلى هذا الموضع . تقول أمها : أحقاً يا بنية ؟ قالت : إي والله . قال : تقول حليمة : أعوذ بالله من شر ما يحذر على ابني . فكان ابن عباس يقول : رجع إلى أمه وهو ابن خمس سنين . وكان غيره يقول : رُدَّ إليها وهو ابن أربع سنين ، وهذا كلُّه عن الواقدي(٣) .

وقال أبو عمر : ردته ظئرُه حليمة إلى أمه بعد خمس سنين ويومين من مولده ، وذلك سنة ست من عام الفيل ، وأسلمت حليمةُ بنت أبي ذؤيب ، وهو(٤) عبد الله بن الحارث ابن شجنة بن جابر بن رزام بن ناضرة بن قبيصة بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن . قال أبو عمر : روى زيدُ بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، قال : جاءت حليمةُ ابنة عبد الله أم النبيّ ﷺ من الرضاعة إلى النبي ﷺ يوم حنين فقام إليها وبسطَ لها رداءَه فجلست

---

(١) الروض الأنف ١/١٩٠ .

(٢) « وانطلق به أبو طالب » : هذا الكلام غير منتظم مع ما قبله ، ولعله سقط منه شيء ، والله أعلم . نور النبراس لوحة ١/٧٦ .

(٣) الطبقات الكبرى ١/١١٢ .

(٤) وهو عبد الله : هو اسم أبي ذؤيب والدحليمة السعدية .

عليه ، وروت عن النبي ﷺ وروى عنها عبد الله بن جعفر[1] .

قُرِىء على أبي العباس أحمد بن يوسف الصوفي وأنا أسمع منه سنة ست وسبعين[2] قال : أخبرنا أبو روح البيهقي سماعاً عليه سنة خمس وستمائة ، قال : أخبرنا الإمام أبو بكر محمد بن علي الطوسي قراءة عليه ونحن نسمع ، أخبرنا أبو علي نصر الله بن أحمد بن عثمان الخُشْنَامي ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن النيسابوري ، أخبرنا أبو علي محمد بن أحمد المِيداني ، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن خالد بن فارس ، حدثنا أبو عاصم النبيل ، عن جعفر بن يحيى بن ثوبان ، عن عمه عمارة ، عن أبي الطفيل ، قال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ يقسم لحماً بالجعرانة وأنا غلامٌ شاب ، فأقبلت امرأة ، فلما رآها رسول الله ﷺ بَسَطَ لها رداءَه ، فقعدتْ عليه . فقال : من هذه ؟ قال : أُمُّه التي أرضعته[3] .

هكذا روينا في هذا الخبر ، وكذا حكى أبو عمر بن عبد البر[4] عن حليمة بنت أبي ذؤيب أنها أسلمت وروت . ومن الناس مَنْ يُنكر ذلك . وحكى السهيليُّ أنها كانت وفدتْ على النبي ﷺ قبل ذلك بعد تزويجه خديجة تشكو إليه السَّنَةَ[5] وأن قومَها قد أسنتوا ، فكلَّم لها خديجة فأعطتها عشرين رأساً من غنم وبَكَرَات[6][7] .

---

(١) الاستيعاب في أسماء الأصحاب ؛ لأبي عمر بن عبد البر ٢٧٠/٤ ، وهو خبر مرسل ، جيد الإسناد . والمشهور أن التي جاءته يوم حُنين هي أخته الشيماء ، فأكرمها ووصلها ، أما أمه حليمة فالمناسب فيها ما سيورده المؤلف بعد قليل حكاية عن السهيلي من أنها وفدت إليه في سنة قحط بعد زواجه من خديجة رضي الله عنها .

(٢) لعلها سنة ست وسبعين وستمائة .

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد ، وأبو داود ، والطبراني ، وابن حِبَّان في صحيحه عن أبي الطفيل ، واسمه : عامر بن واثلة الكناني ، له رؤية ورواية ، توفي سنة مائة .

(٤) الاستيعاب ٢٧٠/٤ ، وقد أَلَّف الحافظ مغلطاي رحمه الله تعالى جزءاً في إيمان حليمة . انظر خلاصة ذلك مع زيادة في السيرة الشامية ٤٦٦/١ — ٤٦٩ .

(٥) « السَّنَة » : الجدب ، وأسنتوا : أجدبوا .

(٦) « بكرات » : جمع بَكْرَة ، وهي الفتية من الإبل .

(٧) الروض الأنف ١٩٢/١ .

وذكر أبو إسحاق[1] بن الأمين في استدراكه على أبي عمر : خولة بنت المنذر بن زيد ابن لبيد بن خداش التي أرضعت النبي[2] ﷺ . وذكر غيره[3] فيهن أيضاً أم أيمن بركة حاضنته عليه الصلاة والسلام .

* * *

(١) أبو إسحاق بن الأمين : هو إبراهيم بن يحيى بن إبراهيم ، مؤرخ أندلسي ، من أهل قرطبة ، أصله من طليطلة ، له كتاب « الإعلام بالخيرة الأعلام من أصحاب النبي عليه السلام » جعله استدراكاً على كتاب ابن عبد البر في الصحابة ، توفي سنة ٥٤٤ هـ . الأعلام ١/٧٩ .

(٢) وقد وَهِمَ ابن الأمين في ذلك ، إنما أرضعت خولةُ ابن النبي ﷺ إبراهيم ، كما ذكر ابن سعد وأبو عمر وغيرهما ، وعليه جرى الحافظ ابن حجر في الإصابة ٤/٢٩٣ . وانظر السيرة الشامية ١/٤٦٠ .

(٣) ذكرها القرطبي ، والمشهور أنها من الحواضن لا من المراضع . السيرة الشامية ١/٤٦٠ .

ذكر الخبر عن وفاة أمه آمنة بنت وهب وحضانة أم أيمن له وكفالة عبد المطلب إياه

قال ابن إسحاق : فكان رسولُ الله ﷺ مع أمه آمنة وجده عبد المطلب في كلاءة الله وحفظه ينبته الله نباتاً حسناً ؛ لما يريد به من كرامته ، فلما بلغ رسولُ الله ﷺ ست سنين تُوفيّت أمُّه آمنة بالأبواء بين مكة والمدينة .

قال أبو عمر بن عبد البر : وقيل : ابن سبع سنين . قال : وقال محمد بن حبيب[1] في « المحبر » : توفيت أمه ﷺ وهو ابن ثمان سنين . وقال : وتوفي جده عبد المطلب بعد ذلك بسنة وأحد عشر شهراً ، سنة تسع من عام الفيل . وقيل : إنه توفي جده عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين .

رجع إلى ابن إسحاق : قال : وكانت قد قدمت به على أخواله من بني عدي بن النجار تزيره إياهم ، فماتت وهي راجعة إلى مكة فكان رسول الله ﷺ مع جده عبد المطلب ، وكان يُوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة ، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه ، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً ، فكان رسولُ الله ﷺ يأتي وهو غلام جَفْرٌ حتى يجلسَ عليه ، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه ، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم : دعوا بُنَيَّ فوالله إن له لشأناً ، ثم يُجلسه معه عليه ، ويمسحُ ظهره بيده ، ويَسُرُّه ما يراه يصنع[2] .

قرأتُ على أحمد بن محمد المقدسي الزاهد ، أخبرك أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان ، عن محمد بن عبد الباقي ، عن أحمد بن الحسن ، قال أبو إسحاق : وأخبرنا أحمد بن محمد بن

---

(١) محمد بن حَبِيب : بن أمية بن عمرو ، الهاشمي بالولاء ، أبو جعفر البغدادي ، من موالي بني العباس ، علّامة بالأنساب والأخبار واللغة والشعر ، كان مؤدباً ، قال ابن النديم : وكتبه صحيحة . ومن كتبه « المُحَبَّر » وإليه ينسب مؤلفه ، فيقال : المُحَبَّرِيّ . اللباب ١٠٤/٣ ، والأعلام ٧٨/٦ .

(٢) السيرة النبوية ، لابن هشام ١٦٨/١ .

علي بن صالح ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسين ، قالا : أخبرنا أبو علي بن شاذان ، أخبرنا ابن درستويه قال : أخبرنا يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو الحسن مهدي بن عيسى ، أخبرنا خالد بن عبد الله الواسطي ، عن داود بن أبي هند ، عن العباس بن عبد الرحمن عن كِنْدير ابن سعيد ، عن أبيه قال : حججتُ في الجاهلية فبينا أنا أطوفُ بالبيت ، إذا رجل يقول :

رُدَّ إلـيَّ راكبي محمداً ... ارْدُدْهُ ربٌ واصطنعْ عندي[1] يدا

قال : قلت : من هذا ؟ قال : عبد المطلب بن هاشم بعث ابن ابنه في إبل له ضلَّتْ ، وما بعثه في شيء إلا جاء به ، قال : فما برحتُ حتى جاء وجاء بالإبل معه . قال : فقال له : يا بني حزنت عليك حزناً لا يفارقني بعده أبداً[2] .

قالوا : وكانت أم أيمن تُحَدِّثُ تقول : كنتُ أحضن رسولَ الله ﷺ فغفلتُ عنه يوماً ، فلم أدرِ إلا بعبد المطلب قائماً على رأسي يقول : يا بركة ! قلتُ لبَّيك . قال : أتدري أين وجدتُ ابني ؟ قلت : لا أدري . قال : وجدتُه مع غِلمان قريباً من السِّدْرة . لا تغفلي عن ابني ، فإن أهل الكتاب يزعمون أن ابني نبيُّ هذه الأمة ، وأنا لا آمَنُ عليه منهم . وكان لا يأكل طعاماً إلا قال عليّ بابني فيؤتى به إليه[3] .

وروينا عن ابن سعد قال : أخبرنا هشام ابن محمد بن السائب الكلبي ، قال : حدثني الوليد بن عبد الله بن جُميع الزهري ، عن ابن لعبد الرحمن بن موهب بن رباح الأشعري حليفِ بني زهرة ، عن أبيه ، قال : حدثني مخرمةُ بن نوفل الزهري ، قال : سمعت أمي رُقَيْقَة[4] بنت أبي صيفي بن هاشم بن عبد مناف تحدث – وكانت لدة[5] عبد المطلب –

(١) معنى الشطر الأول من البيت : أيها الراكب الذي أرسلته في طلب الإبل صحبة محمد رُدَّ إليَّ ابني محمداً .
(٢) الخبر رواه الحاكم في المستدرك ٦٠٣/٢ ، وقال : على شرط مسلم ، ولم يتعقبه الذهبي . وقال سبط ابن العجمي : وقد رأيته في مسند أبي يعلى الموصلي عن كِنْدير بن سعيد ، عن أبيه . رواه عن وهب بن بقية أبي خالد ، عن داود ، عن عباس ، عنه ، والله أعلم . نور النبراس لوحة ٨٣/١ . وهو عند البخاري في التاريخ الكبير .
(٣) الوفا ؛ لابن الجوزي ١٢٠/١ .
(٤) رقَيْقَة : بضم الراء وسكون الياء وقافين مفتوحتين .
(٥) « لِدَة » : اللِّدة : الترب ، والمتفق مع الآخر في تاريخ ولادته .

قالت : تتابعت على قريش سنون ذهبن بالأموال وأشفين[١] على الأنفس . قالت : فسمعت قائلاً يقول في المنام : يا معشر قريش ! إن هذا النبيَّ المبعوث : منكم ، وهذا إبَّانُ خروجه . وبه يأتيكم الحيا والخِصب ، فانظروا رجلاً من أوسطكم نسباً طُوالاً[٢] عُظَاماً ، أبيضَ ، مقرونَ الحاجبين ، أهدبَ الأشفار ، جعداً[٣] ، أسهل[٤] الخدين ، رقيق العرنين[٥] ، فليخرج هو وجميع ولده ، وليخرج منكم من كل بطن رجلٌ ، فتطهروا وتطيبوا ، ثم استلموا الركن ، ثم ارقَوْا إلى رأس أبي قُبيس ، ثم يتقدم هذا الرجل فيستسقي وتؤمنون ، فإنكم ستُسقون . فأصبحتْ فقصت رؤياها عليهم ، فنظروا فوجدوا هذه الصفة صفة عبد المطلب ، فاجتمعوا إليه ، وخرج من كل بطن منهم رجل ، ففعلوا ما أمرتهم به ، ثم علَوا على أبي قبيس ، ومعهم النبي ﷺ وهو غلام . فتقدم عبد المطلب وقال : لاهم[٦] ! هؤلاء عبيدك وبنو عبيدك وإماؤك وبنو[٧] إمائك ، وقد نزل بنا ما ترى ، وتتابعت علينا هذه السنون ، فذهبت بالظِّلف والخف والحافر[٨] ، وأشفت على الأنفس ، فأذهبْ عنا الجدب وائتنا بالحيا والخصب ، فما برحوا حتى سالت الأودية ، وبرسول الله ﷺ سُقوا ، فقالت رُقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم بن عبد مناف :

بشيبةَ الحمدِ أسقَى الّلهُ بلدتَنا ... وقد فقدْنَا الحَيا واجْلَوَّذ المطرُ[٩]

---

(١) « وأشفينَ على الأنفس » : أشرفن على الهلاك .

(٢) « طوالاً عُظَاماً » : على وزن فُعال ، بالغ الطول . و« عُظاماً » : بالغ العِظم ، فكلاهما من أبنية المبالغة ومثلهما : طوّالاً وعظّاماً بالتشديد .

(٣) « جَعْدَاً » هي هنا تعني أنه شديد الأسْر والخَلْق .

(٤) « أسْهَل الخدين » : سائل الخدين ، وفي « جـ » و « د » : « أسيل » .

(٥) « رقيق العِرْنِيْن » : بكسر العين ؛ الأنف ، وقيل : رأسه .

(٦) أي : اللهم .

(٧) وفي هامش « ب » : « وبنات إمائك » ولعلها الأنسب .

(٨) والحافر ، كذا في « أ » .

(٩) « واجْلَوَّذَ المطرُ » : تأخر نزوله ، وامتدَّ وقتُ انقطاعه .

فجـادَ بـالماء جَوْنـيٌّ لـه سَبَـلٌ دانٍ فعاشتْ بـه الأنعـامُ والشجـر[1]
مَنـّاً مِـن الله بالميمـون طائِـرُهُ وخيـرِ مـن بُشِّرتْ يومـاً بـه مُضَرُ
مُبـاركُ الأمـرِ يُستسقـى الغمـامُ بـه ما في الأنامِ له عِـدْلٌ ولا خَطَـرُ[2] [3]

* * *

(١) جونٌي : نسبة إلى الجون ، وهو السحاب الأسود المحمَّل بالمطر . و « سَبَلٌ » : السبل : المطر النازل المتواصل بين السماء والأرض .

(٢) « عِدلٌ ولا خَطَر » : لا نظير له ولا عِوض .

(٣) خبر استسقاء أهل مكة بجدّه ، وهو ﷺ معهم ، وسقياهم ببركته ؛ رواه ابن سعد ٩٠/١ ، والبلاذري ، وابن أبي الدنيا ، والطبراني ، والبيهقي ١٥/٢ — ١٩ ، والسيرة الشامية ١٧٨/٢ — ١٧٩ .

ذكر وفاة عبد المطلب
وكفالة أبي طالب للنبي ﷺ

ثم إن عبد المطلب بن هاشم هلك عن سن عالية مختلف في حقيقتها ، قال أبو الربيع ابن سالم : أدناها فيما انتهى إليَّ ووقفتُ عليه : خمس وتسعون سنة ، ذكره الزبير ، وأعلاها فيما ذكره الزبير أيضاً عن نوفل بن عمارة ، قال : كان عُبيد بن الأبرص تِرْبَ عبد المطلب ، وبلغ عُبيد مائة وعشرين سنة ، وبقي عبد المطلب بعده عشرين سنة . وكانت وفاته سنة تسع من عام الفيل ، وللنبي ﷺ يومئذ ثمان سنين ، وقيل : بل توفي عبد المطلب وهو ابن ثلاث سنين . حكاه أبو عمر[1] .

وبقي رسولُ الله ﷺ بعد مَهلك جده عبد المطلب مع عمه أبي طالب ، وكان عبد المطلب يوصيه به فيما يزعمون ، وذلك أن عبدَ الله أبا رسول الله ﷺ وأبا طالب أخوان لأب وأم ؛ فكان أبو طالب هو الذي يلي رسولَ الله ﷺ بعد جده ، فكان إليه ومعه .

وذكر الواقدي أن أبا طالب كان مُقِلاً من المال ، وكانت له قطعة من الإبل تكون بعُرَنة[2] ، فيبدو[3] إليها فيكون فيها ، ويُؤتى بلبنها إذا كان حاضراً بمكة ، فكان عِيالُ أبي طالب إذا أكلوا جميعاً أو فُرادى لم يشبعوا ، وإذا أكَلَ معهم النبيُّ ﷺ شبعوا ، فكان أبو طالب إذا أرادَ أن يُغدِّيهم أو يُعَشِّيهم يقول : كما أنتم حتى يأتي ابني . فيأتي رسولُ الله ﷺ فيأكل معهم فيُفْضلون من طعامهم ، وإن كان لبناً شربَ رسول الله ﷺ أوَّلَهم ، ثم يُناول القَعْبَ[4] فيشربون منه فيروَوْنَ من عند آخرهم من القعْب الواحد ، وإن كان أحدُهم ليشربُ قَعْباً وحدَه ، فيقول أبو طالب : إنَّك لمبارك . وكان الصبيان يُصبحون

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢٢/١ على هامش الإصابة .

(٢) « عُرَنة » : مسيل الوادي الواقع في مدخل عرفات مما يلي مكة ، والمسجد واقع فيها .

(٣) « فيبدو » : من بدا ؛ أي نزل البادية .

(٤) « القعب » : القدح .

شُعْثاً رُمْصاً(١) ، ويصبح رسول الله ﷺ دهيناً كحيلاً .

وقالت أمُّ أيمن – وكانت تحضنه – ما رأيتُ رسولَ الله ﷺ شكا جُوعاً قطُّ ولا عطشاً ، وكان يغدو إذا أصبحَ فيشربُ من ماء زمزم شَرْبَةً ، فربما عرضنا عليه الغداءَ فيقول : أنا شبعان .

* * *

(١) « رُمْصاً » : جمع أرمص ، والرَّمَص : وسخ يجتمع في مُوق العين .

ذكر سفره ﷺ مع عمه أبي طالب إلى الشام
وخبره مع بحيرا الراهب
وذكر نبذة من حفظ الله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام قبل النبوة

قال أبو عمر : سنة ثلاث عشرة من الفيل . وشهد بعد ذلك بثمان سنين يوم الفجار[1] سنة إحدى وعشرين[2] . وقال أبو الحسن[3] الماوردي : خرج به عليه الصلاة والسلام عمه أبو طالب إلى الشام في تجارة له وهو ابن تسع سنين . وذكر ابن سعد بإسناد له عن داود[4] بن الحصين : أنه كان ابن اثنتي عشرة سنة [5] .

قال ابن إسحاق : ثم إن أبا طالب خرج في ركب إلى الشام فلما تهيأ للرحيل صَبَّ به رسول الله ﷺ فيما يزعمون فرقَّ له أبو طالب ، وقال : والله لأخرجن به معي ولا يفارقني ولا أفارقه أبداً أو كما قال . فخرج به معه ، فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام ، وبها راهب يقال له بحيرا في صومعة له ، وكان انتهى إليه علمُ أهل النصرانية ، ولم يزل في تلك الصومعة منذ قَطّ[6] راهبٌ ، إليه يصيرُ علمهم عن كتاب فيها – فيما يزعمون – يتوارثونه كابراً عن كابر . فلما نزلوا ذلك العام ببحيرا ، وكانوا كثيراً مايمُرُّون به قبل ذلك فلا يُكلِّمُهم ولا يعرض لهم ، حتى كان ذلك العام ، فلما نزلوا به قريباً من صومعته صنعَ لهم طعاماً كثيراً ، وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه وهو في صومعته ، يزعمون أنه رأى رسولَ الله ﷺ في الركب حين أقبلوا وغمامةٌ تُظِلُّه من بين

---

(١) « الفِجار » : بكسر الفاء بمعنى المفاجرة ، سميت بذلك لوقوع القتال في الشهر الحرام .

(٢) الاستيعاب ١٥/١ مع الإصابة .

(٣) أبو الحسن الماوردي : هو علي بن محمد بن حبيب القاضي البصري الشافعي ، له تصانيف كثيرة منها « الحاوي » و« الأحكام السلطانية » ، توفي سنة ٤٥٠ هـ . شذرات الذهب ٢٨٥/٣ .

(٤) داود بن الحصين : هو مولى عمرو بن عثمان بن عفان ، روى عن عكرمة وعبد الرحمن الأعرج ، وروى عنه مالك وابن إسحاق وغيرهما ، وثقة ابن معين وضعفه غيره . الجرح والتعديل ٤٨٠/٣ .

(٥) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ١٢٠/١ – ١٢١ وفي سنده الواقدي .

(٦) « قَطّ » : بتشديد الطاء وكسرها ، بمعنى الدهر ، مخصوصاً بالماضي .

القوم ، ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة منه ، فنظرَ إلى الغمامة حتى أظلَّت الشجرة وتهصرت[1] أغصانُ الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظلَّ تحتها ، فلما رأى ذلك بحيرا نزل من صومعته ، وقد أمر بذلك الطعام فصُنع ، ثم أرسل إليهم : إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشرَ قريش وأحبُّ أن تحضروا كلُّكم صغيرُكم وكبيرُكم ، وعبيدُكم وحرُكُم ، فقال له رجل منهم : والله يا بحيرا إن بك اليوم لشأناً ، ما كنتَ تصنعُ هذا بنا وقد كنا نمُرُّ بك كثيراً ، ما شأنك اليوم ؟ قال له بحيرا : صدقتَ ، قد كان ما تقول ، ولكنَّكم ضيفٌ ، وقد أحببتُ أن أكرمَكم وأصنعَ لكم طعاماً فتأكلوا منه كلُّكم ، فاجتمعوا إليه وتخلَّفَ رسولُ الله ﷺ من بين القوم لحداثةِ سنِّه في رِحَال القوم ، فلما نظر بحيرا في القوم لم ير الصفة التي يعرفُ ويجدُ عنده ، فقال : يا معشرَ قريش لا يتخلفنَّ أحدٌ منكم عن طعامي . قالوا له : يا بحيرا ما تخلَّف عن طعامِك أحدٌ ينبغي له أن يأتيَك إلا غلام ، وهو أحدثُ القوم سِنّاً ، فتخلَّفَ في رحالهم . قال : لا تفعلوا ، ادعُوه فليحضرْ هذا الطعام معكم . فقال رجلٌ من قريش : واللات والعزى إن كان للؤماً بنا أن يتخلَّف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا . ثم قام إليه فاحتضنه وأجلسَه مع القوم ، فلما رآه بحيرا جعل يلحظُه لحظاً شديداً ، وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته ، حتى إذا فرغَ القومُ من طعامهم وتفرَّقوا ، قام إليه بحيرا ، فقال له : يا غلام ! أسألُك بحقِّ اللات والعزى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه — وإنما قال له بحيرا ذلك لأنه سمعَ قومَه يحلفون بهما — فزعموا أن رسولَ الله ﷺ قال : لا تسألني باللات والعزى شيئاً ، فوالله ما أبغضتُ شيئاً قطُّ بغضَهما . فقال له بحيرا : فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه . فقال له : سلني عما بدَا لك . فجعل يسأله عن أشياء من حاله : من نومه ، وهيئته ، وأموره . ويخبرُه رسولُ الله ﷺ فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته . ثم نظرَ إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده ، فلما فرغ أقبلَ على عمِّه أبي طالب فقال : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابني . قال : ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكونَ أبوه حيّاً . قال : فإنه ابن أخي . قال : فما فعلَ أبوه ؟ قال : ماتَ وأمُّه حُبلى به . قال : صدقتَ ، فارجعْ بابن أخيك إلى بلده واحذرْ عليه يهود ، فوالله لئن رأوه

(١) « تَهصَّرتْ » : تهدلت .

وعرفوا منه ما عرفتُ لَيَبْغُنَّه شراً ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأنٌ عظيم ، فأسرعْ به إلى بلاده . فخرجَ به عمُّه أبو طالب سريعاً حتى أقدَمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام ، فزعموا أن نفراً من أهل الكتاب قد كانوا رأوا من رسول الله ﷺ مثلَ ما رأى بحيرا في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمّه أبي طالب ، فأرادوه فردَّهم عنه بحيرا في ذلك ، وذكَّرهم الله تعالى ، وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفاته ، وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا لم يخلصوا إليه ، حتى عرفوا ما قال لهم وصدقوه بما قال ، فتركوه وانصرفوا عنه[1] .

● **قوله** : فصبَّ به رسول الله ﷺ ، الصبابة : رقّةُ الشوق ، وصببت أَصَبُّ . وعند بعض الرواة فضَبَثَ به : أي لزِمَه . قاله السهيلي[2] .

وروينا من طريق الترمذي : حدثنا الفضلُ بن سهل أبو العباس الأعرج البغدادي ، حدثنا عبد الرحمن بن غَزوان أبو نوح ، قال : أخبرنا يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي بكر ابن أبي موسى ، عن أبيه ، قال : خرجَ أبو طالب إلى الشام وخرج معه النبيُّ ﷺ في أشياخٍ من قريش ، فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فحلُّوا رِحَالَهم ، فخرج إليهم الراهب ، وكانوا قبلِ ذلك يمرُّون به فلا يخرجُ إليهم ولا يلتفتُ . قال[3] : فهم يَحلُّون رحالهم ، فجعلَ يتخلَّلهم الراهبُ حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ، ثم قال : هذا سيّد العالمين ، هذا رسولُ ربِّ العالمين ، يبعثه الله رحمة للعالمين . فقال الأشياخُ من قريش : ما عِلمُكَ ؟ فقال : إنكم حين أشرفتُم على العقبة لم يبقَ شجرٌ ولا حجرٌ إلا خرَّ ساجداً ، ولا يسجدان إلا لنبي ، وإني لأعرفه بخاتَم النبوة أسفل من غُضروف كتفه مثل التفاحة ، ثم رجعَ فصنع لهم طعاماً ، فلما أتاهم به وكان هو في رِعْيَةِ[4] الإبل . قال : أرسلوا إليه . فأقبل وعليه غَمامةٌ تُظِلُّهُ ، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فَيء الشجرة ، فلما جلس مال فَيءُ الشجرة عليه ، فقال : انظروا إلى فَيء الشجرة مالَ عليه . قال : فبينما هو قائمٌ عليهم

---

(١) السيرة النبوية « لابن هشام ١/١٨٠، ودلائل النبوة لأبي نعيم ١/١٢٥ ، ودلائل النبوة « للبيهقي ٢/٢٤ ـــ ٢٩ وشرح المواهب ١/١٩٠ ، والخصائص الكبرى ١/٨٥ .

(٢) الروض الأنف ١/٢٠٦ .

(٣) أي : قال راوي الحديث .

(٤) « رعية الإبل » : أي كان في رعيها .

وهو يُناشدُهم أن لا يذهبوا إلى الروم ، فإن الرومَ إن رأوه عرفوه بالصفة فيقتلونه . فالتفتَ فإذا سبعةٌ قد أقبلوا من الروم ، فاستقبلَهم فقال : ما جاء بكم ؟ قالوا : جئنا ، إن هذا النبيُّ خارجٌ في هذا الشهر فلم يبقَ طريقٌ إلا بُعث إليه بأناس ، وإنا قد أُخبرنا خبرَه بَعثْنا إلى طريقك هذا . فقال هل خلفكم أحد هو خيرٌ منكم ؟ قالوا : إنما اخترنا[1] خِيرَة بُعثنا لطريقك هذا . قال : أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيَه ، هل يستطيع أحدٌ من الناس ردَّه ؟ قالوا : لا . قال : فبايَعوه وأقاموا معه . قال : أنشدُكم بالله أيُّكم وليه ؟ قالوا : أبو طالب . فلم يزل يُناشدُه حتى ردَّه أبو طالب ، وبعثَ معه أبو بكر بلالاً ، وزوده الراهبُ من الكعك والزيت . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن[2] غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

قلت : ليس في إسناد هذا الحديث إلا من خرج له في الصحيح ، وعبد الرحمن بن غزوان أبو نوح لقبه قراد انفرد به البخاري . ويونس بن أبي إسحاق انفرد به مسلم . ومع ذلك ففي متنه نكارة وهي إرسال أبي بكر مع النبي ﷺ بلالاً . وكيف وأبو بكر حينئذ لم يبلغ العشر سنين فإن النبيَّ ﷺ أسنُّ من أبي أبكر بأزيدَ من عامين ، وكانت للنبي ﷺ تسعة أعوام على ما قاله أبو جعفر محمد بن جرير الطبري وغيره ، أو اثنا عشر على ما قاله آخرون ، وأيضاً فإن بلالاً لم ينتقل لأبي بكر إلا بعد ذلك بأكثر من ثلاثين عاماً ، فإنه كان لبني خلف الجمحيين ، وعندما عُذِّبَ في الله على الإسلام اشتراه أبو بكر رضي الله عنه رحمة له واستنقاذاً له من أيديهم ، وخبره بذلك مشهور . وقوله : فبايعوه ، إن كان المراد فبايعوا بحيرا على مسالمة النبي ﷺ فقريب ، وإن كان غير ذلك فلا أدري ما هو .

رجع إلى خبر ابن إسحاق : وكان ﷺ يحدث عما كان الله يحفظه به في صغره أنه قال : « لقد رأيتني في غلمان من قريش ، ننقلُ حجارةً لبعض ما يلعبُ به الغلمان ، كلنا قد

---

(١) كذا في « ب » و« ج » و« د » ، وفي « أ » وسنن الترمذي ٢٢٤/٩ « إنما أُخبرنا خبره بطريقك هذا » وبهامشه : في ب [إنما اخترنا خيرة لطريقك هذا] .

(٢) رواه الترمذي في المناقب (باب ما جاء في بدء نبوة النبي ﷺ) رقم /٣٦٢٤/ ، قال الحافظ ابن حجر في الإصابة : الحديث رجاله ثقات ، وليس فيه منكر سوى اللفظ ، فيحتمل أنها مدرجة فيه من حديث آخر وَهَماً من أحد رواته .

تعرَّى وأخذَ إزاراً وجعلَه على رقبتِه يحملُ عليها الحجارةَ ، فإني لأُقبلُ معهم كذلك وأُدبر إذ لكمني لاكمٌ ما أراه لكمةً وجيعةً ، ثم قال : شدَّ عليكَ إزارَك . قال : فأخذتُه فشددتُه عليَّ ثم جعلتُ أحملُ الحجارةَ على رقبتي ، وإزاري عليَّ من بين أصحابي »[1] .

قال السهيلي : وهذه القصة إنما وردت في الحديث الصحيح[2] في خبر بُنيان الكعبة ، كان ﷺ يحملُ الحجارةَ وإزارُه مشدودةٌ عليه ، فقال له العباس : يا ابن أخي ، لو جعلتَ إزارَك على عاتِقك ، ففعلَ ، فسقطَ مغشيّاً عليه . ثم قال : « إزاري إزاري » فشدَّ عليه إزارَه ، وقام يحملُ الحجارة . وفي حديث آخر : أنه لما سقط ضمَّه العباسُ إلى نفسه ، وسأله عن شأنه ، فأخبره أنه نودي من السماء : أن اشْدُدْ عليكَ إزارَكَ يا محمد . قال : وإنَّه لأوَّل ما نُودي . قال : وحديث ابن إسحاق إن صَّح محمولٌ على أنَّ هذا الأمر كان مرتين : في حال صِغَره ، وعند بنيان الكعبة[3] .

وذكر البخاري عنه ﷺ أنه قال : « ما هممتُ بسوءٍ من أمر الجاهلية إلا مرتين »[4] .

وقد قرأتُ على أبي عبد الله بن أبي الفتح الصُّوري بمرج دمشق : أخبركم أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن الحرستاني سماعاً عليه ، قال : أخبرنا أبو محمد طاهر بن سهل ابن بشر بن أحمد الإسفرايني ، قال : أخبرنا أبو الحسين محمد بن مكي بن عثمان الأزدي ، أخبرنا القاضي أبو الحسن علي بن محمد بن إسحاق الحلبي ، حدثنا أبو عبد الله الحسين ابن إسماعيل المحاملي ببغداد ، حدثنا أبو الأشعث أحمد بن المقدام ، حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبي ، عن محمد بن إسحاق . قال : وحدثني محمد بن عبد الله بن قيس بن مخرمة ، عن الحسن بن محمد بن علي ، عن أبيه ، عن جده علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال :

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١٩٧/١ .

(٢) رواه البخاري في مناقب الأنصار (باب بنيان الكعبة) رقم /٣٨٢٩/ ، ومسلم في الحيض (باب الاعتناء بحفظ العورة) رقم /٣٤٠/ .

(٣) الروض الأنف ٢٠٨/١ .

(٤) قال سبط ابن العجمي في « نور النبراس » لوحة ٩٢/١ : هذا ذكره البخاري في غير الصحيح فاعلمه ، وما كان ينبغي للمؤلف أن يطلق هذه العبارة ؛ لأن المتبادر إلى أفهام الناس أن ذلك في الصحيح ، والله أعلم .

سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما هممت بقبيح مما يَهُمُّ به أهلُ الجاهلية إلا مرتين من الدهر ، كلتاهما عَصمني الله عزَّ وجلَّ منهما : قلتُ ليلةً لفتى كان معي من قريش بأعلى مكة في غنمٍ لأهله يرعاها : أبصرْ لي غنمي حتى أسمرَ هذه الليلة بمكةَ كما يسمرُ الفتيانُ . قال : نعم . فخرجتُ فلما جئتُ أدنى دار من دور مكة سمعتُ غِناءً وصوتَ دفوفٍ ومَزامير ، فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : فلانٌ تزوَّجَ فلانة لرجل من قريش تزوَّجَ امرأةً من قريش ، فلهوتُ بذلك الغِناء وبذلك الصوت حتى غلبتني عيني فنمتُ ، فما أيقظني إلا مَسُّ الشمس ، فرجعتُ إلى صاحبي . فقال : ما فعلتَ ؟ فأخبرتُه . ثم فعلتُ الليلة الأُخرى مثلَ ذلك ، فخرجتُ فسمعتُ مثل ذلك ، فقيل لي مثل ما قيل لي ، فسمعتُ كما سمعتُ حتى غلبتني عيني فما أيقظني إلا مسُّ الشمس ، ثم رجعتُ إلى صاحبي فقال لي ما فعلتَ ؟ فقلت : ما فعلت شيئاً . قال رسولُ الله ﷺ والله ما هممتُ بغيرهما بسوء مما يعملُه أهلُ الجاهلية حتى أكرمني الله عز وجل بنبوته »[1] .

وذكر الواقديُّ عن أمِّ أيمنَ قالت : كانت بُوانة[2] صنماً تحضره قريش ، وتعظمه وتنسكُ له ، وتحلقُ عنده ، وتعكف عليه يوماً إلى الليل في كل سنة ، فكان أبو طالب يحضرُه مع قومه ، ويُكلِّم رسولَ الله ﷺ أن يحضرَ ذلك العيد معهم ، فيأبى ذلك . قالت : حتى رأيتُ أبا طالب غضبَ عليه ، ورأيتُ عماتِه غضبن يومئذ أشدَّ الغضب وجعلنَ يقلن : إنا لنخافُ عليك مما تصنعُ من اجتناب آلهتنا ، ويقلنَ : ما تريدُ يا محمد أن تحضر لقومك عيداً ولا تكثِّر لهم جمعاً ؟! فلم يزالوا به حتى ذهبَ ، فغاب عنهم ما شاء الله ثم رجعَ مرعوباً فزعاً ، فقلنا:ما دهاك ؟ قال : إني أخشى أن يكون بي لَمَمٌ[3] . فقلنا : ما كان

(١) الحديث رواه ابن إسحاق ، وابن راهويه في « مسنده » ، والبزار ، والبيهقي في دلائل النبوة ٣٣/٢ — ٣٤ وأبو نُعيم في دلائل النبوة ٢٣٦/١ ، وابن كثير في البداية والنهاية ٨٧/٢ ، والسيوطي في الخصائص الكبرى ٨٩/١ ، والسيرة الشامية ٢٠٠/٢ . قال الحافظ ابن حجر : إسناده حسن متصل ، ورجاله ثقات ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٢٦/٨ : رواه البزار ورجاله ثقات .
وقال ابن كثير : وهذا حديث غريب جداً ، وقد يكون عن علي نفسه ، ويكون قوله في آخره « حتى أكرمني الله عز وجل بنبوته » مقحماً .

(٢) بُوَانة : بفتح الباء وضمها ، وتخفيف الواو .

(٣) « لمم » : مسٌّ من الشيطان .

الله عز وجل ليبتليَك بالشيطان ، وكان فيك من خِصال الخير ما كان ، فما الذي رأيتَ ؟ قال : كلما دنوتُ من صنم منها تمثَّل لي رجلٌ أبيضُ طويلٌ يصيحُ بي : وراءَك يا محمد لا تمسّه . قالت : فما عادَ إلى عيد لهم حتى تنبأ[1] ﷺ .

* * *

(١) الطبقات الكبرى ١/١٥٨ ، وأبو نعيم في دلائل النبوة ١/٢٣٧ – ٢٣٨ ، والسيوطي في الخصائص الكبرى ١/٢٢١ عن أبي بكر العامري ، عن حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : حدثتني أم أيمن .. وإسناده ضعيف جداً ، فيه أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي سبرة العامري : رُمي بالوضع .
ورواية الواقدي عن أم أيمن معضلة ، لأنه وُلد سنة ١٣٠ هـ ، وأم أيمن توفيت على أبعد الأقوال في خلافة عثمان . انظر نور النبراس لوحة ١/٩٣ .

ذكر رعيته ﷺ الغنم

روينا عن محمد بن سعد : أخبرنا سُويد بن سعيد وأحمد بن محمد الأزرقي ، قالا : حدثنا عمرو بن يحيى بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص القرشي ، عن جده سعيد يعني ابن عمرو ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما بعث الله نبياً إلا راعي غنم . قال له أصحابه : وأنتَ يا رسولَ الله ؟ قال : وأنا رعيتها لأهل مكة بالقراريط(1) » .

وروينا عن ابن سعد قال : أخبرنا أحمد بن عبد الله بن يونس ، حدثنا زهير ، حدثنا أبو إسحاق(2) قال : كان بين أصحاب الإبل وأصحاب الغنم تنازع ، فاستطالَ أصحاب الإبل ، قال : فبلغنا ـ والله أعلم ـ أن النبيَّ ﷺ قال : « بُعث موسى وهو راعي غنم ، وبُعث داود وهو راعي غنم ، وبُعثت وأنا راعي غنمِ أهلي بأجياد »(3) .

---

(1) رواه البخاري في الإجارة (باب رعي الغنم على قراريط) رقم /٢٢٦٢/ ، وابن ماجه في التجارات (باب الصناعات) رقم /٢١٤٩/ ، وابن سعد في الطبقات الكبرى ١/١٢٥ .
والقراريط : جمع قيراط ، وهو أحد أجزاء الدينار ، والمراد أنه ﷺ كان يأخذ أجرة في مقابل رعيه الغنم .

(2) أبو إسحاق : هو السَّبيعي عمرو بن عبد الله ، المتوفى سنة ١٢٦ هـ وتعتبر روايته هذه عند ابن سعد في الطبقات الكبرى ١/١٢٦ بلاغاً .
والحديث رواه الإمام أحمد في المسند ٣/٤٢ ، ٩٦ ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : افتخر أهلُ الإبل والشاء ، فقال رسول الله ﷺ : « بُعث موسى وهو راعي غنم ، وبُعث داود وهو راعي غنم ، وبُعثتُ وأنا راعي غنم لأهلي بأجياد » .
قال سبط ابن العجمي : وهذا أحسن مما ذكره المؤلف ؛ لأن هذا مسند وذاك بلاغ ، والله تعالى أعلم نور النبراس . لوحة ١/١٩٤ .

(3) قال في نور النبراس لوحة ٩٤ : **فائدة** : إنما جُعل هذا ـ أعني رعي الغنم ـ في الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، تقدمة لهم ، ليكونوا رعاة الخلق ، ولتكون أممهم رعاياهم ، ولغير ذلك من المعاني ، والله تعالى أعلم .

شهوده ﷺ يوم الفِجار ثم حلف الفُضُول

قال السُّهيلي : والفِجار بكسر الفاء بمعنى المفاجرة كالقتال والمقاتلة ، وذلك أنه كان قتالاً في الشهر الحرام ، ففجروا فيه جميعاً ، فسُمِّي الفِجار ، وكانت للعرب فِجارات أربعة ذكرها المسعودي ، آخرُها فِجار البَرّاض ، وهو هذا ، وكان لكِنانة ولقيس فيه أربعة أيام مذكورة : يوم شَمطَة ويوم العَبْلاء ، وهما عند عكاظ . ويوم الشَّرب وهو أعظمها يوماً وفيه قيَّد حربُ بن أمية وسفيانُ وأبو سفيان ابنا أمية أنفسَهم كي لا يفروا فسُمُّوا العنابس[1] . ويوم الحُرَيْرة عند نخلة . ويوم الشَّرب انهزمت قيس إلا بني نصر منهم فإنهم ثبتوا . وكان انقضاء أمر الفجار على يدي عتبة بن ربيعة ، وذلك أن هوازن تواعدوا مع كنانة للعام المقبل بعكاظ فجاؤوا للوعد ، وكان حرب بن أمية رئيس قريش وكنانة ، وكان عتبة بن ربيعة يتيماً في حجره ، فضنَّ به حربٌ وأشفقَ من خروجه معه ، فخرجَ عتبةُ بغير إذنه فلم يشعروا إلا وهو على بعيره بين الصفين يُنادي : يا معشر مضر ، علام تفانون ؟ فقالت له هوازن : ما تدعو إليه ؟ قال : الصلح على أن ندفع لكم دية قتلاكم وتعفوا عن دمائنا . قالوا : وكيف ؟ قال : ندفع لكم رُهُناً منا ، قالوا : ومن لنا بهذا ؟ قال : أنا . قالوا : ومن أنت ؟ قال : أنا عتبة بن ربيعة بن عبد شمس . فرضوا به ورضيت به كنانة ، ودفعوا إلى هوازن أربعين رجلاً فيهم حكيم بن حزام ، فلما رأت بنو عامر بن صعصعة الرُّهن في أيديهم عفوا عن الدماء وأطلقوهم وانقضت حرب الفجار ، وزُعم أن النبي ﷺ لم يقاتل فيها[2] .

وروينا عن ابن سعد : أن النبي ﷺ شهدها وله عشرون سنة وقال : قال عليه الصلاة والسلام : « قد حضرته مع عمومتي ورميتُ فيه بأسهم ، وما أُحبُّ أني لم أكنْ

---

(١) « العنابس » : الأسود ، مفردها عَنْبس ، وهو فنعل من العبوس .

(٢) الروض الأنف ٢٠٩/١ ، وقال السهيلي : وإنما لم يُقاتل لأنها كانت حرب فجار ، وكانوا أيضاً كلهم كفار ، ولم يأذن الله لمؤمن أن يقاتل إلا لتكون كلمة الله هي العليا .

فعلتُ »[1] . وشهد رسول الله ﷺ حلف الفُضول منصرفَ قريش من الفِجار . قال محمد بن عمر : وكان الفِجار في شوال ، وهذا الحلف في ذي القعدة وكان أشرف حلف كان قطّ ، وأوّل من دعا إليه الزبير بن عبد المطلب ، فاجتمعت بنو هاشم وزهرة وبنو أسد بن عبد العزى في دار ابن جدعان ، فصنع لهم طعاماً فتعاقدوا وتعاهدوا بالله لنكونن مع المظلوم حتى يُؤدَّى إليه حقُّه ما بلَّ بحرٌ صوفة . وقال عليه الصلاة والسلام : « ما أحبُّ أنَّ لي بحلفِ حضرتُه في دارِ ابنِ جُدْعَان حُمْرَ النَّعَم وأني أغدر به ــ بعينه ــ »[2].

قال محمد بن عمر : ولا نعلم أحداً سبق بني هاشم بهذا الحلف[3] .

* * *

(١) طبقات ابن سعد ١٢٨/١ ، وتتمته « وكنت أُنبِّل على أعمامي » . وهو مرسل رواه ابن سعد عن محمد ابن عمر الواقدي .

(٢) رواه ابن إسحاق عن طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري ١٣٤/١ ، وابن سعد ١٢٩/١ ، والبيهقي ٣٨/٢ عن جُبير بن مطعم رضي الله عنه . وسنده قوي في أحد طرقه عند البيهقي في الدلائل .

(٣) الطبقات الكبرى ١٢٩/١ .

ذكر سفره عليه الصلاة والسلام إلى الشام مرة ثانية
وتزويجه خديجة بعد ذلك

قال ابن إسحاق : ولما بلغ رسولُ الله ﷺ خمساً وعشرين سنة تزوَّج خديجةَ بنت خويلد فيما ذكره غيرُ واحد من أهل العلم[1] .

وقال ابن عبد البر : وخرجَ رسولُ الله ﷺ إلى الشام في تجارة لخديجة سنة خمس وعشرين ، وتزوَّج خديجة بعد ذلك بشهرين وخمسة وعشرين يوماً في عقبِ صفرَ سنة ست وعشرين ، وذلك بعد خمس وعشرين سنة وشهرين وعشرة أيام من يوم الفيل[2] .

وقال الزهري : كانت سنُّ رسول الله ﷺ يوم تزوج خديجة إحدى وعشرين سنة . قال أبو عمر : وقال أبو بكر بن عثمان وغيره ، كان يومئذ ابن ثلاثين سنة . قالوا : وخديجة يومئذ بنت أربعين سنة .

وروينا عن أبي بشر[3] الدولابي ، قال : وحدثني ابن البُرْقي[4] أبو بكر ، عن ابن هشام ، عن غير واحد ، عن أبي عمرو بن العلاء ، قال : تزوَّج رسول الله ﷺ خديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة .

وروينا عن أبي الربيع بن سالم ، قال : وذكر الواقدي بإسناد له إلى نفيسة بنت[5] مُنْيَةَ أخت يعلى بن مُنية ، قال وقد رويناه أيضاً من طريق أبي علي بن السكن ، وحديث أحدهما داخلٌ في حديث الآخر مع تقارب اللفظ ، وربما زاد أحدُهما الشيء اليسيرَ على

---

(١) السيرة النبوية ١/١٨٧ .

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١/٢٣ على هامش الإصابة .

(٣) أبو بشر الدولابي : هو محمد بن أحمد بن حماد الأنصاري ، تقدمت ترجمته .

(٤) ابن البرقي : هو أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم ، صاحب التاريخ وراوي السيرة عن ابن هشام ، منسوب إلى برقة . نور النبراس لوحة ١٠٠ .

(٥) نفيسة بنت مُنية : قال أبو عمر : لها صحبة ورواية ، وقال ابن سعد : أمها مُنْيَة بنت جابر بن وهب ، أسلمت نفيسة بنت مُنْية ، وهي التي مشت بين خديجة والنبي ﷺ حتى تزوجها . الإصابة ٤/٤١٩ .

الآخر ، وكلاهما ينمي إلى نفيسة قالت : لما بلغ رسولُ الله ﷺ خمساً وعشرين سنة وليس له بمكة اسم إلا الأمين ، لما تكاملَ فيه من خصال الخير ، قال أبو طالب : يا ابن أخي ! أنا رجل لا مال لي وقد اشتد الزمانُ علينا وأُلحَّت علينا سنون منكرة ، وليس لنا مادة ولا تجارة ، وهذه عير قومك قد حضر خروجها إلى الشام ، وخديجة بنت خويلد تبعث رجالاً من قومك في عيرانها[1] فيتجرون لها في مالها ويُصيبون منافع ، فلو جئتها فوضعت[2] نفسك عليها لأسرعتْ إليك وفضلتك على غيرك ؛ لما يبلُغها عنك من طهارتِك ، وإن كنتُ لأكره أن تأتيَ الشام وأخافُ عليك من يهود ، ولكن لا نجد من ذلك بدّاً ، وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال كثير وتجارة ، وتبعث بها إلى الشام ، فتكون عيرُها كعامة عير قريش ، وكانت تستأجر الرجال وتدفع إليهم المال مضاربةً ، وكانت قريش قوماً تجاراً ، ومن لم يكن تاجراً من قريش فليس عندهم بشيء . فقال رسول الله ﷺ : فلعلَّها ترسلُ إليَّ في ذلك . فقال أبو طالب : إني أخافُ أن تولّي غيرَك ، فتطلبَ أمراً مُدبراً ، فافترقا .

وبلغَ خديجةَ ما كان من مُحاورةِ عمِّه له ، وقبل ذلك ما بلغَها من صدقِ حديثِه وعِظَمِ أمانتِه وكرمِ أخلاقه ، فقالت : ما علمتُ أنه يريد هذا ، ثم أرسلتْ له فقالت : إنه دعاني إلى البعثة إليك ما بلغني من صدق حديثِك وعِظَمِ أمانتِك وكرمِ أخلاقك ، وأنا أعطيك ضعفَ ما أُعطي رجلاً من قومك . ففعلَ رسولُ الله ﷺ ، ولقي أبا طالب فذكر له ذلك ، فقال : إنَّ هذا لرزقٌ ساقه الله إليك . فخرجَ مع غلامها مَيْسَرَةَ حتى قدمَ الشَّام ، وجعل عمومته يُوصون به أهل العير حتى قدم الشام ، فنزلا في سوق بُصرى في ظلِّ شجرةٍ قريباً من صومعةِ راهب يُقال له نسطورا ، فاطَّلع الراهبُ إلى ميسرةَ وكان يعرفُه ، فقال : يا ميسرةُ ! من هذا الذي نزلَ تحتَ هذه الشجرة ؟ فقال ميسرة : رجل من قريش من أهل الحرم . فقال له الراهب : ما نزلَ تحت هذه الشجرة إلا نبيّ . ثم قال له : في عينيه حمرةٌ ؟ قال ميسرةُ : نعم لا تُفارقه . قال الراهب : هُوَ هُوَ ، وهوآخرُ الأنبياء ، ويا ليتَ أني أدركُه حين يُؤمر بالخروج . فوعى ذلك ميسرة .

---

(١) « عَيْرانها » : جمع عِير ، وهي الدواب والإبل التي كانوا يُتاجرون لخديجة عليها .
(٢) « فوضعتَ » : عرضتَ .

ثم حضرَ رسولُ الله ﷺ سوقَ بُصرى فباعَ سِلعتَه التي خرج بها ، واشترى فكان بينه وبين رجل اختلاف في سِلْعة ، فقال الرجل : احلفْ باللات والعزى . فقال رسول الله ﷺ : ما حلفتُ بهما قطُّ . فقال الرجل : القول قولُك . ثم قال لميسرة — وخلا به — يا ميسرة ! هذا نبيّ ، والذي نفسي بيده ، إنه لهو تجدهُ أحبارُنا منعوتاً في كتبهم . فوعى ذلك ميسرة . ثم انصرفَ أهل العير جميعاً ، وكان ميسرةُ يرى رسولَ الله ﷺ إذا كانت الهاجرة واشتدَّ الحرُّ يرى ملكين يُظلانه من الشمس وهو على بعيره ، قال : وكان الله عز وجل قد ألقى على رسول الله ﷺ المحبَّةَ من ميسرةَ ، فكان كأنَّه عبدٌ لرسول الله ﷺ . فلما رجعوا وكانوا بمرِّ الظَّهْران[1] تقدم رسولُ الله ﷺ حتى دخل مكة في ساعة الظهيرة ، وخديجَةُ في عِلِّيَّةٍ لها ، معها نساءٌ فيهن نفيسةُ بنت مُنْية ، فرأتْ رسولَ الله ﷺ حين دخل وهو راكبٌ على بعيره ومَلكان يُظلاّن عليه ، فأرته نساءَها فعجبنَ لذلك ، ودخل عليها رسولُ الله ﷺ فخبَّرها بما ربحوا ، فسُرَّتْ بذلك ، فلما دخلَ عليها ميسرةُ أخبرته بما رأت ، فقال لها ميسرة : قد رأيتُ هذا منذ خرجنا من الشام ، وأخبرَها بقول الراهب نسطورا ، وقول الآخر الذي خالفه في البيع .

قالوا : وقدم رسولُ الله ﷺ بتجارتها ، فربحتْ ضعفَ ما كانت تربح ، وأضعفت له ما سمَّتْ له ، فلما استقرَّ عندَها هذا ، وكانت امرأةً حازمةً شريفةً لبيبةً مع ما أرادَ الله بها من الكرامة والخير ، وهي يومئذٍ أوسطُ نساء قريش نسباً ، وأعظمهُنَّ شرفاً ، وأكثرهُنَّ مالاً ، وكلُّ قومها كان حريصاً على نكاحِها لو يقدرُ عليه ، فعرضتْ عليه نفسَها ، فقالت له فيما يزعمون : يا ابن عم ! إني قد رغبتُ فيك لقرابتِك وسِطتِكَ[2] في قومِك وأمانتِك وحسنِ خُلقِك وصدقِ حديثِك ، فلما قالت ذلك له ، ذكر ذلك لأعمامه فخرجَ معه عمُّه حمزةُ بن عبد المطلب رضي الله عنه ، حتى دخل على خُويلد ابن أسد فخطبَها إليه ، فتزوجها .

---

(١) « مَرُّ الظهران » : هو وادٍ بين مكة وعُسفان الذي تسميه العامة ببطن مر ، وهو المشهور الآن بوادي فاطمة .

(٢) « سِطَتِكَ » : السِّطة : مصدر من الوسط ، كالعِدة من الوعد ، وهي الفضلُ والمكانة .

قال أبو الربيع : هكذا ذكر ابن إسحاق[1] . وذكر الواقدي وغيرُه من حديث نفيسةَ ؛ أن خديجةَ أرسلتْها إليه دسيساً[2] فدعتْه إلى تزويجها .

قلت : وقد روينا ذلك عن ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر بن واقد الأسلمي ، حدثنا موسى بن شيبة ، عن عُميرة بنت عبد الله بن كعب بن مالك ، عن أم سعد بنت سعد بن الربيع ، عن نفيسة بنت مُنْيَةَ ، قالت : كانتْ خديجةُ بنتُ خويلد امرأةً حازمةً جلدةً شريفة ، مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير ، وهي يومئذ أوسطُ نساء قريش نسباً ، وأعظمُهم شرفاً ، وأكثرُهم مالاً ، وكلُّ قومِها كان حريصاً على نكاحِها لو قدر على ذلك ، قد طلبوها وبذلوا لها الأموال ، فأرسلتني دسيساً إلى محمد بعد أن رجع في عيرها من الشام ، فقلت : يا محمد ! ما يمنعك أن تزوَّج ؟ قال : ما بيدي ما أتزوَّجُ به . قلت : فإن كفيتَ ذلك ، ودُعِيتَ إلى المال والجمال والشرف والكفاءة ، ألا تجيب ؟ قال : فمن هي ؟ قلت : خديجة . قال : فكيف لي بذلك ؟ قالت : قلتُ عليَّ . قال : فأنا أفعل . فذهبت فأخبرتها ، فأرسلتْ إليه أن ائتِ لساعةِ كذا وكذا ، فأرسلتْ إلى عمِّها عمرو بن أسد ليزوِّجَها ، فحضرَ ودخلَ رسولُ الله ﷺ في عمومتِه ، فزوَّجه أحدُهم ، فقال عمرو بن أسد : هذا الفحلُ لا يُقدعُ أنفه[3]. وتزوجها رسول الله ﷺ وهو ابنُ خمسٍ وعشرين سنة ، وهي يومئذ بنتُ أربعين سنة ، ولدتْ قبل الفيل بخمسَ عشرة سنة[4] .

وذكر ابن إسحاق أن أباها خويلد بن أسد هو الذي أنكحها من رسول الله ﷺ[5] .

وكذلك وجدته عن الزهري وفيه : وكان خُويلد أبوها سكران من الخمر ، فلما كُلِّم في ذلك أنكحها ، فألقت عليه خديجة حلةً وضمَّخَتْه بخلوق ، فلما صحا من سُكْره قال : ما هذه الحُلَّةَ والطِّيب ؟ فقيل له : أنكحتَ محمداً خديجة ، وقد ابتنى بها . فأنكر ذلك ثم رضيَه وأمضاه[6] .

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/١٨٧ — ١٩٠ ، والطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ١/١٣١ — ١٣٣ .
(٢) « دسيساً » : خفية .
(٣) « لا يُقدع أنفُه » : كريم لا يرد ، من قولهم : قدع فلان الفحل ؛ أي ضربَ أنفه بشيء ليرتد .
(٤) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ١/١٣١ — ١٣٢ وفيها « هذا البُضْعُ لا يُقْرَعُ أنفه » .
(٥) السيرة النبوية ١/١٩٠ .
(٦) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ١/١٣٣ .

وقال محمد بن عمر : الثبتُ عندنا المحفوظُ من أهل العلم أن أباها خويلد بن أسد مات قبل الفِجَار وأن عمَّها عمرو بن أسد زوَّجها رسولَ الله ﷺ[1]. ورأيتُ ذلك عن غير الواقدي . وقد قيل إنَّ أخاها عمرو بن خويلد هو الذي أنكحها منه ، والله أعلم .

وروينا عن أبي بشر الدولابي ، قال : حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، عن عبد الله بن وهب ، قال : أخبرني يُونس بن يزيد ، عن ابن شهاب الزهري ، قال : فلما استوى رسولُ الله ﷺ وبلغ أشدَّه ، وليس له كبير مال ، استأجرته خديجةُ بنت خويلد إلى سوق حُبَاشة ، وهو سوق بتهامة . واستأجرت معه رجلاً آخر من قريش . فقال رسولُ الله ﷺ وهو يُحدِّث عنها : ما رأيتُ من صاحبةٍ لأجير خيراً من خديجة ، ما كنا نرجعُ أنا وصاحبي إلا وجدنا عندها تُحفةً من طعام تَخْبَؤُه لنا .

وروينا عن أبي بشر محمد بن أحمد بن حماد ، قال : وحدثني أبو أسامة الحلبي ، حدثنا حجَّاج بن أبي منيع ، حدثنا جدي ، عن الزهري قال : تزوَّجتْ خديجةُ بنتُ خُويلد بن أسد قبلَ رسول الله ﷺ رجلين : الأول منهما عتيق بن عايذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فولدت له جاريةً ، وهي أم محمد بن صيفي المخزومي ، ثم خلفَ على خديجةَ بعد عتيق بن عايذ أبو هالة التميمي ، وهو من بني أُسَيِّد بن عمرو ، فولدت له هند بن هند .

كذا وقع في هذه الرواية : عتيق بن عايذ . والصواب عابد[2]، قاله الزبير . وسمَّى الزبيرُ الجاريةَ التي ولدتها منه : هنداً .

واسم أبي هالة : هند بن زرارة بن النَّبَّاش بن غُدَي[3] بن حُبيب بن صُرد بن سلامة ابن جروة بن أُسيّد بن عمرو بن تميم ، فيما رويناه عن الدولابي : حدثنا أبو الأشعث أحمد ابن المقدام العجلي ، حدثنا زهير بن العلاء ، حدثنا سعيد بن أبي عَروبة ، عن قتادة بن دعامة ، فذكره .

قال ابن إسحاق : وكانت خديجةُ قد ذكرت لورقةَ بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ،

---

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ١/١٣٣ .
(٢) « عابد » : بالباء الموحدة والدال المهملة .
(٣) « غُدَي » : بالمعجمتين .

وكان ابن عمها ، وكان نصرانياً قد تتبع الكتبَ ، وعلم من علم الناس ما ذكر لها غلامها ميسرةُ من قول الراهب ، وما كان يرى منه إذ كان المَلكان يُظلاَّنه . فقال ورقةُ : لئن كان هذا حقاً يا خديجة إن محمداً لنبيُّ هذه الأمة ، قد عرفتُ أنه كائن لهذه الأمة نبيّ يُنتظر ، هذا زمانه . أو كما قال[1] .

قال : فجعلَ ورقةُ يستبطيءُ الأمرَ ، وله في ذلك أشعارٌ ، منها ما رواه يُونس بن بُكير ، عن ابن إسحاق :

أتُبْكِـــرُ أم أنتَ العشيـــةَ رائـــحُ ... وفي الصَّدر من إضمارِكَ الحزنَ قادحُ
لفرقـــةِ قـــومٍ لا أحبُّ فِرَاقَهـــم ... كـأنَّكَ عنهم بعـدَ يـومين نــازحُ
وأخبـارِ صدقٍ خَبَّـرَتْ عـن محمّـدٍ ... يُخَبِّرُهَـا عنـه إذا غـابَ نَـاصِحُ
بـأن ابـنَ عبـد الله أحمدَ مـرسلٌ ... إلى كـلِّ من ضَمَّتْ عليه الأباطـحُ
وظني بـه أنْ سوفَ يُبعثُ صادقـاً ... كما أُرسلَ العَبْـدانِ هـودٌ وصالـحُ

في أبيات ذكرها[2] .

* * *

---

(١) السيرة النبوية ١/١٩١ .
(٢) الروض الأنف ؛ للسهيلي ١/٢٢٠ وقد بلغت اثني عشر بيتاً .

ذكر بنيان قريش الكعبة شرَّفَها الله تعالى

ولما بلغ رسول الله ﷺ خمساً وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة . قال موسى ابن عقبة : وإنما حمل قريشاً على بنائها أن السيل كان أتى من فوق الردم الذي صنعوه ، فأخربه ، فخافوا أن يدخلَها الماء ، وكان رجل يُقال له مُلَيْح سرقَ طِيْبَ الكعبة ، فأرادوا أن يشيدوا بنيانها ، وأن يرفعوا بابها حتى لا يدخل إلا من شاؤوا ، وأعدُّوا لذلك نفقةً وعمّالاً ، ثم عمدوا إليها ليهدموها على شفق وحذر من أن يمنعهم الله الذي أرادوا .

قال ابن إسحاق : ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنيانها[1]، كلِ قبيلة تجمع على حدة ، ثم بَنَوْها حتى بلغَ البنيان موضع الركن[2] ، فاختصموا فيه ، كلُّ قبيلة تُريد أن ترفعَه إلى موضعه دونَ الأخرى ، حتى تحاوروا[3] وتحالفوا وأعدوا للقتال ، فقرَّبت بنو عبد الدار جفنةً مملوءةً دماً ، ثم تعاقدوا هم وبنو عديّ على الموت ، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة ، فسُمُّوا لعَقَة الدم ، فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمساً .

ثم إنهم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا وتناصفوا ، فزعمَ بعضُ أهل الرواية أن أبا أميَّة ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكان عامئذٍ أسنَّ قريشٍ كلِّها ، قال : يا معشر قريش ؛ اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أوَّلَ من يدخلُ من باب هذا المسجد يقضي بينكم . ففعلوا ، فكان أوَّلَ داخلٍ رسولُ الله ﷺ ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، رضينا ، هذا محمد . فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبرَ . قال ﷺ : هلمَّ إليّ ثوباً . فأُتي به ، فأخذ الركن فوضعَه فيه بيده . ثم قال لتأخذ كلُّ قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوه جميعاً ، ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعَه وضعَه هو بيده ﷺ ، ثم بنى عليه .

---

(١) في « ب » والسيرة النبوية ١/١٩٦ : لبنائها .

(٢) « الركن » : الحجر الأسود ، وسُمي ركناً ؛ لأنه مبني في الركن .

(٣) « تحاوروا » : من المحاورة ، وهي المجاوبة والمجادلة ، وفي السيرة النبوية ١/١٩٦ « حتى تحاوزوا وتحالفوا » أي : صاروا فرقاً ، وانحازت كل قبيلة إلى جهة .

وحكى السهيلي : أنها كانت تسع أذرع من عهد إسماعيل ، يعني ارتفاعها ، ولم يكن لها سقف ، فلما بنتها قريشٌ قبل الإسلام زادوا فيها تسعَ أذرع ، فكانت ثماني عشرة ذراعاً ، ورفعوا بابها عن الأرض ، فكان لا يُصعدُ إليها إلا في درج أو سُلّمٍ ، وأوّل من عمل لها غَلَقاً[1] تُبَّعُ ، ثم لما بناها ابنُ الزبير زاد فيها تسع أذرع ، فكانت سبعاً وعشرين ذراعاً ، وعلى هذا هي إلى الآن[2] .

وكان بناؤها في الدهر خمسَ مراتٍ ، الأولى : حين بناها شيث بن آدم ، والثانية : حين بناها إبراهيم على القواعد الأولى ، والثالثة حين بنتها قريش قبل الإسلام بخمسة أعوام ، والرابعة : حين احترقت في عهد ابن الزبير بشررة طارت من أبي قُبَيْس ، فوقعت في أستارها ، فاحترقت . وقيل : إن امرأة أرادت أن تجمِّرَها فطارتْ شرارةٌ من المجمرة في أستارها فاحترقت ، فشاورَ ابنُ الزبير في هدمها من حضره ، فهابوا هدمها ، وقالوا : نرى أن تصلحَ ماوهَى ولا تهدم . فقال : لو أن بيتَ أحدكم احترق لم يرض له إلا بأكمل إصلاح ، ولا يكمل إصلاحُها إلا بهدمها ، فهدمَها حتى انتهى إلى قواعد إبراهيم ، فأمرهم أن يزيدوا في الحفر ، فحرَّكوا حجراً منها فرأوا تحته ناراً وهولاً أفزعهم ، فأمرهم أن يُقِرُّوا القواعدَ وأن يبنوا من حيث انتهى الحفر . وفي الخبر أنه سترها حين وصل إلى القواعد ، فطاف الناس بتلك الأستار ، فلم تخلُ من طائف ، حتى لقد ذُكر أن يوم قتل ابن الزبير اشتدت الحربُ واشتغلَ الناس فلم يُر طائفٌ يطوف بالكعبة إلا جملٌ يطوف بها . فلما استتمَّ بنيانَها ألصق بابها بالأرض وعمل لها خَلْفاً ، أي باباً آخر من ورائها ، وأدخلَ الحِجْر فيها ، وذلك لحديث حدَّثته به خالتُه عائشة ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ألم تري قومَكِ حين بنوا الكعبةَ اقتصروا على قواعد إبراهيم حين عجزتْ بهم النفقةُ ؟. ثم قال عليه الصلاة والسلام : لولا حِدْثَان[3] قومِك بالجاهلية لهدمتها وجعلت لها خَلْفاً ، وألصقتُ

---

(١) « غَلَقاً » : المِغْلاق ، وهو ما يُغلق به الباب .

(٢) الروض الأنف ١/٢٢١ .

(٣) « حِدْثان » : بكسر الحاء وسكون الدال ، أي قرب عهدهم بها . وهو مصدر حدث ، يقال : حدث حدوثاً وحِدثاناً ، كوجد وجداً ووجداناً .

بابها بالأرض ، ولأدخلت الحِجْرَ فيها[1] » أو كما قال عليه الصلاة والسلام . قال ابن الزبير : فليس بنا اليوم عجز عن النفقة ، فبناها على مقتضى حديث عائشة .

فلما قام عبد الملك بن مروان قال : لسنا من تخليط أبي خُبيب بشيء ، فهدمَها وبناها على ما كانت عليه في عهد رسول الله ﷺ : فلما فرغَ من بنائها جاءه الحارثُ بن أبي ربيعة المعروف بالقُبَاع ، وهو أخو عمر بن أبي ربيعة الشاعر ومعه رجل آخر ، فحدَّثاه عن عائشة عن رسول الله ﷺ بالحديث المتقدم ، فندمَ وجعلَ ينكت في الأرض بمِخْصَرة[2] في يده ويقول : وَدِدْتُ أني تركتُ أبا خبيب وما تحمَّلَ من ذلك . فهذه المرة الخامسة .

فلما قامَ أبو جعفر المنصور أراد أن يبنيها على ما بناها ابنُ الزبير ، وشاورَ في ذلك . فقال له مالك بن أنس ، أَنشُدك الله يا أمير المؤمنين وأن تجعل[3] هذا البيت ملعبةً للملوك بعدكَ ، لا يشاءُ أحدٌ منهم أن يُغيِّره إلا غيَّره ، فتذهبَ هيبتُه من قلوب الناس ، فصرَفه عن رأيه فيه[4] .

وقد قيل : إنه بُني في أيام جُرهم مرة أو مرتين ؛ لأن السيل كان قد صدعَ حائطَه ولم يكن ذلك بنياناً ، وإنما كان إصلاحاً لما وهى منه وجداراً يبنى بينه وبين السيل ، بناه عامر الجادر .

وكانت الكعبةُ قبل أن يبنيها شيث عليه السلام خيمةً من ياقوتة حمراء يطوفُ بها آدم ويأنس بها ؛ لأنها أُنزلت إليه من الجنة . وكان قد حجَّ إلى موضعها من الهند . وقد قيل أيضاً : إن آدمَ هو أوَّلُ من بناها . ذكره ابن إسحاق في غير رواية البكَّائيِّ . وفي الخبر

(١) رواه البخاري في الحج (باب فضل مكة وبنيانها) رقم /١٥٨٥/ ، ومسلم في الحج (باب نقض الكعبة وبنائها) رقم /١٣٣٣/ ، والموطأ في الحج (باب ما جاء في بناء الكعبة) ٣٦٣/١ ، والنسائي في الحج (باب بناء الكعبة) ٢١٤/٥ — ٢١٦ ، وهو عند أحمد في المسند ١١٣/٦ — ١٧٧ .

(٢) « مِخْصَرة » : ما يُتوكأ عليها كالعصا ونحوها ، وقضيب يُشار به في أثناء الخطابة والكلام .

(٣) « وأن تجعلَ » : معطوف على منفي محذوف ، والتقدير : أنشدك الله أن لا تفعل وأن تجعلَ ... إلخ .

(٤) الروض الأنف ، للسهيلي ٢٢١/١ — ٢٢٢ .

أن موضعها كان غُثَاءةً[1] على الماء قبل أن يخلق الله السمٰوات والأرض ، فلما بدأ الله يخلقُ الأشياءَ خلقَ التربةَ قبل السماء ، فلما خلق السماءَ وقضاهنَّ سبعَ سماواتٍ دَحَى الأرض ، أي : بسطهـا ، وذلك قولـه سبحانـه وتعـالى ﴿ والأرضَ بعـدَ ذلك دَحَاهَـا ﴾ [النازعات : ٣٠] . وإنما دحَاهَا من تحت مكـة ، ولـذلك سُميت أم القـرى . وفي التفسير : أن الله سبحانه حين قال للسماواتِ والأرض ﴿ ائتيا طَوْعاً أو كَرْهاً قالتَا أَتَيْنَا طَائِعين ﴾ [فصلت : ١١] لم يُجبْه بهذه المقالة إلا أرض الحرم ، فلذلك حرَّمها . وفي الحديث « أن الله حرَّم مكة قبلَ أن يخلقَ السماوات والأرض »[2] الحديث[3] .

* * *

(١) « غثاءة » : ما يحمله السيل من رغوة ومن فتات الأشياء على وجه الأرض ، وجمعها : أغثاء .
(٢) رواه البخاري في العلم (باب ليبلِّغ العلمَ الشاهد الغائبَ) رقم /١٠٤/ ، ومسلم في الحج (باب تحريم مكة وصيدها ..) رقم /١٣٥٣/ ، والترمذي في الحج (باب ماجاء في حرمة مكة) رقم /٨٠٩/ ، وابن ماجه في المناسك (باب فضل مكة) رقم /٣١٠٨/ ، وهو عند أحمد في المسند ٢٥٣/١ ، ٢٥٩ .
(٣) الروض الأنف ؛ للسُهيلي ٢٢٢/١ .

ذكر شيء مما حُفظ عن الأحبار والرهبان والكهان وعبدة الأصنام من أمر رسول الله ﷺ سوى ما تقدم

قال ابن إسحاق : وكانت الأحبارُ من يهود ، والرهبان من النصارى ، والكهان من العرب ، قد تحدَّثوا بأمر رسول الله ﷺ قبلَ مبعثه لما تقاربَ من زمانه . أما الأحبار من يهود والرهبان من النصارى فعما وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه ، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه . وأما الكهان من العرب فأتتهم به الشياطين فيما تسترق من السمع ؛ إذ كانت لا تُحجبُ عن ذلك ، وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر بعض أموره ، ولا تُلقي العرب لذلك فيه بالاً ، حتى بعثه الله ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون فعرفوها ، فلما تقاربَ أمر رسول الله ﷺ وحضرَ مبعثُه حُجبت الشياطين عن السمع وحِيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعدُ فيها لاستراقه ، فرُموا بالنجوم ، فعرف الجنُّ أن ذلك لأمر حدث من أمر الله في العباد . يقول الله تعالى لنبيِّه محمد ﷺ حين بعثه يقصُّ عليه خبرهم إذ حُجبوا : ﴿ قل أُوحِيَ إليَّ أنه استمعَ نفرٌ من الجنِّ فقالوا إنَّا سمعنا قرآناً عجباً . يهدي إلى الرُشْدِ فآمنا به ولن نُشركَ بربِّنا أحداً . وأنَّه تعالى جَدُّ رَبِّنَا ما اتَّخَذَ صاحِبَة ولا وَلَداً . وأنه كان يقولُ سفيهُنا على الله شَطَطَاً . وأنا ظَنَنا أن لن تقولَ الإنسُ والجِنُّ على الله كَذِباً . وأنه كانَ رجالٌ من الإنسِ يَعوذُون برجالٍ من الجِنِّ فزادُوهم رَهَقاً . وأنَّهم ظَنُّوا كما ظننتُم أن لن يبعثَ الله أحداً . وأنا لَمَسْنَا السماءَ فوجدنَاها مُلِئَتْ حَرَساً شديداً وشُهُباً . وأنَّا كُنَّا نقعدُ منها مقاعدَ للسَّمع فمنْ يَستمعِ الآنَ يجدْ له شهاباً رَصَداً . وأنَّا لا ندري أشرٌّ أُريدَ بمن في الأرضِ أم أرادَ بهم ربُّهم رَشَداً ﴾ [الجن : ١-١٠] .

فلما سمعت الجن القرآن عرفت أنها منعت من السمع قبل ذلك لئلا يُشكلَ الوحي بشيءٍ من خبر السماء فيُلبس على أهل الأرض ما جاءَهم من الله فيه لوقوع الحجة وقطع الشبهة ، فآمنوا به وصدَّقوا ثم ﴿ وَلَّوا إلى قومِهم مُنذرين . قالوا يا قومَنا إنَّا سَمِعْنَا كتاباً أُنزلَ من بعد مُوسى مُصَدِّقاً لما بَينَ يديْه يَهدي إلى الحقِّ وإلى طَريقٍ مُستقيم ﴾

[الأحقاف : ٢٩ ــ ٣٠](١). وقول الجنّ ﴿ وأنّه كانَ رِجالٌ من الإنسِ يَعوذونَ برجالٍ من الجِنّ ﴾ الآية [الجن : ٦] هو أنّ الرجلَ من العرب من قريش وغيرهم كان إذا سافر فنزلَ بطنَ وادٍ من الأرض ليبيتَ فيه قال : إني أعوذ بعزيز هذا الوادي من الجنّ الليلة من شرِّ ما فيه .

وذكر أن أوَّلَ العرب فزعَ للرمي بالنجوم حين رُمي بها ثقيف ، وأنهم جاؤوا إلى رجل منهم يُقال له عمرو بن أمية أحد بني عِلاج ، وكان أدهى العرب وأمكرها(٢) رأياً . فقالوا له : يا عمرو ! ألم ترَ ما حدث في السماء من القذف بهذه النجوم ؟ قال : بلى ، فانظروا فإن كانت معالم النجوم التي يُهتدى بها في البرِّ والبحر ، ويُعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء لما يُصلح الناس في معايشهم هي التي يُرمى بها ، فهو والله طيُّ هذه الدنيا وهلاكُ هذا الخلق الذي فيها ، وإن كانت نجوماً غيرَها وهي ثابتة على حالها ، فهذا لأمرٍ أرادَ الله بهذا الخلق(٣) .

وقد روى أبو عمر النمَري من طريق أبي داود ، حدثنا وهب بن بقية ، عن خالد ، ح(٤) وحدثنا محمد بن العلاء ، عن ابن إدريس(٥) ، كلاهما عن حُصين ، عن عامر الشعبي ، قال : لما بُعث النبيُّ ﷺ رُجمتِ الشياطينُ بنجوم لم يكن يُرجم بها قبلُ . فأتوا عبدَ يا ليل بن عمرو الثقفي ، فقالوا : إنَّ النَّاسَ قد فَزعوا ، وقد أعتقوا رقيقَهم وسيَّبوا أنعامَهم لما رأوا في النجوم . فقال لهم : وكان رجلاً أعمى ، لا تعجلوا وانظروا ، فإن كانت النجومُ التي تُعرف فهي عند فناء الناس ، وإن كانت لا تُعرف فهو من حدثٍ .

---

(١) الآيتان من سورة الأحقاف رقم ٢٩ و٣٠ وأولهما : ﴿ وإذْ صَرَفْنَا إليكَ نَفَراً من الجِنِّ يستمعون القرآنَ فلمَّا حَضَروُه قالوا أنصتوا فلما قُضِيَ وَلَّوا إلى قومهم مُنذرين ... ﴾ .

(٢) كذا في الأصل وفي « ب » ، أما في « ج » و« د » والسيرة النبوية ٢٠٦/١ « وأنكرها رأياً » من قولهم : نَكِرَ فلان نَكَراً ونُكراً ونكارةً : فَطِن وجاد رأيه .

(٣) السيرة النبوية ٢٠٤/١ ــ ٢٠٧ وفي نهاية الخبر « فهذا لأمرٍ أرادَ اللهُ بهذا الخلق ، فما هو ؟ » .

(٤) « ح » تحويل السند .

(٥) ابن إدريس : هو عبد الله بن إدريس بن يزيد الأودي ، أحد الأعلام ، روى عن أبيه ، وعن داود وحصين وهشام بن عروة ، وروى عنه أحمد وإسحاق والعطاردي وغيرهم ، روى له الجماعة . توفي سنة ١٩٣هـ . نور النبراس لوحة ١١٧/١ .

فنظروا فإذا هي نجومٌ لا تُعرف . فقالوا : هذا من حدثٍ . فلم يلبثوا حتى سمعوا بالنبيِّ ﷺ[1] .

وروينا من طريق مسلم ، حدثنا الحسن بن علي الحلواني ، وعبد بن حُميد ، قال حسن : حدثنا يعقوب ، وقال عبد : حدثني يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، حدثنا أبي ، عن صالح ، عن ابن شهاب ، قال : حدثني عليُّ بن حُسين أنَّ عبدَ الله بن عباس قال : أخبرني رجلٌ من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار ، أنهم بينما هم جلوسٌ ليلةً مع رسول الله ﷺ رُمي بنجمٍ فاستنار ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « ما كنتُم تقولون في الجاهلية إذا رُمي بمثل هذا ؟ » قالوا : الله ورسولُه أعلمُ ، كنَّا نقولُ : وُلد الليلةَ رجلٌ عليمٌ وماتَ رجلٌ عظيم . فقال رسول الله ﷺ : « فإنها لا يُرمى بها لموتِ أحدٍ ولا لحياتِه ، ولكنَّ ربَّنا تباركَ اسمُه إذا قضى أمراً سبَّح حملةُ العرش ، ثم سبَّح أهلُ السماء الذين يَلونهم ، حتى يبلغَ التسبيحُ أهلَ هذه السماءِ الدنيا ، ثم قال الذين يَلُون حملةَ العرش لحملةِ العرشِ : ماذا قالَ ربُّكم ؟ فيُخبرونَهم ماذا قال . فيستخبرُ بعضُ أهل السماوات بعضاً حتى يبلغَ الخبرُ هذه السماء الدنيا ، فتخطفُ الجِنُّ السمعَ فَيقذفونَ إلى أوليائهم ، ويُرمون ، فما جاؤوا به على وجهه فهو حقٌّ ، ولكنَّهم يَقذفونَ فيه ويَزيدون »[2] .

أخبرنا أبو محمد بن إسماعيل المسكي قراءةً عليه وأنا أسمعُ ، أخبرنا أبو عبد الله بن أبي المعالي بن محمد بن الحسين نزيل الاسكندرية سماعاً ، أخبرنا أحمد بن محمد الشافعي قراءة عليه وأنا أسمع ، أخبرنا أحمد بن علي بن الحسين ، أخبرنا الحسن بن أحمد ، أخبرنا عبد الله ابن جعفر ، أخبرنا يعقوب بن سفيان ، حدثنا يوسف بن حماد[3] المَعْنِي ، حدثنا

(١) الخبر مرسل من كلام الشعبي ، قال في « نور النبراس » : وهذا ليس في شيء من الكتب الستة ، ولا في مراسيل أبي داود ، والله أعلم . لوحة ١١٨ .

(٢) رواه مسلم في كتاب السلام (باب تحريم الكِهانة وإتيان الكهان) رقم /٢٢٢٩/ والترمذي في التفسير (باب ومن سورة سبأ) رقم /٣٢٢٢/ ، وهو عند أحمد في المسند رقم /١٨٨٢/ و/١٨٨٣/ تخريج وشرح الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى .

(٣) يوسف بن حماد : المَعْني ، نسبة إلى مَعْن بن زائدة ، وهو جدُّه ، روى عن حماد بن زيد وعبد الوارث ، وعنه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة ، ثقة توفي سنة ٢٤٨ هـ . نور النبراس لوحة ١/١١٨ .

عبد الأعلى ، عن محمد بن إسحاق ، ح وروينا من طريق البكّائي ، عن ابن إسحاق ، ومعناهما واحد ، وهذا اللفظ للبكّائي عن ابن إسحاق ، قال : وحدثني صالح[1] بن إبراهيم ، عن محمود بن[2] لبيد ، عن سلمةَ بن سلامة بن وَقَش[3] ، وكان من أصحاب بدر ، قال : كان لنا جارٌ من يهود من بني عبد الأشهل ، فذكرَ القيامةَ والبعثَ والحسابَ والميزانَ والجنَّةَ والنَّار ، فقال ذلك لقومٍ أهلِ شركٍ أصحابِ أوثانٍ لا يرون أن بعثاً كائن بعد الموت . فقالوا له : ويحك يا فلان ! أوترى هذا كائناً أن النَّاسَ يُبعثون بعد موتهم إلى دارٍ فيها جنّة ونار يُجزون فيها بأعمالهم ؟! قال : نعم والذي يُحلف به ، ولودَّ أن له بحظِّه من تلك النَّار أعظمَ تنور في داره يَحمُونه ثم يُدخلونه إياه فيُطبقونَه عليه بأن ينجوَ من تلك النَّار غداً . فقالوا له : ويحك يا فلان ! وما آيةُ ذلك ؟ قال : نبيٌّ مَبعوثٌ من نحو هذه البلاد وأشارَ بيده إلى مكة واليمن . فقالوا : ومتى[4] نراه ؟ فنظر إلي وأنا من أحدثهم سِنَّاً ، فقال : إن يستنفدْ هذا الغلامُ عمرَه يُدركْه . قال سلمة : فوالله ما ذهبَ الليل والنَّهار حتى بعثَ الله رسولَه محمداً ﷺ وهو بين أظهرنا ، فآمنا به وكفرَ به بغيَاً وحَسَداً ، فقلنا له : ويحك يا فلان : ألستَ الذي قلتَ لنا فيه ما قلتَ ؟ قال : بلى ولكنْ ليس به[5] .

وروينا عن محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني الحجاج بن صفوان ، عن أبي حسين ، عن شهر بن حَوْشب ، عن عمرو بن عَبَسة السُّلَمي قال : رغبتُ عن آلهة قومي في الجاهلية ، وذلك أنَّها باطلٌ ، فلقيتُ رجلاً من أهل الكتاب من

---

(١) صالح بن إبراهيم : بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، أبو عبد الرحمن المدني ، ثقة ، روى له البخاري ومسلم ، توفي قبل سنة مائة وعشرين ، في ولاية إبراهيم بن هشام . تقريب التهذيب ص ٢٧١ .

(٢) محمود بن لبيد : أخي بَني عبد الأشْهل ، أبو نعيم المدني ، صحابي صغير ، وجُلّ روايته عن الصحابة ، توفي سنة ٩٦ هـ . تقريب التهذيب ص ٥٢٢ .

(٣) وَقَش : بفتح الواو والقاف ، وإسكانها ، وبالشين المعجمة ، وسلمة : صحابي عقَبيّ بدريّ مشهور رضي الله عنه . نور النبراس لوحة ١/١١٨ .

(٤) في « ج » و « د » : قالوا له : ومتى نراه ؟

(٥) السيرة النبوية ٢١٢/١ ، ودلائل النبوة ؛ للبيهقي ٧٨/٢ — ٧٩ ، وأخرجه أحمد في المسند ٤٦٨/٣ عن يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، فذكره .. كما أخرجه الحاكم في المستدرك ٤١٧/٣ وقال : صحيح على شرط مسلم ، وأقره الذهبي .

أهل تَيْمَاء ، فقلت : إني امرؤ ممن يعبدُ الحجارةَ ، فينزلُ الحيُّ ليس معهم إلٓه ، فيخرجُ الرجلُ منهم فيأتي بأربعةِ أحجارٍ فينصبُ ثلاثةً لقدرِه ويجعلُ أحسنَها إلٓهاً يعبدُه ، ثم لعلّه يجدُ ما هو أحسنَ منه قبل أن يرتحلَ فيتركَه ويأخذَ غيرَه إذا نزلَ منزلاً سواه ، فرأيتُ أنه إلٓه باطلٌ لا ينفعُ ولا يضرُّ ، فدلّني على خير من هذا . فقال : يخرجُ من مكة رجلٌ يرغبُ عن آلهة قومه ويدعو إلى غيرها ، فإذا رأيتَ ذلك فاتَّبِعْه ، فإنه يأتي بأفضل الدين . فلم يكن لي همّة منذ قال لي ذلك إلا مكة ، فآتي فأسأل هل حدثَ فيها حدثٌ ؟ فيقال لا . ثم قدمت مرة فسألت ، فقالوا : حدث فيها رجل يرغب عن آلهة قومه ، ويدعو إلى غيرها ، فشددت راحلتي برحلها ، ثم قدمت منزلي الذي كنت أنزل بمكة ، فسألت عنه فوجدته مستخفياً ، ووجدت قريشاً عليه أشداء ، فتلطفت له حتى دخلت عليه ، فسألته فقلت : أي شيء أنت ؟ قال : نبي . قلت : ومن أرسلك ؟ قال : الله . قلت : وبم أرسلك ؟ قال : بعبادة الله وحده لا شريك له ، وبحقن الدماء ، وبكسر الأوثان ، وصلة الرحم ، وأمان السبيل . فقلت : نعم ما أُرسلت به ، قد آمنت بك وصدقتك . أتأمرني أن أمكث معك أو أنصرف ؟ فقال : ألا ترى كراهة الناس ما جئتُ به ، فلا تستطيع أن تمكث ، كن في أهلك ، فإذا سمعت بي قد خرجت مخرجاً فاتبعني ، فمكثت في أهلي حتى إذا خرج إلى المدينة سرت إليه فقدمت المدينة ، فقلت : يا نبي الله ! أتعرفني ؟ قال : نعم أنت السُّلَمي الذي أتيتني بمكة وذكر باقي الحديث[1] .

وروينا عن ابن إسحاق قال : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة[2] ، عن رجال من قومه قالوا : إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله لنا وهداه ، ما كنا نسمعُ من أحبار يهود ، كنَّا أهلَ شرك أصحابَ أوثان ، وكانوا أهلَ كتاب ، عندهم علم ليس لنا ، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فإذا نلنا منهم بعضَ ما يكرهون قالوا لنا : إنه قد تقاربَ زمانُ نبيٍّ يُبعث الآن يقتلُكُم قتلَ عاد وإرم ، فكنّا كثيراً ما نسمعُ ذلك منهم ، فلما بعثَ الله

---

(١) الطبقات الكبرى ٤/٢١٤ .

(٢) عاصم بن عمر بن قتادة : بن النعمان ، أبو عمر الظَّفري الأنصاري المدني ، جده من فضلاء الصحابة ، حدث عن ابن إسحاق ، وكان عارفاً بالمغازي ، وثقه أبو زرعة والنسائي وغيرهما ، توفي سنة ١١٩ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ٥/٢٤٠ .

رسولَه محمداً ﷺ أجبناه حين دعانا إلى الله عز وجل ، وعرفنا ما كانوا يتواعدُوننا به ، فبادرناهم إليه فآمنا به وكفروا ، ففي ذلك نزلتْ هذه الآيات في البقرة ﴿ ولما جاءَهم كتابٌ من عند الله مُصَدِّقٌ لما معهم وكانُوا من قبلُ يستفتحونَ على الذين كفروا فلما جاءَهم ما عَرفوا كفروا به فلعنةُ الله على الكافرين ﴾[1] [البقرة : ٨٩] .

وذكر الواقديُّ عن عطاء بن يسار ، قال : لقيتُ عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقلت : أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة . قال : أجل ، والله إنه لموصوفٌ في التوراة ببعض صفته في القرآن ، يا أيُّها النبيُّ إنا أرسلناكَ شاهداً ومُبَشِّراً ونذيراً وحِرزاً للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سمَّيتك المتوكل ، ليس بفظٍّ ولا غليظ ولا سَخَّابٍ في الأسواق ، ولا يدفعُ السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضَه الله حتى يُقيمَ به المِلَّة العَوْجَاءَ بأن يقولوا لا إله إلا الله ، يفتحُ بها أعيناً عمياً ، وآذاناً صُمّاً ، وقُلوباً غُلْفاً . قال عطاء : ثم لقيتُ كعبَ الأحبار فسألتُه فما اختلفا في حرف[2] .

وروينا عن ابن إسحاق قال : وحدثني عاصم بن عمر ، عن شيخ من بني قريظة ، قال : قال لي : هل تدري عمَّ كان إسلامُ ثعلبة بن سَعْيَة ، وأُسيد بن سعية[3] ، وأُسيد ابن عُبيد ، نفر من هَدْل[4] ، إخوة قريظة ، كانوا معهم في جاهليتهم ، ثم كانوا ساداتهم في الإسلام ؟ قال : قلت : لا . قال : فإن رجلاً من يهود من أهل الشام يقال له ابن الهَيِّبان ، قدم علينا قبل الإسلام بسنين ، فحلَّ بين أظهرنا ، لا والله ما رأينا رجلاً قط لا يُصلِّي الخمسَ[5] أفضل منه ، فأقام عندنا فكنا إذا قَحِط المطر قلنا له : اخرج يا ابن

---

(١) السيرة النبوية ١/٢١١ — ٢١٢ .
(٢) طبقات ابن سعد ٢/٣٦٢ ، وفي إسناده الواقدي ضعيف ، وفي مسند الإمام أحمد أن وَهْبَ بن عبد الله سأل عبد الله بن عمرو بن العاص ، وفي الإسناد ابن لهيعة ضعيف أيضاً ، وعَلَّق البخاري في البيوع سؤال عطاء لعبد الله بن سلام ، ووصله ابن حجر في تغليق التعليق ٣/٢٣٤ وقال : ولحديث ابن سلام شاهد رواه ابن سعد في الطبقات . وانظر المسند ٢/١٧٤ .
(٣) أسيد بن سعية : كذا في الأصول ، وقيل أسد ، أو أُسَيْد . نور النبراس لوحة ١٢١ .
(٤) بنو هَدْل : فرع مستقل من يهود ، كانوا على حلف مع بني قُريظة .
(٥) « لا يُصلِّي الخمس » : يريد ما رأينا رجلاً غير مسلم أفضل منه .

الهَيِّبان فاستسق لنا . فيقول : لا والله حتى تقدموا بين يدي نجواكم صدقة . فنقول له : كم ؟ فيقول : صاعاً من تمر أو مدين من شعير ، فنخرجها ، ثم يخرج بنا إلى ظاهر حرتنا فيستسقي لنا ، فوالله ما يبرح مجلسَه حتى يمرَّ السحابُ ونُسقى ، قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث ، ثم حضرته الوفاة عندنا ، فلما عرف أنه ميت قال : يا معشر يهود ! ما ترونه أخرجني من أمر الخمر[1] والخمير إلى أرض البؤس والجوع ، فقلنا : أنت أعلم . قال : فإنما قدمت هذه البلدة أتوَكَّفُ[2] خروج نبي قد أظلَّ زمانه ، وهذه البلدة مهاجره ، فكنت أرجو أن يبعث فأتّبعه ، وقد أظلكم زمانه ، فلا تسبقن إليه يا معشر يهود ، فإنه يُبعث بسفك الدماء ، وسبي الذراري والنساء ممن خالفه ، فلا يمنعنكم ذلك منه ، فلما بَعث الله رسوله محمداً ﷺ وحاصر بني قريظة ، قال هؤلاء الفتية — وكانوا شباناً أحداثاً — : يا بني قريظة ؛ والله إنه للنبي الذي عهد إليكم فيه ابن الهَيِّبان . قالوا : ليس به . قالوا : بلى والله إنه لهو بصفته ، فنزلوا وأسلموا ، فأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم[3] .

وذكر الواقدي عن النعمان السَّبَئي[4] ، قال : وكان من أحبار يهود باليمن ، فلما سمع بذكر النبي ﷺ قدم عليه ، فسأله عن أشياء . ثم قال : إن أبي كان يختم على سِفْرٍ يقول : لا تقرأه على يهود حتى تسمع بنبيٍّ قد خرج بيثربَ ، فإذا سمعت به فافتحه . قال نعمان : فلما سمعت بك فتحت ذلك السفر فإذا فيه صفتك كما أراك الساعة ، وإذا فيه ما تُحِلُّ وما تُحَرِّم ، وإذا فيه أنك خيرُ الأنبياء ، وأمتك خير الأمم ، واسمك أحمد صلى الله عليك

---

(١) « الخَمَر » : بفتح الميم ، ومثلها : الخَمَار : الجماعة الكثيرة من الناس ، والعبارة تشير إلى ما كان عليه في بلاده في وَفْر ووفرة .

(٢) « أتَوَكَّفُ » : من قولهم : توكَّف فلان الخبر : توقعه وسأل عنه .

(٣) السيرة النبوية ٢١٣/١ — ٢١٤ . ودلائل النبوة ؛ لأبي نُعيم ٢٣/٢ — ٢٤ وللبيهقي ٨٠/٢ — ٨١ عن ابن إسحاق ، وفي إسناده انقطاع ، فهو ضعيف .

(٤) « السَّبَئي » : نسبة إلى سبإ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

وسلم ، وأمتك الحمّادون ، قربانهم[1] دماؤهم ، وأناجيلهم[2] صدورهم ، لا يحضرون قتالاً إلا وجبريل معهم ، يتحنن الله عليهم كتحنن الطير على أفراخه ، ثم قال لي : إذا سمعت به فاخرجْ إليه وآمن به وصدق به ، فكان النبي ﷺ يحب أن يسمع أصحابُه حديثَه ، فأتاه يوماً فقال له النبي ﷺ : يا نعمان ! حدثنا . فابتدأ النعمان الحديث من أوله ، فرئيَ رسولُ الله ﷺ يتبسم ثم قال : أشهد أني رسول الله . ويُقال : إن النعمان هذا هو الذي قتله الأسود العنسي ، وقطّعه عضواً عضواً وهو يقول : أشهد أن محمداً رسول الله وأنك كذاب مفتر على الله عز وجل ، ثم حرّقه بالنار[3] .

أخبرنا الشيخان أبو الفضل عبد الرحيم بن يوسف بن يحيى المَوْصلي ، وأبو الهيجاء غازي بن أبي الفضل بن عبد الوهاب قراءة على الأول وأنا أسمع ، وبقراءتي على الثاني ، قالا : أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن معمر بن طبرزد الدارَقَزّي[4] قراءةً عليه ، قال الأول : وأنا في الخامسة ، وقال الثاني : وأنا أسمعُ . قال : أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن الحصين الشيباني ، قال : أخبرنا أبو طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان البزاز ، قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي ، حدثنا محمد بن يونس ، حدثنا يعقوب بن محمد الزهري ، حدثنا عبد العزيز بن عمران ، عن عبد الله بن جعفر ، عن أبي عون ، عن المسور بن مخرمة ، عن ابن عباس ، عن أبيه العباس ابن عبد المطلب ، قال : قال لي أبي عبد المطلب بن هاشم : خرجتُ إلى اليمن في رحلة الشتاء والصيف ، فنزلت على رجل من اليهود يقرأ الزبور[5] ، فقال : يا عبد المطلب بن

---

(١) « قربانهم دماؤهم » : يتقربون إلى الله تعالى بإراقة دمائهم في الجهاد .

(٢) في « ج » و« د » وهامش « ب » : أناجيلهم في صدورهم .

(٣) الطبقات الكبرى ٥/٥٣٥ .

(٤) الدارَقَزّي : نسبة إلى دار القز ، محلة ببغداد ، لبيع القز ؛ كالدارقطنّي منسوباً إلى دار القطن ، وهو عمر ابن محمد بن معمر بن أحمد بن يحيى ، أبو حفص البغدادي ابن طبرزذ . انظر سير أعلام النبلاء ٢١/٥٠٧ .

(٥) « الزبور » : هو في اللغة بمعنى الكتاب ، والمراد به هنا : التوراة كتاب اليهود ، لا زبور داود عليه السلام .

هاشم ! ائذن لي أنظر في بعض جسدك . قال : قلت انظر ما لم يكن عورة . قال : فنظر في مَنْخِري ، قال : أجد في إحدى منخريك مُلْكاً وفي الأخرى نبوّة ، فهل لك من شاعة ؟ قال : قلت : وما الشاعة ؟ قال : الزوجة . قال : قلت : أما اليوم فلا . قال : فإذا قدمت مكة فتزوج . قال : فقدم عبد المطلب مكة فتزوج هالة بنت وهيب بن زُهرة ، فولدت له حمزة وصفية ، وتزوج عبد الله آمنة بنت وهب ، فولدت له رسولَ الله ﷺ ، فكانت قريش تقول : فلج[1] عبد الله على أبيه .

* * *

(١) « فَلَجَ » : ظهرَ وفازَ .

خبر إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه(١)

روينا عن ابن إسحاق ، قال : حدثني عاصم(٢) ، عن محمود ، عن ابن عباس قال : حدثني سلمان الفارسي من فِيه ، قال : كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان من قرية يُقال لها جَيّ(٣) ، وكان أبي دِهْقان(٤) قريته ، وكنتُ أحبَّ خلق الله إليه ، ولم يزل حبُّه إياي حتى حبسني في بيت كما تُحبس الجارية ، واجتهدت في المجوسية حتى كنت قَطِنَ(٥) النار الذي يُوقدها ، لا يتركها تخبو ساعة ، وكانت لأبي ضيعة عظيمة ، فشغل في بنيان له يوماً ، فقال لي : يا بني إني قد شغلت في بنياني هذا اليوم عن ضيعتي ، فاذهب إليها فاطْلُعها(٦) ، وأمرني فيها ببعض ما يريد ، ثم قال لي : ولا تحتبس عني فإنك إن احتبست عني كنت أهم إلي من ضيعتي ، وشغلتني عن كل أمر من أمري . فخرجتُ أريد ضيعته التي بعثني إليها ، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى ، فسمعت أصواتهم فيها وهم يُصلّون ، وكنت لا أدري ما أمرُ الناس ، لحبس أبي إياي في بيته ، فلما سمعتُ أصواتهم دخلتُ عليهم أنظرُ ما يصنعون ، فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم ، ورغبت في أمرهم وقلت هذا والله خير من الذي نحن عليه ، فوالله ما برحتُهم حتى غربت الشمس ، وتركت ضيعة أبي فلم آتها ، ثم قلت لهم أين أصلُ هذا الدين ؟ قالوا : بالشام . فرجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي ، وشغلته عن عمله كله ، فلما جئته قال : أي بني ! أين كنتَ ؟ ألم أكن عهدتُ إليك ما عهدتُ ؟ قلت : يا أبت ! مررت بالناس يُصلُّون في كنيسة لهم فأعجبني ما رأيتُ من

---

(١) كذا في « ج » وفي « أ » و « ب » : خبرُ سلمان الفارسيّ . وفي « د » ونور النبراس : إسلامُ سلمانَ الفارسيّ .

(٢) عاصم : هو عاصم بن عمر بن قتادة الإمام العلامة في المغازي ، تقدمت ترجمته .

(٣) « جَيّ » : في معجم البلدان ٢/٢٠٢ اسم مدينة في ناحية أصبهان القديمة ، وتسمى الآن « شهرستان » .

(٤) « دِهقانُ قريته » : رئيس القرية ، وهو صاحب أملاك زراعية وأتباع .

(٥) « قَطِنَ النار » : خادمها .

(٦) « فاطْلُعْها » : انظر فيها .

دينهم ، فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس . قال : أي بني ! ليس في ذلك الدين خيرٌ ، دينك ودين آبائك خيرٌ منه . فقلت له : كلا والله ، إنه لخير من ديننا . قال : فخافني ، فجعلَ في رجليَّ قيداً ، ثم حبسني في بيته .

(رحلته في طلب الحق) :

وبعثت إلى النصارى ، فقلت لهم : إذا قدم عليكم ركبٌ من الشام فأخبروني بهم . فقدم عليهم تجارٌ من النصارى فأخبروني ، فقلت لهم : إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فآذنوني بهم . قال : فلما أرادوا الرجعة أخبروني بهم ، فألقيتُ الحديدَ من رجليَّ ، ثم قدمتُ معهم حتى قدمتُ الشام .

(مع أسقف الشام) :

فلما قدمتُها قلت : مَنْ أفضلُ أهل هذا الدين علماً ؟ قالوا الأسقف[1] في الكنيسة . فجئتُه فقلت له : إني قد رغبت في هذا الدين ، وأحببت أن أكونَ معك ، فأخدمَك في كنيستك ، وأتعلَّم من علمك ، وأصلِّي معك . قال : ادخل فدخلت معه . فكان رجلَ سوءٍ يأمُرهم بالصدقة ويرغِّبهُم فيها ، فإذا جمعوا إليه شيئاً منها اكتنزَه لنفسه ولم يعطِه المساكين ، حتى جمعَ سبعَ قِلالٍ من ذهبٍ وورِق ، فأبغضتُه بغضاً شديداً لما رأيته يصنع ، ثم مات واجتمعت النصارى ليدفنوه . قلت لهم إن هذا كان رجلَ سوء يأمُركم بالصدقة ويرغبكم فيها ، فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ، ولم يعط المساكين منها شيئاً . فقالوا لي : وما علمُك بذلك ؟ قلت : أنا أدلُّكم على كنزه . فأريتُهم موضعَه ، فاستخرجوا سبعَ قلالٍ مملوءةٍ ذهباً وورِقاً ، فلما رأوها قالوا : والله لا ندفنه أبداً ، فصلبوه ورمَوْه بالحجارة .

وجاؤوا برجل آخر فجعلوه مكانه ، فما رأيت رجلاً لا يصلي[2] الخمس أُرى أنه أفضلُ منه ، وأزهدُ في الدنيا ، ولا أرغبُ في الآخرة ولا أدأبُ ليلاً ونهاراً منه ، فأحببته حباً لم أحبّه شيئاً قبله ، فأقمت معه زماناً ، ثم حضرته الوفاة ، فقلت له : يا فلان ! إني

---

(١) « الأسقفُ » : بتشديد الفاء وتخفيفها ، عالم رئيس ، من علماء النصارى ورؤسائهم .

(٢) انظر تعليقنا رقم (٥) ص ١٣٠ في شرح مثل هذه العبارة .

قد كنت معك وأحببتُك حباً شديداً لم أحبه شيئاً قبلك ، وقد حضركَ من الأمر ما ترى فإلى من تُوصي بي ؟ وبم تأمُرني ؟ فقال : أي بني ! والله ما أعلم أحداً على ما كنتُ عليه ، ولقد هلكَ الناس ، وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه إلا رجلاً بالمَوْصل ، وهو فلان ، وهو على ما كنتُ عليه .

(مع أسقف الموصل) :

فلما مات وغُيِّبَ لحقتُ بصاحب المَوْصل ، فقلت له : يا فلان ! إن فلاناً أوصاني عند موته أن ألحقَ بك ، وأخبرني أنك على أمره . فقال لي : أقم عندي ، فأقمت عنده ، فوجدته خيرَ رجلٍ ، على أمر صاحبه ، فلم يلبث أن مات ، فلما حضرته الوفاةُ قلت : يا فلان ! إن فلاناً أوصى بي إليك وأمرني باللحوق بك ، وقد حضرك من أمر الله ما ترى ، فإلى من توصي بي ؟ وبم تأمرني ؟ قال : يا بني والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه إلا رجلاً بنَصِيبين ، وهو فلان ، فالحق به .

(مع أسقف نصيبين) :

فلما مات وغيِّب لحقت بصاحب نَصيبين ، فأخبرته خبري وما أمرني به صاحبي . فقال أقم عندي ، فأقمت عنده ، فوجدته على أمر صاحبه ، فأقمت مع خير رجل ، فوالله ما لبث أن نزل به الموت ، فلما حُضِرَ قلت له : يا فلان ؟ إن فلاناً كان أوصى بي إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إليك ، فإلى من توصي بي ؟ وبم تأمرني ؟ قال : يا بني والله ما أعلم بقي أحدٌ على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجلاً بعمُّوريّة من أرض الروم فإنه على مثل ما نحن عليه ، فإن أحببت فأته .

(مع أسقف عمّورية) :

فلما مات وغيِّب لحقت بصاحب عمّورية فأخبرته خبري . فقال : أقم عندي ، فأقمتُ عند خير رجل ، على هدي أصحابه وأمرهم ، واكتسبت حتى كانت لي بقرات وغُنيمة ، ثم نزل به أمر الله ، فلما حُضر قلت له:يا فلان إني كنت مع فلان فأوصى بي إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إليك ، فإلى من توصي بي ؟وبم

تأمرني ؟ قال : أي بني ! والله ما أعلمه أصبح على مثل ما كنا عليه أحد من الناس ، آمرك أن تأتيه ، ولكنه قد أظلَّ زمان نبي مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب ، مُهاجره إلى أرضٍ بين حرتين بينهما نخل ، به علامات لا تخفى ، يأكل الهدية ، ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوة ، فإن استطعت أن تلحقَ بتلك البلاد فافعل . ثم مات وغُيِّب .

(إلى وادي القرى) :

فمكثت بعمّورية ما شاء الله أن أمكثَ ، ثم مرَّ بي نفر من كلب تجار ، فقلت لهم : احملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه ، فقالوا : نعم . فأعطيتهموها وحملوني معهم ، حتى إذا بلغوا وادي القرى ظلموني ، فباعوني من رجل يهوديّ ، فكنت عنده ، فرأيتُ النخلَ ، فرجوتُ أن يكون البلدة التي وصف لي صاحبي ولم يحقَّ في نفسي[1] .

(في المدينة) :

فبينا أنا عنده إذ قدم عليه ابن عمٍّ له من بني قُريظة من المدينة ، فابتاعني منه ، فحملني إلى المدينة ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي ، فأقمتُ بها .

وبُعث رسولُ الله ﷺ ، وأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق ، ثم هاجر إلى المدينة ، فوالله إني لفي رأس عَذْقٍ[2] لسيدي أعمل له فيه بعض العمل ، وسيدي جالس تحتي ، إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه . فقال : يا فلان ! قاتل الله بني قَيْلة ، والله إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون أنه نبيّ . فلما سمعتها أخذتني العُرَوَاء[3] ، حتى ظننت أني ساقط على سيدي ، فنزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك : ما تقول ؟ فغضب سيدي ولكمني لكمة شديدة ، ثم قال : مالك ولهذا ؟ أقبل على عملك . فقلت : لا شيء ، إنما أردت أن أستثبته عما قال .

---

(١) في « ج » و« د » : ولم يحقَّ عندي .

(٢) « عَذْق » : بفتح العين : النخلة ، وبكسرها : اسم للعرجون .

(٣) « العُرَوَاء » : الرِّعدة من البرد أو الحمَّى ، وفي « ج » و« د » : فأخذتني الرِّعدةُ العُرَوَاءُ .

(لقاؤه مع رسول الله ﷺ) :

وقد كان عندي شيء جمعته ، فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء ، فدخلت عليه ، فقلت له : إنه قد بلغني أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة ، وهذا شيء كان عندي للصدقة فرأيتكم أحقَّ به من غيركم ، فقربته إليه . فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : كلوا ، وأمسك يده فلم يأكل . فقلت في نفسي هذه واحدة ، ثم انصرفت عنه ، فجمعت شيئاً ، وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة ، ثم جئته ، فقلت : إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها ، فأكل رسول الله ﷺ وأمر أصحابه فأكلوا معه ، فقلت في نفسي ، هاتان ثِنْتان . ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغرقد قد تبعَ جنازة رجل[1] من أصحابه ، عليّ[2] شملتان لي ، وهو جالس في أصحابه ، فسلمت عليه ثم استدرتُ أنظرُ إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي ؟ فلما رآني رسولُ الله ﷺ استدبرته عرفَ أني أستثبت في شيء وُصف لي ، فألقى الرداءَ عن ظهره فنظرتُ إلى الخاتم فعرفتُه ، فأكببتُ عليه أُقبِّلُه وأبكي . فقال[3] لي رسولُ الله ﷺ : تحوّل ، فتحولت فجلست بين يديه ، فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس . فأعجب رسولَ الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه .

(مكاتبته) :

ثم شغل سلمانَ الرقُّ حتى فاتَه مع رسول الله ﷺ بدر وأحد . قال سلمان : ثم قال لي رسولُ الله ﷺ : كاتبْ يا سلمان ! فكاتبتُ صاحبي على ثلثمائة نخلة أُحييها له بالفقير[4] ، وأربعين أوقيّة ، فقال رسول الله ﷺ : أعينوا أخاكم ، فأعانوني بالنخل ، الرجل بثلاثين ودِيّة[5] ، والرجل بعشرين ودِيّة ، والرجل بخمس عشرة ، والرجل بعشر ،

---

(١) سقطت كلمة « رجل » من « ب » .
(٢) في « ج » و« د » : وقد تبعَ جنازةَ رجلٍ من أصحابه ، وعليَّ شملتان ...
(٣) « لي » سقطت من « ج » و « د » .
(٤) « الفقير » : البئر ، وفم الوادي . وكل حفرة تُحفر للفسيلة لتغرسَ فيها تُسمَّى فُقْرة وفقير .
(٥) « وَدِيّة » : الفسيلة من النخل .

يعين الرجلَ بقدر ما عنده ، حتى اجتمعت لي ثلاثمائة ودِيّة . فقال لي رسول الله ﷺ : اذهب يا سلمان ففقرْ[1] لها ، فإذا فرغت فأتني أكن أنا أضعُها بيدي ، فَفَقَّرْتُ ، وأعانني أصحابي ، حتى إذا فرغت جئته فأخبرته ، فخرج معي إليها ، فجعلنا نُقرِّبُ إليه الودِيّ ويضعُه رسول الله ﷺ بيده حتى فرغت ، فوالذي نفس سلمان بيده ما ماتَ منها وديّة واحدة ، فأديتُ النخلَ وبقي عليَّ المال ، فأُتي رسولُ الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن ، فقال : ما فعل الفارسيُّ المكاتب ؟ فدُعيت له ، فقال : خذ هذه فأدها مما عليك يا سلمان . قلت : وأين تقع هذه يا رسول الله مما عليَّ ؟ قال : خذها فإن الله سيؤدي بها عنك . فأخذتُها فوزنت لهم منها ، والذي نفس سلمان بيده أربعين أوقيّة ، فأوفيتُهم حقَّهم ، فشهدتُ مع رسول الله ﷺ الخندق (حُرّاً)[2] ثم لم يفتني معه مشهد[3] .

وذكر أبو عمر في خبر سلمان ، من طريق زيد بن الحباب ، قال : حدثني حسين ابن واقد ، عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه ، أن سلمانَ أتى رسول الله ﷺ ، وفيه : فاشتراه رسولُ الله ﷺ من قوم من اليهود بكذا وكذا درهماً ، وعلى أن يغرسَ لهم كذا وكذا من النخل ، يعمل فيها سلمان حتى تدركَ[4] ، فغرسَ رسولُ الله ﷺ النخل كلّه

---

(١) « فَفَقِّرْ لها » : احفر لها موضعاً .

(٢) « حُرّاً » زيادة من « ج » و « د » والسيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢٢١/١ .

(٣) خبر إسلام سلمان الفارسي في السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢٤٧/١ — ٢٥٢ ، وطبقات ابن سعد ٧٥/٤ — ٨٠ ، وصفة الصفوة ٥٢٣/١ — ٥٣٣ ، ودلائل النبوة ؛ للبيهقي ٨٢/٢ — ١٠٠ ، وحلية الأولياء ١٩٣/١ — ١٩٥ ، وتاريخ بغداد ١٦٥/١ — ١٦٩ ، وتهذيب تاريخ دمشق ١٩١/٦ — ١٩٣ ، وسير أعلام النبلاء ٥٠٦/١ — ٥١١ ، وأسد الغابة ٤١٧/٢ — ٤١٩ ، ومجمع الزوائد ٣٣٢/٩ — ٣٣٧ . وأخرجه الإمام أحمد في « المسند » ٤٤١/٥ — ٤٤٤ ، والطبراني في « المعجم الكبير » ٢٧٢/٦ — ٢٧٧ رقم (٦٠٦٥) عن ابن إسحاق ، وإسناده قوي ، رجاله ثقات . ورواه ابن حبان في صحيحه (٥٥٨) و (٥٥٩) موارد ، عن قرة الكندي من غير طريق ابن إسحاق ، ورجاله ثقات . والحاكم في المستدرك ٥٩٩/٥/٣ — ٦٠٢ من غير طريق ابن إسحاق ، عن زيد بن صوحان وصححه ، وتعقبه الذهبي فقال : بل مجمع على ضعفه .

(٤) « حتى تُدركَ » : حتى تبلغَ الإثمار والإنتاج .

إلا نخلة غرسها عمر ، فأطعم النخل كلُّه إلا تلك النخلة التي غرسها عمر ، فقال رسول الله ﷺ : من غرسَها ؟ قالوا : عمر . فقلعَها وغرسَها رسولُ الله ﷺ فأطعمتْ من عامها[1] .

وذكر البخاري[2] رحمه الله حديث سلمان كما ذكره ابن إسحاق ، غير أنه ذكر أن سلمان غرسَ بيده وَديّة واحدة ، وغرسَ رسول الله ﷺ سائرها ، فعاشت كلُّها إلا التي غرسَ سلمان . هذا معنى حديث البخاري رحمه الله .

(عودٌ للحديث عن رحلته إلى المدينة) :

وعن سلمان أنه قال لرسول الله ﷺ حين أخبره بخبره : أن صاحب عمّوريّة قال له : إئت كذا وكذا من أرض الشام فإن بها رجلاً بين غيضتين[3] ، يخرج في كل سنة من هذه الغيضة إلى هذه الغيضة مستجيزاً ، يعترضه ذوو الأسقام ، فلا يدعو لأحد منهم إلا شفي ، فسله عن هذا الدين الذي تبتغي فهو يخبرك عنه . قال سلمان : فخرجت حتى جئت حيث وصف لي ، فوجدت الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هناك ، حتى خرج لهم تلك الليلة مستجيزاً من إحدى الغيضتين إلى الأخرى ، فغشيَه الناسُ بمرضاهم لا يدعو لمريض إلا شفي ، وغلبوني عليه فلم أخلص إليه حتى دخل الغيضة التي يريد أن يدخل إلا منكبه ، فتناولته . فقال : من هذا ؟ والتفت إلي ، فقلت : يرحمك الله ! أخبرني عن الحنيفية دين إبراهيم ؟ قال : إنك لتسأل عن شيء ما يسأل عنه الناس اليوم ، قد أظلَّكَ نبيٌّ يُبعث بهذا الدين من أهل الحرم فأته فهو يحملك عليه . ثم دخل . فقال رسول الله ﷺ : لئن كنتَ صدقتني لقد لقيتَ عيسى بن مريم[4] .

---

(١) رواه الإمام أحمد في « المسند » ٣٥٤/٣ ، والاستيعاب ٥٧/٢ . وإسناده حسن . قال في نور النبراس : كان ينبغي للمؤلف عزوه للمسند لا لأبي عمر . لوحة ١٣١ .

(٢) روى البخاري قصة إسلام سلمان في المغازي (باب غزوة الخندق ، وهي الأحزاب) رقم /٤١١٣/ ، وذكر حديث سلمان كما ذكره ابن إسحاق في غير الصحيح .

(٣) « غيضتين » : الغيضة : الشجر الملتف .

(٤) السيرة النبوية ، لابن هشام ٢٢١/١ — ٢٢٢ ، وقال السهيلي : إسناد هذا الحديث مقطوع ، وفيه رجل مجهول ، ويقال : إن الرجل هو الحسن بن عمارة ، وهو ضعيف بإجماع منهم ..

رواه ابن إسحاق عن داود بن الحصين قال حدثني من لا أتهم ، عن عمر بن عبد العزيز ، قال : قال سلمان ، فذكره .

قيل : إن الرجل المطوي[1] الذكر في هذا الإسناد هو الحسن بن[2] عُمارة ، فإن يكنه فهو ضعيف عندهم قاله السهيلي . وقال : وإن صح هذا الحديث فلا نكارة في متنه ، فقد ذكر الطبري أن المسيح عليه السلام نزل بعدما رُفع ، وأمُّه وامرأة أخرى عند الجذع الذي فيه الصليب[3] تبكيان ، فكلَّمَهما وأخبرَهما أنه لم يُقتل ، وأن الله رفعه وأرسله إلى الحواريين ووجههم إلى البلاد . وإذا جاز أن ينزل مرة جاز أن ينزل مراراً ، ولكن لا يُعلم به أنه هو حتى ينزل النزول الظاهر فيكسر الصليب ويقتل الخنزير كما جاء في الصحيح ، والله أعلم .

ويُروى أنه إذا نزل تزوج امرأة من جذام ويدفن إذا مات في روضة النبي ﷺ .

- وقوله : « فَقِّرْ لثلمائة ودِيّة » معناه : حَفِّرْ .
- وقوله : « أُحييها له بالفقير » قيل : الوجه بالتفقير[4] .
- « وقَطَن النار » خازن النار وخادمُها .
- « والعُرَواء » : الرعدة . ورأيت بخط جدي رحمه الله فيما علَّقه على نسخته بكتاب « السيرة الهشامية » من حواشي كتاب أبي الفضل عياضِ بن موسى وغيره ، قال

= وقال سبط ابن العجمي في « نور النبراس » لوحة (١٣٢) : وهذا منقطع ؛ لأن عمر بن عبد العزيز لم يُدرك سلمان ، لأن عمر ولد بمصر سنة ٦١ هـ وفي طبقات ابن سعد سنة ٦٣ هـ وسلمان توفي بالمدائن سنة ٣٦ هـ وقيل سنة ٣٥ هـ .

(١) « الرجل المطوي » : الرجل الذي لم يُسمّ ، وأشار إليه بقوله « من لا أتهم » .

(٢) قال في « نور النبراس » : والحسن بن عمارة قد حسَّن السهيلي الكلام فيه وهو متروك وساقط ، وقد قال ابن المديني : إنه كان يضع الحديث . والكلام فيه كثير ، وهذا أشد ما قيل فيه ، والله أعلم . لوحة ١٣٢/١ .

(٣) « الصليب » : الرجل الذي صلبوه ، لاعتقاد أنه عيسى عليه السلام ، فالصليب هنا بمعنى المصلوب وهو يهوذا الذي شُبِّه لهم .

(٤) « الوجه بالتفقير » : أي أن التعبير بالتفقير — وهو الحض — أنسبُ للمقام .

الصَّدَفي : العُرَواء : الحمى النافض ، والبُرَحَاء : الحمى الصَّالب ، والرُّحَضَاء : الحمى التي تأخذ بالعروق ، والمُطَواء : التي تأخذ بالتمطي ، والثُّوَبَاء : التي تأخذ بالتثاؤب .

(ذكر خبر زيد بن نفيل) :

وذكر ابن إسحاق في خبر زيد بن عمرو بن نفيل قال : وكان زيد قد أجمع الخروجَ من مكة ليضربَ في الأرض ، يطلب الحنيفية دينَ إبراهيم عليه السلام ، فكانت امرأته صفية بنت الحضرمي كلما رأته تهيأ للخروج وأراده آذنت به الخطاب بن نفيل ، وكان الخطاب وكَّلها به فقال : إذا رأيته همَّ بأمر فآذنيني به . ثم خرج يطلب دينَ إبراهيم عليه السلام ويسأل الرهبان والأحبار حتى بلغ الموصل والجزيرة كلَّها ، ثم أقبل فجال الشام كلها حتى إذا انتهى إلى راهب بميفعة[1] من الأرض البلقاء كان ينتهي إليه علم أهل النصرانية فيما يزعمون ، فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام فقال : إنك لتطلب ديناً ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ، ولكن قد أظلَّكَ زمان نبيّ يخرج من بلادك التي خرجت منها ، يُبعث بدين إبراهيم الحنيفية ، فالحق به فإنه مبعوث الآن ، هذا زمانه . وقد كان زيد شامّ[2] اليهودية والنصرانية فلم يرض منها شيئاً ، فخرج سريعاً حين قال له ذلك الراهب ما قال يريد مكة ، حتى إذا توسط بلاد لَخمْ عَدَوا عليه فقتلوه[3] .

(خبر رسول الله ﷺ من الإنجيل) :

قال ابن إسحاق : وكان فيما بلغني عما كان وَضَع[4] عيسى بنُ مريم فيما جاءه من الله من الإنجيل من صفة رسول الله ﷺ ، مما أثبت لهم يُحَنَّس الحواري حين نسخ لهم الإنجيل ، من عهد عيسى بن مريم إليهم في رسول الله ﷺ ، قال : من أبغضني فقد أبغض

---

(١) « بميفعة » : الميفعة : المرتفع من الأرض .

(٢) « شامَّ اليهودية والنصرانية » : بتشديد الميم ، وقد تُخفف ؛ بمعنى : اختبرهما .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٢٢٥ — ٢٣٢ . وفي « نور النبراس » لوحة (١٣٣) : وحديث زيد ابن عمرو بن نُفيل هو في صحيح البخاري بغير هذا اللفظ ، ولو أخرجه منه لكان أحسن . وهو في البخاري في كتاب المناقب (باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل) رقم /٣٨٢٦/ .

(٤) « وَضَع » : هنا بمعنى أثبت .

الرب ، ولولا أني صنعتُ بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحدٌ قبلي ما كانت لهم خطيئة ، ولكن من الآن بَطِروا وظنوا أنهم يعِزُّونني[1] ، وأيضاً للرب ، ولكن لا بد أن تتم الكلمة التي في الناموس أنهم أبغضوني مجاناً ، أي باطلاً ، فلولا قد جاء المُنْحَمِنّا ، هذا الذي يرسله الله إليكم من عند الرب ، روح القسط[2] هذا الذي من عند الرب خرج ، فهو شهيد علي وأنتم أيضاً ، لأنكم قديماً كنتم معي في[3] هذا قلت لكم : لكي لا تشكوا .

و« المنْحَمِنّا » بالسريانية هو محمد ﷺ ، وهو بالرومية البَرَقليطس[4] .

(خبره ﷺ عند رؤساء نجران وملك الروم) :

قال ابن هشام وبلغني أن رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتباً عندهم ، فكلما مات رئيس منهم فأفضت الرئاسة إلى غيره ختم على تلك الكتب خاتماً مع الخواتم التي قبله و لم يكسرها ، فخرجَ الرئيسُ الذي كان في عهد النبي ﷺ يمشي فعَثَرَ ، فقال ابنه : تَعِسَ الأبعدُ – يُريد النبيَّ ﷺ – فقال له أبوه : لا تفعل فإنه نبيّ ، واسمه في الوضائع – يعني الكتب – فلما مات لم يكن له همة إلا أن شدَّ فكسر الخواتم ، فوجد ذكر النبي ﷺ فأسلم وحسن إسلامه ، فحجَّ وهو الذي يقول :

إلـيك تغـدو قلقـاً وضينُهـا   مُعتـرضاً في بَـطنها جَنينُهـا[5]
مُخالفاً دينَ النصارى دينُها[6]

---

(١) « يَعِزُّونني » : يغلبونني ويتسلطون عليّ .

(٢) « روح القسط » : القسط : العدل . وفي ابن هشام ٢٣٣/١ : روح القدس .

(٣) زيادة من ابن هشام عما في جميع النسخ .

(٤) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢٣٣/١ – ٢٣٤ .

(٥) « وضينها » : الوضين : بطان منسوج بعضه على بعض ، يُشدُّ به الرحل على البعير ، وهو كالحزام للسرج .

(٦) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٥٧٤/١ .

وقد روينا عن دحية بن خليفة الكلبي في توجهه بكتاب النبي ﷺ إلى ملك الروم وأن ملك الروم قال لقومه : هذا كتابُ النبيّ الذي بشرنا به المسيح من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام . وسيأتي بسنده[1] إن شاء الله تعالى عند ذكر كتب النبيّ ﷺ إلى الملوك .

(خبر سليمان عليه السلام) :

أخبرنا الإمام أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المقدسي حضوراً في الرابعة بقراءة والدي رحمة الله عليه بالقاهرة ، وأبو عبد الله محمد بن عبد المؤمن بن أبي الفتح بقراءتي عليه بمرج دمشق ، قالا : أخبرنا أبو البركات داود بن أحمد بن محمد بن ملاعب ، أخبرنا أبو الفضل محمد بن عمر بن يوسف الأرموي[2] ، أخبرنا أبو القاسم يوسف بن أحمد بن محمد المهرواني بانتقاء أبي بكر الخطيب البغدادي الحافظ عليه ، قال : أخبرنا أبو سهل محمود ابن عمر العكبري ، حدثنا أبو صالح سهل بن إسماعيل الموسوي ، حدثنا أبو العباس عبد الله ابن وهب الغزي بالرملة ، حدثنا محمد بن أبي السَّرِيّ العسقلاني ، حدثنا شيخ بن أبي خالد البصري ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : « كان نقش خاتم سليمان بن داود عليهما السلام : لا إله إلا الله محمد رسول[3] الله » .

---

(١) تعقب سبط ابن العجمي المؤلف فقال : لم يذكر هذا ؛ وإنما ذكر حديث الصحيحين ، وهو كتابه عليه الصلاة والسلام إلى هرقل ، وذكر في آخره زيادة ليست هذه ، وكان ينبغي له أن يذكر حديث دحية الذي أشار إليه هنا .. ثم قال : فما كان ينبغي أن يقول : وقد روينا عن دحية الكلبي ، فإن الحديث ليس له وإنما هو حديث ابن عباس عن أبي سفيان صخر بن حرب ، وفيه توجه دحية بكتابه عليه الصلاة والسلام إلى هرقل ، وما أظن أن المؤلف أراد ذلك ، والمؤلف أعلى مقاماً من ذلك ، وإنما هو شيء وقف عليه ، والله أعلم . نور النبراس لوحة ١٣٦/١ .

(٢) « الأُرموي » : بضم الهمزة ، وأُرمية : مدينة قديمة بأذربيجان .

(٣) الحديث باطل وموضوع ، في إسناده دجال ووضّاع ، هو شيخ بن أبي خالد ، قال الذهبي في « ميزان الاعتدال » ٢٨٦/٢ : شيخ بن أبي خالد عن حماد بن سلَمة : متهم بالوضع ، فمن أباطيله ... « كان نقش خاتم سليمان .. » وذكر ذلك الحافظ ابن حجر في لسان الميزان ١٥٩/٣ ، كما ذكر الحافظ ابن الجوزي هذا الحديث في « الموضوعات » . نور النبراس لوحة ١٣٦/١ .

(خبر تميم الداري) :

وروينا عن محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، حدثني العطَّاف بن خالد ، عن خالد بن سعيد ، قال : قال تميم الداري : كنت بالشام حين بُعث رسولُ الله ﷺ ، فخرجتُ إلى بعض حاجتي فأدركني الليل ، فقلت : أنا في جوار عظيم هذا الوادي ، فلما أخذت مضجعي إذا مناد يُنادي لا أراه : عذْ بالله ، فإن الجِنَّ لا تُجير أحداً على الله . فقلت : أيمَ[1] تقول ؟ فقال : قد خرج رسول الأميين رسول الله ، وصلينا خلفه بالحَجُون[2] وأسلمنا واتبعناه ، وذهب كيد الجن ، ورُميتْ بالشهب ، فانطلق إلى محمد فأسلم . فلما أصبحت ذهبت إلى دير أيوب ، فسألت راهباً به وأخبرته الخبر ، فقال : صدقوك ، نجده يخرج من الحرم ، ومهاجره الحرم ، وهو خير الأنبياء فلا تُسبقْ إليه . قال تميم : فتكلفت الشخوص حتى جئت رسول الله ﷺ فأسلمت[3] .

* * *

(١) « أيِّم » : بتشديد الياء وإسكانها ، وفتح الميم : كلمة استفهام .

(٢) « الحَجُون » : جبل معروف بمكة .

(٣) طبقات ابن سعد ٣٥٨/٧ ، وإسناده ضعيف ، فيه العطاف بن خالد ؛ قال الحاكم : ليس بالمتين عندهم ، غمزه مالك . ميزان الاعتدال ٦٩/٣ ، وخالد بن سعيد المدني لا يُتابع على حديثه . ميزان الاعتدال ٦٣١/١ .

خبرُ قُسٍّ[1] بن ساعدةَ الإيادي

قرىء على الشيخة الأصيلة أَمَة الحق شامية ابنة الإمام الحافظ أبي علي الحسن بن محمد ابن محمد بن محمد البكري ، وأنا أسمع بالقاهرة ، قالت : أخبرنا أبو محمد عبد الجليل بن أبي غالب بن أبي المعالي بن مَنْدُويَة الأصبهاني قراءة عليه وأنا أسمع سنة عشر وستمائة ، قال : أخبرنا أبو المحاسن نصر بن المظفر بن الحسين البرمكي الجرجاني سماعاً عليه سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن النقور ، أخبرنا أبو الحسين علي ابن عمر بن محمد بن الحسن الحربي ، حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ، حدثنا محمد بن حسان بن خالد السمتي أبو جعفر سنة ثمان وعشرين ومائتين ، وفيها توفي . حدثنا محمد بن الحجاج اللخمي ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن ابن عباس قال : قدم وفدُ عبد القيس على رسول الله ﷺ ، فقال : أيُّكم يعرفُ القُسَّ بن ساعدةَ الإيادي ؟ قالوا : كلُّنا يا رسولَ الله يعرفه . قال : فما فعل ؟ قالوا : هلكَ . قال : ما أنساه بعكاظ على جملٍ أحمر ، وهو يقول : أيُّها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا ، من عاشَ مات ، ومن ماتَ فات ، وكلُّ ما هو آتٍ آت ، إنَّ في السماء لخبراً ، وإنَّ في الأرض لعِبَراً ، مهادٌ موضوع وسقفٌ مرفوع ، ونجومٌ تمورُ وبحارٌ لا تغور ، أقسم قسٌّ قسماً حتماً : لئن كان في الأمر رضًى ليكونَنَّ سخطاً ، إن لله لديناً هو أحبُّ إليه من دينكم الذي أنتم عليه ، ما لي أرى الناسَ يذهبون ولا يَرجعون ، أرضُوا بالمُقام فأقاموا أم تُركوا فناموا ؟ . ثم قال : أيُّكم يروي شعرَه ؟ فأنشدُوه :

في الذَّاهبيـــنَ الأوَّليـــ ـنَ من القـرونِ لنا بصَائر
لما رأيتُ مَـــوَارداً للمـوتِ لـيس لها مَصَادر
ورأيتُ قومِـي نحوَهــا تمضي الأصَاغِر والأكَابر
لا يرجــعُ الماضي إلـيَّ ولا مـن البَـاقين غَابر

---

(١) قال الذهبي في « تجريد أسماء الصحابة » : تناكد مَنْ أوردَه في الصحابة ، كعبدان وابن شاهين . نور النبراس لوحة ١/١٣٧ .

أيقـــــنتُ أني لا مَحَالــــ ـةَ حيثُ صارَ القــومُ صَائــر[1]

وقرأتُ على أبي الفتح يوسف بن يعقوب الشيباني بدمشق ، أخبركم أبو اليمن زيد بن الحسن الكِنْدي قراءةً عليه وأنتم تسمعون ، قال : أخبرنا الحافظ أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر السمرقندي قراءة عليه وأنا أسمع ، أخبرنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن ، حدثنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي ، حدثنا أبو العباس الوليد بن سعيد بن حاتم بن عيسى الفُسطاطي بمكة من حفظه ، وزعم أن له خمساً وتسعين سنة في ذي الحجة سنة ست وستين وثلثمائة على باب إبراهيم ، أخبرنا محمد بن عيسى بن محمد الأخباري ، حدثنا أبو عيسى بن محمد بن سعيد القرشي ، حدثنا علي بن سليمان ، عن سليمان بن علي ، عن علي بن عبد الله ، عن عبد الله بن عباس قال : قدم الجارود بن عبد الله ، وكان سيداً في قومه على رسول الله ﷺ ، فقال : والذي بعثك بالحق لقد وجدت صفتك في الإنجيل ، ولقد بشر بك ابن البتول ، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك محمد رسول الله . قال : فآمنَ الجارود وآمنَ من قومه كل سيد . فسُرَّ النبيُّ ﷺ بهم ، وقال : يا جارود ! هل في جماعة وفد عبد القيس من يعرف لنا قساً ؟ قالوا : كلنا نعرفه يا رسول الله ، وأنا من بين يدي القوم كنت أقفو أثره ، كان من أسباط العرب ، فصيحاً ، عُمِّر سبعمائة سنة ، (أدركَ من الحواريين سمعانَ ، فهو أول من تألَّه من العرب)[2] ، كأني أنظر إليه يقسم بالرب الذي هو له ، ليبلغن الكتاب أجله ، وليوفين كل عامل عمله ، ثم أنشأ يقول :

هاجَ للقلبِ مِن جَوَاه ادِّكارُ وليـــــالٍ خــــلالهنَّ نهارُ

في أبيات آخرها :

والذي قد ذكرت دلَّ على اللـ ـهِ نفـوساً لها هـدىً واعتبــارُ

فقال النبي ﷺ : على رسلك يا جارود ، فلست أنساه بسوق عكاظ على جمل

---

(١) الموضوعات ؛ لابن الجوزي ٢١٣/١ ، وقال : هذا حديث من جميع جهاته باطل . وفي إسناده محمد ابن حسان بن خالد السَّمْتي ؛ ليس بالقوي ، ومحمد بن الحجاج اللخمي الواسطي ؛ منكر الحديث كذاب وضَّاع . نور النبراس لوحة ١٣٧/١ . « أسباط » : جمع سبط ، وهو الرجل الحسن القَدِّ .

(٢) ما بين القوسين سقط من « أ » وهو موجود في بقية النسخ .

أورق[1] ، وهو يتكلم بكلام ما أظن أني أحفظه . فقال أبو بكر : يا رسول الله ! فإني أحفظه ، كنت حاضراً ذلك اليوم بسوق عكاظ ، فقال في خطبته : يا أيها الناس ! اسمعوا وعوا ، وإذا وعيتم فانتفعوا ، إنَّه من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت ، مطر ونبات وأرزاق وأقوات ، وآباء وأمهات وأحياء وأموات ، جمع وأشتات وآيات بعد آيات ، إن في السماء لخبراً وإن في الأرض لعبراً ، ليلٌ داج ، وسماء ذات أبراج ، وأرض ذات رِتاج[2] ، وبحار ذات أمواج ، مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون ، أرضُوا بالمقام فأقاموا ، أم تركوا هناك فناموا ؟ أقسم قس قسماً لا حانثاً فيه ولا آثماً أن لله ديناً هو أحب إليه من دينكم الذي أنتم عليه ، ونبياً قد حان حينه وأظلَّكم أوانه ، فطوبى لمن آمن به فهداه ، وويل لمن خالفه وعصاه . ثم قال : تباً لأرباب الغفلة من الأمم الخالية والقرون الماضية ، يا معشر إياد ! أين الآباء والأجداد ؟ وأين المريض والعواد ؟ وأين الفراعنة الشداد ؟ أين من بنى وشيَّدَ ؟ وزخرفَ ونجَّدَ[3] ، وغره المال والولد ؟ أين من بغى وطغى ، وجمع فأوعى ، وقال أنا ربكم الأعلى ؟ ألم يكونوا أكثر منكم أموالاً ، وأطول منكم آجالاً ، وأبعد منكم آمالاً ؟ طحنهم الثرى بكلكله ، ومزقهم بتطاوله ، فتلك عظامهم بالية ، وبيوتهم خاوية ، عمرتها الذئاب العاوية ، كلا بل هو الله الواحد المعبود ، ليس بوالد ولا مولود ، ثم أنشأ يقول :

فِي الذَّاهِبِينَ الأوَّلِيـنَ مِنَ القُرُونِ لنا بَصَائر
لما رأيتُ مَوارداً للموتِ ليس لها مَصَادر
ورأيتُ قومي نحوَها تمضي الأصاغرُ والأكابر
لا يرجعُ الماضي إليَّ ولا من البَاقين غابر
أيقنت أني لا مَحَالَة حيثُ صَارَ القومُ صائر

قال : ثم جلس وقام رجل أشدقُ أجشُّ الصوت ، فقال : لقد رأيتُ من قس عجباً ، خرجت أطلب بعيراً لي حتى إذا عسعس الليل وكاد الصبح أن يتنفس ، هتف بي هاتف يقول :

(١) « الأورق » : الأبيض المشوب بسواد .
(٢) « رِتَاج » : الحجاب الغليظ .
(٣) « ونَجَّدَ » : من قولهم : نَجَّدَ البيت : إذا زينه بستائر وفرش .

يـا أيُّهـا الراقـدُ في الليـل الأحـمّ   قـد بـعـثَ الله نبيـاً في الحَرَم[1]
مـن هـاشمٍ أهـلِ الوفـاء والكـرم   يجلُـو دُجُنَّـاتِ الليـالي والبُهَـم[2]

قال : فأدرت طرفي فما رأيت شخصاً ، فأنشأت أقول :

يـا أيها الهاتـف في داجـي الظلـم   أهـلاً وسهـلاً بك مـن طيـف ألم
بيِّـنْ هـداك الله في لحن الكلـم   مـن ذا الـذي تدعـو إليـه يُغتنـم

قال : فإذا أنا بنحنحة وقائل يقول : ظهر النور ، وبطل الزور ، وبعث الله محمداً ﷺ بالحبور ، صاحب النجيب الأحمر ، والتاج والمغفر ، والوجه الأزهر ، والحاجب الأقمر ، والطرف الأحور ، صاحب قول شهادة أن لا إله إلا الله ، فذلك محمد المبعوث إلى الأسود والأحمر ، أهل المدر والوبر ، ثم أنشأ يقول :

الحمد لله الذي لم يخلق الخلـق عبث   و لم يُخَلِّنا سُدَاً من بعد عيسى واكترث
أرسل فينا أحمداً خير نبي قـد بـعـث   صلى عليه الله ما حجَّ له ركبٌ وحث

قـال : ولاح الصبـاح ، وإذا بالفَنِيـق[3] يشقشق[4] إلى النـوق ، فملكت خِطامه وعلوت سنامه ، حتى إذا لَغِبَ فنزل في روضةٍ خضرة ، فإذا أنا بقس بن ساعدة في ظل شجرة ، وبيده قضيب من أراك ينكت به في الأرض وهو يقول :

يـا ناعـيَ الموت والملحود في جـدثٍ   عـليهم مـن بقايـا بزهـم خِـرَق
دعهـم فـإن لهم يومـاً يُصاح بهمْ   فهـم إذا انتبهوا مـن نَومهـم فَرِقـوا
حتـى يَعـودوا بحالٍ غير حـالهمُ   خلقـاً جديـداً كما مـن قبلـه خُلقـوا
منهم عـراةٌ ومنهم في ثيـابهمُ   منها الجديدُ ومنها المُنْهجُ[5] الخَلِـق

قال : فدنوت منه فسلمت عليه فرد عليَّ السلام ، فإذا أنا بعين خرارة في أرض

---

(١) « الأحمّ » : الأسود .
(٢) « دجُنَّات » : جمع دُجنّة ، وهي الظلمة . و« البُهم » : جمع أبهم ، وهو الأسود .
(٣) « الفَنِيق » : الفحل من الإبل .
(٤) « يشقشق » : يهدر ويصيح .
(٥) « المُنْهِجُ » : من قولهم : أنهج الثوبُ : إذا أخذ في البِلى .

خَوَّارة[1] ، ومسجد بين قبرين ، وأسدين عظيمين يلوذان به ، وإذا بأحدهما قد سبق الآخر إلى الماء ، فتبعه الآخر يطلب الماء فضربه بالقضيب الذي في يده ، وقال : ارجع ثكلتك أمك حتى يشرب الذي ورد قبلك ، فرجع ثم ورد بعده . فقلت له : ما هذان القبران ؟ قال : هذان قبرا أخوين كانا لي يعبدان الله عز وجل معي في هذا المكان ، لا يشركان بالله شيئاً ، فأدركهما الموت فقبرتهما وها أنا بين قبريهما حتى ألحق بهما ، ثم نظر إليهما وجعل يقول :

خليلـيَّ هُبَّـا طـالما قـد رقدتُمـا ... أجِـدَّكما لا تقضيـان كَراكُمـا
ألم تعلمـا أني بسمعـانَ مفـرداً ... ومـا لـيَ فيـه مـن خليـلٍ سواكما
مقيـمٌ على قبريكمـا لستُ بارحـاً ... طَـوال الليـالي أو يُجـيب صَداكما
أُبكِّيكُمـا طـولَ الحيـاة ومـا الـذي ... يـردُّ على ذي لوعـةٍ إن بكَـاكما
كأنكمـا والموتُ أقـربُ غـائبٌ ... بروحـيَ في قبرَيْكمـا قـد أتـاكما
أمن طـولِ نـوم لا تُجيبـان داعيـاً ... كأنَّ الـذي يُسقـي العُقَـار[2] سقـاكما
فلـو جُعـلتْ نـفسٌ لنـفسٍ وقايـةً ... لجدتُ بنـفسي أن تكـون فـداكما

فقال رسولُ الله ﷺ : « رحـمَ الله قسّاً إني أرجـو أن يبعثَـه الله عـزَّ وجـلَّ أمـةً وحده »[3] .

خبر سواد بن قارب :
وكان يتكهن في الجاهلية ، وكان شاعراً ثم أسلم :

قرأتُ على أبي عبد الله بن أبي الفتح بن وثاب الصوري بالزُّعَيْزِعيّة[4] بمرج دمشق ،

---

(١) « خوارّة » : هشة لينة .
(٢) « العقّار » : الخمر .
(٣) قال السيوطي في « اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة » : آثار الوضع على هذا الخبر لائحة ، وقال الحافظ ابن حجر في « الإصابة » : وقد أفرد بعض الرواة طرق حديث قسِّ بن ساعدة ، وهي في الطوالات للطبراني وغيرها ، وطرقه كلُّها ضعيفة ، وقال الحافظ ابن كثير في السيرة النبوية ١/١٥٣ : طرق قصة قسّ كلها ضعيفة ، وهي مع ضعفها كالمتعاضدة على إثبات أصل القصة .
(٤) « الزُّعَيزِعيّة » : اسم مكان في مرج دمشق .

قلت له : أخبركم الشيخان المُؤَيَّد هشام بن عبد الرحيم بن أحمد بن محمد البغدادي نزيل أصبهان وأم حبيبة عائشة بنت مَعْمَر بن الفاخِر القرشية إجازة ؟ قالا : أخبرنا أبو الفرج سعيد بن أبي الرجاء الصيرفي قراءة عليه ونحن نسمع بأصبهان ، قال : أخبرنا أبو نصر إبراهيم بن محمد بن علي الأصبهاني الكِسَائِيّ ، قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن المقرىء ، قال : أخبرنا أبو يَعلى أحمدُ بن علي بن المثنى الموصِلي ، قال : حدثنا يحيى بن حُجْر بن النعمان السَّامي ، قال : حدثنا علي بن منصور الأنباري ، عن عثمان بن عبد الرحمن الوقَّاصي ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذات يوم جالساً إذ مرَّ به رجلٌ ، فقيل : يا أمير المؤمنين ! أتعرف هذا المارّ ؟ قال : ومن هذا ؟ قالوا : هذا سواد بن قارب الذي أتاه رِئيّه بظهور النبي ﷺ ، قال : فأرسل إليه عمر رضي الله عنه ، فقال له : أنت سواد بن قارب ؟ قال : نعم . قال : أنت الذي أتاك رِئيُّكَ[1] بظهور رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم . قال : فأنت على ما كنت عليه من كهانتك ؟ قال : فغضب ، وقال : ما استقبلني بهذا أحدٌ منذ أسلمتُ يا أمير المؤمنين . فقال عمر : سبحان الله ! ما كنَّا عليه من الشرك أعظمُ مما كنتَ عليه من كهانتك ، فأخبرني بإتيانك رِئيّك بظهور رسول الله ﷺ . قال نعم يا أمير المؤمنين ! بينا أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان ، إذ أتاني رِئِيِّي فضربني برجله ، وقال : قمْ يا سوادُ ابن قارب فاسمع مقالتي ، واعقل إن كنت تعقل ، إنه قد بُعث رسولٌ من لؤي بن غالب يدعو إلى الله عزَّ وجلَّ وإلى عباده ، ثم أنشأ يقول :

عجبتُ للجِنِّ وتَطلابِها ... وشدِّها العيسَ بأقتابها
تهوِي إلى مكةَ تبغي الهُدى ... ما صادقُ الجِنِّ كَكَذَّابِها
فارحلْ إلى الصفوة من هاشمٍ ... ليس قُدَّاماها كأذنابها

قال : قلت : دعني أنامُ فإني أمسيتُ ناعساً ، فلما كانت الليلة الثانية أتاني فضربني برجله ، وقال : قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي ، واعقل إن كنتَ تعقل ، إنه قد بُعث رسولٌ من لؤيّ بن غالب ، يدعو إلى الله عز وجل وإلى عبادته ، ثم أنشأ يقول :

---

(١) « رئيُّكَ » : الرِّئيُّ : التابع من الجِنّ .

عجبت للجنِّ وتخبارها ... وشدِّها العيسَ بأكوارها
تهوي إلى مكةَ تبغي الهُدى ... ما مؤمنُ الجِن ككفارها
فارحلْ إلى الصفوة من هاشم ... بين روابيها وأحجارها

قال : قلت : دعني أنام فإني أمسيت ناعساً ، فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضربني برجله ، وقال : قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي ، واعقل إن كنتَ تعقل ، إنه قد بُعث رسول من لؤيٍّ بن غالب يدعو إلى الله عز وجل وإلى عبادته ، ثم أنشأ يقول :

عجبتُ للجِنِّ وتَجْسَاسِهَا ... وشدِّها العيس بأحلاسها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ... ما خَيِّرُ الجِنِّ كأنجاسها
فارحلْ إلى الصفوة من هاشم ... واسمُ بعيْنيكَ إلى راسها

فقمت فقلت : قد امتحن الله قلبي ، فرحَلْتُ ناقتي ، ثم أتيت المدينة فإذا رسول الله ﷺ وصحبه حوله ، فدنوتُ فقلت : اسمع مقالتي يا رسول الله . قال : هاتِ . فأنشأتُ أقول :

أتاني نَجِيِّي بعد هدءٍ ورَقْدَةٍ ... ولم يكُ فيما قد بلوتُ بكاذب
ثلاثَ ليالٍ قولُه كلَّ ليلة ... أتاك رسولٌ من لؤيٍّ بن غالب
فشمَّرْتُ من ذيلي الإزارَ ووسطت ... بيَ الذِّعْلِبُ الوَجناءُ بين السباسب[1]
فأشهدُ أنْ الله لا ربَّ غيرُه ... وأنك مأمونٌ على كلِّ غائب
وأنكَ أدنى المرسلين وسيلةً ... إلى الله يا بن الأكرمينَ الأطايب
فمرنا بما يأتيك يا خيرَ مُرْسَلٍ ... وإن كان فيما جاءَ شَيبُ الذوائب
وكن لي شفيعاً يومَ لا ذو شفاعةٍ ... سِواكَ بمغنٍ عن سوادِ بن قارب

قال : ففرحَ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه بمقالتي فرحاً شديداً ، حتى رُؤي الفرحُ في وجوههم .

قال : فوثبَ إليه عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه ، فالتزمه وقال : قد كنتُ أشتهي

(١) « الذِّعْلِبُ » : الناقة السريعة . و « الوجناء » : الناقة الغليظة الوجنتين في صلابة .

أن أسمعَ هذا الحديث منك ، فهل يأتيك رَئِيُّك اليوم ؟ قال : أمَّا منذ قرأتُ القرآن فلا ، ونعم العوض كتاب الله من الجنِّ ، ثم أنشأ عمر يقول : كنا يوماً في حيٍّ من قريش يُقال لهم آل ذريح وقد ذبحوا عجلاً لهم ، والجزار يُعالجه ، إذ سمعنا صوتاً من جوف العجل ولا نرى شيئاً : يا آل ذريح ، أمرٌ نجيح ، صائحٌ يصيح بلسان فصيح ، يشهد أن لا إله إلا الله[1] .

وقد روينا خبر سواد هذا من طريق البخاري[2] ، حدثنا يحيى بن سليمان ، حدثني ابنُ وهب ، حدثني عمر أن سالماً حدثه عن عبد الله بن عمر فذكر الخبر أخصرَ مما سقناه وفي الألفاظ اختلاف .

قال السهيلي[3] : ولسواد بن قارب هذا مقام حميد في دَوْس حين بلغهم وفاة رسول الله ﷺ .

قال : ومن هذا الباب خبر سوداء بنت زهرة بن كلاب ، وذلك أنها حين ولدت ورآها أبوها زرقاء شيماء[4] أمر بوأدها ، وكانوا يئدون من البنات ما كانت على هذه الصفة ، فأرسلَها إلى الحجون لتدفنَ هناك ، فلما حفر لها الحافرُ وأراد دفنَها ، سمع هاتفاً يقول : لا تئد الصبية ، وخلِّها في البريّة . فالتفت فلم ير شيئاً ، فعادَ لدفنها ، فسمع الهاتف يسجع

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢٠٩/١ عن عبد الله بن كعب مولى عثمان بن عفان ، وابن الجوزي في الوفاء ص ١٥١ ، عن محمد بن كعب القرظي ، والبيهقي في الدلائل ٢٤٨/٢ ــ ٢٥٤ عن البراء ، وعن محمد بن كعب القرظَي ، وعن سواد بن قارب ، والسيرة النبوية ، لابن كثير ٣٤٤/١ ــ ٣٤٥ ، والسيرة الشامية ؛ للصالحي ٢٨١/٢ .
وقد أخرج الحاكم قصة سواد بن قارب في المستدرك ١٥٢/٣ ، وتعقبه الذهبي بأن الإسناد منقطع . وقال سبط ابن العجمي في « نور النبراس » لوحة (١٤٦) : وهذه القصة ضعيفة ؛ لأن مدارها على عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي ، وهو ضعيف جداً ، ضعفه يحيى بن معين وابن المديني والبخاري والنسائي وغيرهم . ومحمد بن كعب القرظي لم يلق عمر ، وروايته عنه مرسلة . وانظر فتح الباري ١٧٩/٧ ــ ١٨٠ .

(٢) رواه البخاري في المناقب (باب إسلام عمر بن الخطاب) رقم /٣٨٦٦/ .

(٣) الروض الأنف ٢٤٤/١ .

(٤) « شيماء » : فطساء الأنف مرتفعة الشفة العليا .

بسجع آخر في المعنى ، فرجعَ إلى أبيها وأخبرَه بما سمع . فقال : إن لها شأناً وتركها ، فكانت كاهنة قريش ، فقالت يوماً لبني زُهرة ، إن فيكم نذيرة أو تلد نذيراً ، فاعرضوا عليَّ بناتِكم ، فعُرِضْنَ عليها ، فقالت : في كل واحدة منهن قولاً ظهر بعد حين ، حتى عُرِضت عليها آمنةُ بنت وهب فقالت : هذه النذيرة أو ستلد نذيراً . وهو خبر طويل ذكر الزبير يسيراً منه . وذكره بطوله أبو بكر النقاش[1] ، رحمه الله تعالى .

خبر مازن بن الغَضُوبة[2] :

أخبرنا علي بن محمد الثعلبي ، أخبرنا محمد بن غسان بن غافل وغيره ، قالا : أخبرنا علي بن الحسين الدمشقي ، أخبرنا الشيخان أبو القاسم زاهر وأبو بكر وَجيه ابنا طاهر ابن محمد الشحاميان بنيسابور ، قالا : أخبرنا أبو حامد أحمد بن الحسن الأزهري ، أخبرنا أبو محمد الحسن بن أحمد المَخْلَدي ، أخبرنا أبو عمران موسى بن العباس الجويني ، حدثنا علي بن حرب ، حدثنا أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب ، عن أبيه ، عن عبد الله العُمَاني ، عن مازن بن الغَضُوبة ، قال : كنت أسدُن صنماً بسَمَّال ، قريةٍ بعمان ، فعترنا ذات يوم عنده عتيرة ، وهي الذبيحة ، فسمعنا صوتاً من الصنم يقول : يا مازنُ اسمعْ تُسَرّ . ظهرَ خيرٌ وبَطَنَ شرّ . بُعثَ نبيٌّ من مُضرْ . بدين الله الكُبَر . فدعْ نَحِيتاً من حَجر . تسلمْ من حَرِّ سَقَرْ . قال : ففزعتُ لذلك ، فقلت : إن هذا لعجبٌ[3] : ثم عترتُ بعد أيام عتيرةً فسمعتُ صوتاً من الصنم يقول : أقبلْ إليّ أقبلْ . تسمعْ ما لا يُجهل . هذا نبيّ مُرسل . جاءَ بحقٍّ مُنزلْ . فآمن به كي تُعدل . عن حَرّ نارٍ تُشعلْ . وَقُودها بالجندلْ . فقلت : إن هذا لعجبٌ[4] ، وإنه لخير يُراد بي ، فبينا نحن كذلك إذ قدم رجل من أهل

---

(١) الروض الأنف ١/٢٤٥ — ٢٤٦ وأبو بكر النقاش : محمد بن الحسن بن زياد الموصلي البغدادي النقاش ، المقرىء المفسر : قال طلحة بن محمد الشاهد : كان النقاش يكذب في الحديث ، والغالب عليه القصص . وقال البرقاني : كل حديث النقاش منكر ، وذكر الذهبي في « ميزان الاعتدال » وابن الجوزي في « الموضوعات » ما يُفيد أنه وضّاع . نور النبراس لوحة ١/١٤٩ .

(٢) هو مازن بن الغَضُوبة بن غراب بن بشر الطائيّ ، له صحبة ؛ ذكره أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب ، وابن حجر في الإصابة ٣/٣٣٦ .

(٣) في « أ » و « ب » و « ج » : إن هذا لعجباً . والتصحيح من « د » والعتيرة : الذبيحة .

الحجاز ، قلنا : ما الخبر وراءك ؟ قال : ظهر رجل يُقال له أحمد ، يقول لمن أتاه : أجيبوا داعيَ الله . فقلت : هذا نبأ ما سمعتُه ، فثرت إلى الصنم فكسرته جُذاذاً ، وركبت راحلتي فقدمت على رسول الله ﷺ ، فشرح لي الإسلام ، فأسلمت وقلت شعراً :

كسَّرْتُ بــادرَ أجْــذَاذاً وكان لنــا ... ربَّــاً نُطيــفُ بــه ضُلاً بــتَضْلال
بــالهاشميّ هَدَانــا مــن ضَلاَلَتِنَــا ... ولم يكــنْ دينُــه مِنِّــي على بــالِ
يــا راكبــاً بلِّغَــنْ عَمْــراً وإخوتَهــا ... أنِّــي لمن قــال ربِّــي بــادرٌ قــالِ

يعني بعمرو : بني الصامت . وإخوتها : بني الخطامة .

قال مازن : فقلت : يا رسول الله ، إني مُولَعٌ بالطرب ، وبشرب الخمر ، وبالهَلُوكِ(١) من النساء ، وألحَّت علينا السِّنون فذهبنَ بالأموال وَهَزَلْن الذراريَ والعيال ، وليس لي ولد ، فادعُ الله أن يُذْهبَ عني ما أجد ويأتيني بالحيا(٢) ، ويهب لي ولداً . فقال النبيُّ ﷺ : « اللهم أبدلْه بالطرب قراءةَ القرآن ، وبالحرام الحلال ، وبالخمر رِيّاً لا إثم فيه ، وبالعِهْرِ عفة الفرج ، وائته بالحيا ، وهب له ولداً » . قال مازن : فأذهبَ الله عني ما كنتُ أجد ، وتعلَّمت شطرَ القرآن ، وحججتُ حججاً ، وأخصبت عُمان ، ووهب الله لي حَيَّان بن مازن ، وأنشدتُ أقول :

إلــيك رسولَ الله خــبَّتْ مطيّتــي ... تجوبُ الفيافي من عُمانَ إلى العَرج
لتشفعَ لي يا خيرَ من وَطِىءَ الحصى ... فيغفــرَ لي ربِّــي وأرجــعَ بالفُلْــج(٣)
إلى مــعشرٍ خالــفتُ في الله دينَهــم ... فلا رأيُهم رأيي ولا شرْجَهم شرجي(٤)
وكنتُ امرءاً بالزَّعْب والخَمر مُولعاً ... شبــابي حتــى آذنَ الجسمُ بــالنهج(٥)
فبدَّلَنــي بالخمــر خَوْفــاً وخشيــةً ... وبالعِهْرِ إحصاناً فحصَّن لي فَرجي

(١) « الهَلُوك » : المرأة المتساقطة على الرجال .
(٢) « الحيا » : المطر والخِصبُ .
(٣) « الفُلْج » : الفوز والظَّفر .
(٤) « الشَّرج » : المقصود به هنا : الطبيعة والشكل .
(٥) « الزَّعْب » : الجماع . و « النَّهج » : البلى ، يقال : نهج الثوبُ وأنهجَ ؛ إذا بلي .

فأصبحت هَمّي في الجهاد ونيّتي فللّهِ ما صَوْمي ولله ما حَجّي[1]

(خبر زِمْل بن عمرو) :

وروينا عن زمل بن عمرو العذري[2]، قال : كان لبني عُذْرة صنم يُقال له خُمَام فكانوا يعظمونه ، وكان في بني هند بن حرام بن ضِنّة بن عبد بن كَثير بن عُذْرة ، وكان سادنه رجلاً يقال له طارق ، وكانوا يَعْتِرون عنده ، فلما ظهر النبي ﷺ سمعنا صوتاً يقول : يا بني هند بن حَرَام ، ظهر الهدى وأودى خُمام ، ودفع الشركَ الإسلامُ . قال : ففزعنا لذلك وهالنا ، فمكثنا أياماً ، ثم سمعنا صوتاً وهو يقول : يا طارق يا طارق ، بُعث النبيُّ الصادق ، بوحيٍ ناطق ، صدع صادعهُ بأرض تهامة ، لناصريه السلامة ، ولخاذليه الندامةُ ، هذا الوداع مني إلى يوم القيامة . قال زِمْل : فوقع الصنم لوجهه . قال زِمْل : فابتعتُ راحلة ورحلت ، حتى أتيتُ النبي ﷺ مع نفر من قومي ، وأنشدتُه شعراً ، قلت :

إليكَ رسولَ الله أعملت نَصَّها أكلِّفها حَزْناً وقَوْزاً من الرمل[3]
لأنصرَ خيرَ النّاسِ نَصْراً مُؤَزَّراً وأعقدَ حبلاً من حبالك في حَبْلي
وأشهدُ أنَّ الله لا شيءَ غيرُه أدِينُ له ما أثقلتْ قدمي نعلي

في خبرٍ ذكرَه[4] .

---

(١) دلائل النبوة ، للبيهقي ٢/٢٥٥ – ٢٥٨ ، والإصابة ٣/٣٣٦ ، وقال الحافظ ابن حجر : أخرج الطبراني والفاكهي في كتاب « مكة » ، والبيهقي في « الدلائل » ، وابن السكن وابن قانع .. وقال الصالحي في « السيرة الشامية » ٢/٢٨٦ : روى الطبراني وأبو نُعيم والبيهقي .. وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٨/٢٤٨ : رواه الطبراني من طريق هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبيه ، وكلاهما متروك .

(٢) زِمْل بن عمرو : قال أبو عمر بن عبد البر : زَمِيْل ، ويُقال : زِمْل بن ربيعة الضِّني ثم العُذْري ، وهو صاحب شرطة معاوية ، له وِفَادة ، وقُتل بمرج راهط . نور النبراس لوحة ١/١٥٤ .

(٣) « نصَّها » : النص : السير الشديد . « قَوْزاً » : كثبان الرمل .

(٤) السيرة النبوية ؛ لابن كثير ١/٣٦٨ ، والسيرة الشامية ؛ للصالحي ٢/٢٩٤ وقال : رواه ابن عساكر عن زَميل ، ويُقال زِمْل بن عمرو .. وإسناد القصة ضعيف .

(خبر عبَّاس بن مِرْدَاس السُّلَمي[1]) :

وروينا عن ابن هشام ، أن بعض أهل العلم حدَّثه ، أنه كان لمرداس أبي عباس بن مِرداس السلمي وثن يعبده ، وهو حجر يقال له ضِمار[2] ، فلما حُضِرَ مرداس قال لعباس : أي بنيّ اعبُدْ ضِمار فإنه ينفعُك ويضرُّك . فبينما عباس يوماً عند ضِمار إذ سمع من جوف ضِمار منادياً يقول :

قُـلْ للقبائــل مـــن سُلَيم كلِّهـــا ... أودى ضِمـارُ وعاش أهـلُ المسجـدِ
إن الـــذي ورِثَ النُّبـــوَّة والهدى ... بعـد ابـن مريـمَ مـن قـريشٍ مُهتـدي
أودى ضِمـــارُ وكانَ يُعبـــد مـــرةً ... قبـلَ الكِتـاب إلى النبـيِّ مُحمَّـــدِ

فحرق العباسُ ضِمارَ ولحِقَ بالنبيّ المختار ﷺ[3] .

وروى أبو جعفر العقيلي ، عن رجل من بني لِهْب ـ يُقال لهُ لُهيب أو لَهيب[4] بن مالك ـ قال : حضرتُ مع رسول الله ﷺ فذُكرتْ عنده الكِهانةُ ، فقلتُ : بأبي وأمي نحن أول من عرف حِراسةَ السماء ، وزجرَ الشياطين ومنعَهم من استراق السمع عند قذف النجوم ، وذلك أنا اجتمعنا إلى كاهن لنا يُقال له خَطَرُ بن مالك وكان شيخاً كبيراً قد أتت عليه مائتا سنة وثمانون سنة ، وكان من أعلم كهاننا ، فقلنا له : يا خطرُ هل عندك

(١) ابن مرداس السُّلَمي : هو العباس بن مرداس بن أبي عامر بن جاروبة السُّلَمي ، أبو الهيثم ، وقيل أبو الفضل ، أسلم قبيل الفتح ، وكان أبوه صديقاً لحرب بن أمية ، فقتلتهما الجِنّ معاً . وقد شهد العبَّاس بن مرداس الفتح في شعبان في تسعمائة من قومه ، وكان شريفاً مطاعاً ، من المؤلفة قلوبهم . نور النبراس لوحة ١٥٥/١ .

(٢) في هامش « أ » : « ضِمار » : بكسر الضاد المعجمة ، على ما نقل عن الاستيعاب ، و « الذيل والتكملة » للصغاني . وضبطه السهيلي بفتح الضاد ، فالأول على وزن كِتاب ، فهو مصروف ، والثاني على وزن حَذام ، ففيه الخلاف المشهور .

(٣) خبر العباس بن مِرْداس في « دلائل النبوة » ؛ لأبي نُعيم ١٤٦/١ ــ ١٤٧ ، والسيرة النبوية ، لابن كثير ٣٥٨/١ عن الخرائطي وأبي نُعيم ، والخصائص الكبرى ٢٦٨/١ ، والسيرة الشامية ؛ للصالحي ٢٨٩/٢ ــ ٢٩٠ وقال : روى ابن جرير والطبراني وابن أبي الدنيا وأبو نُعيم والخرائطي عن العباس بن مِرْداس .. وإسناد القصة ضعيف جداً .

(٤) لُهيب بن مالك اللهبي ، ويقال : لهب ، روى خبراً عجيباً في الكِهانة وأعلام النبوة . الاستيعاب ٣٣٠/٣ ، والإصابة ٣٣١/٣ .

علم من هذه النجوم التي يُرمى بها ؟ فإنا قد فزعنا لها وخفنا سوء عاقبتها ، فقال : ائتوني بسَحَرٍ ، أخبرْكم الخبرَ ، ألخير أم ضرر ، أو لأمنٍ أو حذر . قال : فانصرفنا عنه يومنا فلما كان من غدٍ في وجه السَّحَر أتيناه ، فإذا هو قائم على قدميه شاخصٌ في السماء بعينيه ، فناديناه يا خَطر يا خَطر ! فأومأ إلينا : أمسكوا . فأمسكنا ، فانقضَّ نجمٌ عظيمٌ من السماء وصرخ الكاهنُ رافعاً صوته :

أصَابـــه إصابُـــه خامـــرَه عقابـــه[1]
عاجلـــه عذابُـــه أحرقـــه شهابُـــه
زايلَـــه جوابُـــه
يـــا ويلَـــه مـــا حالُـــه بَلْبَلَـــه بلبالُـــه[2]
عـــاوده خبالـــه تقطَّـــعتْ حِبالُـــه
وغيَّـــرت أحوالـــه

ثم أمسك طويلاً وهو يقول : يا معشر بني قحطان :

أُخبركم بـــالحقِّ والبيـــان أقسمتُ بالكعبـــة والأركانِ
والبلـــد المؤتمن السُّدَّانِ[3] قـد مُنـع السمـعَ عتـاةُ الجانِ
بثـاقبٍ بكـفِّ ذي سُلطـانِ من أجلِ مبعوثٍ عظيمِ الشَّانِ
يُبْـعثُ بالتنزيـل والفُرقـانِ وبالهُـدى وفـاضلِ القـرآنِ
تبطُـلْ بـه عبـادةُ الأوثـانِ

قال : فقلت : ويحك يا خطر ! إنك لتذكرُ أمراً عظيماً فماذا ترى لقومِك ؟ فقال :

أرى لقومـي ما أرى لنـفسي أنْ يتبعـوا خيـرَ نبـيِّ الإنسِ
برهانُـه مثلُ شُعـاعِ الشَّمسِ يُـبعث في مَكَّـةَ دارِ الحُـمْسِ
بمحكـمِ التنزيـلِ غير اللَّـبْسِ

---

(١) « أصابه إصابُه » : حلَّ به الإصاب ؛ وأصل الإصاب الوِصاب ، جمع الوصيب ، وهو المرض ، قلبت واوه همزة ، مثل إشاح ووشاح .
(٢) « بلبله بلْبَاله » : أحزنه همُّه ووسواسُ صدره .
(٣) « السُّدَّانُ » : جمع سادن ، وهو الخادم ، كخدَّام وخادم .

فقلنا له : يا خطر ! وممن هو ؟ فقال : والحياة والعيش إنه لمن قريش ، ما في حكمه طيش ، ولا في خلقه هَيْش[1] ، يكون في جيش وأي جيش ، من آل قحطان وآل أيْش[2] . فقلنا : بيّن لنا من أي قريش هو ؟ فقال : والبيت ذي الدعائم ، إنه لمن نجل هاشم ، من معشر أكارم ، يُبعث بالملاحم ، وقتل كل ذي ظالم . ثم قال : هذا هو البيان ، أخبرني به رئيس الجان . ثم قال:الله أكبر جاء الحق وظهر ، وانقطع عن الجن الخبر . ثم سكت وأغمي عليه فما أفاق إلا بعد ثالثة ، فقال : لا إله إلا الله .

فقال رسولُ الله ﷺ : « سبحانَ الله ، لقد نَطق عن مثل نبوة ، وإنه ليُبعث يوم القيامة أمة وحده »[3] .

● قال السهيلي[4] : المعنى وصابه . مثل وشاح وأشاح وتكون الهمزة بدلاً من واو مكسورة .

وروينا من طريق ابن ماجه ، حدثنا محمد بن يحيى ، حدثنا إسرائيل ، حدثنا سماك ابن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن قريشاً أتوا امرأةً كاهنة ، فقالوا لها : أخبرينا

---

(١) « هَيْش » : فساد .

(٢) « وأيُّ أيش » : وأي قبيلة أخرى مهما عَظُم شأنُها .

(٣) قال ابن عبد البر في « الاستيعاب » ٣/٣٣٤ : بعد أن ساق الخبرَ بطوله : وذكر هذا الخبرَ أبو جعفر العقيلي في كتاب « الصحابة » له ، فقال : أخبرنا عبد الله بن أحمد البلوي ، قال : أخبرني عمارة بن زيد ، قال : حدثني عبد الله بن العلاء ، عن أبي الشعشاع زنباع بن الشعشاع ، قال : حدثني أبي ، عن لُهيب بن مالك اللهبي ... إلخ الخبر .

قال أبو عمر : هذا الحديث ضعيف ، ولو كان فيه حكم لم أذكره ، لأن رواته مجهولون ، وعمارة بن زيد متهم بوضع الحديث ، ولكنه في معنى حسن ، من أعلام النبوة ، والأصولُ في مثله لا تدفعه ، بل تصححه وتشهد له ، والحمد لله .

ونقل الحافظ ابن حجر كلام أبي عمر بعد أن ساق الخبر في « الإصابة » ٣/٣٣١ — ٣٣٢ مختصراً ، وقال : يُستفاد من هذا أنه تجوز رواية الحديث الموضوع إذا كان بهذين الشرطين : أن لا يكون فيه حكم ، وأن تشهد له الأصول ، وهو خلاف ما نقلوه من الاتفاق على عدم جواز ذلك ، ويمكن أن يُقال : ذكر هذا الشرط من جملة البيان . وانظر « نور النبراس » لوحة ١/١٥٦ .

(٤) الروض الأنف ١/٢٤١ .

أشبهَنا أثراً[1] بصاحب المقام[2] ؟ فقالت : إن أنتم جررتم كساءً على هذه السُّهلة[3] ، ثم مَشيتم عليها أنبأتكم ، فجروا كساءً ، ثم مشى الناس عليها ، فأبصرتْ أثرَ رسول الله ﷺ ، فقالت : هذا أقربُكم إليه شبهاً . ثم مكثوا بعد ذلك عشرين سنة أو ما شاء الله ثم بَعث الله محمداً ﷺ[4] .

وذكر ابن أبي خيثمة ، حدثنا موسى ، حدثنا حماد ، عن حميد ، عن عكرمة ؛ أن نفراً من قريش مروا بجزيرة من جزائر البحر ، فإذا هم بشيخ من جُرهم ، فقال : ممن أنتم ؟ قلنا نحن من أهل مكة من قريش . فقال الشيخ ذات يوم : لقد طلع الليلة نجمٌ ، لقد بُعث فيكم نبيٌّ . قال : فنظروا فإذا النبيُّ ﷺ قد بُعث تلك الليلة[5] .

قرىء على أبي عبد الله محمد بن عبد المؤمن المقدسي وأنا أسمع بغوطة دمشق ، أخبرتكم أمُّ النور عينُ الشمس بنت أحمد بن أبي الفرج الثقفي إجازة ؟ قالت أخبرنا أبو الفتح إسماعيل ابن الفضل بن أحمد بن الإخشيد ، قراءة عليه ، حدثنا الشيخ الزكي أبو القاسم الفضل ابن أحمد بن أحمد بن محمود الثقفي ، حدثنا أبو بكر أحمد بن يوسف بن إبراهيم الثقفي ، حدثنا أبو علي الحسن بن محمد بنُ ألِهِ المُعَدِّل ، حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا عبيد الله ابن عبد المجيد ، حدثنا القاسم بن الفضل ، حدثنا أبو نضرة[6] ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : بينما راعٍ يَرعى بالجزيرة إذ عرض الذئب لشاة من شائه ، فحال الراعي بين الذئب وبين الشاة ، فأقعى الذئبُ على ذنبه ، فقال : ألا تتقي الله ، تحول بيني

---

(١) « أثراً » : أي أثر القدم على الأرض .
(٢) « بصاحب المَقَام » : مقام إبراهيم ، والمراد أنه أقرب اتباعاً لإبراهيم عليه السلام .
(٣) « السُّهلة » : الأرض اللينة حيث يظهر عليها الأثر .
(٤) رواه الإمام أحمد في « المسند » ٣٣٢/١ ، وابن ماجه في كتاب الأحكام (باب القافة) رقم /٢٣٥٠/ وفي الزوائد : إسناده صحيح ورجاله ثقات .
(٥) ابن أبي خيثمة : أحمد بن زهير بن حرب بن شداد النسائي البغدادي ، الحافظ ، المتوفى سنة ٢٧٩ هـ ، وربما ذكر هذا في كتابه « التاريخ » مخطوط ، وهو خبر عن عكرمة مولى ابن عباس الثقة عن شيخ مجهول من جرهم . نور النبراس لوحة ١٥٩/١ .
(٦) أبو نضرة : بالضاد المعجمة ، واسمه منذر بن مالك بن قطعة العبدي ، روى عن علي مرسلاً وعن ابن عباس وأبي سعيد ، وروى عنه قتادة وعوف وابن أبي عروبة ، وكان فصيحاً مفوهاً ثقة يُخطىء ، توفي

وبين رزق ساقه الله إلي . فقال الراعي : هل أعجبُ من ذئب مقع على ذنبه يكلمني بكلام الإنس . فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجبَ مني ؟ رسولَ الله ﷺ بين الحرتين ، يحدث الناس بأنباء ما قد سبق . فساق الراعي شاءَه فأتى المدينة فغدا على رسول الله ﷺ يُحدِّثه بما قال الذئب . فقال رسول الله ﷺ : صدق الراعي ، إن من أشراط الساعة كلامُ السِّباع الإنسَ ، والذي نفسي بيده لا تقومُ الساعة حتى يُكلِّم الرجلَ شِراكُ نعله ، وعذبة صوته ، ويُخبرَه بما صنع أهلُه[1] .

وذكر الواقدي بإسناد له ، قال : كان أبو هريرة يُحدث أن قوماً من خثعم كانوا عند صنم لهم جلوساً . — وكانوا يتحاكمون إلى أصنامهم — وفيه : قال أبو هريرة رضي الله عنه : فبينا الخثعميون عند صنمهم إذ سمعوا هاتفاً يهتف :

يا أيُّها النـاس ذوو الأجسام ... ومسندو الحكم إلى الأصنام
أكلُّكـم أَوْرَهُ[2] كالكَهــام ... أمـا تـرون مـا أرى أمامـي
من ساطعٍ يجلو دُجى الظلام ... ذاك نبــيٌّ سيّــدُ الأنــام
من هـاشم في ذُروة السَّنام ... مستعلــنٌ بالبلـــد الحرام
جـاء يهدُّ الكفــر بـالإسلام ... أكرمه الـرحمنُ مـن إمـام

قال أبو هريرة : فأمسكوا عنه ساعة حتى حفظوا ذلك ، ثم تفرقوا فلم تمض بهم ثالثة حتى فجأهم[3] خبرُ رسولِ الله ﷺ أنه قد ظهر بمكة . فما أسلم الخثعميون حتى استأخر إسلامُهم ورأوا عبراً عند صنمهم[4] .

= سنة ١٨٠ هـ . نور النبراس لوحة ١٦١/١ والميزان ١٨١/٤ .

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٨٤/٣ ، وإسناده حسن ، كما أخرجه بإسناد له آخر إلى شهر عن أبي سعيد فذكر نحوه ، وذكر أيضاً من حديث أبي هريرة ، فذكر نحوه ، وهذا في الصحيح باختصار . نور النبراس لوحة ١٦١/١ .

(٢) « أَوْرَهُ كالكَهام » : الأَوْرَهُ : الأحمق ، والكَهام : بفتح الكاف ، الرجل الكليل الذي لا غناء عنده في رأي أو حركة .

(٣) « فجأهم » : يقال : فجأة الأمر وفجئه : أتاه بغتة .

(٤) الاكتفاء ٢٢٣/١ عن الواقدي ، وتهذيب ابن عساكر ٣٦٥/١ عن ابن إسحاق ، والسيرة الشامية ٢٨٥/٢ .

قال ابن إسحاق : وحدثني علي بن نافع الجُرَشي ؛ أن جَنْباً ـ بطناً ـ من اليمن كان لهم كاهن في الجاهلية ، فلما ذُكر أمرُ رسول الله ﷺ وانتشر في العرب ، قالت له جَنْبُ : انظر لنا في أمر هذا الرجل . واجتمعوا إليه في أسفل جبل ، فنزل إليهم[1] حين طلعت الشمس ، فوقف لهم قائماً متكئاً على قوس له ، فرفع رأسه إلى السماء طويلاً ، ثم جعل ينزو ، ثم قال : أيُّها الناس إن الله أكرم محمداً واصطفاه ، وطهَّر قلبَه وحشاه[2] ، ومكثه فيكم أيها الناس قليل . ثم اشتد في جبله راجعاً من حيث جاء[3] .

والأخبار[4] في هذا كثيرة .

* * *

(١) في « أ » و« ب » : عليهم .

(٢) « حَشَاهُ » : مفرد أحشاء .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢٠٩/١ .

(٤) انظر هذه الأخبار في السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢٠٤/١ ـ ٢٠٩ ودلائل النبوة ؛ لأبي نعيم ١١٤/١ ـ ١٢٧ ، ودلائل النبوة ؛ للبيهقي ٧٤/٢ ـ ١٢٠ ، والسيرة النبوية ؛ لابن كثير ٢٨٦/١ ـ ٣٠٨ والسيرة النبوية من تاريخ الإسلام للذهبي ص ٢٠٢ ـ ٢٠٩ ، والسيرة الشامية ٢٤٦/٢ ـ ٢٨٠ ، وغيرها .

ذكر المبعث

متى وجبت له ﷺ النبوة ؟

قُرِىءَ على أبي عبد الله محمد بن عبد المؤمن بن أبي الفتح الصُّوري وأنا أسمع ، أخبرَكم أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل بن الحَرَسْتاني قراءةً عليه وأنتم تسمعون ؟ فأقرَّ به . قال أنبأنا أبو محمد عبد الكريم بن حمزة بن أبي الخَضر السُّلَمي سماعاً عليه ، أنبأنا أبو محمد عبد العزيز بن أحمد الكَتَّاني[1] ، أنبأنا تمَّام بن محمد الرازي ، أنبأنا أحمد ابن سُليمان ، حدثنا يزيد بن محمد ، حدثنا أبو الجُمَاهر ، حدثنا سعيد بن بشير ، حدثنا قتادة ، عن الحسن ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ؛ أن رسولَ الله ﷺ قال : « كنتُ أوّلَ النبيين في الخلق وآخرَهم في البعث »[2] . أخبرنا محمد بن إسماعيل بن عبد الله بن الأنماطي بقراءة والدي عليه وأنا أسمع ، أنبأنا ابن الحرستاني سماعاً ، وأبو الحسن المؤيَّد ابن محمد بن علي الطرسوسي إجازةً ، قال : أنبأنا ابن الحرستاني أنبأنا الإمام أبو عبد الله محمد ابن الفضل بن أحمد الفَزَاري[3] ، أنبأنا أبو حفص بن مسرور ، أنبأنا أبو عمرو بن نُجَيد[4] ، حدثنا محمد بن أيوب الرازي ، أنبأنا محمد بن سِنان العَوَقي ، حدثنا إبراهيم بن

---

(١) الكَتَّاني : بفتح الكاف وتشديد التاء ، وهو محدث دمشق ، أبو محمد ، عبد العزيز بن أحمد بن محمد ابن علي بن سليمان الكتاني ، حدث عن تمام الرازي وطبقته ، توفي سنة ٤٦٦ هـ . نور النبراس لوحة ١٦٢/١ .

(٢) قال الحافظ المحدِّث سبط ابن العجمي : هذا الحديث ليس في الكتب الستة ، والحسن البصري لم يسمع من أبي هريرة ، وما رآه قط .. وسعيد بن بشير ؛ قال البخاري : يتكلمون في حفظه ، ووثقه غيره .. نور النبراس لوحة ١٦٢/١ .

(٣) الفَزَاري : نسبة إلى فزارة ؛ بُليدة من ثغر خراسان ، وهي بفتح الفاء وضمها ، وهو الملقب بفقيه الحرم ، من تلامذة إمام الحرمين ، كان رجلاً فقيهاً صالحاً محدِّثاً ، توفي سنة ٥٣٠ هـ . نور النبراس لوحة ١٦٢/١ .

(٤) ابن نُجَيْد : اسمه إسماعيل بن نُجَيْد بن أحمد بن يوسف النيسابوري ، حدث عن محمد بن أيوب الرازي وأبي مسلم الكِجِّي وغيرهما ، وهو أحد الأئمة ، نور النبراس لوحة ١٦٣/١ .

طهمان ، عن بُديل ، عن عبد الله بن شقيق ، عن ميسرة الفَجْر[1] ، قال : قلت يا رسول الله متى كنتَ نبياً قال : « كنتُ نبياً وآدمُ بين الروح والجسد »[2] .

كم كانت سِنُّه ﷺ حين بُعث ؟

أخبرنا أبو حفص عمر بن عبد المنعم بن القوَّاس بقراءتي عليه بِعِرْبيل بغوطة دمشق ، قلتُ له أخبركم القاضي الإمام أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الأنصاري قراءة عليه بحضورك في الرابعة ؟ فأقرَّ به . قال : أخبرنا جمال الإسلام أبو الحسن السُّلمي ، أخبرنا أبو نصر الحسين بن محمد بن طَلَّاب ، أخبرنا أبو الحسين بن جُمَيْع ، حدثنا خالد ابن محمد بدِمْياط ، حدثنا محمد بن علي الصائغ ، حدثنا محمد بن بشِير التِّنِيسيّ ، حدثنا الأوزاعي ، حدثني رَبيعة بن أبي عبد الرحمن ، حدثني أنس بن مالك : أن رسول الله ﷺ بُعث على رأس الأربعين وقُبض على رأس الستين وما في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء[3] .

(١) الفَجْر : هو بإسكان الجيم ، وقيده البخاري في « التاريخ » بفتحها ، وكذا الجوهري في الصحاح . وميسرة الفجَر : صحابي ، ذكره البخاري والبغوي وابن السكن وغيرهم في الصحابة .. وقيل إن اسمه عبد الله ابن أبي الجدعاء ، وميسرة لقبه . الإصابة ٣/٤٧٠ .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ٥/٥٩ ، وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة : إسناده قوي لكن اختلف على بديل بن ميسرة .. وسئل العلامة أبو العباس بن تيمية عن حديث « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين » وكذا « كنت نبياً ولا ماء ولا طين » فقال : هذا اللفظ كذب وباطل ، والمأثور رواه الترمذي وغيره « وآدم بين الروح والجسد » . نور النبراس لوحة ١/١٦٣ .
ورواه الترمذي في المناقب (باب ما جاء في فضل النبي ﷺ) رقم /٣٦١٣/ عن أبي هريرة ، وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح ، وهو عند الإمام أحمد في المسند ٤/٦٦ و٥/٣٧٩ من حديث عبد الله بن شقيق عن رجل ..

(٣) رواه مسلم في كتاب الفضائل (باب في صفة النبي ﷺ ، ومبعثه ، وسنه) رقم /٢٣٤٧/ ؛ حدثنا يحيى بن يحيى ، قال : قرأت على مالك ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن أنس بن مالك ... وذكره بأطول مما ذكره ابن سيد الناس رحمه الله تعالى .
وقال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم : الصوابُ أنه ﷺ بُعث على رأس الأربعين سنة . هذا هو المشهور الذي أطبق عليه العلماء . شرح النووي على صحيح مسلم ١٥/٩٩ .

خبر عموم بعثتِهِ عليه الصلاة والسلام[1]

أخبرنا أبو محمد عبد العزيز بن عبد المنعم الحرَّاني بقراءة والدي عليه ، أخبركم أبو علي ضياء بن أبي القاسم بن الخُرَيْف ؟ أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد الأنصاري أخبرنا أبو الحسن علي بن عيسى الباقلاني ، أخبرنا أحمد بن جعفر ، حدثنا الحسن بن الطيب[2] البلخي ، حدثنا قُتيبة بن سعيد ، حدثنا بكر بن مضر ، عن ابن الهَادي ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه[3] ، عن جده ؛ أن رسول الله ﷺ عامَ تَبوك قام من الليل يُصلي ، فاجتمع رجالٌ من أصحابه يحرسُونه ، حتى إذا صلَّى وانصرفَ إليهم ، قال لهم : « لقد أُعطيت الليلة خمساً ما أُعطيَهنَّ أحدٌ قبلي : أما أولاهن فأرسلتَ إلى الناس كلهم عامة وكان من قبلي إنما يُرسل إلى قومه . ونُصرتُ بالرعب على العدو ولو كان بيني وبينه مسيرةُ شهر لملِىء مني رعباً . وأُحلت لي الغنائم كلُّها ، وكان من قبلي يعظمونها وكانوا يحرمونها . وجُعلت لي الأرضُ مسجداً وطهوراً أينما أدركتني الصلاة تمسَّحتُ وصلَّيتُ ، وكان مَنْ قبلي يُعظمون ذلك إنما كانوا يُصلُّون في كنائسهم وبيعهم . والخامسة : قيل لي سلْ فإن كلَّ نبي قد سأل ، فأخَّرتُ مسألتي إلى يوم القيامة ، فهي لكم ولمن شهد أن لا إلَه إلا الله »[4] .

---

(١) كذا في « أ » وفي بقية النسخ « إلى الأسود والأحمر » .

(٢) الحسن بن الطيب البلخي : عن قتيبة ، قال ابن عدي كان له عم يقال له الحسن بن شجاع ، فادعى كتبه ، وحدَّث أيضاً بأحاديث سرقها . وقال البَرْقَاني : ذاهب الحديث ، وقال الدارقطني : لا يساوي شيئاً .. توفي سنة ٣٠٧ هـ . ميزان الاعتدال ٥٠١/١ .

(٣) عمرو بن شعيب : عن أبيه ، أي عن شعيب بن محمد والد عمرو . عن جده : أي عن جد شعيب ، وهو عبد الله بن عمرو بن العاص ؛ لأن شعيباً لم ير أباه ، إذ مات أبوه وهو صغير ، فروايته إنما هي عن جده الذي نشأ وتربَّى في كنفه . وعمرو بن شعيب : حجة إذا صحَّ السند إليه على القول الأكثر .. انظر نور النبراس لوحة ١٦٥/١ .

(٤) رواه الإمام أحمد في « المسند » ٢٢٢/٢ عن قتيبة بن سعيد ، حدثنا بكر بن مضر عن ابن الهادي ، عن عمرو بن شعيب .. وذكره في مجمع الزوائد ٣٦٧/٨ وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات . وقال أحمد شاكر رحمه الله تعالى تحت رقم /٧٠٦٨/ ، إسناده صحيح . أما الحسن بن الطيب فقد ورد في سند المؤلف ولم يؤثر في ضعف الحديث شيئاً ، لورود الحديث من طريق آخر صحيح .

قرىء على عبد الرحيم بن يوسف الموصلي وأنا أسمع ، أخبرَكم ابنَ طَبْرَزَذ ، أخبرنا ابن(1) الحُصَيْن ، أخبرنا ابنُ غيلان(2) ، عن أبي بكر(3) الشافعي ، حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن مسلم ، حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر(4) ، عن سعيد بن جبير ، عن أبي موسى ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ سمع بي من يهوديّ أو نصرانيّ ثم لم يُسلم دخلَ النار »(5) .

قال ابنُ إسحاق فلما بلغَ رسولُ الله ﷺ أربعينَ سنة بعثه الله رحمةً للعالمين وكافةً للناس ، وكان الله قد أخذَ له الميثاق على كل نبيّ بعثَه قبلَه بالإيمان به والتصديق له والنصر على من خالفه ، وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدَّقهم ، فأدَّوْا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه ، يقول الله تعالى لنبيّه محمد ﷺ : ﴿ وإذْ أخذَ الله ميثاقَ النبيِّينَ لما آتيتكُم من كتابٍ وحِكْمة ثم جاءَكم رسولٌ مُصدِّقٌ لما معكم لَتُؤمِنُنَّ به ولتنصُرنَّه قال أأقْررتُم وأخذتُم على ذلكم إصْري ﴾ أي : ثقل ما حملتكم من عهدي ﴿ قالوا أقرَرْنا قال فاشهدُوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾ [آل عمران : ٨١] فأخذ الله الميثاقَ عليهم جميعاً بالتصديق له والنصر ، وأدَّوا ذلك إلى من آمنَ بهم وصدَّقَهم من أهل هذين الكتابين(6) .

وعن عائشة رضي الله عنها : أن أوَّلَ ما ابتُدىء به رسولُ الله ﷺ من النبوة حين أراد الله به كرامتَه ورحمةَ العباد به الرؤيا الصادقة ، لا يرى رُؤيا إلا جاءت كفلق الصبح(7) ، وحَبَّبَ الله إليه الخلوة ، فلم يكن شيءٌ أحبَّ إليه من أن يخلوَ وحده(6) . وروينا عن أبي

---

(١) ابن الحُصين : هو المسند الرئيس أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن الحصين الشيباني .

(٢) ابن غَيْلان : هو أبو طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان البزاز .

(٣) أبو بكر الشافعي : هو محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي ، الإمام الحجة ، محدث العراق البغدادي ، قال الخطيب : كان ثقة ثبتاً كثير الحديث حسن التصنيف .. توفي سنة ٣٤٤ هـ نور النبراس لوحة ١٦٥/١ .

(٤) أبو بِشر : جعفر بن أبي وَحشيّة ، صدوق معروف ، ضعَّف يحيى بن القطان روايته عن حبيب بن سالم خاصة . ميزان الاعتدال ٤٩٥/٤ .

(٥) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ، في كتاب التفسير ، وإنما آثر المؤلف روايته من « الغيلانيات » ولم يذكره من النسائي ؛ لأنه يقع له أعلى .. نور النبراس لوحة ١٦٦/١ .

(٦) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢٣٣/١ — ٢٣٤ .

(٧) « فلق الصبح » : ضياؤه وإنارته .

بِشر الدُّولابي : حدثني محمد بن حُميد أبو قرة ، حدثنا سعيد بن عيسى بن تليد ، حدثني المفضل بن فضالة ، عن أبي الطاهر عبد الملك بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم ، عن عمه عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، أنه كان من بدءِ أمر رسولِ الله ﷺ أنه رأى في المنام رؤيا فشقَّ ذلك عليه ، فذكر ذلك لصاحبته خديجة بنت خويلد ، فقالت له : أبشر فإن الله لا يصنعُ بك إلا خيراً ، فذكر لها أنه رأى أن بطنه أُخرج فطُهِّر وغُسل ، ثم أُعيد كما كان . قالت : هذا خير فابشر . ثم استعلنَ[1] به جبريلُ ، فأجلسَه على ما شاء الله أن يجلسَه عليه وبشَّره برسالة ربه حتى اطمأن ، ثم قال : اقرأ . قال كيف أقرأ . قال : ﴿ اقرأ باسم رَبّك الذي خلق . خلقَ الإنسانَ من عَلَق . اقرأ وربُّك الأكرم ﴾ [العلق : ١ — ٣] . فقبلَ رسولُ الله ﷺ رسالةَ ربه ، واتَّبعَ الذي جاء به جبريلُ من عند الله ، وانصرفَ إلى أهله ، فلما دخل على خديجةَ قال : « أرأيتك الذي كنت أحدثك ورأيته في المنام فإنه جبريل استعلن » فأخبرَها بالذي جاءه من الله عز وجل وسمعَ . فقالت : ابشر فوالله لا يفعل الله بك إلا خيراً ، فاقبل الذي أتاك الله ، وابشر فإنك رسولُ الله حقاً[2] .

وروينا من طريق الدولابي عن محمد بن عايذ ، حدثنا محمد بن شُعيب ، عن عثمان ابن عطاء الخراساني ، عن أبيه عطاء بن أبي مسلم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : بعثَ الله عز وجل محمداً على رأس خمس سنين من بنيان الكعبة ، وكان أول شيء أراه إياه من النبوة رؤيا في النوم ، فذكر نحو ما تقدم ، وفي آخره : فلما قُضي إليه الذي أُمر به ، انصرفَ رسولُ الله ﷺ منقلباً إلى أهله لا يأتي على حجر ولا شجر إلا سلَّم عليه : سلامٌ عليك يا رسول الله . فرجعَ إلى بيته وهو موقنٌ قد فاز فوزاً عظيماً — الحديث[3] .

وروينا من طريق مسلم ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا يحيى بن أبي بُكير ،

(١) « استعلن » : جاءه علانية وجهاراً .

(٢) رواه الدولابي ، وهو مرسل ، إسناده حسن .

(٣) رواه الدولابي ، وإسناده ضعيف ، فيه عثمان بن عطاء بن أبي مسلم الخراساني ، يروي عن أبيه ، ضعفه مسلم ، ويحيى بن معين ، والدارقطني . وعطاء بن أبي مسلم الخراساني ، ضعَّفه البخاري ، وروايته عن ابن عباس مرسلة ، قال أبو داود : لم يدرك ابن عباس . وانظر ميزان الاعتدال ٤٨/٣ — ٤٩ و ٧٣ — ٧٥ .

عن إبراهيم بن طهمان ، قال : حدثني سماك بن حرب ، عن جابر بن سمرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إني لأعرفُ حجراً بمكة كان يُسلِّم عليَّ قبل أن أُبعث ، إني لأعرفه الآن »[1] .

وفي رواية يونس عن ابن إسحاق بسنده إلى أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل ؛ أن رسولَ الله ﷺ قال لخديجةَ : إني إذا خلوتُ وحدي سمعتُ نداءً ، وقد خشيتُ والله أن يكون لهذا أمرٌ . قالتْ : معاذ الله ، ما كان الله ليفعلَ ذلك بك ، فوالله إنك لتؤدي الأمانة ، وتصلُ الرحم ، وتصدق الحديث . فلما دخل أبو بكر وليس رسولُ الله ﷺ ثَمَّ ، ذكرتْ خديجةُ له ، فقالت : يا عتيق اذهب مع محمد إلى ورقة ، فلما دخل رسولُ الله ﷺ أخذ أبو بكر بيده وقال : انطلق بنا إلى ورقة ، فقال : ومن أخبرك ؟ قال : خديجة . فانطلقا إليه ، فقصَّا عليه ، فقال : إني إذا خلوتُ وحدي سمعت نداءً خلفي يا محمد يا محمد ، فأنطلق هارباً في الأرض ، فقال له : لا تفعلْ ، إذا أتاك فاثبتْ حتى تسمعَ ما يقولُ لك ثم ائتني ، فأخبرني ، فلما خلا ناداه يا محمد يا محمد ، قل : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين . حتى بلغ ولا الضالين . قل : لا إلّه إلا الله . فأتى ورقةَ فذكَر له ذلك . فقال له ورقة : ابشر فأنا أشهدُ أنك الذي بشَّر به ابنُ مريم وأنك على مثل ناموس موسى ، وأنك نبيٌّ مرسل ، وأنك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا ، ولئن أدركني ذلك لأجاهدنَّ معك . فلما توفي ورقةُ قال رسولُ الله ﷺ : « لقد رأيتُ القَسَّ في الجنة وعليه ثياب الحرير ؛ لأنه آمنَ بي وصدقني » ـ يعني ورقة[2] ـ .

وروينا عن أبي بكر الشافعي ، حدثنا محمد بن يونس بن موسى ، حدثنا عثمان بن عمر ابن فارس ، أخبرنا علي بن المبارك الهنائيُّ ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة قال : سألتُ جابرَ بن عبد الله فقال : لا أحدثك إلا ما حدثنا رسولُ الله ﷺ ، قال : « جاورتُ بحراء ، فلما قضيت جواري هبطتُ ، فنُوديت فنظرتُ عن يميني فلم أر شيئاً ، فنظرتُ

---

(١) رواه مسلم في كتاب الفضائل (باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة) رقم /٢٢٧٧/ .

(٢) السيرة الشامية ٢/٣٢٦ ، وقال محمد بن يوسف الصالحي : رواه البيهقي وأبو نعيم .. وفي سنده انقطاع . وقال سبط ابن العجمي : وهذا الحديث مرسل ، وهذا ظاهر . نور النبراس لوحة ١/١٦٨ .

عن يساري فلم أر شيئاً ، فنظرتُ من خلفي فلم أر شيئاً ، فرفعتُ رأسي فرأيتُ شيئاً بين السماء والأرض ، فأتيتُ خديجةَ فقلتُ دثروني وصبُّوا عليَّ ماءً بارداً » . فدثروني وصَبُّوا عليَّ ماءً بارداً ، فنزلتْ هذه الآية : ﴿ يا أيها المدثر . قم فأنذر . وربَّك فكبِّر ﴾ [المدثر : ١ ـ ٣] رواه[١] مسلم عن ابن مثنى ، عن عثمان بن عمر بن فارس .

وروينا من حديث الزهري قال أخبرني عروة بن الزبير ؛ أن عائشة زوجَ النبي ﷺ أخبرته : أنها قالت : كان أوّل ما بُدىء به رسولُ الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبِّبَ إليه الخلاء ، فكان يخلو بغار حراءَ يتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي أولات[٢] العدد قبل أن يرجعَ إلى أهله ويتزودَ لذلك ، ثم يرجعُ إلى خديجة فيتزودُ لمثلها ، حتى فجأهُ الحقُّ وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ . قال : ما أنا بقارىء . قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد[٣] ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارىء . قال : فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارىء . فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : ﴿ اقرأْ باسم ربِّكَ الذي خلق . خلقَ الإنسانَ من عَلَق . اقرأ وربُّك الأكرم . الذي عَلَّمَ بالقلم . عَلَّمَ الإنسانَ ما لم يعلم ﴾ [العلق : ١ ـ ٥] فرجعَ بها رسولُ الله ﷺ ترجفُ بوادرُه[٤] حتى دخل على خديجةَ ، فقال : زملوني زملوني ، فزملوه حتى ذهبَ عنه الرَّوْع ، ثم قال لخديجة : أي خديجة ، مالي ؟ وأخبرها الخبرَ . قال : لقد خشيتُ على نفسي . قالت له خديجة : كلا ، ابشر فوالله لا يُخزيك الله أبداً ، إنك لتصلُ الرحم وتصدق الحديث ، وتحمل الكَلّ وتَكْسِبُ المعدومَ ، وتَقري الضيفَ ، وتُعين على نوائب الحق . فانطلقتْ به خديجةُ حتى أتتْ به ورقةَ بن نوفل ابن أسد بن عبد العزى ، وهو ابن عم خديجة أخي أبيها ، وكان امرأً تنصر في الجاهلية ،

---

(١) رواه مسلم في الإيمان (باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ) ، وهو عند البخاري في بدء الوحي رقم /٤/ والترمذي والنسائي . ولكن المؤلف رحمه الله تعالى آثر روايته من « الغيلانيات » ليقع له أعلى إسناداً .

(٢) كذا في جميع النسخ ، وفي البخاري « ذوات » .

(٣) « الجُهْدُ » : بالضم ، الطاقة . و« الجَهْدُ » : بالفتح ، المشقة .

(٤) « بوادرُه » : جمع بادرة ، وهي اللحمة تكون بين عنق الإنسان ومنكبه ، وكذلك في غير الإنسان .

وكان يكتبُ الكتابَ العربي ، ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتبَ ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي . فقالت له خديجة : أي عم ، اسمع من ابن أخيك . قال ورقة بن نوفل يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسولُ الله ﷺ خبرَ ما رأى . فقال له ورقةُ : هذا الناموسُ الذي أُنزل على موسى ، يا ليتني فيها جَذَعاً ، يا ليتني أكون حياً حين يُخرجك قومُك . قال رسولُ الله ﷺ : أو مخرجي هم ؟ قال ورقة : نعم لم يأتِ رجلٌ قط بما جئت به إلا عُودي وإن يُدركني يومُك أنصرْك نصراً مؤزراً . رويناه من حديث مسلم عن أبي الطاهر عن ابن وهب بن يونس عنه ، وهذا لفظه[1] . ورويناه من طريق البخاري وغيره ولفظهم متقارب .

ورويناه من طريق الدولابي ، حدثنا يُونس بن عبد الأعلى ، حدثنا عبد الله بن وهب ، أخبرني يُونسُ بن يزيد ، عن الزهري ، عن عروةَ عن عائشة رضي الله عنها ، فذكر نحوَ ما تقدم ، وفي آخره : ثم لم يَنْشَبْ ورقةُ أن توفي ، وفترَ الوحيُ فترةً حتى حزنَ رسولُ الله ﷺ فيما بلغنا حزناً غدا منه مِراراً كي يتردّى من رؤوس شواهق الجبال ، فكلما أوفى بذروةٍ كي يُلقي نفسه منها ، تبدَّى له جبريلُ عليه السلام ، فقال : يا محمد ، إنك رسولُ الله حقاً ، فيسكن لذلك جأشُه ، وتقرُّ نفسُه ، فيرجعُ ، فإذا طال عليه فترةُ الوحي غدا لمثل ذلك ، فإذا أوفى ذروة تبدَّى له جبريلُ فقال مثل ذلك[2] .

وعن عُبيد بن عُمير : كان رسولُ الله ﷺ يجاور في حراء من كل سنة شهراً ، وكان ذلك مما تتحنّثُ به قريش في الجاهلية ــ والتحنث التبرُّر ــ فكان يُجاور ذلك الشهر من كل سنة ، يُطعم من جاءه من المساكين ، فإذا قضى جوارهُ من شهره ذلك كان أوَّل ما يبدأ به إذا انصرف قبل أن يدخل بيته : الكعبة ، فيطوفُ بها سبعاً أو ما شاء الله ، ثم يرجعُ إلى بيته حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله به فيه ما أراد من كرامته ، وذلك الشهر رمضان ، خرج رسول الله ﷺ إلى حِرَاء كما كان يخرج لجواره ، ومعه أهله ، حتى إذا كانت الليلة

---

(١) رواه البخاري في كتاب بدء الوحي (باب ٣) رقم /٣/ ، ومسلم في كتاب الإيمان (باب بدء الوحي برسول الله ﷺ) رقم /١٦٠/ ، والترمذي في كتاب المناقب (باب رقم ١٣) رقم /٣٦٣٦/ .

(٢) رواه البخاري في كتاب التعبير (باب أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الرؤيا الصالحة) رقم /٦٩٨٢/ وهذه الزيادة من بلاغات الزهري وليست موصولة . انظر فتح الباري ٣٥٩/١٢ .

التي أكرمه الله فيها برسالته ، ورحم العباد بها ، جاءه جبريل بأمر الله تعالى ، قال رسول الله ﷺ : فجاءني وأنا نائم بنمط من دِيباج[1] فيه كتاب ، فقال : اقرأ . قلتُ : ما أقرأ . فغتني به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت ما أقرأ . فغتني[2] به حتى ظننتُ أنه الموت . ثم أرسلني فقال : اقرأ . قلتُ : ماذا أقرأ ؟ ما أقولُ ذلك إلا افتداءً منه أن يعودَ لي بمثل ما صنعَ . قال : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلقَ الإنسانَ من علق . اقرأ وربُّك الأكرم . الذي عَلَّمَ بالقلم . عَلَّمَ الإنسانَ ما لم يَعلم ﴾ [العلق : ١ — ٥].

فقرأتُها ، ثم انتهى فانصرف عني ، وهببتُ من نومي فكأنما كَتَبَ في قلبي كتاباً ، فخرجتُ حتى إذا كنت في وسطٍ من الجبل ، سمعتُ صوتاً من السماء يقولُ : يا محمد ! أنتَ رسولُ الله وأنا جبريل . فرفعتُ رأسي إلى السماء أنظر فإذا جبريل في صورة رجل صَافٍّ قدميه في أفق السماء ، يقول : يا محمد أنت رسولُ الله وأنا جبريل . فوقفتُ أنظرُ إليه فما أتقدَّم وما أتأخر ، وجعلتُ أصرف وجهي عنه في آفاق السماء ، فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيتُه كذلك ، فما زلتُ واقفاً ما أتقدم أمامي وما أرجعُ ورائي حتى بعثتْ خديجةُ رسلَها في طلبي ، فبلغوا مكةَ ورجعوا إليها وأنا واقفٌ في مكاني ذلك ، ثم انصرفَ عني وانصرفتُ راجعاً إلى أهلي ، حتى أتيتُ خديجةَ فجلستُ إلى فخذها مُضِيفاً[3] إليها . فقالت : يا أبا القاسم أين كنت ؟ فوالله لقد بعثتُ رسلي في طلبك ، فبلغوا مكة ورجعوا إلي . ثم حدثتها بالذي رأيتُ ، فقالت : ابشر يا ابنَ عمي . واثبت ، فوالذي نفسي بيده ، إني لأرجو أن تكونَ نبيَّ هذه الأمة . ثم قامتْ فجمعتْ عليها ثيابَها ثم انطلقتْ إلى ورقةَ ابن نوفل ، وهو ابن عمها ، وكان قد تنصر وقرأ الكتب ، وسمع من أهل التوراة والإنجيل ، فأخبرته بما أخبرها به رسولُ الله ﷺ أنه رأى وسمع . فقال ورقةُ : قدوس[4] قدوس ، والذي نفسي بيده ، لئن كنتِ صدقتني يا خديجة ، لقد جاءه الناموسُ الأكبر الذي كان

(١) « بنمط من ديباج » : النمط : البساط ، والديباج : الحرير المزركش ، المنسوج .

(٢) « فغتني » : الغت : حبس النفس .

(٣) « مُضيفاً » : مُسنداً .

(٤) « قدوس » : القدوس : اسم من أسماء الله الحسنى ، ومعناه : الطاهر والمنزه عن العيوب والنقائص ، وهي هنا للتعجب ، مثل قول القائل في مواقف التعجب : الله ! الله ! .

يأتي موسى ، وإنه لنبيُّ هذه الأمة ، فقولي له فليثبتْ . فرجعتْ خديجةُ إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بقول ورقة .

فلما قضى رسولُ الله ﷺ جوارَه وانصرفَ صنعَ كما كان يصنعُ ، بدأ بالكعبة فطافَ بها فلقيَه ورقةُ بن نوفل وهو يطوفُ بالكعبة ، فقال له : يا ابن أخي ! أخبرني بما رأيتَ وسمعتَ . فأخبره رسولُ الله ﷺ . فقال له ورقةُ : والذي نفسي بيده إنك لنبيُّ هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموسُ الأكبرُ الذي جاء موسى ، ولَتُكَذبنَّه ولَتُؤذينَّه ولَتقاتلنَّه ، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرنَّ الله نصراً يعلمه . ثم أدنى رأسه منه فقبَّل يأفوخه ، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله[1] .

وروينا عن أبي بشر ، حدثنا عبد الله بن عبد الرحيم ،

حدثنا عبد الملك بن هشام ، عن زياد ، قال : قال محمد بن إسحاق : حدثني إسماعيل بن أبي حكيم ، مولى آل الزبير أنه حُدِّثَ عن خديجة ، أنها قالت لرسول الله ﷺ : أي ابنَ عم ! أتستطيعُ أن تخبرَني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك ؟ قال : نعم ، قالت : فإذا جاءك فأخبرني به . فجاءَه جبريلُ عليه السلام . فقال رسولُ الله ﷺ يا خديجةُ : هذا جبريلُ قد جاءني . قالت : قم يا ابنَ عم فاجلسْ على فخذي اليُسرى . قال : فقام رسول الله ﷺ فجلسَ عليها ، قالت : هل تراه ؟ قال : نعم . قالت : فتحولْ فاقعدْ على فخذي اليمنى . قال فتحولَ رسولُ الله ﷺ فقعدَ على فخذها اليمنى . فقالت : هل تراه ؟ قال : نعم . قالت فتحولْ فاجلس في حِجري . فتحول فجلسَ في حجرها . ثم قالت : هل تراه ؟ قال : نعم . قال : فَتَحَسَّرَتْ فألقت خِمارها ، ورسولُ الله ﷺ جالسٌ في حِجْرها . ثم قالت : هل تراه ؟ قال : لا . قالت : يا ابن عم ! اثبت وابشر فوالله إنه لَملَك ، ما هذا بشيطان[2] .

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢٣٦/١ — ٢٣٨ ، وهو مرسل صحيح الإسناد ، لأن عُبيد بن عمير بن قتادة الليثي ، تابعي ، ولد على عهد النبي ﷺ ، وكان قاصَّ أهل مكة ، مجمع على ثقته ، روى له الجماعة . تقريب التهذيب ص ٣٧٧ .

(٢) رواه الدولابي ، وهو خبر ضعيف ، لقوله : حُدِّث عن خديجة ، فهو مبني للمجهول ، فالمحدث عنها مجهول ، وقال في نور النبراس : وأقل ما يكون بينه وبين خديجة اثنان ، والله أعلم .

وفي رواية يُونس ، وروى عطاء بن السائب ، وأبو بشر وأبو إسحاق ، كلُّهم عن سعيد ابنُ جُبير ، دخل حديث بعضهم في بعض ، عن ابن عباس ، قال : كان لكل قبيل من الجن مقعدٌ من السماء يستمعون فيه ، فلما رُموا بالشهب وحيل بينهم وبين خبر السماء قالوا : ما هذا إلا لشيء حدث في الأرض ، وشكوا ذلك إلى إبليس لعنه الله ، فقال : ما هذا إلا لأمر حدث فائتوني من تربة كل أرض . فانطلقوا يضربون مشارقَ الأرض ومغاربها يبتغون علم ذلك ، فأتوه من تربة كلِّ أرض ، فكان يشمُّها ويرمي بها ، حتى أتاه الذين توجهوا إلى تِهامة بتربة من تربة مكة ، فشمَّها وقال : من ها هنا يحدث الحدث . فنظروا فإذا النبيُّ ﷺ قد بُعث ، ثم انطلقوا فوجدوا رسولَ الله ﷺ وطائفةً معه من أصحابه بنخلةَ عامدين إلى سوق عكاظ وهو يُصلّي بهم صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآنَ استمعوا له ، فقالوا : هذا والله الذي حال بيننا وبين خبر السماء ، فولّوا إلى قومهم منذرين ، فقالوا : ﴿ إنا سمعنا قرآناً عجباً . يهدي إلى الرشد ﴾ [الجن : ١ ـ ٢] وذكر تمام الخبر[(١)] .

وقال شعبةُ ، عن مغيرة ، عن إبراهيم النخعي : نزلت عليه ﴿ يا أيها المدثر ﴾ وهو في قطيفة .

وقال شيبان عن الأعمش ، عن إبراهيم : أولُ سورة أنزلت عليه ﴿ اقرأْ باسمِ رَبِّكَ الذي خَلَق ﴾ وهو قول عائشة ، وعُبيد بن عُمير ، ومحمد بن عَبّاد بن جعفر ، والحسن البصري ، وعكرمة ، ومجاهد ، والزهري .

وروينا عن أبي علي بن الصواف ، حدثنا جعفر بن أحمد ، حدثنا محمد بن خالد بن عبد الرحمن ، حدثنا إبراهيم بن عثمان ـ وهو أبو شيبة[(٢)] ـ عن الحكم بن عُتيبة ، عن مقسم ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال : « كان من الأنبياء من يسمعُ الصوتَ فيكون

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير (تفسير سورة الجن) رقم /٤٩٢١/ ، ومسلم في كتاب الصلاة (باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن) رقم /٤٤٩/ عن أبي بِشْر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس .. لم يرد فيه ذكر إبليس ، إنما ورد ذكره فيما رواه الطبري وابن مردويه وغيرهما من طريق عطاء ابن السائب ، عن سعيد بن جُبير مطولاً .. انظر فتح الباري ٦٧١/٨ .

(٢) في جميع النسخ « ابن أبي شيبة » ، والتصحيح من الكامل « لابن عدي ٢٣٩/١ .

بذلك نبياً ، وإن جبريلَ يأتيني فيكلمني كما يأتي أحدَكم صاحبُه فيكلّمه »[1] .

أخبرنا عبد الله بن أحمد بن فارس التميمي وغيره سماعاً وقراءة ، قالوا : أخبرنا أبو اليُمن الكِنْدي قراءة عليه ونحن نسمع ، أخبرنا أبو القاسم الحريري أخبرنا أبو طالب العُشَاري ، أخبرنا أبو الحسين الواعظ ، حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد المصري ، حدثنا بكر ابن سهيل ، حدثنا شُعيب بن يحيى ، حدثنا الليث بن سعد ، قال : حدثني سعيد بن أبي سعيد ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « ما من الأنبياء من نبي إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيتُ وحياً أوحاه الله عزَّ وجل إليَّ ، فأرجو أن أكونَ أكثرَهم تابعاً يوم القيامة »[2] .

وكان نزول جبريل له عليه السلام فيما ذكر يوم الاثنين لسبع في رمضان ، وقيل : لسبع عشرة مضت منه ، رواه البراء بن عازب وغيره . وعن أبي هريرة أنه كان في السابع والعشرين من رجب . وقال أبو عُمر : يوم الاثنين لثمان من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من عام الفيل ، وقد قيل غير ذلك .

ذكر فوائد تتعلق بهذه الأخبار

● حديث أنس أن رسولَ الله ﷺ بُعث على رأس أربعين .

المتفق عليه بين أهل النقل مما فيه[3] : إقامتُه عليه السلام بالمدينة عشراً ، وأما إقامته بمكة فمختلف في مقدارها ، وسيأتي ذلك في آخر الكتاب عند ذكر وفاته عليه الصلاة والسلام .

وأما سِنُّه عليه الصلاة والسلام حين نُبِّىءَ ؛ فالمروي عن ابن عباس ، وجُبير بن مُطعم ،

---

(١) في إسناده إبراهيم بن عثمان ، أبو شيبة العبسي ، ضعيف جداً ، لا يحتج بحديثه ، قال الإمام أحمد : منكر الحديث ، وقال النسائي : متروك الحديث . الكامل في ضعفاء الرجال ٢٣٩/١ ــ ٢٤١ .

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن (باب كيف نزول الوحي وأول ما نزل) رقم /٤٩٨١/ ، ومسلم في كتاب الإيمان (باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ) رقم /١٥٢/ .

(٣) « مما فيه » أي مما ورد في حديث أنس من تحديد زمني لبعثة رسول الله ﷺ ووفاته .

وقَباث بن أشيم ، وعطاء ، وسعيد بن المسيب ، كالمروي عن أنس ، وهو الصحيح عند أهل السير وغيرهم ؛ قال أبو القاسم السهيلي[1] : وقد روي أنه نُبِّىء لأربعين وشهرين .

●وفي حديث عمرو بن شُعيب : فاجتمع رجال من أصحابه يحَرسونه حتى إذا صلَّى .

والمرادُ ــ والله أعلم ــ ينتظرون فراغه من الصلاة ، وأما حَرْسُ[2] رسول الله ﷺ من المشركين فقد كان انقطع منذ نزلت ﴿ والله يعصمُك من الناس ﴾ [المائدة : ٦٧] وذلك قبل تبوك ، والله أعلم .

● وحديث جابر بن سَمُرة : « إني لأعرف حجراً بمكة كان يُسَلِّم عليَّ » .

هذا هو المعروف بغير زيادة ، وقد رُوي أن ذلك الحجر هو الحجر الأسود ، ويُحتمل أن يكون هذا التسليم حقيقة ، وأن يكون الله أنطقه بذلك ، كما خلق الحنينَ في الجِذْع . ويُحتمل أن يكون مضافاً إلى ملائكة يَسكنون هناك من باب ﴿ واسألِ القريةَ ﴾ [يوسف : ٨٢] ، فيكون من مجاز الحذف ، وهو عَلَمٌ ظَاهِرٌ من أعلام النبوة على كلا التقديرين .

● وفي حديث عُبيد بن عُمير في خبر نزول جبريل عليه السلام ، قال رسول الله ﷺ : « فجاءني وأنا نائم » . فهذه حالة ، وحديث عائشة وغيرها أنه كان في اليقظة ، فهذه حالة ثانية ، ولا تعارضَ لجواز الجمع بينهما بوقوعهما معاً ، ويكون الإتيان في النوم توطئة للإتيان في اليقظة . وقد قالت عائشة رضي الله تعالى عنها : أوّلُ ما بُدىء به عليه الصلاة والسلام من الوحي الرؤيا الصادقة . وعن الشَّعْبيّ أن رسولَ الله ﷺ وُكِّل به إسرافيلُ فكان يَتراءى له ثلاث سنين ، ويأتيه بالكلمة من الوحي ، ثم وُكِّلَ به جبريلُ فجاءه بالقرآن والوحي[3] ، فهذه حالة ثالثة لمجيء الوحي . ورابعة : وهي أن يُنفثَ في رُوعه

---

(١) الروض الأنف ٢٦٥/١ .

(٢) « حَرْسُ » : مصدر كالحراسة .

(٣) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ١٩١/١ ، وهو مرسل صحيح الإسناد ، وقد أنكر الواقديُّ خبر الشّعبيّ وقال : لم يُقرن به من الملائكة إلا جبريل ، وذكر الصالحي في سيرته ٣١٠/٢ أخباراً توهن خبر الشعبي .

الكلامُ نفثاً ؛ كما قال عليه الصلاة والسلام : « إن روحَ القُدُس نَفَثَ في رُوعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها ورزقها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب »[1] . وخامسةٌ : وهي أن يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجَرَس ، وهو أشدُّه عليه ، وقيل : إن ذلك ليستجمعَ قلبُه عند تلك الصلصلة فيكون أوعى لما يَسمع . وسادسةٌ : وهي أن يُكلِّمَه الله من وراء حجاب إما في اليقظة كما في ليلة الإسراء ، وإما في النوم كما في حديث معاذ « أتاني ربِّي في أحسن صورة ، فقال : فيم يختصمُ الملأُ الأعلى »[2] . وكان الملَك يأتيه عليه الصلاة والسلام تارة في صورته ، له ستمائة جناح ؛ كما روي . وتارة في صورة دِحيةَ الكلبيّ . فهذه حالات متعددة ذكر معناها السُّهَيْلي[3] .

● وقوله فغطني ، ويُروى فسأبني ، ويُروى سأتني ، ويُروى فدعتني ، وكلُّها واحد ، وهو الخنق والغم .

● والناموسُ : صاحب سِرِّ الملِكِ . وقال بعضُهم : الناموس : صاحبُ سِرّ الخير ، والجاسوس : صاحب سِرّ الشر .

● ومؤزراً : من الأزر ، وهو القوة والعون .

● واليأفوخ : مهموز ، ولا يُقال في رأس الطفل يأفوخ حتى يشتدَّ ، وإنما يُقال له الغاذية .

● وفترة الوحي : لم يذكُرْ لها ابنُ إسحاق مدة معينة ، قال أبو القاسم السُّهيلي[4] : وقد جاء في بعض الأحاديث المسندة أنها كانت سنتين ونصف سنة ، والله أعلم .

---

(١) رواه من الصحابة : أنس بن مالك ، وأبو أمامة ، وجابر بن عبد الله ، وابن مسعود ، وحذيفة ، وأبو الدرداء ، وأبو هريرة ، وأبو حُميد الساعدي . وهو حديث صحيح . انظر هامش جامع الأصول ١١٧/١٠ .

(٢) رواه الترمذي في كتاب التفسير (باب ومن سورة صٓ) رقم /٣٢٣١/ و/٣٢٣٢/ ، وهو عند أحمد في « المسند » ٣٦٨/١ ، وهو حديث صحيح . انظر هامش جامع الأصول ٥٤٨/٩ .

(٣) الروض الأنف ٢٦٨/١ — ٢٧٠ .

(٤) الروض الأنف ٢٨١/١ .

ذكرُ صلاتِه عليه الصلاة والسلام أوّل البعثة

قال ابن إسحاق : حدثني بعضُ أهل العلم أن الصلاة حين افتُرضت على رسول الله ﷺ ، أتاه جبريل وهو بأعلى مكة فهمز له بعقبه في ناحية الوادي ، فانفجرت منه عين ، فتوضأ جبريلُ ، ورسولُ الله ﷺ ينظرُ ليريَه كيف الطُّهور للصلاة ، ثم توضأ رسولُ الله ﷺ كما رأى جبريلَ يتوضأ ، ثم قام به جبريلُ فصلَّى به ، وصلَّى رسولُ الله ﷺ بصلاته ، ثم انصرف جبريلُ ، فجاء رسولُ الله ﷺ خديجةَ فتوضأ لها ليريَها كيف الطُّهور للصلاة ، كما أراه جبريل ، فتوضأتْ كما توضأ لها رسولُ الله ﷺ ثم صلَّى بها رسولُ الله ﷺ كما صلَّى به جبريل ، فصلَّتْ بصلاته . كذا ذكره ابن إسحاق[1] مقطوعاً . وقد وصلَه الحارثُ بن أبي أسامة : حدثنا الحسن بن موسى ، عن ابن لهيعة ، عن عُقيل بن خالد ، عن الزهري ، عن عروة ، عن أسامة بن زيد ، قال : حدثني أبي زيدُ بن حارثة ، أن رسولَ الله ﷺ في أوّل ما أُوحي إليه ، أتاه جبريلُ عليه السلام فعلَّمه الوضوءَ ، فلما فرغَ من الوضوء ، أخذ غرفةً من ماء فنضحَ بها فرجَه . قاله السهيلي[2] .

وقد رويناه من طريق ابن[3] ماجه ، عن إبراهيم بن محمد الفريابي ، عن حسان بن عبد الله ، عن ابن لهيعة ، عن عُقيل عن الزهري بسنده بمعناه .

وقد رُوي نحوه عن البراء بن عازب وابن عباس رضي الله عنهم . وفي حديث ابن عباس وكان ذلك أوّلَ من الفريضة .

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٢٤٤ .

(٢) الروض الأنف ١/٢٨٣ — ٢٨٤ ، وقال السهيلي : تعلم الرسول الوضوء من جبريل حديث مقطوع في السيرة ، ومثله لا يكون أصلاً في الأحكام الشرعية ، ولكنه قد روي مسنداً إلى زيد بن حارثة — يرفعه — غير أن هذا الحديث يدور على عبد الله بن لَهيعة وقد ضُعِّف ، ولم يخرج عنه مسلم ولا البخاري ؛ لأنه يقال : إن كتبه احترقت ، وكان يُحدِّثُ من حفظه ، وكان مالكُ بن أنس يُحَسِّن فيه القول .

(٣) رواه ابن ماجه في كتاب الطهارة (باب ما جاء في النضح بعد الوضوء) رقم /٤٦٢/ ، وقال في الزوائد : إسناده ضعيف ؛ لضعف ابن لهيعة .

وعن مُقاتل بن سليمان : فرض الله في أوّل الإسلام الصلاةَ ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي ، ثم فرض الخمسَ ليلة المعراج .

وأما إمامةُ جبريل بالنبي ﷺ عند البيت ليريَه أوقاتَ الصلوات الخمس فليس هذا موضع الحديث[1] ، وإن كان ابن إسحاق وضَعه هنا من طريق ابن عباس ، لاتفاق أصحاب الحديث الصحيح على أن هذه الواقعة كانت صبيحةَ الإسراء ، وهو بعد هذا بأعوام ، كما سيأتي مُبيناً عند ذكر أحاديث المعراج والإسراء ، إن شاء الله تعالى .

ذكر أوّل الناس إيماناً بالله ورسوله ﷺ

وأوّل الناس إيماناً **خديجة بنت خويلد** بن أسد بن عبد العزى بن قصيّ بن كلاب فيما أتت به الآثار ، وذكره أهلُ السير والأخبار ، منهم ابن شهاب وقتادة وغيرهما .

وروينا عن الدولابي ، حدثنا أبو أسامة الحلبي ، حدثنا حجاج بن أبي منيع ، حدثنا جدي ، عن الزهري قال : كانت خديجة أوّلَ من آمنَ برسول الله ﷺ .

وروينا عن الدولابي[2] أيضاً ، حدثنا أحمد بن المقدام ؛ أبو الأشعث ، حدثنا زهير ابن العلاء ، حدثنا سعيد بن أبي عَرُوبة ، عن قتادة ، قال : كانت خديجةُ أوّلَ من آمن بالنبيِّ ﷺ من النساء والرجال . وهو قولُ موسى بن عقبة ، وابن إسحاق ، والواقدي ، والأموي ، وغيرهم .

قال ابن إسحاق : كانت خديجةُ أوّلَ من آمنت بالله ورسوله وصدَّقت ما جاء من عند الله عز وجل ووازرته[3] على أمره ، فخفَّف الله بذلك عن رسوله ، فكان لا يسمع شيئاً يكرهه من ردٍّ عليه وتكذيب له ، فيحزنه ذلك إلا فرَّج الله عنه بها إذا رجع إليها ،

---

(١) قاله السهيلي في الروض الأنف ١/٢٨٤ .

(٢) السيرة الشامية ؛ للصالحي ٢/٤٠٢ وقال : وحكى الإمام الثَّعْلَبيُّ اتفاق العلماء على ذلك ، وإنما اختلافهم في أوّلِ من أسلمَ بعدَها . وقال النووي : إنه الصواب عند جماعة من المحقِّقين .

(٣) « ووازرته » : عاونته .

تثبته وتخفّف عليه ، وتصدّقه ، وتهوّن عليه أمرَ الناس ، حتى ماتت رحمها الله تعالى[1] .

أخبرنا عبد الرحيم بن يوسف المِزّي بقراءة والدي عليه ، قال أنبأنا أبو حفص بن طَبرزذ ، أنبأنا محمد بن عبد الباقي ، أنبأنا الحسن بن علي الجوهري ، أنبأنا ابن الشخير ، أنبأنا إسحاق – يعني ابن موسى الرَّملي – حدثنا سهل بن بحر ، حدثنا عُبيد – يعني ابن يعيش – حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن الشيباني ، عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه ، قال : بشَّر رسولُ الله ﷺ خديجةَ ببيتٍ في الجنة من قَصَبٍ ، لا صخبَ فيه ولا نصب[2] .

أخبرنا أحمد بن[3] عبد الرحمن الحارثي ، ويحيى بن أحمد الجُزَامي في آخرين ، قالوا : أخبرنا أبو عبد الله بن أبي المعالي ، أخبرنا أبو محمد السعدي ، أخبرنا علي بن الحسين المصري ، أخبرنا أبو العباس أحمد بن الحسين بن جعفر العطار قراءة عليه وأنا أسمع ، حدثنا أبو محمد الحسن بن رشيق العسكري ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن رزيق بن جامع المديني سنة سبع وتسعين ومائتين ، حدثنا أبو الحسين سفيان بن بشر الأسدي الكوفي ، حدثنا علي بن هاشم بن البَرِيد ، عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع ، عن أبيه ، عن جده أبي رافع ، قال : صلَّى النبي ﷺ أول يوم الاثنين ، وصلت خديجة رضي الله عنها آخر يوم الاثنين ، وصلَّى عليٌّ يوم الثلاثاء من الغد[4] ... الحديث .

ثم **عليّ بن أبي طالب** رضي الله عنه ، واسم أبي طالب عبدُ مناف بن عبد المطلب

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٢٤٠ .

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبيِّ ﷺ (باب تزويج النبي ﷺ خديجة ، وفضلها) رقم /٣٨١٨/ ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة (باب من فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها) رقم /٢٤٣٣/ .
و « القصب » : اللؤلؤ المجوف ، وقيل هو جوهر طويل مجوف .
و« صخب » : الصَّخب : الضجة والغلبة . و« نصب » : النَّصَبُ : التعب .

(٣) في « ج » و« د » : أخبرنا أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن الحارثي .

(٤) حديث أبي رافع لم نجده في المراجع الحديثية المتوافرة لدينا ، وإسناده ضعيف ، فيه : علي بن هاشم بن البريد ، وثقة بعضهم ، وضعفه آخرون ، وهو شيعي مفرط ، وقال ابن حِبَّان : روى المناكير عن المشاهير . وفيه : محمد بن عبيد الله بن أبي رافع ، ضعفوه ، وقال ابن عدي : يروي في الفضائل ، لا يُتابع عليها . نور النبراس لوحة ١/١٧٢ .

ابن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ بن كِلاب ، وكان عليٌّ أصغرَ من جعفر بعشر سنين ، وجعفرُ أصغر من عقيل بعشر سنين ، وعقيل أصغر من طالب بعشر سنين .

قال أبو عمر(١) : وقد روي عن سلمان وأبي ذر والمقداد وخبّاب وجابر وأبي سعيد الخدري وزيد بن أرقم : أن عليَّ بن أبي طالب أول من أسلم . وكذلك قال ابن إسحاق(٢) ، وهو قول ابن شهاب إلا أنه قال : من الرجال بعد خديجة ، وهو قول الجميع في خديجة . وأسلم أخواه جعفر وعقيل بعد ذلك ، وكان يومئذ ابن ثمان سنين ، وقيل : عشرة ، وقيل اثنتي عشرة ، وقيل خمس عشرة .

قال ابنُ إسحاق : وكان مما أنعم الله عليه أنه كان في حِجْر رسول الله ﷺ قبل الإسلام ، وذلك أن قريشاً أصابتهم أزمةٌ شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة ، فقال رسول الله ﷺ للعباس عمه ، وكان من أيسر بني هاشم ، يا عباس ! إن أخاك أبا طالب كثيرُ العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة ، فانطلق بنا إليه فلنخفف من عياله ، آخذ من بنيه رجلاً وتأخذُ أنت رجلاً فنكفُّهما عنه . قال العباس : نعم . فانطلقا حتى أتيا أبا طالب ، فقالا : إنا نُريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشفَ عن الناس ما هم فيه ، فقال لهما أبو طالب : إذا تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما . ويُقال : عقيلاً وطالباً . فأخذ رسولُ الله ﷺ عليّاً فضمَّه إليه ، وأخذ العباسُ جعفراً فضمَّه إليه ، فلم يزلْ عليٌّ مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله نبياً ، فاتبعه علي وآمنَ به وصدقه ، ولم يزل جعفرُ عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه(٣) .

وروينا من طريق أبي بكر الشافعي بالإسناد المتقدم ، حدثنا محمد بن بشر بن مطر ، حدثنا محمد بن حُميد ، حدثنا سلمة(٤) بن الفضل ، حدثني محمد بن إسحاق ، عن يحيى

---

(١) الاستيعاب ٣/٣١ — ٣٢ بهامش الإصابة .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٢٤٥ .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٢٤٦ ، والخبر مرسل من كلام مجاهد بن جَبْر أبي الحجاج المخزومي المقرىء ، مولى السائب بن أبي السائب ، وُلد سنة ٢١ هـ في خلافة عمر ، وتوفي سنة ١٠٤ هـ . تقريب التهذيب .

(٤) كذا في جميع النسخ : « سلمة بن الفضل » ، وفي ميزان الاعتدال ، وذكر في نور النبراس لوحة ١/١٧٢ أنه وجد في نسخة مصححة من الغيلانيات « مسلمة بن الفضل » . وهو الأبرش ، قاضي الري ، وراوي

ابن أبي الأشعث ، عن إسماعيل بن إياس بن عفيف الكندي ـ وكان عفيفٌ أخا الأشعث ابن قيس لأمه ، وكان ابن عمه ـ عن أبيه ، عن جده عفيف الكندي ، قال : كان العباسُ بن عبد المطلب لي صديقاً ، وكان يختلف إلى اليمن يشتري العِطْر ويبيعه أيام الموسم ، فبينما أنا عند العباس بمنى فأتاه رجل مجتمع[1] ، فتوضأ فأسبغ الوضوء ، ثم قام يُصلي ، فخرجتِ امرأةٌ فتوضأت ثم قامت تصلي ، ثم خرج غلام قد راهق ، فتوضأ ثم قام إلى جنبه يصلي ، فقلت : ويحك يا عباس ما هذا الدين ! قال : هذا دين محمد بن عبد الله ابن أخي ، يزعم أن الله بعثه رسولاً ، وهذا ابن أخي علي بن أبي طالب قد تابعه على دينه ، وهذه امرأته خديجة قد تابعته على دينه . فقال عفيف بعد أن أسلم ورسخ في الإسلام : ياليتني كنتُ رابعاً[2] .

وذكر ابنُ إسحاق عن بعض أهل العلم أن رسولَ الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة ، وخرجَ معه عليٌّ بن أبي طالب مستخفياً من أبي طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه ، فيُصلّيان الصلوات فيها ، فإذا أمسيا رجعا كذلك ، فمكثا ما شاء الله أن يمكثا ، ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يُصلّيان ، فقال لرسول الله ﷺ : يا ابن أخي ما هذا الدين الذي أراكَ تدينُ به ؟ قال : أي عم ، هذا دين الله ودين ملائكته ورسله ، ودين أبينا إبراهيم ـ أو كما قال ﷺ ـ بعثني الله به رسولاً إلى العباد ، وأنت أي عم أحقُّ من بذلتُ له النصيحة ودعوته إلى الهدى ، وأحقُّ من أجابني إليه وأعانني عليه ـ أو كما قال ـ فقال أبو طالب : أي ابن أخي ، إني لا أستطيع أن أفارقَ دِيَن آبائي وما كانوا عليه ، ولكن والله لا يُخلَصُ إليك بشيء تكرهه ما بقيت . وذكروا أنه قال لعلي : أي بنيّ ، ما هذا الدين الذي أنت عليه ؟ فقال : يا أبت آمنتُ برسول الله ﷺ

= المغازي عن ابن إسحاق ، ضعفه ابن راهويه والنسائي وابن المديني وغيرهم ، وقال ابن معين : كتبنا عنه وليس به بأس . توفي سنة ١٩١ هـ .

(١) « مجتمع » : الرجل المجتمع : الذي بلغ أشدّه ، ولا يُقال ذلك في النساء .

(٢) الاستيعاب ١٦٣/٣ وقال أبو عمر : إن عفيف الكندي له صحبة ، روى عنه ابناه يحيى وإياس أحاديث ، منها نزوله على العباس في أول الإسلام حديث حسن جداً . كما أخرجه الحاكم في « المستدرك » ١٨٣/٣ وصححه ، وأقره الذهبي .

وصدقت بما جاء به ، وصلَّيتُ معه لله واتبعته . فزعموا أنه قال له : أما إنه لم يدعُكَ إلا إلى خير فالزمْه[1] .

قال ابن إسحاق : ثم أسلم **زيد بن حارثة** بن شَرَاحيل بن كعب بن عبد العزى بن امرىء القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ودّ بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عُذْرة بن زيد الله بن رُفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة ، كذا عند ابن هشام الكلبي ، مولى رسول الله ، فكان أوّل ذَكَرٍ أسلم ، وصلَّى بعد عليٍّ بن أبي طالب ، وكان زيد أصابه سِباء في الجاهلية ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد بأربعمائة درهم ، ثم وهبته خديجة لرسول الله ﷺ بعد ذلك ، وتتبع أهلُه خبرَه حتى دُلّوا عليه ، فأتوا في طلبه ، فخيّره رسولُ الله ﷺ بين المُكْث عنده أو الرجوع مع أهله ، فاختار رسولَ الله ﷺ ، فأقام عنده وخبرُه بذلك مشهور[2] .

ثم أسلم **أبو بكر بن أبي قُحافة** رضي الله عنه ، واسمه عتيق ، وقيل : عبد الله . وعتيق لقب لحسن وجهه وعِتْقه[3] ، وقيل : غير ذلك . واسم أبي قُحافة : عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي ، فلما أسلم أظهرَ إسلامَه ودعا إلى الله وإلى رسوله ، وكان أبو بكر مَألفاً[4] لقومه محبباً سهلاً ، وكان أنسب قريش لقريش وأعلمهم بها ، وبما كان فيها من خير وشر ، وكان تاجراً ذا خلق ومعروف ، فكان رجال قومه يأتونه ويألفونه (لغير واحد من الأمر :)[5] لتجارته وحسن مجالسته وغير ذلك ، فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه ، فأسلم بدعائه فيما بلغني :

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢٤٦/١ — ٢٤٧ .
(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢٤٧/١ — ٢٤٨ .
(٣) « وعِتْقِهِ » : لنجاته من الموت ، لأن أمه — فيما قيل — كان لا يعيش لها ولد . فنذرت إن عاش لها ولد ، أن تسميه عبد الكعبة ، فلما عاش لها وشبَّ سمي عتيقاً ، ولما أسلم سماه رسولُ الله ﷺ عبد الله . انظر الروض الأنف ٢٨٧/١ — ٢٨٨ .
(٤) « مألفاً » : محلاً لألفتهم ومحبتهم ، وفي « الروض الأنف » ٢٨٨/١ مُؤلفاً ، وهي من الإيلاف .
(٥) ما بين القوسين سقط من « أ » و« ج » .

عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب ابن مُرة .

والزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي .

وعبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة .

وسعد بن أبي وقاص واسم أبي وقّاص مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب .

وطلحة بن عبيد بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة .

فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ حين استجابوا له فأسلموا وصلوا ، فكان رسول الله ﷺ يقول فيما بلغني : « ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده فيه كبوة ونظر وتردد ، إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة ، ماعَكَمَ[1] عنه حين ذكرته له وما تردد فيه » . قال : فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام فصلّوا وصدّقوا رسولَ الله ﷺ ، وصدقوا ما جاءه من عند الله[2] .

ثم أسلم : **أبو عُبيدة عامر بن عبد الله بن الجرَّاح** بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر .

وأبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هِلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة ابن مرة بن كعب بن لؤي . **والأرقم** بن أبي الأرقم عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

وعثمان بن مظعون بن حبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصيص ابن كعب بن لؤيّ وأخواه **قُدامة وعبد الله** .

وعُبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قُصيّ بن كِلاب .

وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل بن عبد العزى بن رِياح بن عبد الله بن قُرطْ بن

(١) « ماعَكَمَ » : ما تلبَّث وما تأخر .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢٥٠/١ ــ ٢٥٢ .

رَزاح بن عديّ بن كعب بن لؤيّ ، وعند ابن هشام تقديم عبد الله بن قُرط على رِياح .
وامرأته **فاطمة بنت الخطاب** بن نفيل المذكور .

وأسماء ابنة أبي بكر ، وعائشة أختها وهي صغيرة . كذا روينا عن ابن إسحاق في إسلام عائشة وليس بمستقيم ، فإن عائشة لعلها في هذا التاريخ لم تكن وُلدتْ[1] .

وخبَّاب بن الأرّت بن جندلة بن سعد بن خُزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مَناة بن تميم الخُزاعي ولاءً ، الزهري حلفاً . **وعُمير بن أبي وقَّاص** أخو سعد .

وعبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شَمْخ بن فأر بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحرث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة . وعند ابن هشام فيه خلاف ما ذكرناه ، حليف بني زهرة .

ومسعود بن ربيعة القارىء بن عمرو بن سعد بن عبد العزى بن حمالة بن غالب ابن مُحلِّم بن عايذة بن سُبيع بن الهُون بن خُزيمة بن القَارة .

وسَليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر ابن لؤي .

وعيَّاش بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . وامرأته أسماء بنت سَلامة بن مُخَرِّبة بن جندل بن أُبَيْر بن نَهشل بن دارم الدارمية التميمية .

وخُنَيْس بن حُذافة بن قيس بن عديّ بن سُعَيْد بن سَهم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤي .

وعامر بن ربيعة العَنْزي بإسكان النون ، وهو فيما ذكر ابن الكلبيّ عامر بن ربيعة الأصغر بن حُجير بن سَلامان بن مالك بن ربيعة الأكبر بن رفيدة بن عبد الله ، وهو عنز ابن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن دُعْمى بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، حكاه الرشاطي[2] . قال : وذكر أبو عمر في نسبه اختلافاً كثيراً لا يتحصل منه شيء ،

(١) في « د » : كذا روينا عن ابن إسحاق ، وليس بمستقيم في إسلام عائشة ، وقد ذكر هو في آخر الكتاب أنها وُلدت في السنة الخامسة من النبوة ، وهذا أقربُ إلى الصواب .

(٢) الرُّشَاطي : هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن أحمد ، الحافظ النسَّابة ، أبو محمد اللخمي ، أَلَّفَ

وهو حليف آل الخطاب .

وعبد الله بن جحش بن رِئاب بن يَعمر بن صَبَرة بن مُرة بن كبير بن غنم بن دودان ابن أسد بن خزيمة ، وأخوه أبو أحمد[1] حليفا بني أمية .

وجعفر بن أبي طالب . وامرأته أسماء بنت عُميس بن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة من خثعم ، كذا هو عند ابن إسحاق . وعند أبي عمر : أسماء بنت عميس بن معد ابن الحارث بن تيم بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن معاوية ابن زيد بن مالك بن نسر بن وهب الله بن شهران بن عفرس بن حلف بن أفتل ، وهو جماعة خثعم بن أنمار على اختلاف في أنمار . وقيل : أسماء بنت عميس بن مالك بن النعمان ابن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن زيد بن نسر بن وهب الله .

وحاطب بن الحارث بن مَعمر بن حبيب بن وهب بن حُذافة بن جُمح . وامرأته فاطمة بنت المُجلَّل بن عبد الله بن أبي قيس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤي ، وأخوه خَطَّاب وامرأته فُكيهة بنت يَسار .

ومَعمَر بن الحارث بن معمَر بن حبيب بن وهب بن حُذافة بن جُمح .

والسائب بن عثمان بن مظعون .

والمطّلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة . وامرأته رملة بنت أبي عوف بن صُبيرَة بن سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هُصيص بن كعب بن لؤي .

والنَّحَّام نُعيم بن عبد الله بن أسِيد بن عبد الله بن عوف بن عُبيد بن عَويج بن عديّ ابن كعب .

وعامر بن فُهيرة مولى أبي بكر .

وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، وامرأته أُميْنَة بنت خلف بن أسعد

= كتابه الحافل المسمى « اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب رواة الآثار » وكان ضابطاً محدثاً بليغاً متقناً .. توفي سنة ٥٤٢ هـ . نور النبراس لوحة ١٧٥/١ .

(١) أبو أحمد : هو عبد بن جحش ، الشاعر ، أخوه عبد الله ، وأخته أم المؤمنين زينب بنت جحش ، من قدماء السابقين إلى الإسلام . الإصابة ٣/٥ — ٥ طبعة دار الكتب العلمية .

ابن عامر بن بَياضة بن سُبيع بن خثعمة بن سعد بن مُليح بن عمرو بن خُزاعة .

وحاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر ابن لؤيّ .

وأبو حذيفة مهشم بن عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف .

وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عَرين بن ثعلبة بن يَربوع بن حنظلة بن مالك ابن زيد مَناة بن تميم حليف بني عديّ .

وخالد وعامر وعاقل وإياس بنو البُكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة ، من بني سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كِنانة حلفاء بني عديّ .

وعمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الوديم بن ثعلبة ابن عوف بن حارثة بن عامر الأكبر بن يام بن عنس وهو زيد بن مالك بن أدد ، ومالك جماع مَذحِج حليف بني مخزوم .

وصُهيب بن سنان بن مالك بن عبد عمرو بن عقيل بن عامر بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن أسلم بن أوس مناة بن النمر بن قاسط كذا هو عند ابن الكلبي .

وعند أبي عمر : **سنان بن خالد** بن عبد عمرو بن عقيل بن عامر بن جندلة بن سعد ابن خزيمة بن كعب بن سعد ، قال : إلى هنا نسبه ابن إسحاق ، ونسبه الواقدي وخليفة وابن الكلبيّ وغيرُهم فقالوا : صُهيب بن سِنان بن خالد بن عبد عمرو بن طُفيل بن كعب ابن سعد ، ومنهم من يقول : ابن سفيان بن جندلة بن مسلم بن أوس بن زيد مناة من النمر بن قاسط ، يُقال له الرومي ، وكان مولى لعبد الله بن جُدْعان[1] .

وذكر أبو عمر في السابقين[2] : أبا ذر جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار بن مُليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة .

---

(١) انظر ذكر السابقين إلى الإسلام في السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢٥٢/١ — ٢٦٢ .

(٢) انظر خبر السابقين إلى الإيمان برسول الله ﷺ في « الدُّرَر في اختصار المغازي والسِّيَر » ؛ لابن عبد البر ص ٣٩ — ٤١ .

وأبا نجيح السلمي عمرو بن عبسة بن منقل بن خالد بن حذيفة بن عمر بن خلف ابن مازن بن مالك بن ثعلبة بن بهثة بن سليم .

ومازن بن مالك أمه بَجْلة بنت هناءة بن مالك بن فهم وإليها ينسب البَجْلي بسكون الجيم . ذكره كذلك الرُّشَاطي .

وحُكي عن أبي عمر في نسبه غير ذلك وصحَّح ما ذكرناه . وحكي عن أبي عمر في نسبه غاضرة بن عَتَّاب ، وزعم أنه خطأ ، وأن الصواب في ذلك النسب ناضرة بن خُفاف . قال أبو عمر : ولكنهما ، يعني أبا ذر وأبا نجيح رجعا إلى بلاد قومهما .

وذكر فيهم عتبة بن مسعود أخا عبد الله بن مسعود .

وكان سبب إسلام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ما رويناه من طريق أبي علي بن الصواف بالسند المتقدم ، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، ورويناه من طريق الطبراني في معجمه الصغير ، قال : حدثنا عمر بن عبد الرحمن السُّلمي ، قالا : حدثنا إبراهيم بن الحجاج السَّامي واللفظ للأول ، قال : حدثنا سلَّام أبو المنذر ، حدثنا عاصم بن بهدلة ، عن زر بن حُبيش ، عن عبد الله بن مسعود قال : كنت في غنم لآل عقبة بن أبي مُعيط ، فجاء رسولُ الله ﷺ ومعه أبو بكر بن أبي قحافة ، فقال النبي ﷺ : هل عندك لبن ؟ قلت : نعم ولكني مُؤتمن . قال : فهل عندك من شاة لم ينز عليها الفحل ؟ قلت : نعم فأتيته بشاة شَصُوص[1] ، قال سلام : وهي التي ليس لها ضَرْع ، فمسحَ النبيُّ ﷺ مكانَ الضَّرْع وما لها ضرع ، فإذا ضَرْع حافل مملوء لبناً . قال : فأتيتُ النبيَّ ﷺ بصخرة منقعرةٍ فاحتلب النبيُّ ﷺ ، فسقى أبا بكر وسقاني ، ثم شرب ، ثم قال : للضرعِ اقلصْ فرجعَ كما كان . قال : فلما رأيتُ هذا من رسول الله ﷺ قلتُ يا رسول الله علمني ، فمسحَ رأسي وقال : بارك الله فيك فإنك غلام مُعَلّم . قالَ فأتيتُ النبيَّ ﷺ فبينا نحن عنده على حِراء إذ أُنزلت عليه سورة المرسلات ، فأخذتُها وإنها لرطبة بفيه — وإنَّ فاه لرطب بها — فلا أدري بأي الآيتين ختم ﴿ وإذا قِيلَ لهمُ ارْكَعوا لا يَرْكعون ﴾ [المرسلات : ٤٨] أو ﴿ فبأيِّ حديثٍ بعدَه يُؤمنون ﴾ [المرسلات : ٥٠] .

(١) « شَصُوص » : الشاة التي قلّ لبنها جداً ، أو ذهب .

وأخذتُ من في رسول الله ﷺ سبعينَ سورةً ، وأخذت بقية القرآن من أصحابه ، فبينا نحن نيام على حِراء ـ أو على الجبل ـ فما نبهنا إلا صوتُ النبيّ ﷺ منعها منكم الذي منعكم منها . قال : قلت يا رسول الله وما ذاك ؟ قال : حية خرجت من ناحية الجبل[1] .

ذكرُ دعاءِ رسولِ الله ﷺ قومَه وغيرَهم إلى الإسلام

قال ابن إسحاق : ثم دخل الناسُ في الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء حتى فشا ذكر الإسلام بمكة ، وتحدث الناسُ به ، ثم إن الله عز وجل أمَرَ رسولَه ﷺ أن يصدعَ بما جاءه منه ، وأن يُنادي في الناس بأمره ويدعوَ إليه ، وكان مدة ما أخفى رسولُ الله ﷺ أمرَه واستسرَّ به إلى أن أمره الله تعالى بإظهاره ثلاث سنين فيما بلغني من مبعثه ، ثم قال الله تعالى له : ﴿ فاصدعْ بما تُؤمر وأعرضْ عن المشركين ﴾ [الحجر : ٩٤] ثم قال : ﴿ وأنذرْ عشيرتَك الأقربين . واخفضْ جناحَك لمن اتَّبعكَ من المؤمنين ﴾ [الشعراء : ٢١٥ ـ ٢١٦] . ﴿ وقلْ إني أنا النذيرُ المبين ﴾ [الحجر : ٨٩] . فلما بادى رسولُ الله ﷺ قومَه بالإسلام وصدعَ به كما أمره الله ، لم يَبعدْ منه قومُه ولم يردّوا عليه حتى ذكر آلهتهم وعابَها ، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه وأجمعوا خلافه وعداوته ﷺ إلا من عصم الله منهم بالإسلام ، وهم قليل مستخفون ، وحَدِبَ[2] على رسول الله ﷺ عمُّه أبو طالب ومنعه وقام دونه .

ومضى رسولُ الله ﷺ مُظهراً له ، لا يردُّه عنه شيء ، فلما رأت قريش أن رسولَ الله ﷺ لا يُعتبهم من شيء أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم ، ورأوا أن عمَّه أبا طالب قد حَدِب عليه وقام دونه ولم يُسلمه لهم ، مشى رجالٌ من أشرافهم إلى أبي طالب فقالوا :

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الصغير ١/١٨٦ ـ ١٨٧ إلى قوله : من أصحابه . وقال عقبة : لم يروه عن سلام إلا إبراهيم .
ورواه الإمام أحمد في المسند ١/٤٦٢ مختصراً عن عفان ، عن حماد بن سلمة ، عن عاصم بن بَهْدلة ، عن زرٍّ بن حُبَيْش ، عن ابن مسعود . وقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تحت رقم /٤٤١٢/ : إسناده صحيح .

(٢) « وحَدِب » : عطف .

يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سبَّ آلهتنا وعابَ ديننا وسفَّه أحلامنا وضلَّل آباءنا ، فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلِّي بيننا وبينه فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه ، فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقاً ، وردهم رداً جميلاً ، فانصرفوا عنه ، ومضى رسولُ الله ﷺ على ما هو عليه يُظهر دينَ الله ويدعو إليه ، ثم شَرِي[1] الأمر بينه وبينهم ، حتى تباعد الرجال وتضاغنوا ، وأكثرت قريش ذكر رسول الله ﷺ بينها ، فتذامروا عليه[2] وحضَّ بعضُهم بعضاً عليه .

ثم إنهم مشوْا إلى أبي طالب مرة أخرى ، فقالوا له : يا أبا طالب إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا ، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك ، حتى يهلِكَ أحدُ الفريقين أو كما قال . ثم انصرفوا عنه فعظُم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يَطِبْ نفساً بإسلام رسول الله ﷺ ولا خذلانه . وذُكر أن أبا طالب لما قالت له قريش هذه المقالة بعث إلى رسول الله ﷺ ، فقال له : يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا – للذي قالوا له – فأبق عليَّ وعلى نفسك ولا تحمّلني من الأمر مالا أطيق . فظنَّ رسولُ الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بَدَاءٌ[3] ، وأنه خاذلُه ومسلمه ، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه ، فقال له : يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمرَ حتى يظهرَه الله أو أهلِكَ فيه ما تركته . ثم استعبرَ رسولُ الله ﷺ فبكى ، ثم قام فلما ولَّى ناداه أبو طالب فقال له : أقبل يا ابن أخي . فأقبل عليه ، فقال : اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببتَ ، فوالله لا أسلمُك لشيء أبداً .

ثم إن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خِذلان رسول الله ﷺ وإسلامَه ، وإجماعَه[4] لفراقهم في ذلك وعداوتهم ، مشوْا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة ، فقالوا

---

(١) « شَرِيَ » : كثر وتفاقم ، من قولهم : شَرِيَ البرقُ : إذا كثُر لمعانه .

(٢) « فتذامَروا عليه » : حثَّ بعضُهم بعضاً على حربه وعداوته ومقاطعته .

(٣) « بَدَاءٌ » : نشأ له فيه رأي .

(٤) « وإجماعَه لفراقهم » : أي وعرفوا إجماعَه لفراقهم .

له : يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهدُ[1] فتًى من قريش وأجملُه فخذه فلك عقله ونصره ، واتخذه ولداً ، وأسلِم إلينا ابن أخيك هذا الذي خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم ، فنقتلَه فإنما هو رجل كرجل . قال : والله لبئس ما تسومونني ، أتعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه ، هذا والله مالا يكون أبداً . فقال المطعم بن عدي : والله يا أبا طالب لقد أنصفَك قومُك وجَهدوا على التخلص مما تكرهُه ، فما أراك تُريد أن تقبل منهم شيئاً . فقال له أبو طالب والله ما أنصفوني ولكنك قد أجمعتَ خذلاني ومظاهرة القوم عليَّ ، فاصنع ما بدا لك ، فحقِبَ[2] الأمر ، وتنابذَ القوم ، وبادى بعضُهم بعضاً .

قال : ثم إن قريشاً تذامروا بينهم على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا معه ، فوثبت كلُّ قبيلة على من فيهم من المسلمين يُعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ، ومنعَ الله تعالى منهم رسولَه بعمه أبي طالب ، وقد قام أبو طالب حين رأى قريشاً يصنعون ما يصنعون في بني هاشم وبني المطلب فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه ، فاجتمعوا إليه وأقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه ، إلا ما كان من أبي لهب[3] .

روينا عن أبي بكر الشافعي ، حدثنا إسحاق بن الحسن بن ميمون الحربي ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، حدثنا سعيد بن سَلمة بن أبي الحسام ، حدثنا محمد بن المنكدر ؛ أنه سمع ربيعة بنَ عَبَّاد أو عِباد الدؤلي يقول : رأيتُ رسولَ الله ﷺ يطوفُ على الناس في منازلهم[4] قبل أن يهاجرَ إلى المدينة ، يقول : « يا أيها الناسُ إن الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً » . قال : ووراءه رجل يقول : يا أيها الناس إن هذا يأمُركم أن تتركوا دينَ آبائكم . فسألت من هذا الرجل ؟ فقيل : أبو لهب[5] .

---

(١) « أنهدُ فتًى » : أقوى وأجلد .

(٢) « فحَقِبَ الأمرُ » : اشتد .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢٦٢/١ — ٢٦٩ .

(٤) « في منازلهم » : يعني في منازل القبائل في المواسم .

(٥) رواه الحاكم في « المستدرك » ١٥/١ وصححه ، وأقره الذهبي ، وهو عند الإمام أحمد في « المسند » ٤٩٢/٣ .

قال ابن إسحاق : ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش وكان ذا سن فيهم ، وقد حضر الموسمَ فقال لهم : يا معشر قريش إنه قد حضرَ هذا الموسم وإن وفود العرب ستقدم عليكم ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمِعوا فيه رأياً ولا تختلفوا فيكذب بعضُكم بعضاً . قالوا : فأنتَ يا أبا عبد شمس فقل ، وأقم لنا رأياً نقول فيه . قال : بل أنتم فقولوا أسمع . قالوا : نقول كاهن . قال : والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا بسجعه . قالوا فنقول : مجنون . قال والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخَنِقه ولا تخالجه ولا وسوسته . قالوا : فنقول شاعر . قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كلَّه رَجَزَهَ وهَزَجه وقريضه ومقبوضَه ومبسوطه ، فما هو بالشعر . قالوا : فنقول : ساحر . قال : ما هو بساحر ، قد رأينا السُّحار وسحرهم ، فما هو بنفثه ولا عُقَدِه . قالوا : فما تقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة ، وإن أصله لعَذْق وإن فرعَه لجَنَاة ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا أعرف أنه باطل ، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر ، جاء بقول هو سحر يُفرِّق به بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته . فتفرقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذَّروه إياه ، وذكروا له أمرَه ، وصدرتِ العربُ من ذلك الموسم بأمر رسول الله ﷺ فانتشرَ ذكْرُه في بلاد العرب كلِّها(1) .

● قوله : لعَذْق بفتح العين المهملة وسكون الذال إستعارة من النخلة التي ثبت أصلُها وهو العَذْق . ورواية ابن هشام : لغَدِق بغين معجمة وكسر الدال المهملة من الغَدَق ، وهو الماء الكثير . قال السهيلي : ورواية ابن إسحاق أفصح لأنها استعارة تامة تُشبِّه آخرَ الكلام بأوله .

* * *

---

(1) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٢٧٠ — ٢٧٢

ذكرُ ما لَقِيَ رسولُ الله ﷺ

من أذى قومِهِ وصبرِهِ وما مَنَّ الله به من حمايتِهِ له

أخبرنا الإمام أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المقدسي ، وأبو محمد عبد العزيز بن عبد المنعم الحرَّاني قراءة عليهما وأنا حاضر ، فالأول قال : أخبرنا أبو اليُمْن الكِندي ، والثاني قال : أخبرنا أبو علي بن أبي القاسم البغدادي ، قالا : أخبرنا محمد بن عبد الباقي ، أخبرنا ابن حَسنُون ، أخبرنا أبو القاسم السرَّاج هو موسى بن عيسى بن عبد الله ، حدثنا محمد ابن محمد بنُ سليمان ، حدثنا أبو طاهر أحمد بن عمر بن السَّرح ، حدثنا عبد الله بن وهب ، قال : أخبرني الليث بن سعد ، عن إسحاق بن عبد الله ، عن أَبانِ بن صالح ، عن عليّ بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه ، عن العباس بن عبد المطلب قال : كنتُ يوماً في المسجد فأقبلَ أبو جهل فقال : إن لله عليَّ إن رأيتُ محمداً أن أطأَ على عنقه ، فخرجتُ إلى رسولِ الله ﷺ حتى دخلتُ عليه فأخبرته بقول أبي جهل ، فخرج غضبانَ حتى دخلَ المسجدَ ، فعجلَ أن يدخلَ من الباب ، فاقتحم من الحائط . فقلت هذا يوم شر نبشته ، فدخل رسولُ الله ﷺ فقرأ : ﴿ اقرأْ باسمِ ربِّك الذي خلق ﴾ [العلق : ١] حتى بلغ شأن أبي جهلٍ ﴿ كلَّا إن الإنسانَ ليَطغى . أن رآهُ استغنى ﴾ [العلق : ٦ — ٧] قال : فقال إنسانٌ لأبي جهل : يا أبا الحكم ! هذامحمد . فقال أبو جهل : ألا ترون ما أرى ؟ والله لقد سدَّ أفق السماء عليَّ ، فلما بلغ رسولُ الله ﷺ آخر السورة سجد[1] .

قرأتُ على الإمام الزاهد أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن أحمد بسفح قاسيون ، أخبركم أبو البركات داود بن أحمد بن محمد البغدادي قراءة عليه وأنت تسمع ، فأقر به ، أخبرنا أبو الفضل محمد بن عمر بن يوسف ، أخبرنا أبو الغنائم عبد الصمد بن علي بن محمد بن

---

(١) هذا الحديث ليس في الكتب الستة ، كما ذكر في نور النبراس لوحة ١٨٤/١ . وفي إسناده إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة المتوفى سنة ١٤٤ هـ ، متروك ، لا يُحتج بحديثه . تهذيب التهذيب ٢٤٠/١ — ٢٤١ .

المأمون ، أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني ، حدثنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن سعيد البزَّاز ، ومحمد بن هارون الحضرمي قالا : حدثنا محمد بن منصور الطوسي ، حدثنا أبو أحمد الزبيري ، حدثنا عبد السلام هو ابن حرب ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما نزل ﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾ جاءت امرأة أبي لهب إلى النبي ﷺ ومعه أبو بكر رضي الله عنه ، فلما رآها قال : يا رسول الله إنها امرأة بَذِّية(١) ، فلو قمتَ لا تؤذيك . قال : « إنها لن تراني . فجاءت فقالت : يا أبا بكر صاحبك هجاني . قال : لا ، وما يقول الشعر . قالت : أنت عندي تُصَدَّقُ وانصرفت . قلت : يا رسول الله ! لَمْ تركَ ؟ قال : لا ، لم يزل مَلَكٌ يَسترني منها بجناحه »(٢) .

قرأتُ على أبي عبد الله محمد بن عثمان بن سلامة بدمشق ، أخبرك أبو القاسم الحسن ابن علي بن الحسين بن الحسن بن محمد بن البُنّ الأسدي قراءةً عليه وأنت تسمع ، فأقر به : أخبرنا جدي ، أخبرنا القاسم بن أبي العلاء ، أخبرنا أبو محمد بن أبي نصر ، أخبرنا خيثمة ، حدثنا هلال يعني ابن العلاء الرَّقي ، حدثنا سعيد بن عبد الملك ، حدثنا محمد ابن سلمة ، عن أبي عبد الرحيم ، عن زيد هو ابن أبي أُنيسة ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو ابن ميمون الأَوْدي ، حدثنا عبد الله بن مسعود ، قال : كنا مع رسول الله ﷺ في المسجد الحرام ، ورُفقة من المشركين من قريش ، ونبي الله ﷺ يُصلي وقد نُحر قبلَ ذلك جَزور ، وقد بقي فرثه(٣) وقذره ، فقال أبو جهل : ألا رجلٌ يقوم إلى هذا القذر يُلقيه على محمد . ونبي الله ﷺ ساجد ، إذ انبعث أشقاها ، فقام فألقاها عليه . قال عبد الله : فهِبنا أن نلقيَه عنه ، حتى جاءت فاطمة رضي الله عنها فألقته عنه ، فقام فسمعته يقول ، وهو قائم يُصلّي : « اللهم اشدد وطأتك على مضر ، سنين كسني يوسف ، عليك بأبي الحكم بن هشام – وهو أبو جهل – وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وعقبة

---

(١) « بذية » : من البذاء ، وهو الفحش في القول .

(٢) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٤٤/٧ وقال : رواه أبو يعلى والبزار بنحوه ، وقال البزار : إنه حسن الإسناد . قلت : ولكن فيه عطاء بن السائب وقد اختلط .

(٣) « فرثه » : الفرث : ما في الكرش من طعام متحول ؛ كما هو مشاهد في كروش الذبائح .

ابن أبي معيط ، وأمية بن خلف ورجل آخر . ثم قال : رأيتهم من العام المقبل صرعى بالطوّي طوي بدر ، صرعى بالقَلِيب »[1] .

وأخبرنا ابن الواسطي[2] فيما قرأت عليه ، أخبرنا ابن ملاعب أخبرنا الأرموي ، أخبرنا ابن المأمون ، أخبرنا الدارقطني ، حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن صالح الأزدي ، حدثنا الزبير بن بكار ، حدثني أبو يحيى هارون بن بكر بن عبد الله الزهري ، عن عبد الله بن سلمة ، عن عبد الله بن عروة بن الزبير ، عن أبيه عروة بن الزبير ، قال : حدثني عمرو بن عثمان بن عفان ، عن أبيه عثمان بن عفان ، قال : أكثر ما نالت قريش من رسول الله ﷺ أني رأيته يوماً ــ قال عمرو : فرأيت عيني عثمان بن عفان زرفتا من تذكر ذلك ــ قال عثمان بن عفان : كان رسول الله ﷺ يطوف بالبيت ويدُه في يد أبي بكر ، وفي الحِجْر ثلاثة نفر جلوس : عقبة بن أبي معيط ، وأبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف ، فمر رسولُ الله ﷺ فلما حاذاهم أسمعوه بعضَ ما يكره ، فعُرِف ذلك في وجه النبي ﷺ ، فدنوت منه حتى وَسَطْتُه ، فكان بيني وبين أبي بكر ، وأدخل أصابعَه في أصابعي حتى طفنا جميعاً ، فلما حاذاهم قال أبو جهل : والله لا نصالُحك ما بلَّ بحرٌ صوفة ، وأنت تنهى أن نعبد ما كان يعبدُ آباؤنا . فقال رسول الله ﷺ : أنا ذلك . ثم مضى عنهم ، فصنعوا به في الشوط الثالث مثل ذلك ، حتى إذا كان في الشوط الرابع ناهضوه ، ووثب أبو جهل يُريد أن يأخذ بمجامع ثوبه ، فدفعتُ في صدره ، فوقع على استه ، ودفع أبو بكر أميّةَ بن خلف ، ودفع رسولُ الله ﷺ عقبة بن أبي مُعيط ، ثم انفرجوا عن رسول الله ﷺ وهو واقف ، ثم قال : أما والله لا تنتهون حتى يَحلَّ بكم عقابه عاجلاً . قال

---

(١) قال سبط ابن العجمي : الحديث أخرجه البخاري (٢٤٠) ومسلم (١٧٩٤) والنسائي ١٦١/١ ــ ١٦٢ ، من طريق أبي إسحاق ، والمؤلف ذكره من الطريق التي ذكره منها من باب التنوع في الروايات ، وإلا فلو رواه من هذه الكتب التي هو فيها وقع له بعلو هذه الطريق التي ذكرها ، والله أعلم . نور النبراس لوحة ١٨٥/١ .

(٢) ابن الواسطي : هو الإمام العلامة ، أبو إسحاق ، تقي الدين ، إبراهيم بن علي بن أحمد الواسطي ، من أعيان الحنابلة ، سمع الكثير بدمشق ، وتوفي بها سنة ٦٩٢ هـ . نور النبراس لوحة ١٨٥/١ .

عثمان : فوالله ما منهم رجل إلا وقد أخذه أفكل[1] وهو يرتعد ، فجعلَ رسولُ الله ﷺ يقول : بئس القوم أنتم لنبيكم ، ثم انصرف إلى بيته وتبعناه خلفه ، حتى انتهى إلى باب بيته ووقف على السدة[2] ، ثم أقبل علينا بوجهه ، فقال : أبشروا فإن الله عز وجل مظهرٌ دينَه ، ومتمٌّ كلمتَه ، وناصرٌ نبيَّه ، وإن هؤلاء الذين ترون مما يذبحِ الله بأيديكم عاجلاً ، ثم انصرفنا إلى بيوتنا ، فوالله لقد رأيتهم قد ذبحهم الله بأيدينا .

(خبر إسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه)

ومن ذلك خبر إسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه :

روينا عن ابن إسحاق : حدثني رجلٌ من أسلم ، وكان واعية ، أن أبا جهل مر برسول الله ﷺ عند الصفا فآذاه وشتمه ، ونال منه بعضَ ما يُكره ، من العيب لدينه والتضعيف لأمره ، فلم يكلِّمْه رسول الله ﷺ ، ومولاةٌ لعبد الله بن جُدْعان في مسكن لها تسمعُ ذلك ، ثم انصرفَ عنه ، فعمدَ إلى نادي قريش فجلس معهم ، فلم يلبث حمزةُ بن عبد المطلب أن أقبل متوشحاً سيفه راجعاً من قَنَصٍ[3] له ، وكان صاحبَ قَنَصٍ يرميه ويخرج له ، وكان إذا رجع من قَنَصه لم يصل إلى أهله حتى يطوفَ بالكعبة ، وكان إذا فعل ذلك لم يمرَّ على نادٍ من قريش إلا وقف وسلَّمَ وتحدَّث معهم ، وكان أعزَّ فتًى في قريش وأشدَّه شكيمةً ، فلما مرَّ بالمولاة وقد رجع رسولُ الله ﷺ إلى بيته . قالت له : يا أبا عمارة ، لو رأيتَ ما لقي ابن أخيك محمدٌ آنفاً من أبي الحكم بن هشام ، وجده ها هنا جالساً فآذاه وسبَّه وبلغ منه ما يكره ، ثم انصرف عنه ولم يكلِّمه محمد . فاحتمل حمزةَ الغضبُ لما أراد الله به من كرامته ، فخرج يسعى ولم يقف على أحد مُعِدّاً لأبي جهل إذا لقيه أن

---

(١) « أُفْكَل » : بفتح الهمزة ، وسكون الفاء ، وفتح الكاف : الرعدة ، ولا فعل له ، يُقال : أخذه أفكلٌ : إذا ارتعدَ من برد أو خوف ، وهو مصروف ، لأنه ليس بعلم ولا صفة .

(٢) « السُّدة » : مدخل باب الدار الذي يكون مرتفعاً كالعتبة .

(٣) « قَنَص » : القَنَص : بفتح القاف والنون ، الصيد .

يقع به ، فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً في القوم فأقبَلَ نحوه ، حتى إذا قام على رأسه ، رفع القوسَ فضربه بها ، فشجه شَجةً منكرة ، ثم قال : أتشتمُه ؟ فأنا على دينه ، أقول ما يقول ، فَرُدَّ عليَّ ذلك إن استطعتَ . فقامت رجالٌ من بني مخزوم إلى حمزةَ لينصروا أبا جهل ، فقال أبو جهل : دعوا أبا عمارة فإني والله قد سببتُ ابن أخيه سباً قبيحاً . وتمَّ حمزةُ على إسلامه ، وعلى ما تابع عليه رسول الله ﷺ من قوله . فلما أسلم حمزة علمت قريش أن رسولَ الله ﷺ قد عزَّ وامتنعَ ، وأن حمزةَ سيمنعه ، فكفُّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه[1] .

وروينا عن ابن إسحاق قال : حدثني يزيد بن أبي زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : حُدِّثْتُ أن عتبة بن ربيعة – وكان سيداً – قال يوماً وهو جالس في نادي قريش ، والنبي ﷺ جالس في المسجد وحده : يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرضَ عليه أموراً لعله يقبل بعضها ، فنعطيه أيَّها شاء ويكفّ عنا ، وذلك حين أسلم حمزة ، ورأوا أصحابَ رسول الله ﷺ يكثرون ويزيدون ، فقالوا : بلى يا أبا الوليد ، فقم إليه فكلّمه ، فقام إليه عتبةُ حتى جلس إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا ابن أخي ، إنك منا حيثُ قد علمتَ من السِّطة[2] في العشيرة ، والمكانِ في النسب وإنك قد أتيتَ قومك بأمر عظيم فرَّقتْ به جماعتهم وسفَّهتْ به أحلامهم ، وعِبْتَ به آلهتهم ودينهم ، وكفَّرتَ به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها . قال : فقال له رسول الله ﷺ : قل يا أبا الوليد أسمع . قال : يا ابن أخي إن كنتَ إنما تُريد بما جئتَ به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرَنا مالاً ، وإن كنتَ تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنتَ تريد ملكاً مَلَّكْناكَ علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رَئِيّاً[3] تراه لا تستطيع ردَّه عن نفسك طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا ، حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يُداوى منه ، أو كما قال له . حتى إذا فرغ عتبة ورسولُ الله ﷺ يسمع منه ، قال : أقد فرغتَ يا أبا الوليد ؟

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٢٩١ – ٢٩٢ .

(٢) « السِّطة » : مصدر فعلُه وَسَطَ ،كوصفه صفةً ، وهي في النسب أشرف ما يكون من المراتب .

(٣) « رَئِيّاً » : على وزن فعيل ، وقد تكسر راؤه ، وهو التابع من الجن .

قال : نعم . قال : فاسمع مني . قال : أفعل . قال : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . حمٓ . تنزيلٌ من الرحمن الرحيم . كتابٌ فُصِلَتْ آياتهُ قرآناً عربياً لقوم يعلمون . بشيراً ونذيراً فأعرضَ أكثرُهم فهم لا يَسمعون ﴾ [فصلت : ١ — ٤] . ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرأها عليه ، فلما سمعها عتبةُ منه ، أنصتَ لها ، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليها يسمعُ منه ، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها ، فسجدَ . ثم قال : قد سمعتَ يا أبا الوليد ما سمعتَ فأنت وذاك . فقام عتبةُ إلى أصحابه ، فقال بعضُهم لبعض يحلفُ بالله : لقد جاءَكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به ، فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءَك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائي أني سمعتُ قولاً والله ما سمعتُ مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ، ولا بالكِهانة ، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي ، خَلُّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه ، فاعتزلوه ، فوالله ليكوننَّ لقوله الذي سمعت منه نبأ ، فإن تصبْه العربُ فقد كُفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فمُلْكُه ملكُكُم ، وعزُّه عزُّكم ، وكنتم أسعدَ الناس به . قالوا : سحركَ والله يا أبا الوليد بلسانه . قال : هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم[1] .

وروينا عن الطبراني ، حدثنا القاسم بن عيَّاش بن حمّاد أبو محمد الجُهني الحذاء المَوْصلي ، حدثنا محمد بن موسى الحرشي ، حدثنا أبو خلف عبد الله بن عيسى الخزاز ، حدثنا داود بن أبي هند عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ أن قريشاً دعتْ رسولَ الله ﷺ إلى أن يُعطوه مالاً فيكون أغنى رجل بمكة ، ويزوِّجوه ما أراد من النساء . فقالوا : هذا لك عندنا يا محمد وكفَّ عن شتم آلهتنا ولا تذكرها بسوء ، فإن لم تفعل فإنا نعرضُ عليك خَصْلَةً واحدة ولك فيها صلاح . قال : ما هي ؟ قالوا : تعبدُ آلهتنا سنةً — اللات والعزى — ونعبدُ إلَهك سنة . قال : « حتى أنظر ما يأتيني من ربِّي » . فجاء الوحيُ من عند الله عزَّ وجلَّ من اللوح المحفوظ : ﴿ قلْ يا أيُّها الكافرون . لا أعبدُ ما تَعبدون ﴾ [الكافرون : ١ — ٢] السورة وأنزل الله عز وجل ﴿ قل أفغيرَ الله تأْمُرونِّي أعبدُ أيُّها الجاهلون ﴾ ﴿ بلِ اللهَ فاعبدْ وكنْ من الشاكرين ﴾[2] [الزمر : ٦٤ و ٦٦] .

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٢٩٣ — ٢٩٤ .

(٢) رواه الطبراني وابن جرير الطبري وابن أبي حاتم ، وفيه أبو خلف عبد الله بن عيسى الخزاز : ضعيف . نور النبراس لوحة ١/١٨٨ ، وانظر السيرة الشامية ؛ للصالحي ٢/٥٥٩ .

وروينا من طريق الترمذي ، حدثنا عبد بن حُميد ، أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن عبد الكريم الجزري ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ﴿ سندعُ الزبانية ﴾ قال : قال أبو جهل : لئن رأيتُ محمداً يُصلّي لأطأن على عنقه . فقال رسولُ الله ﷺ : « لو فعلَ لأخذته الملائكةُ عَياناً »(1) .

قال : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو خالد ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كانَ النبيُّ ﷺ يُصلّي ، فجاءَ أبو جهل ، فقال : ألم أنهكَ عن هذا ؟ فانصرفَ النبيُّ ﷺ ، فزبرَه ، فقال أبو جهل : إنك لتعلم ما بها نادٍ أكثرُ مني . فأنزلَ الله تعالى : ﴿ فليدعُ ناديَه . سندعُ الزبانية ﴾ [العلق : ١٧ - ١٨] قال ابن عباس : والله لودعا ناديَه لأخذته زبانيةُ الله(1) .

وروينا عن ابن عباس ، من طريق محمد بن إسحاق ، اجتماعَ قريش وعرضهم على النبيّ ﷺ ما عرضوا عليه من أموالهم وغير ذلك ، وقوله عليه الصلاة والسلام : ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً ، وأنزل عليّ كتاباً ، وأمرني أن أكونَ لكم بشيراً ونذيراً ، فبلَّغتكم رسالاتِ ربّي ونصحتُ لكم ، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظُّكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردُّوه عليَّ أصبر لأمر الله حتى يحكمَ الله بيني وبينكم ، أو كما قال ﷺ . فقالوا له : فسلْ ربَّك أن يُسيِّر عنا هذه الجبال التي قد ضيَّقتْ علينا ، وليبسطْ علينا بلادَنا ، وليخرقْ فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق ، وليبعثْ لنا مَنْ مضى من آبائنا ، وليكنْ فيمن يبعث لنا منهم قصيّ بن كلاب ، فإنه كان شيخ صدق ، فنسألهم عما تقول أحقّ هو أم باطل ؟ . وفيه : قالوا له : سلْ ربَّك أن يبعثَ معك مَلَكاً يُصدقك بما تقول ويراجعنا عنك ، واسألْه فليجعلْ لنا جناناً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة يُغنيكَ بها عما تراك تبتغي ، فإنك تقومُ بالأسواق وتلتمسُ المعاش . وذكر قولهم : فأسقطِ السماءَ علينا كِسفاً كما زعمتَ أن ربَّك إن شاء

---

(1) رواه الترمذي في كتاب التفسير (باب ومن سورة اقرأ باسم ربك) رقم /٣٣٤٦/ ، وقال : حسن غريب صحيح ، وهو عند الإمام أحمد في المسند رقم /٢٣٢١/ و/٣٠٤٥/ بتحقيق الشيخ أحمد شاكر ، وقال : إسناده صحيح .

فعلَ . وقال قائلهم : نحن نعبدُ الملائكة ، وهي بناتُ الله . وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلاً . وقال : إنه قد بلغنا أنك إنما يعلِّمُك هذا رجلٌ باليمامة يقال له الرحمن ، وإنا والله لن نؤمن بالرحمن أبداً . فلما قالوا له ذلك . قام رسول الله ﷺ عنهم ومعه عبد الله بن أبي أمية المخزومي وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب ، فقال : والله لا نؤمن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً ، ثم ترق فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها ثم تأتي معك بصكٍّ معه أربعة من الملائكة يشهدون لك كما تقول ، وايم الله أن لو فعلت ذلك ما ظننت أني أصدقك .

وقال أبو جهل : يا معشر قريش إني أعاهد الله لأجلسنَّ له غداً بحجر ما أطيق حمله أو كما قال ، فإذا سجد في صلاته فضختُ به رأسه ، فأسلموني عند ذلك أو امنعوني ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم . قالوا : والله لا نسلمك لشيء أبداً فامض لما تريد ، فلما أصبح أبو جهل أخذ حجراً كما وصف ، ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره ، وغدا رسولُ الله ﷺ كما كان يغدو ، فلما سجد رسولُ الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجرَ ثم أقبل نحوَه حتى إذا دنا منه رجع منهزماً منتقعاً لونه مرعوباً قد يبست يداه على حجره ، حتى قذف الحجر من يده ، وقامت إليه رجال من قريش ، فقالوا له : مالك يا أبا الحكم ؟ قال : قمت إليه لأفعل ما قلتُ لكم البارحة ، فلما دنوتُ منه عرض لي دونه فحلٌ من الإبل لا والله ما رأيت مثل هامته ولا قصَرته[1] ولا أنيابه بفحل قط ، فهمَّ بي أن يأكلني[2] . قال ابن إسحاق : فُذكر لي أن رسول الله ﷺ قال : ذلك جبريل لودنا لأخذه .

وذُكِرَ في الخبر بعثُ قريش النضرَ بن الحارث بن كَلَدَة[3] ، وبعثوا معه عقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود وقالوا لهما : سلاهم عن محمد وصفا لهم صفته ، وأخبراهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء ، فخرجا حتى قدما

---

(١) « قَصَرَته » : القَصَرَة : أصل العنق .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٢٩٥ — ٢٩٩ .

(٣) كَلَدة : بفتح الكاف واللام ، كطبقة ورقبة .

المدينة ، وسألا أحبار يهود ، فقالت لهما : سلوه عن ثلاث ، فإن أخبركم بهن فهو نبيٌّ مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل متقوّل . سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول : ما كان من أمرهم ؟ فإنه قد كان لهم حديث عجيب . وسلوه عن رجل طوَّاف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها . ما كان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح : ما هو ؟ فإذا أخبركم بذلك فاتّبعوه فإنه نبي وإن لم يفعل فهو رجلٌ متقول .

فأقبل النضرُ وعقبة فقالا : قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، فجاؤوا رسولَ الله ﷺ فيما يذكرون ، فقال عليه الصلاة والسلام : أخبركم غداً ، ولم يستثن . فانصرفوا ، فمكثَ رسولُ الله ﷺ فيما يذكرون خمس عشرة ليلة لا يُحْدِثُ الله إليه في ذلك وحياً ، ولا يأتيه جبريلُ حتى أرجف أهل مكة وقالوا : وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه . حتى أحزن رسولَ الله ﷺ مُكْثُ الوحي عنه ، وشقَّ عليه ما يتكلم به أهل مكة ، ثم جاءه جبريلُ من الله بسورة أصحاب الكهف ، قال ابن إسحاق : فُذكِرَ لي أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : لقد احتبست عني يا جبريل ، فقال ﴿ وما نتنزلُ إلا بأمرِ ربِّك ﴾ [مريم : ٦٤] الآية . وافتتح السورة بحمده وذكر نبوة رسوله عليه الصلاة والسلام ، وفيها ذكرُ الفتية الذين ذهبوا وهم أصحاب الكهف ، وذكرُ الرجل الطوّاف وهو ذو القرنين ، وقال فيما سألوه عنه من الروح ﴿ ويسألونكَ عن الروح قل الروحُ من أمر ربِّي وما أُوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ [الإسراء : ٨٥] الحديث[1] بطوله وأنا اختصرته .

قال : وحُدثت عن ابن عباس أنه قال : لما قدم رسولُ الله ﷺ المدينة ، قالت أحبارُ يهود : يا محمد أرأيتَ قولك ﴿ وما أُوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ [الإسراء : ٨٥] إيانا تريد أم قومك ؟ قال : كُلّاً . قالوا : فإنك تتلو فيما جاءك أنا قد أوتينا التوراة فيها بيان كل شيء . فقال رسول الله ﷺ : إنها في علم الله قليل ، وعندكم من ذلك ما يكفيكم لو أقمتموه . قال : فأنزل الله عليه فيما سألوه عنه من ذلك ﴿ ولو أنَّما في الأرضِ من شجرةٍ أقلامٌ والبحرُ يمدُّه من بعدِه سبعةُ أبحرٍ ما نَفِدَتْ كلماتُ الله إنَّ اللهَ عزيزٌ حكيم ﴾

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٣٠٠ — ٣٠٨ .

[لقمان : ٢٧] أي : إن التوراة في هذا من علم الله قليل[١] .

قال : وأنزل الله فيما سأله قومه لأنفسهم من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وبعث من مضى من آبائهم من الموتى ﴿ ولو أنَّ قرآناً سُيِّرتْ به الجبالُ أو قُطِّعَتْ به الأرضُ أو كُلِّمَ به الموتى بل لله الأمرُ جميعاً ﴾ [الرعد : ٣١] أي لا أصنع من ذلك الأمر إلا ما شئت[٢] . وأنزل الله عليه فيما سألوه أن يأخذ لنفسه ﴿ وقالُوا ما لهذا الرسولِ يأكلُ الطعامَ ويمشي في الأسواق لولا أُنزل إليه مَلَكٌ فيكونَ معه نذيراً . أو يُلقى إليه كنز ﴾ إلى ﴿ وكانَ ربُّك بصيراً ﴾[٣] [الفرقان : ٧ — ٢٠] .

وأنزل الله فيما قال عبد الله بن أبي أمية ﴿ وقالوا لن نُؤمنَ لك حتى تَفْجُرَ لنا من الأرض يَنْبُوعَاً . أو تكونَ لك جنةٌ من نخيل وعِنَب ﴾ إلى قوله ﴿ قلْ سبحانَ ربِّي هل كنتُ إلا بشراً رسولاً ﴾[٤] [الإسراء : ٩٠ — ٩٣] .

وأنزل عليه في قولهم إنما يُعلمك رجل باليمامة يُقال له : الرحمن : ﴿ كذلكَ أرسلناكَ في أمة قد خلتْ من قبلِها أممٌ لتتلوَ عليهم الذي أوحينَا إليكَ وهم يَكفرون بالرحمٰن ﴾[٥] [الرعد : ٣٠] .

وأُنزل عليه فيما قال أبو جهل ، وما همَّ به ﴿ أرأيتَ الذي ينَهى . عبداً إذا صلَّى ﴾ [العلق : ٩ — ١٠] حتى آخر السورة[٦] .

وأُنزل عليه فيما عرضوا من أموالهم ﴿ قلْ ما سألتُكم من أجرٍ فهو لكم إنْ أجريَ إلا على الله وهو على كلِّ شيءٍ شهيد ﴾ [سبأ : ٤٧] . فلما جاءهم رسولُ الله ﷺ بما عرفوا من الحق حال الحسدُ بينهم وبين اتّباعه .

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٣٠٨/١ .
(٢) السيرة النبوية ؛ ٣٠٨/١ — ٣٠٩ .
(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٣٠٩/١ .
(٤) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٣٠٩/١ .
(٥) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٣١١/١ .
(٦) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٣١١/١ .

فقال قائلهم : لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ، أي : اجعلوه لغواً وباطلاً واتخذوه هزواً لعلكم تغلبونه بذلك فإنكم إن ناظرتموه أو خاصمتموه غلبكم . فقال أبو جهل يوماً وهو يهزأ برسول الله ﷺ وما جاء به من الحق يا معشر قريش يزعم محمد أن جنودَ الله الذين يعذبونكم في النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر ، وأنتم الناس كثرة وعدداً ، أفيعجز كل مائة رجل منكم عن رجل منهم ؟ فأنزل الله عز وجل في ذلك من قوله ﴿ وما جعلنا أصحابَ النَّارِ إلا ملائكة وما جعلنا عِدَّتهم إلا فتنةً للذين كفروا ﴾ [المدثر : ٣١] إلى آخر القصة[١] . فلما قال ذلك بعضهم لبعض جعلوا إذا جهر رسول الله ﷺ بالقرآن وهو يُصلي يتفرقون عنه ويأبَوْن أن يستمعوا له ، فكان الرجل منهم إذا أراد أن يستمع من رسول الله ﷺ بعض ما يتلو من القرآن وهو يصلي استرق السمعَ دونهم فَرَقاً منهم ، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع منه ذهب خشية أذاهم فلم يستمعْ ، وإن خفضَ رسولُ الله ﷺ صوتَه فظنَّ الذي يستمعُ أنهم لا يسمعون شيئاً من قراءته وسمع هو شيئاً دونهم أصاخ له يستمع منه ، ورُوي عن داود بن الحصين ، عن عكرمة عن ابن عباس إنما نزلت هذه الآية ﴿ ولا تجهرْ بصلاتِك ولا تُخافتْ بها ﴾ [الإسراء : ١١٠][٢] في ذلك[٣] .

قال أبو عمر : وكان المجاهرون بالظلم لرسول الله ﷺ ولكل من آمن به :

من بني هاشم : عمَّه أبا لهب ، وابنَ عمه أبا سفيان بن الحارث .

ومن بني عبد شمس : عتبةَ وشيبةَ ابني ربيعة ، وعقبةَ بن أبي مُعَيط ، وأبا سفيان بن حرب ، وابنه حنظلة ، والحكم بن أبي العاص بن أمية ، ومعاوية بن المغيرة بن العاص بن أمية .

ومن بني عبد الدار : النضرَ بن الحرث .

ومن بني أسد بن عبد العزى : الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى ، وابنَه

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٣١١/١ .

(٢) في جميع النسخ : يعني في ذلك .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٣١٣/١ — ٣١٤ .

زَمْعة ، وأبا البَخْتَري العاص بن هشام .

ومن بني زهرة : الأسود بن عبد يغوث .

ومن بني مخزوم : أبا جهل بن هشام ، وأخاه العاص بن هشام ، وعمَّهما الوليد بن المغيرة ، وابنه أبا قيس بن الوليد بن المغيرة ، وابن عمه قيس بن الفاكِه بن المغيرة ، وزهير ابن أبي أمية بن المغيرة أخا أم سلمة ، وأخاه عبد الله بن أبي أمية ، والأسود بن عبد الأسد أخا أبي سلمة ، وصيفي بن السائب .

ومن بني سهم : العاص بن وائل ، وابنه عَمراً ، وابن عمه الحارث بن قيس بن عدي ، ونُبيهاً ومُنبِّهاً ابني الحجاج .

ومن بني جُمح : أميةَ وأبيّاً ابني خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، وأنيس بن معير أخا أبي محذورة ، والحارث بن الطُّلاطلة الخزاعي ، وعدي بن الحمراء الثقفي .

فهؤلاء كانوا أشد على المؤمنين مثابرة بالأذى ، ومعهم سائر قريش ، فمنهم من يعذبون – ممن لا منعة له ولا جوارَ – من قومه ، ومنهم من يُؤذون .

ولقي المسلمون من كفار قريش وحلفائهم من الأذى والعذاب والبلاء عظيماً ، ورزقهم الله من الصبر على ذلك عظيماً ، ليدخر لهم ذلك في الآخرة ، ويرفع به درجاتهم في الجنة . والإسلام في كل ذلك يفشو ويظهر في الرجال والنساء . وأسلم الوليد بن الوليد ابن المغيرة ، وسلمة بن هشام أخو أبي جهل ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وجماعة أراد الله هداهم .

وأسرفَ بنو جُمح على بلال بالأذى والعذاب ، فاشتراه أبو بكر الصديق منهم واشترى أمَّه حمامة ، فأعتقهما ، وأعتق عامرَ بن فهيرة . وروي أن قحافة قال لابنه أبي بكر : يا بني أراك تعتق قوماً ضعفاء فلو أعتقت قوماً جلداء[1] يمنعوك ، فقال : يا أبت إني أريد ما أريد . فقيل : فيه نزلت ﴿ وسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى . الذي يُؤْتِي مالَه يَتَزَكَّى . وما لأحدٍ﴾ [الليل : ١٧ – ١٩] إلى آخر السورة[2] .

---

(١) « جُلَداء » : ومثلُها جُلُدٌ ، جمع جليد ، وهو القوي الشديد .

(٢) الدرر في اختصار المغازي والسير ص ٤٤ – ٤٦ .

وذكر الزهري أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام والأخنس بن شُرَيْق خرجوا ليلةً ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يُصلي من الليل في بيته ، فأخذ كلُّ رجل منهم مجلساً يستمعُ فيه ، وكلٌّ لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فتلاوموا وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا ، فلو رآكم بعضُ سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً ، ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كلُّ رجل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجرُ تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ، ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كلُّ رجل منهم مجلسَه فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض : لا نبرحُ حتى نتعاهد أن لا نعود ، فتعاهدوا على ذلك ، ثم تفرقوا ، فلما أصبح الأُخنسُ بن شريق أخذ عصاه ، ثم ذهب حتى أتى أبا سفيان في بيته ، فقال : أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعتَ من محمد . فقال : يا أبا ثعلبة : والله لقد سمعتُ أشياءَ أعرفها وأعرف ما يُراد بها ، وسمعتُ أشياءَ ما عرفت معناها ولا ما يُراد بها . قال الأخنس : وأنا والذي حلفت به ، ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل ، فدخل عليه بيته ، فقال : يا أبا الحكم ! ما رأيك فيما سمعتَ من محمد ؟! قال ماذا سمعت ؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرفَ ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاذينا[1] على الرُّكَب ، وكنا كفرسي رِهان ، قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك هذه ! والله لا نؤمن به أبداً ، ولا نصدقه ، فقام عنه الأخنس وتركه[2] .

وذكر ابن إسحاق حديث الإراشي (والإراشي هذا اسمه :كهلة الأصغر بن عصام بن كهلة الأكبر بن وهْب ، بن ذئبان بن سيلان ، بن مُودِّع بن عبد الله ، وهو)[3]الذي ابتاعَ منه أبو جهل الإبل ومَطَلَه بأثمانها ، ودِلالة قريش إيَّاه على رسول الله ﷺ لينصفه من أبي جهل استهزاء ؛ لما يعلمون من العداوة بينهما . قال : وخرج رسول الله ﷺ حتى

---

(١) « تَجاذَينا » : تجاثينا ، والثلاثي منه : جذا يجذو ، كجثا يجثو ، والمعنى التساوي في القدر .
(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٣١٥ — ٣١٦ .
(٣) ما بين القوسين سقط من « أ » وأثبتناه من باقي النسخ .

جاءه فضربَ عليه بابه ، فقال : من هذا ؟ فقال : محمد . فخرج إليه وما في وجهه من رائحة[١] ، قد انتقع لونه . فقال : أعطِ هذا حقَّه . قال : نعم لا تبرحُ حتى أعطيَه الذي له ، فدفَعه إليه . فذكر له الإراشي ذلك ، فقالوا لأبي جهل : ويلك ! ما رأينا مثل ما صنعتَ . قال : ويحكم ! والله ما هو إلا أن ضرب على بابي وسمعتُ صوته فمُلئت رُعباً ، ثم خرجتُ إليه وإن فوق رأسه لفحلاً من الإبل ما رأيتُ مثل هامته . ولا قَصَرتِهِ ولا أنيابه لفحلٍ قط ، والله لو أبيتُ لأكلني[٢] .

وذكر الواقدي عن يزيد بن رومان ، قال بينا رسولُ الله ﷺ جالسٌ في المسجد معه رجال من أصحابه ، أقبل رجلٌ من بني زُبَيد يقول : يا معشر قريش ! كيف تدخل عليكم المادة[٣] أو يجلب إليكم جلب ، أو يَحُلُّ تاجرٌ بساحتكم ، وأنتم تظلمون من دخل عليكم في حرمكم ؟ يقف على الحِلَق حَلْقَة حَلْقَة حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ في أصحابه ، فقال رسولُ الله ﷺ : ومن ظلمك ؟ فذكر أنه قدم بثلاثة أجمال كانت خيرةَ إبله ، فسامه بها أبو جهل ثلثَ أثمانها ، ثم لم يسمْهُ بها لأجلِهِ سائمٌ . قال : فأكسدَ عليَّ سلعتي وظلمني . قال رسولُ الله ﷺ : وأين أجمالُك ؟ قال : هي هذه بالحَزْوَرَة[٤] . فقام رسولُ الله ﷺ معه وقام أصحابهُ ، فنظر إلى الجمال فرأى الجمال فُرْهَاً[٥] ، فساوم الزُّبيديَّ حتى ألحقه برضاه ، فأخذها رسولُ الله ﷺ فباع جملين منها بالثمن ، وأفضلَ بعيراً باعه وأعطى أراملَ بني عبد المطلب ثمنَه ، وأبو جهل جالسٌ في ناحية من السوق لا يتكلّم ، ثم أقبلَ إليه رسولُ الله ﷺ فقال : يا عمرو ! إياك أن تعودَ لمثل ما صنعتَ بهذا الأعرابي فترى مني ما تكره . فجعل يقول : لا أعودُ يا محمد ، لا أعود يا محمد ، فانصرف رسولُ الله ﷺ ، وأقبلَ عليه أمية بن خلف ومن حضر من القوم ، فقالوا : ذَلَلْتَ في يدي محمد ؛ فإما أن تكون تريدُ أن تتبعه ، وإما رعبٌ دخلك منه . قال : لا أتبعه أبداً ، إن الذي رأيتم مني ؛ لما رأيتُ

---

(١) « من رائحة » : من بقية روح أو حياة . و « انتقع » كامتقع مبنياً للمجهول ، تغير لونه .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٣٨٩/١ — ٣٩٠ .

(٣) « المادة » : كيف يدخل المدد ؛ أي التجارة مرة بعد أخرى .

(٤) « الحزورة » : قال في نور النبراس : وكانت سوقَ مكة ، وقد دخلت في المسجد لمَّا زيد فيه .

(٥) « فُرْهَاً » : جمع فاره ، وهو هنا : الجمل الفتي المكتمل الخلق .

معه ، لقد رأيتُ رجالاً عن يمينه وشماله معهم رماح يُشرعونها إليَّ ، لو خالفته لكانت إياها ، أي لأتوا على نفسي .

قال أبو عمر : وكان المستهزئون الذين قال الله فيهم : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ [الحجر : ٩٥] عمَّه أبا لهب ، وعقبة بن أبي معيط ، والحكم بن أبي العاصي ، والأسود ابن المطلب بن أسد أبا زمعة ، والأسود بن عبد يغوث ، والعاص بن وائل ، والوليد بن المغيرة ، والحارث بن الغَيْطَلة السهمي . فكان جبريلُ مع رسول الله ﷺ ، فمرَّ بهما من المستهزئين الوليدُ بن المغيرة ، والأسود بن المطلب ، والأسود بن عبد يغوث ، والحارثُ ابن الغَيْطَلة ، والعاص بن وائل واحداً بعد واحد ، فشكاهم رسولُ الله ﷺ إلى جبريل ، فقال : كفيتكهم . فهلكوا بضروب من البلاء والعمى قبل الهجرة .

وفيما لقي بلالٌ وعمار والمقداد وخبَّاب وسعد بن أبي وقاص وغيرُهم ممن لم تكن له منعة من قومه من البلاء والأذى[1] . ما يطول ذكره .

قرأتُ على أبي النور إسماعيل بن نور بن قمر الهيتي بالصالحية ، أخبركم أبو نصر موسى ابن الشيخ عبد القادر الجيلي قراءة عليه ، أخبرنا أبو القاسم سعيد بن أحمد بن البنا ، أخبرنا أبو نصر الزينبي ، أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن علي بن خلف ، أخبرنا أبو بكر بن أبي داود ، حدثنا أبو موسى عيسى بن حماد زُغْبة ، عن الليث بن سعد ، عن هشام ، عن أبيه ، أنه قال : مرَّ ورقةُ بن نوفل على بلال وهو يُعذَّب ، يُلصق ظهرُه برمضاء البطحاء في الحرّ ، وهو يقول : أحد أحد . فقال : يا بلال صبراً ، يا بلال صبراً ، لمَ تعذبونه فوالذي نفسي بيده لئن قتلتموه لأتخذنه حناناً . يقول : لأتمسحنَّ به[2] .

* * *

(١) الدرر في اختصار المغازي والسير ص ٤٧ .

(٢) قال سبط ابن العجمي : وموت ورقة متقدم على إسلام بلال ، وقد مات في الفترة ، وفي الصحيح : « ولم ينشب ورقة أن مات وفتر الوحي » .. وسند ما في هذه السيرة جيد من ابن أبي داود .. وما فيه إلا الإرسال . والراوي عن ابن أبي داود ، وهو أبو بكر محمد بن عمر بن علي بن خلف .. قال الخطيب : ضعيف جداً . نور النبراس لوحة ١٩٨/١ .

ذكر انشقاق القمر

قال الله تعالى : ﴿ اقتربتِ الساعةُ وانشقَّ القمر ﴾ [القمر : ١] .

وروينا من طريق البخاري : حدثنا مُسدد ، حدثنا يحيى ، عن شعبة وسفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبي مَعمر ، عن ابن مسعود ، قال : انشقَّ القمرُ على عهد رسول الله ﷺ فرقتين ، فرقة فوق الجبل وفرقة دونه . فقال رسول الله ﷺ : « اشهدوا »[(١)] .

وذكر القاضي عياض رحمه الله ، قال : ورواه عنه مسروق ؛ أنه كان بمكة ، وزاد : فقال كفار قريش : سحركم ابن أبي كبشة . فقال رجلٌ منهم : إنَّ محمداً إن كان سحرَ القمرَ فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرضَ كلَّها ، فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا ، فسألوا فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك[(٢)] .

وحكى السمرقندي ، عن الضحاك نحوه ، وقال : فقال أبو جهل : هذا سحر فابعثوا إلى أهل الآفاق حتى تنظروا أرأوا ذلك أم لا ؟ فأخبر أهلُ الآفاق أنهم رأوه منشقاً . فقالوا يعني الكفار : هذا سحر مستمر[(٣)] .

ورويـنا من طريق الترمذي ، حدثنا عبدُ بن حميد : أخبرنا عبدُ الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، عن أنس قال : سأل أهلُ مكة النبيَّ ﷺ آيةً فانشقَّ القمرُ بمكة مرتين ، فنزلت

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير (باب وانشق القمر) رقم /٤٨٦٤/ .

(٢) رواه أبو داود الطيالسي في « مسنده » رقم /٢٤٤٧/ والذهبي في السيرة النبوية من « تاريخ الإسلام » ص ٢١٠ ، بتحقيق د/عمر عبد السلام تدمري . وهو عند البيهقي في « دلائل النبوة » ٢٦٦/٢ ، ودلائل النبوة ؛ لأبي نعيم رقم /٢١١/ و/٢١٢/ . وقال الحافظ ابن حجر في الفتح ١٨٣/٨ : أخرجه البخاري معلقاً ، ووصله أبو داود الطيالسي عن أبي عوانة .

(٣) خبر السمرقندي ، وهو فقيه حنفي مشهور ، توفي سنة ٥٧٥ : عن الضحاك بن مزاحم البلخي المفسر ، عن عبد الله بن عباس . قال شعبة : ينكر أن يكون الضحاك لقي ابن عباس قط . فهو خبر ضعيف لما في إسناده من انقطاع . وانظر نور النبراس لوحة ١٩٩/١ ، وميزان الاعتدال ٣٢٥/٢ .

﴿ اقتربتِ السَّاعةُ وانشقَّ القمر ﴾ إلى قوله ﴿ سِحْرٌ مستمر ﴾ [القمر : ١ ـ ٢] . يقول ذاهب[1] .

قال الترمذي : حدثنا عبدُ بن حُميد ، حدثنا محمد بن كثير ، حدثنا سليمان بن كثير ، عن حصين ، عن محمد بن جُبير بن مطعم عن أبيه ، قال : انشق القمرُ على عهد النبي ﷺ حتى صار فرقتين على هذا الجبل وعلى هذا الجبل ، فقالوا : سحرنا محمد . فقال بعضُهم : لئن كان سحَرَنا ما يستطيع أن يسحرَ النَّاس كلَّهم[2] . وروي عن ابن عباس وابن عمر وحذيفة وعليّ رضي الله عنهم .

* * *

(١) رواه الترمذي في التفسير (باب ومن سورة القمر) رقم /٣٢٨٢/ ، ورواه مسلم في صفة القيامة رقم /٢٨٠٢/ عن أنس رضي الله عنه .

(٢) رواه الترمذي في التفسير (باب ومن سورة القمر) رقم /٣٢٨٥/ . وقال الترمذي : وقد روى بعضهم هذا الحديث عن حُصين عن جُبير بن محمد بن جُبير بن مُطعم عن أبيه عن جده جُبير بن مُطعم نحوه .

ذكر الهجرة إلى أرض الحبشة

وكانت الهجرة إلى أرض الحبشة مرتين ، فكان عدد المهاجرين في المرة الأولى اثني عشر رجلاً وأربع نسوة ، ثم رجعوا عندما بلغهم عن المشركين سجودُهم مع رسول الله ﷺ عند قراءة سورة (والنجم) وسيأتي ذكر ذلك ، فلقوا من المشركين أشدَّ مما عهدوا ، فهاجروا ثانية ، وكانوا ثلاثة وثمانين رجلاً ، إن كان فيهم عمار ، ففيه خلاف[1] بين أهل النقل . وثمانيَ عشرة امرأة ، إحدى عشرة قرشيات وسبعاً غرباء ، وبعثت قريشٌ في شأنهم إلى النجاشي مرتين ، الأولى عند هجرتهم ، والثانية عُقيب وقعة بدر ، وكان عمرو بن العاص رسولاً في المرتين ، ومعه في إحداهما عمارة بن الوليد ، وفي الأخرى عبد الله بن أبي ربيعة المخزوميان .

وروى عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، قال : فلما كثر المسلمون وظهر الإيمان أقبل كفار قريش على من آمن من قبائلهم يُعذبونهم ويؤذونهم ليردوهم عن دينهم . قال : فبلغنا أن رسولَ الله ﷺ قال لمن آمن به : تفرَّقوا في الأرض فإن الله تعالى سيجمعكم . قالوا : إلى أين نذهب ؟ قال : إلى ها هنا . وأشار بيده إلى أرض الحبشة ، فهاجر إليها ناسٌ ذوو عدد ، منهم من هاجر بأهله ، ومنهم من هاجر بنفسه ، حتى قدموا أرضَ الحبشة[2] . فكان أول من خرج عثمان بن عفان ، معه امرأته رقيّة بنت رسول الله ﷺ . وقد قيل إن أول من هاجر إلى أرض الحبشة حاطبُ بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ أخو سُهيل بن عمرو . وقيل : هو سُليط بن عمرو . وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة هارباً عن أبيه بدينه ، ومعه امرأته سهلة بنت سُهيل مُسلمة مُراغمةً لأبيها ، فارّة عنه بدينها ، فولدت له بأرض الحبشة محمد بن أبي حُذيفة . ومُصعب بن عُمير . وعبد الرحمن بن

---

(١) في السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٣٣٠ : فكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين ، سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغاراً وولدوا بها ؛ ثلاثةً وثمانين رجلاً ، إن كان عمَّار بن ياسر فيهم ، وهو يُشَكُّ فيه .

(٢) رواه عبد الرزاق في المصنف في المغازي رقم /٩٧٤٣/ عن معمر ، عن الزهري في حديثه عن عروة .

عوف . وأبو سلمة بن عبد الأسد،ومعه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية . وعثمان بن مظعون . وعامر بن ربيعة ؛ حليف آل الخطاب ، ومعه امرأته ليلى بنت أبي خيثمة بن غانم العدويّة . وأبو سَبْرة بن أبي رُهْم العامري ، وامرأته أمّ كلثوم بنت سُهيل بن عمرو ، ولم يذكرها ابن إسحاق فهي خامسة لهنّ . وسُهيل بن بيضاء ، وهو سُهيل بن وهب بن ربيعة الفهري . وعبد الله بن مسعود الهذلي . فخرجوا متسللين سراً حتى انتهوا إلى الشُّعَيْبة ، منهم الراكب ومنهم الماشي ، فوفّقَ الله لهم سفينتين للتجار حملوهم فيهما بنصف دينار ، وكان مخرجهم في رجب من السنة الخامسة من النبوة ، فخرجت قريش في آثارهم حتى جاؤوا البحرَ من حيث ركبوا فلم يجدوا أحداً منهم .

ثم خرج جعفر بن أبي طالب في المرة الثانية ومعه امرأته أسماء بنت عُميس فولدت له هناك بنيه : محمداً وعبد الله وعَوْناً . وعمرو بنُ سعيد بن العاص بن أمية ، ومعه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن مُحرِّث الكِناني،وأخوه خالد بن سعيد ومعه امرأته أُمَينة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة الخزاعية فولدت له هناك ابنه سُعَيْداً وابنته أم خالد واسمها أمة . وعُبيد الله بن جحش ؛ ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فتنصَّر هناك ثم توفي على النصرانية ، وتزوَّج رسولُ الله ﷺ أمّ حبيبة كما سيأتي إن شاء الله تعالى . وأخوه عبدُ الله بن جحش . وقيس بن عبد الله حليفُ لبني أمية بن أمية بن عبد شمس ؛ معه امرأته بركة بنت يسار مولاة أبي سفيان بن حرب . ومعيقيب بن أبي فاطمة الدوسي حليفٌ لبني العاص بن أمية . وعتبةُ بن غزوان بن جابر المازني حليفُ بني نوفل . ويزيدُ ابن زمعة بن الأسود . وعمروُ بن أمية بن الحارث بن أسد . والأسود بن نوفل بن خويلد ابن أسد . وطُليب بنُ عمير بن وهب بن أبي كبير بن عبد قصيّ . وسُويط بن سعد بن حرملة — ويقال : حُريملة — بن مالك العبدري . وجَهْم بن قيس بن عبد شُرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار العبدري ، معه امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود بن خُزَيْمة من خزاعة،وابناه عمرو بن جهم وخزيمة بن جَهْم[1] . وأبو الروم بن عُمير أخو

(١) في جميع النسخ « بنت » ، والتصحيح من أسد الغابة ٣١١/١ ، وقول المؤلف — رحمه الله تعالى — : وابناه ، يقتضي هذا التصحيح .

مصعب بن عمير . وفراس بنُ النَّضر بن الحارث بن كَلَدة . وعامر بن أبي وقَّاص أخو سعد . والمطلب بن أزهر بن عبد عوف ؛ معه امرأته رملة بنت أبي عوف بن صُبيرة السهمية ، ولدت له هناك عبد الله بن المطلب . وعبدُ الله بن مسعود الهذلي ؛ وأخوه عُتبة ابنُ مسعود . والمقداد بن الأسود ، تبناه الأسود بن عبد يغوث الزهري وهو حليف له فنسب إليه ، وهو المقداد بن عمرو بن ثعلبة البهراني . والحارث بن خالد بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، ومعه امرأته رَيْطة بنت الحارث التيمية ، فولدت له هناك : موسى وزينب وعائشة وفاطمة . وعمرو بن عثمان بن عمرو التيمي عمُّ طلحة . وشمَّاس بنُ عثمان بن الشريد المخزومي،واسمه عثمان بن عثمان . وهبَّار بن سفيان بن عبد الأسد بن هلال المخزومي ؛ وأخوه عبد الله بن سفيان . وهشام بنُ أبي حذيفة بن المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم . وعيَّاش بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي . ومُعَتِّب بن عوف بن عامر الخزاعي ، وبعضُ الناس يقول : مُعْتِب ، حليف بني مخزوم . والسائب ابن عثمان بن مظعون ، وعمَّاه قدامة وعبد الله ابنا مظعون . وحاطب وحطَّاب ابنا الحارث ابن معمر الجمحي ، ومع حاطب زوجه فاطمة بنت المُجلِّل العامري،وولدت له هناك محمداً والحارث ابني حاطب ، ومع حطاب زوجه فُكَيْهة بنت يسار . وسفيان بنُ معمر بن حبيب الجمحي ؛ ومعه ابناه جابر وجُنادة وأمّهما حسنة وأخوهما لأمهما شرحبيل بن حسنة ، وهو شرحبيل بن عبد الله بن المطاع الكِندي ، وقيل إنه من بني الغوث بن مر أخي تميم ابن مر . وعثمان بن ربيعة بن أهبان بن وهب بن حذافة بن جمح . وخنيس بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي ، وسهم بن عمرو بن هُصَيْص وأخواه عبد الله وقيس ابنا حُذافة . ورجل من بني تميم اسمه سعيد بن عمرو ، وكان أخا بشر بن الحارث بن قيس بن عدي لأمه . وهشام بن العاص أخو عمرو وعمير بن رئاب بن حذيفة السهمي . وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدي السهمي وإخوته:الحارث ومعمر وسُعَيد والسائب وبشر وأخ لهم من أمهم من تميم يقال له سعيد بن عمرو . ومَحْمِئة بن جَزْء الزُّبَيْدي حليف بني سهم . ومعمَر بن عبد الله بن نَضْلَة،ويقال ابن عبد الله بن نافع بن نضلة العدويّ . وعروة بنُ عبد العزى بن حُرْثان العدوي . وعن مصعب الزبيري عروة بن أبي أُثاثة بن عبد العزى ، أو عمرو بن أبي أُثاثة . وعديّ بنُ نضلة بن عبد العزى العدوي ، وابنه النعمان . ومالك بن

ربيعة بن قيس العامري ، وامرأته عمرة بنت أسعد بن وَقْدَان بن عبد شمس العامرية . وسعد ابن خولة من أهل اليمن حليف لبني عامر بن لؤي . وعبد الله بن مَخرمَة بن عبد العزى وعبد الله بن سهيل بن عمرو وعمَّاه سَلِيْط والسَّكران ابنا عمرو العامريون ؛ وامرأته سودة بنتُ زَمْعة . وأبو عبيدة بن الجراح . وعمرو بن أبي سَرْح بن ربيعة . وعياض بن زهير ابن أبي شدَّاد . وعثمان بن عبد غَنْم بن زهير بن أبي شداد . وسعد بن عبد قيس بن لقيط ابن عامر الفهريون . وعمَّار بن ياسر وفيه خلاف بين أهل السير .

وقال بعض أهل السير : إن أبا موسى الأشعري كان فيمن هاجر إلى أرض الحبشة وليس كذلك ، ولكنه خرج في طائفة من قومه من أرضهم باليمن يُريد المدينة فركبوا البحر فرمتهم الريح إلى أرض الحبشة ، فأقام هناك حتى قدم مع جعفر بن أبي طالب .

فلما نزل هؤلاء[1] بأرض الحبشة أمنوا على دينهم ، وأقاموا بخير دار عند خير جار ، وطلبتهم قريش عنده فكان ذلك سبب إسلامه .

قرأتُ على الإمام الزاهد أبي إسحاق إبراهيم بن علي الحنبلي بالصالحية ، أخبركم أبو الحسن علي بن النفيس بن بُورنداز ، أخبرنا أبو القاسم محمود بن عبد الكريم ، أخبرنا أبو بكر ابن ماجه ، أخبرنا أبو جعفر ، عن أبي جعفر أحمد بن محمد بن المرزبان ، عن محمد بن إبراهيم ابن يحيى بن الحكم الحَزَّوَري ، عن محمد بن سليمان لُوَين ، حدثنا حُدَيج بن معاوية ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الله بن عُتبة ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي ثمانين رجلاً ، منهم عبد الله بن مسعود ، وجعفر ، وعبد الله بن عرفطة ، وعثمان بن مظعون رضي الله عنهم ، وبعثت قريش عمروَ بن العاص ، وعمارة بن الوليد بهدية ، فقدما على النجاشي ، فدخلا عليه وسجدا له ، وابتدراه فقعد واحد عن يمينه والآخر عن شماله ، فقالا : إن نفراً من بني عمنا نزلوا أرضك ، فرغبوا عنا وعن ملتنا ، قال : وأين هم ؟ قالوا : بأرضك ، فأُرسل في طلبهم ، فقال جعفر رضي الله عنه : أنا خطيبكم اليوم ، فاتَّبعوه ، فدخل فسلَّم ، فقالوا : مالك لا تسجدُ للملك ؟ قال : إنا لا نسجد إلا لله عز وجل . قالوا . ولم ذاك ؟ قال : إن الله تعالى أرسلَ فينا رسولاً

---

(١) هؤلاء : يعني المهاجرين إلى أرض الحبشة .

وأمرنا أن لا نسجدَ إلا لله عز وجل ، وأمرنا بالصلاة والزكاة ، قال عمرو بن العاص : فإنهم يُخالفونك في ابن مريم وأمه . قال : فما تقولون في ابن مريم وأمه ؟ قال : نقول كما قال الله عز وجل : روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول التي لم يمسَّها بشر ولم يفرضْها[1] ولد . قال : فرفع النجاشيُّ عوداً من الأرض فقال : يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان ! ما تزيدون على ما يقولون ، أشهدُ أنه رسولُ الله ، وأنه الذي بَشَّر به عيسى في الإنجيل ، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته فأكون أنا الذي أحمل نعليه وأوضئه ، وقال : انزلوا حيث شئتم . وأمر بهدية الآخرين فَرُدَّتْ عليهما .

قال : وتعجَّل عبد الله بن مسعود فشهد بدراً .

وقال : إنه لما انتهى إلى رسول الله ﷺ موتُه استغفر[2] له .

ولعمارةَ بن الوليد مع عمرو بن العاص في هذا الوجه خبرٌ مشهور ، ذكره أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني وغيرُه . وقال عمرو يخاطب عمارة :

إذا المرءُ لم يتركْ طعاماً يحبُّه ... ولم ينه قلباً غاوياً حيثُ يمَّما
قضى وَطَراً منه وغادرَ سُبَّةً ... إذا ذُكرتْ أمثالُها تملأُ الفَمَا

ولم يذكر ابنُ إسحاق[3] مع عمرو إلا عبد الله بن أبي ربيعة في رواية زياد . وفي رواية ابن بُكير لعمارةَ بن الوليد ذكر .

فأقام المهاجرون بأرض الحبشة عند النجاشي في أحسن جوار ، فلما سمعوا بمهَاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة رجع منهم ثلاثة وثلاثون رجلاً ومن النساء ثماني نسوة ، فمات منهم رجلان بمكة وحبس بمكة سبعة نفر ، وشهد بدراً منهم أربعة وعشرون رجلاً ، فلما كان شهرُ ربيع الأول وقيل المحرم سنة سبع من هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة ، كتب رسولُ الله ﷺ إلى النجاشي كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام ، وبعث به مع عمرو بن أمية

---

(١) « لم يَفرِضْها » : لم يؤثر فيها ولم يضعف قواها .

(٢) استغفر له : أي للنجاشي ؛ لأنه كان قد أسلم . والحديث رواه أبو داود الطيالسي في « مسنده » . تجريد الأغاني ١٠٢٥/٣ — ١٠٢٨ .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٣٣٤/١ و٣٣٧ .

الضَّمْري ، فلما قُرِىء عليه الكتاب أسلم ، وقال : لو قدرت أن آتيه لأتيته ، وكتب إليه رسولُ الله ﷺ أن يزوجه أمَّ حبيبة بنت أبي سفيان ففعل ، وأصدق عنه تسعمائة دينار ، وكان الذي تولى التزويج خالد بن سعيد بن العاص بن أمية ، وكتب إليه رسولُ الله ﷺ أن يبعثَ إليه من بقي عنده من أصحابه ويحملَهم ، ففعل ، فجاؤوا حتى قدموا المدينة ، فيجدون رسولَ الله ﷺ في خيبر ، فشخصوا إليه فوجدوه قد فتح خيبرَ فكلَّم رسول الله ﷺ المسلمين أن يدخلوهم في سهمانهم[1] ففعلوا .

وكان سببُ رجوع الأولين الاثني عشر رجلاً ومن ذُكر معهم من النساء فيما روي أن رسولَ الله ﷺ قرأ يوماً على المشركين ﴿ والنَّجمِ إذا هَوى ﴾ حتى بلغ ﴿ أفرأيتُم اللَّاتَ والعُزَّى . ومناةَ الثالثةَ الأخرى ﴾ [النجم : ١ ــ ٢٠] ألقى الشيطانُ كلمتين على لسانه « تلك الغرانيقُ العلى وإنَّ شفاعتهن لترجى » فتكلَّم رسولُ الله ﷺ بهما ، ثم مضى فقرأ السورة كلَّها فسجدَ ، وسجدَ القوم جميعاً ، ورفع الوليدُ بن المغيرة تراباً إلى جبهته فسجدَ عليه ، وكان شيخاً كبيراً لا يقدرُ على السجود ، ويُقال : إن أبا أُحيحةَ سعيدَ ابن العاص أخذ تراباً فسجدَ عليه ، ويُقال كلاهما فعل ذلك ، فرضوا بما تكلَّم به رسولُ الله ﷺ وقالوا : قد عرفنا أن الله يُحيي ويُميت ويخلق ويرزق ، ولكن آلهتنا هذه تشفعُ لنا عنده ، فأمَّا إذا جعلت لها نصيباً فنحن معك ، فكبُرَ ذلك على رسول الله ﷺ من قولهم ، حتى جلسَ في البيت ، فلما أمسى أتاه جبريلُ فعرضَ عليه السورةَ ، فقال جبريلُ : ما جئتُك بهاتين الكلمتين . فقال رسول الله ﷺ : قلتُ على الله ما لم يقلْ ، فأوحى الله إليه ﴿ وإن كَادُوا ليَفْتِنُونَك عن الذي أوحينَا إليكَ لتفتريَ علينا غيرَه وإذاً لاتَّخذُوكَ خَليلاً ﴾ . إلى قوله ﴿ ثم لا تجدُ لكَ علينا نَصيراً ﴾ [الإسراء : ٧٣ ــ ٧٥] قالوا : ففشت تلك السجدةُ في الناس ، حتى بلغت أرضَ الحبشة ، فقال القومُ عشائرنا أحبُّ إلينا ، فخرجوا راجعين ، حتى إذا كانوا دون مكة بساعة من نهار لَقُوا ركباً من كِنانة ، فسألوهم عن قريش . فقال الركبُ : ذكرَ محمدٌ آلهتَهم بخير فتابعه الملأ ، ثم ارتدَّ عنها ، فعادَ لشتم آلهتهم ، وعادُوا له بالشر ، فتركناهم على ذلك . فائتمر القومُ في الرجوع إلى أرض الحبشة ، ثم قالوا : قد بلغنا مكة فندخل فننظر ما فيه قريش ، ويُحدث عهداً من أراد بأهله ثم يرجع ،

(١) « سهمانهم » : جمع سهم ، كظهر وظهران ، وبطن وبطنان .

فدخلوا مكة ، ولم يدخل أحدٌ منهم إلا بجوار ، إلا ابن مسعود فإنه مكثَ يسيراً ، ثم رجع إلى أرض الحبشة . قال الواقدي(١) : وكانوا خرجوا في رجب سنة خمس فأقاموا شعبان وشهر رمضان ، وكانت السجدة في شهر رمضان ، فقدموا في شوال سنة خمس .

قال السهيليُّ : ذكرَ هذا الخبر يعني خبر هذه السجدة موسى بن عقبة وابن إسحاق من غير طريق البَكَّائي ، وأهلُ الأصول يدفعون هذا الحديث بالحجة ، ومن صحَّحة قال فيه أقوالاً : منها أن الشيطان قال ذلك وأشاعه ، والرسولُ لم ينطقْ به ، وهذا جيد لولا أن في حديثهم أن جبريل قال لمحمد : ما أتيتُك بهذا . ومنها أن النبيَّ ﷺ قالها من قبل نفسه وعنى بها الملائكة أن شفاعتهم لتُرتجى ، ومنها أن النبيَّ ﷺ قالها حاكياً عن الكفرة ، وأنهم يقولون ذلك ، فقالها متعجباً من كفرهم . قال : والحديث على ما خَيَّلْتَ(٢) غير مقطوع بصحته(٣) .

قلت : بلغني عن الحافظ عبد العظيم المنذري رحمه الله أنه كان يردُّ هذا الحديثَ من جهة الرواة بالكلية ، وكان شيخُنا الحافظ عبد المؤمن الدمياطي يُخالفه في ذلك . والذي عندي في هذا الخبر أنه جار مجرى ما يُذكر من أخبار هذا الباب من المغازي والسير . والذي ذهبَ إليه كثير من أهل العلم الترخص في الرقائق ، وما لا حُكِم فيه من أخبار المغازي ، وما يَجري مجرى ذلك ، وأنه يُقبل فيها ما لا يُقبل في الحلال والحرام لعدم تعلّق الأحكام بها ، وأما هذا الخبر فينبغي بهذا الاعتبار أن يُردَّ ؛ لما يتعلق(٤) به ، إلا أن يثبت بسند لا مطعن فيه بوجه ، ولا سبيلَ إلى ذلك ، فيُرجع إلى تأويله .

---

(١) طبقات ابن سعد ٢٠٦/١ .

(٢) « ما خَيَّلْتَ » : أي على أيِّ وجه تخيلته وحملته مما سبق .

(٣) الروض الأنف ١٢٦/٢ .

(٤) قال النووي — رحمه الله تعالى — : وأما ما توارثه الإخباريون والمفسرون أنه سبب ذلك — يعني سجود الجن والإنس مع رسول الله ﷺ — ما جرى على لسان رسول الله ﷺ على آلهة المشركين في سورة النجم هو باطل لا يصح فيه شيء ، لا من جهة النقل ولا من جهة العقل ؛ لأن مدحَ آلهة غير الله تعالى كفر ، ولا يصح نسبته إلى رسول الله ﷺ ، ولا أن يقول الشيطان على لسانه ، ولا يصح تسليط الشيطان على ذلك ، والله أعلم .

وقال القاضي عياض في « الشفاء » : فيكفيك أن هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ، ولا رواه

ذكر إسلام عمر بن الخطاب
رضي الله عنه

قرأتُ على عبد الرحيم بن يوسف المِزي ، أخبركم أبو حفص بن طبرزد ، قال : أخبرنا أبو بكر بن عبد الباقي ، أخبرنا أبو علي الحسن بن غالب الحربي ، حدثنا أبو عبد الله محمد ابن أحمد المالكي القاضي ، حدثنا الحسين بن إسحاق ، حدثنا أبو علقمة عبدُ الله بن عيسى الفَرْوي ، حدثنا عبدُ المالك بن الماجشون ، عن الزّنجيّ بن خالد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسولَ الله ﷺ قال : « اللهم أعزَّ الإسلام بعمرَ بن الخطاب »[1] . وقرأتُ على أبي الفداء إسماعيل بن عبد الرحمن بن عمرو الفراء بسفح قاسيون ، أخبركم أبو القاسم الحسين بن هبة الله بن محفوظ بن صَصْرَى التغلبي فأقرَّ به ، قال : أخبرنا الشيخان الشريف أبو طالب علي بن حيدرة بن جعفر الحسيني ، وأبو القاسم الحسين بن الحسن بن محمد بن البُنّ الأسدي ، قالا : أخبرنا أبو القاسم علي بن محمد بن أبي العَلاء ، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن أبي نصر التميمي ، أخبرنا أبو خيثمة بن سليمان ، حدثنا محمد بن عوف ، حدثنا سفيان الطائيُّ ، قال : قرأت على إسحاق بن إبراهيم الحُنَيني ، قال : ذكره أسامة بن زيد ، عن أبيه ، عن جده أسلم ، قال : قال لنا عمر بن الخطاب : أتحبُّون أن أعلمَكم كيف كان بدءُ إسلامي ؟ قلنا : نعم . قال : كنتُ من أشدِّ النَّاس على رسول الله ﷺ ، فبينا أنا في يوم حار شديد الحر بالهاجرة في بعض طرق مكة إذ لقيني رجلٌ من بعض قريش ، فقال لي أين تذهب يا ابن الخطاب ؟ أنت تزعم أنك هكذا ، وقد دخلَ عليكَ هذا الأمرُ في بيتك ! قال : قلت : وما ذاك ؟ قال : أختُك قد صبأَتْ ، قال فرجعتُ مغضباً ، وقد كان رسول الله ﷺ يجمعُ الرجلَ

= ثقة بسند سليم متصل ، وإنما أولع فيه وبمثله المفسرون والمؤرخون ، المولعون بكل غريب ، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم .

(١) رواه ابن ماجه في المقدمة (فضل عمر رضي الله عنه) رقم /١٠٥/ ولفظه : « اللهم أعزَّ الإسلام بعمر ابن الخطاب خاصة » ، وقال البوصيري في الزوائد : حديث عائشة ضعيف : فيه عبد الملك بن الماجشون ، ضعفه بعض ، وذكره ابن حبان في الثقات . وفيه مسلم بن خالد الزنجي ، قال البخاري : منكر الحديث . وضعفه أبو حاتم والنسائي وغيرهم ، ووثقه ابن معين وابن حِبَّان .

والرجلين إذا أسلما عند الرجل به قوة ، فيكونان معه ويُصيبان من طعامه ، قال : وقد ضمَّ إلى زوج أختي رجلين ، قال : فجئتُ حتى قرعت الباب ، فقيل : من هذا ؟ قلت : ابنُ الخطاب . قال : وكان القوم جلوساً يقرؤون صحيفةً معهم ، قال : فلما سمعوا صوتي تبادروا واختفوْا ، وتركوا أو نسوا الصحيفةَ من أيديهم ، قال : فقامت المرأةُ ففتحت لي . قال : فقلت لها : يا عدوة نفسها قد بلغني أنك قد صبأت . قال : فأرفعُ شيئاً في يدي فأضربُها به . قال : فسال الدم . قال : فلما رأتِ المرأةُ الدمَ بكتْ ثم قالت : يا ابن الخطاب ! ما كنتَ فاعلاً فافعلْ ، فقد أسلمتُ . قال : فدخلتُ وأنا مغضبٌ . قال : فجلستُ على السرير ، فنظرتُ ، فإذا بكتاب في ناحية البيت . فقلت : ما هذا الكتاب أعطنيه . فقالت : لا أعطيكه ، لستَ من أهله ، أنت لا تغتسل من الجنابة ولا تَطَّهرّ ، وهذا لا يمسُّه إلا المُطهرون . قال : فلم أزلْ بها حتى أعطتنيه ، فإذا فيه ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قال : فلما مررتُ بالرحمن الرحيم ذُعرت ورميت بالصحيفة من يدي . قال : ثم رجعتْ إليَّ نفسي فإذا فيها ﴿ سبَّحَ لله ما في السَّمٰواتِ والأرض وهو العزيزُ الحكيم ﴾ [الحديد : ١] قال : فكلما مررتُ بالاسم من أسماء الله عزَّ وجلَّ ذعرتُ ، ثم ترجع إليَّ نفسي حتى بلغت ﴿ آمِنُوا بالله ورسولِه وأنفقُوا مما جعلكُم مُستخلفينَ فيه ﴾ حتى بلغَ إلى قوله ﴿ إنْ كُنتُم مُؤمنين ﴾ [الحديد : ٧ ـ ٨] قال : فقلتُ أشهد أن لا إلٓه إلا الله وأن محمداً رسولُ الله ، فخرج القوم يتبادرون بالتكبير استبشاراً بما سمعوا مني ، وحمدوا الله عز وجل ، ثم قالوا : يا ابنَ الخطاب أبشر ، فإن رسولَ الله ﷺ دعا يوم الاثنين ، فقال : اللهم أعزَّ الإسلام بأحد الرجلين ، إما بأبي جهل بن هشام ، وإما بعمرَ بن الخطاب ، وإنا نرجو أن تكون دعوةُ رسول الله ﷺ لك فأبشرْ . قال : فلما أن عرفوا مني الصدقَ ، قلت لهم : أخبروني بمكان رسول الله ﷺ . قالوا : هو في بيت في أسفل الصفا وصفوه . قال : فخرجت حتى قرعتُ البابَ . قيل : من هذا ؟ قلت : ابنُ الخطاب . قال : قد عرفوا شدتي على رسول الله ﷺ و لم يعلموا إسلامي . قال : فما اجترأ أحدٌ منهم أن يفتحَ البابَ . قال : فقال رسولُ الله ﷺ : افتحوا له فإن يُردِ الله به خيراً يَهدِه . قال : ففتحوا لي وأخذَ رجلان بعضديّ حتى دنوتُ من النبيّ ﷺ . فقال : أرسلوه . قال : فأرسلوني ، فجلستُ بين يديه . قال : فأخذَ بمجمع قميصي فجبذني إليه . ثم قال : أسلمْ يا ابنَ

الخطاب ، اللهم اهدِه . قال : قلت : أشهدُ أنْ لا إلّه إلا الله وأنّكَ رسولُ الله . فكبّر المسلمون تكبيرةً سُمعت بطرق مكة . قال : وقد كان الرجلُ إذا أسلم استخفى ، ثم خرجتُ فكنتُ لا أشاءُ أن أرى رجلاً إذا أسلم ضُرب إلا رأيته ، قال : فلما رأيت ذلك قلت لا أحبُّ أن لا يُصيبني ما يُصيبُ المسلمين ، قال : فذهبت إلى خالي[1] وكان شريفاً فيهم ، فقرعتُ البابَ عليه . فقال : من هذا ؟ قلت : ابنُ الخطاب . قال : فخرج إليَّ فقلت له : أشعرتَ أني قد صبأتُ . قال : نعم . فقلت : نعم ! قال : لا تفعلْ . قال : قلت : بلى قد فعلتُ . قال : لا تفعل . فأجاف البابَ[2] دوني وتركني . قال قلت : ما هذا بشيء ؟ قال : فخرجتُ حتى جئتُ رجلاً مع عظماء قريش فقرعتُ عليه الباب . قال : من هذا ؟ قلت : عمر بن الخطاب . قال فخرج إليَّ . فقلتُ له : أشعرتَ أني قد صبأتُ . فقال : أو فعلتَ ؟ قلت : نعم . قال : فلا تفعل . قلت : قد فعلتُ . قال : لا تفعل . ثم قام فدخل فأجافَ البابَ دوني . قال : فلما رأيتُ ذلك انصرفتُ . فقال لي رجل : تحبُّ أن يُعلم إسلامُك ؟ قال : قلت : نعم . قال : فإذا جلسَ الناس في الحِجر واجتمعوا أتيتَ فلاناً ــ رجلاً لم يكن يكتم السرَّ ــ فاصغَ[3] إليه ، فقل له فيما بينك وبينه : إني قد صبأتُ . فإنه سوفَ يظهر عليك ذلك ويصيح ويعلنه . قال : فلما اجتمع الناس في الحِجر جئتُ إلى الرجل ، فدنوت منه فأصغيت إليه فيما بيني وبينه ، فقلت : أعلمتَ أني قد صبأتُ . قال : فقال : أصبأتَ ؟ قلت : نعم . قال : فرفعَ صوته بأعلاه ، فقال : ألا إن ابنَ الخطاب قد صبأ . قال : فما زال النَّاسُ يضربوني وأضربهم . قال : فقال خالي : ما هذا ؟ قال : فقيل : ابن الخطاب . قال : فقام عليَّ في الحِجر فأشار بكمه ، فقال : ألا إني قد أجرتُ ابنَ أختي . قال : فانكشفَ الناس عني . قال : وكنت لا أشاء

---

(١) إلى خالي : قال سبطُ ابن العجمي : لعله أراد بخاله أبا جهل ، وهو الظاهر ، ويحتمل أن يكون أخاه الحارث بن هشام ، ويُحتمل أن يكون خالد بن هشام أخا أبي جهل .. ويُحتمل أن يكون واحداً من بني مخزوم ؛ لأن أمّ عمر ــ حنتمة ــ من بني مخزوم .. نور النبراس لوحة ٢١٤/١ .

(٢) « أجاف البابَ » : ردَّه .

(٣) « فاصغَ إليه » : مل إليه بكلامك ، وأسرَّ إليه بإسلامك . وفي سيرة ابن هشام ٣٤٨/١ أن هذا الرجل هو جميل بن مَعْمَر الجُمحي ، وكان أنقل قريش للحديث .

أن أرى أحداً من المسلمين يُضرب إلا رأيته ، وأنا لا أُضرب . قال : فقلت : ما هذا بشيء حتى يصيبني مثل ما يصيبُ المسلمين . قال : فأمهلت حتى إذا جلس الناس في الحِجر وصلت إلى خالي فقلت : اسمع . فقال : ما أسمع ؟ قال : قلت : جوارُك عليكَ ردٌّ . قال : فقال : لا تفعل يا ابن أختي . قال : قلت : بلى هو ذاك . فقال : ما شئتَ . قال : فما زلتُ أُضربُ وأُضربُ حتى أعزَّ الله الإسلام(١) .

وروينا هذا الخبر من طريق ابن إسحاق(٢) ، وفيه قال : وكان إسلام عمر فيما بلغني أن أخته فاطمة ، وكانت عند سعيد بن زيد ، كانت قد أسلمت وأسلم زوجها سعيد ، وهم مستخفون بإسلامهم من عمر ، وكان نُعيم النحام ـ رجل من قومه ـ قد أسلم ، وفيه : أن عمر خرج متوشحاً سيفه يقصد رسولَ الله ﷺ ومن معه ، وهم قريب من أربعين بين رجال ونساء ، وأن الذي قال له ما قال نُعيم ، وأن خباباً كان في بيت أخته يقرئهم القرآن ، وأن الذي كان في الصحيفة سورة (طٰه) وأنَّ الذي أذن في دخوله على رسول الله ﷺ حمزة بن عبد المطلب ، والرجل الذي صرَّحَ بإسلام عمر عندما قاله له جميل بن مَعْمَر الجمحي الذي يقال له ذو القلبين ، وفيه نزلت ﴿ ما جعلَ اللهُ لرجلٍ من قلبيْنِ في جَوْفه ﴾ [الأحزاب : ٤] على أحد الأقوال وفيه يقول الشاعر :

وكيف ثَوائي بالمدينة بعد ما … قضى وطراً منها جميلُ بنُ مَعمر ؟

ورويناه من طريق ابن عائذ ، قال : أخبرني الوليد بن مسلم ، قال : حدثني عمر بن محمد ، قال : حدثني أبي محمدُ بن زيد بن عبد الله بن عمر فذكر القصة ، وفيها : فأتيته بصحيفة فيها (طٰه) فقرأ فيها ما شاء الله . قال عمر : فلما بلغ ﴿ فلا يصدنَّك عنها مَنْ لا يُؤمن بها واتَّبعَ هواهُ فترْدَى ﴾ [طه : ١٦] قال : أشهدُ أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً

(١) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٦٣/٩ ــ ٦٥ وقال : رواه البزار وفيه أسامة بن زيد بن أسلم ، وهو ضعيف . وبهامشه : فيه من هو أضعف من أسامة ، وهو إسحاق بن إبراهيم الحنيني ، وقد ذكر البزار أنه تفردَّ به .

وقال الصالحي : وقد روى قصة إسلام عمر : ابن إسحاق ، وابن سعد ، وأبو يعلى ، والحاكم ، عن أنس . والبزار ، والطبراني عن أسلمَ مولاه عنه ، وأبو نُعيم عن ابن عمر . السيرة الشامية ٤٩٣/٢ .

(٢) السيرة النبوية ، لابن هشام ٣٤٢/١ ــ ٣٥٠ .

عبده ورسوله . وفيها : قالوا يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب يستفتح . فقال رسول الله ﷺ : ائذنوا له ، فإن يُرِدِ الله به خيراً يهده ، وإلا كفيتكموه بإذن الله . قال محمد يعني ابن عائذ ـ وهذا وَهَم ، وإنما الذي قال : فإن يُرد الله به خيراً يهده وإلا كفيتكموه : حمزة .

وفي الخبر عن ابن عائذ ، قال عمر : فحدثني أبي محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر أن أباه زيد بن عبد الله بن عمر حدثه ، عن عبيد الله بن عمر ، قال : فبينا هو خائف على نفسه إذ جاءَه العاص بن وائل عليه حلة وقميص مكفف بالحرير ، فقال : مالك يا ابنَ الخطاب . قال : زعم قومُك أنهم سيقتلونني إذا أسلمت . قال العاص : لا سبيل إليك ، فما عدا أن قالها العاص ، فأمنتُ عليه . قال عبد الله بن عمر فخرجَ عمر والعاص فإذا الوادي قد سالَ بالناس . فقال لهم : أين تُريدون ؟ قالوا : هذا الذي قد خالف دينَ قومه . قال : لا سبيل إليه فارجعوا فرجعوا[1] .

وذكر محمد بن عبد الله بن سِنْجر الحافظ فيما رأيته عنه بإسناده إلى شُرَيْح بن عُبيد قال : قال عمر بن الخطاب : خرجت أتعرّضُ رسولَ الله ﷺ قبل أن أُسلم ، فوجدته قد سبقني إلى المسجد ، فقمت خلفه ، فاستفتح سورة الحاقة ، فجعلتُ أتعجّب من تأليف القرآن ، فقلت هذا والله شاعر كما قالت قريش ، فقرأ ﴿ إنَّه لقولُ رسولٍ كريمٍ . وما هو بقول شاعرٍ قليلاً ما تُؤمنون ﴾ [الحاقة : ٤٠ ـ ٤١] قال : قلت : كاهن علم ما في نفسي ، فقرأ ﴿ ولا بقولِ كاهنٍ قليلاً ما تَذَكَّرُون ﴾ [الحاقة : ٤٢] إلى آخر السورة . قال : فوقع الإسلامُ في قلبي كل موقع[2] .

وقد ذُكر غير هذا في خبر إسلام عمر رضي الله عنه أيضاً ، فالله أعلم أي ذلك كان .

أخبرنا الإمام أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المقدسي ، وأبو العز عبد العزيز بن عبد المنعم

---

(١) ذكر هذا الخبر محمد بن عائذ الدمشقي الكاتب ، أبو أحمد ، في سيرته . ويشهدُ لخبر حماية العاصي بن وائل السهمي لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ما رواه البخاري في « صحيحه » في كتاب مناقب الأنصار (باب إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه) رقم /٣٨٦٤/ .

(٢) ذكر هذا الخبر عن ابن سنجر السهيلي في روضه ٩٩/٢ ، وقال سبط ابن العجمي : وأظن أن رواية شريح بن عُبيد عن عمر مُرسلة .. نور النبراس لوحة ٢١٦/١ .

الحرّاني قراءة عليهما وأنا حاضر في الرابعة . قال الأول : أخبرنا أبو اليُمن الكِندي قراءة عليه وأنا أسمع ، وقال الثاني : أخبرنا أبو علي بن الخُرَيْف قراءة عليه وأنا حاضر أسمع في الخامسة ، قالا : أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري ، أخبرنا أبو الحسين محمد ابن أحمد بن حَسْنون أخبرنا معافى بن إبراهيم بن زكريا بن طرّار ، أخبرنا أبو عبد الله يعني البغوي ، حدثنا عبيد الله بن عمر ، حدثنا عبد الله بن خِرَاش ، عن العوّام بن حوشب ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : لما أسلم عمرُ رضي الله عنه نزلَ جبريل عليه السلام على النبيّ ﷺ فقال : يا محمد لقد استبشرَ أهلُ السماء بإسلام عمر رضي الله عنه . رواه ابن[1] ماجه عن إسماعيل بن محمد الطَّلْحي ، عن عبد الله بن خِراش .

* * *

(١) رواه ابن ماجه في المقدمة (فضل عمر بن الخطاب رضي الله عنه) رقم /١٠٣/ وقال البوصيري في « الزوائد » إسناده ضعيف ، لا تفاقهم على ضعف عبد الله بن خِراش ، إلا أن ابن حبان ذكره في الثقات ، وأخرج هذا الحديث من طريقه في صحيحه . ورواه الحاكم في المستدرك ٨٤/٣ من طريق عبد الله بن خِراش ، وصححه ، وتعقبه الذهبي ، فقال : عبد الله بن خِراش ضعّفه الدارقطني .

ذكر الخبر عن دخول بني هاشم وبني المطلب ابني عبد مناف في الشِّعب[1] وما لقوا من سائر قريش في ذلك

قال أبو عمر : أخبرنا عبد الله بن محمد ، حدثنا محمد بن بكر ، حدثنا أبو داود ، حدثنا محمد بن سلمة المرادي ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني ابن لهيعة ، عن محمد بن عبد الرحمن أبي الأسود ، وأخبرنا عبد الوارث بن سفيان ، حدثنا قاسم بن أَصْبَغ ، حدثنا مُطَرِّف ابن عبد الرحمن بن قيس ، حدثنا يعقوب بن حُميد بن كاسب ، وأخبرنا عبد الله بن محمد ، حدثنا محمد بن بكر ، حدثنا أبو داود ، حدثنا محمد بن إسحاق المسيَّبي ، قالا : حدثنا محمد بنُ فليح ، عن موسى بن عقبة ، عن ابن شهاب دخل حديث بعضهم في بعض ، قال : ثم إن كفار قريش أجمعوا أمرَهم واتَّفق رأيُهم على قتل رسول الله ﷺ ، وقالوا : قد أفسدَ أبناءَنا ونساءنا ، فقالوا لقومه : خذوا منا دِيَةً مضاعفة ويقتلُه رجل من غير قريش ، وتريحوننا وتريحون أنفسكم ، فأبى قومُه بنو هاشم من ذلك ، فظاهرهم بنو المطلب بن عبد مناف ، فأجمع المشركون من قريش على منابذتهم وإخراجهم من مكة إلى الشِّعب ، فلما دخلوا الشِّعبَ أمر رسولُ الله ﷺ من كان بمكة من المؤمنين أن يخرجوا إلى أرض الحبشة وكانت مُتَّجَراً لقريش ، وكان يُثنى على النجاشي بأنه لا يُظلم عنده أحد ، فانطلق إليها عامة من آمن بالله ورسوله ، ودخل بنو هاشم وبنو المطلب شعبَهم ، مؤمنُهم وكافرُهم ، فالمؤمن ديناً والكافر حميّة ، فلما عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد منعه قومُه أجمعوا على أن لا يبايعوهم ولا يدخلوا إليهم شيئاً من الرِّفْق[2] ، وقطعوا عنهم الأسواق ، ولم يتركوا طعاماً ولا إداماً ولا بيعاً إلا بادروا إليه واشتروه دونهم ، ولا يناكحوهم ولا يقبلوا منهم صلحاً أبداً ، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يُسَلِّموا رسولَ الله ﷺ للقتل ، وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في الكعبة ، وتمادوا على العمل بما فيها من

---

(١) « الشِّعب » : واحد شعاب مكة ، وهي الوِهاد والطرقات بين الجبال والمراد به هنا شعب بني هاشم ابن عبد مناف .

(٢) « الرِّفق » : ما استعين به .

ذلك ثلاث سنين ، فاشتد البلاء على بني هاشم في شعبهم وعلى كل من معهم ، فلما كان رأس ثلاث سنين تلاوم قومٌ من قصي ممن ولدتهم بنو هاشم ومَن سواهم ، فأجمعوا أمرهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة ، وبعث الله على صحيفتهم الأَرَضة فأكلت ولَحِسَتْ ما في الصحيفة من ميثاق وعهد ، وكان أبو طالب في طول مدتهم في الشعب يأمر رسول الله ﷺ فيأتي فراشَه كلّ ليلة حتى يراه من أَراد به شراً أو غائلة ، فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو إخوته أو بني عمه ، فاضطجع على فراش رسول الله ﷺ ، وأمر رسولَ الله ﷺ أن يأتي بعض فرشهم فيرقدَ عليها ، فلم يزالوا في الشعب على ذلك إلى تمام ثلاث سنين ، ولم تترك الأَرَضة في الصحيفة اسماً لله عز وجل إلا لَحستْه وبقي ما كان فيها من شرك أو ظلم أو قطيعة رحم ، فأَطلعَ اللهُ رسولَه على ذلك فذكر ذلك رسولُ الله ﷺ لأبي طالب ، فقال أبو طالب : لا والثواقبِ[1] ما كذبتني ، فانطلق في عصابة من بني عبد المطلب حتى أتوا المسجدَ وهم خائفون لقريش ، فلما رأتهم قريش في جماعة أنكروا ذلك ، وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء ليسلّموا رسولَ الله ﷺ بِرُمَّتِه[2] إلى قريش ، فتكلم أبو طالب فقال : قد جرت أمور بيننا وبينكم لم نذكرها لكم ، فائتوا بصحيفتكم التي فيها مواثيقكم فلعله أن يكون بيننا وبينكم صلح ، وإنما قال ذلك أبو طالب خشية أن ينظروا في الصحيفة قبل أن يأتوا بها ، فأتوا بصحيفتهم معجبين ، لا يشكون أن رسولَ الله ﷺ يُدفع إليهم ، فوضعوها بينهم وقالوا لأبي طالب قد آن لكم أن ترجعوا عما أحدثتم علينا وعلى أنفسكم ، فقال أبو طالب : إنما أتيتكم في أمر هو نَصَفٌ بيننا وبينكم ؛ إن ابن أخي أخبرني ولم يكذبْني ؛ أن هذه الصحيفة التي[3] في أيديكم قد بعث الله عليها دابة فلم تترك فيها اسماً إلا لحِسته ، وتركت فيها غدركم وتظاهركم علينا بالظلم ، فإن كان الحديث كما يقول فأفيقوا ، فلا والله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا ، وإن كان الذي يقول باطلاً دفعنا إليكم صاحبنا فقتلتم أو استحييتم ، فقالوا : قد رضينا بالذي تقول . ففتحوا

---

(١) « الثواقب » : النجوم ، جمع ثاقب ، وهو النجم المضيء .

(٢) « بِرُمَّتِه » : هي بضم الراء وتشديد الميم مفتوحة ، وأصل الرمة : قطعة الحبل البالية ، وفي المثل « دفع إلي برمته » أي بجملته .

(٣) في الدرر ص ٥٥ : بين أيديكم .

الصحيفةَ فوجدوا الصادق المصدوق ﷺ قد أخبر بخبرها قبل أن تفتح ، فلما رأت قريش صِدْق ما جاء به أبو طالب عن النبي ﷺ قالوا : هذا سحر ابن أخيك . وزادهم ذلك بغياً وعدواناً[(١)] .

وقال ابن هشام : وذكر بعضُ أهل العلم أن رسولَ الله ﷺ قال لأبي طالب : يا عمّ إن ربِّي قد سَلَّط الأَرَضة على صحيفة قريش فلم تدعْ فيها اسماً لله إلا أثبتته ، ونفت منها القطيعة والظلم والبهتان ، قال : أربُّك أخبرَك بهذا ؟ قال : نعم . قال فوالله ما يدخل عليك أحد . ثم خرجَ إلى قريش ، فقال : يا معشر قريش ! إن ابن أخـي أخبرني[(٢)] . وساق الخبر بمعنى ما ذكرناه .

وقال ابن إسحاق وابن عقبة وغيرُهما : وندم منهم قوم فقالوا : هذا بغي منا على إخواننا وظلم لهم ، فكان أول من مشى في نقض الصحيفة هشام بن عمرو بن الحارث العامري ، وهو كان كاتب الصحيفة[(٣)] ، وأبو البَخْتَرِي العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى والمطعم بن عدي . إلى هنا انتهى خبر ابن لهيعة عن أبي الأسود يتيم عروة ، وموسى ابن عقبة عن ابن شهاب .

وذكر ابن إسحاق فيهم زهير بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي ، وزمعة بن الأسود بن المطلب[(٤)] . وذكر ابن إسحاق في أول هذا الخبر قال : وقد كان أبو جهل فيما يذكرون لقي حكيم بن حزام ومعه غلام يحمل قمحاً يريد به عمته خديجة ، وهي مع رسول الله ﷺ في الشعب ، فتعلّق به وقال:أتذهب بالطعام إلى بني هاشم ؟ فقال له أبو البختري :

---

(١) الدرر في اختصار المغازي والسِّيَر لابن عبد البر ص ٥٣ — ٥٥ . وقال سبط العجمي : هذا الحديث الذي رواه عن الزهري ليس هو في السنن ولا المراسيل فاعلمه . نور النبراس لوحة ٢١٦/١ .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٣٧٧/١ .

(٣) قال الصالحي : والذي كتب الصحيفة : قال ابن إسحاق : منصور بن عكرمة . قال ابن هشام : ويقال : النضر بن الحارث . فدعا عليه رسول الله ﷺ فشَلَّت بعض أصابعه . وقال غيره : بَغيض بن عامر ، فشَلَّت يدُه . وقال غيره : هشام بن عمرو بن الحارث العامري ، وأسلم بعد ذلك .
ويُجمع بين هذه الأقوال باحتمال أن يكون كُتب بها نسخٌ . السيرة الشامية ٥٠٣/٢ .

(٤) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٣٧٥/١ .

طعام كان لعمته عنده أفتمنعه أن يأتيها بطعامها ، خلِّ سبيلَ الرجل ، فأبى أبو جهل حتى نال أحدُهما من صاحبه ، فأخذ أبو البختري لحي بعير فضربه به فشجه ووطئه وطئاً شديداً[1] .

وذكر أبو عبد الله محمد بن سعد : هشامَ بن عمرو العامريَّ المذكور وقال : كان أوصلَ قريش لبني هاشم حين حُصروا في الشعب ، أدخل عليهم في ليلة ثلاثة أحمال طعاماً ، فعلمت بذلك قريش ، فمشوا إليه حين أصبح ، فكلموه في ذلك ، فقال : إني غير عائد لشيء خالفكم ، فانصرفوا عنه ، ثم عاد الثانية ، فأدخل عليهم ليلاً حملاً أو حملين ، فغالظته قريش وهمت به ، فقال أبو سفيان بن حرب : دعوه ، رجل وصل أهل رحمه ، أما إني أحلف بالله لو فعلنا مثل ما فعل كان أحسن بنا[2] .

وعن ابن سعد : وكان الذي كتب الصحيفة بَغيض بن عامر بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار بن قصي فَشلّت[3] يدُه .

وحَصَروا بني هاشم في شعب أبي طالب ليلةَ هلال المحرم سنة سبع من حين نُبِّىء رسول الله ﷺ ، وكان خروجهم في السنة العاشرة،وقيل مكثوا في الشعب سنتين .

* * *

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٣٥٣/١ ــ ٣٥٤ .
(٢) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ١٥٣/٢ .
(٣) الذي في طبقات ابن سعد ٢٠٩/١ : وكان الذي كتبَ الصحيفة منصور بن عكرمة العَبْدَري ، فشَلّت يده .

ذكر خبر أهل نجران

قال ابن إسحاق : ثم قدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريب من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة ، فوجدوه في المسجد ، فجلسوا إليه وكلموه وسألوه ، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة ، فلما فرغوا من مسألة رسول الله ﷺ عما أرادوا ، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله ، وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوه فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه ، وعرفوا منه ما كان يُوصف لهم في كتابهم من أمره ، فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش ، فقالوا لهم : خيبكم الله من ركب ، بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون[1] لهم لتأتوهم بخبر الرجل ، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال ، ما نعلم ركباً أحمق منكم أو كما قالوا . فقالوا لهم : سلام عليكم لا نجاهلكم ، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه ، لم نأل من أنفسنا خيراً . ويقال : إن النفر من النصارى من أهل نجران ، ويقال : فيهم نزلت ﴿ الذينَ آتيناهُم الكتابَ من قبله هم به يُؤمنون . وإذا يُتلى عليهم قالوا آمنا به ﴾ إلى قوله ﴿ لا نبتغي الجاهلين ﴾ [القصص : ٥٢ ـ ٥٥] . وقال الزهري ما زلت أسمعُ من علمائنا أنهنَّ نزلنَ في النجاشيِّ وأصحابه[2] .

ذكر وفاة خديجة وأبي طالب

روينا عن الدُّوْلابي ، حدثنا أبو الأشعث أحمد بن المقدام العجلي ، حدثنا زهير بن العَلاء ، حدثنا سعيد بن أبي عَروبة ، عن قتادة ، قال : توفيت خديجة بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين ، وهي أوَّل من آمن بالنبي ﷺ[3] .

(١) « ترتادون » : تطلبون لهم الأخبار .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٣٩١/١ ـ ٣٩٢ .

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٢٠/٩ وقال : رواه الطبراني ، وفيه زهير بن العلاء ؛ وثقه ابن حِبَّان وضعفه غيره .

قال : وحدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثني يونس بن بُكير ، عن ابن إسحاق قال : ثم إن خديجة بنتَ خويلد وأبا طالب ماتا في عام واحد ، فتتابعت على رسول الله ﷺ مصيبتان ، هلاك خديجة وأبي طالب ، وكانت خديجة وزيرةَ صدق على الإسلام ، وكان رسول الله ﷺ يسكن إليها[1] . قال : وقال زياد البكّائي عن ابن إسحاق : إن خديجة وأبا طالب هلكا في عام واحد ، وكان هلاكُهما بعد عشر سنين مضين من مبعث رسول الله ﷺ ، وذلك قبل مهاجره ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين[2] .

وذكر ابن قتيبة أن خديجة توفيت بعد أبي طالب بثلاثة أيام[3] . وذكر البيهقيُّ نحوه[4] ، وعن الواقدي : تُوفيت خديجُة قبل أبي طالب بخمس وثلاثين ليلة[5] . وقيل غير ذلك .

فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع فيه في حياة أبي طالب ، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً ، فدخل رسولُ الله ﷺ بيته والتراب على رأسه ، فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي ، ورسول الله ﷺ يقول : لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أباك ، ويقول بين ذلك : ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب . قال : ولما اشتكى أبو طالب وبلغ قريشاً ثِقَلُه ، قال بعضهم لبعض : إن حمزة وعمر قد أسلما وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلها ، فانطلقوا بنا إلى أبي طالب فليأخذ لنا على ابن أخيه وليعطه منا ، فإنا والله ما نأمن أن يبتزونا[6] أمرنا ، فمشوا إلى أبي طالب وكلموه وهم أشراف قومه : عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف ، وأبو سفيان بن حرب ، في

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٢/٣٥٢ عن أبي عبد الله الحافظ . وقال البيهقي : ذكره أبو عبد الله بن منده في كتاب « المعرفة » .
(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤١٦/١ .
(٣) المعارف ؛ لابن قتيبة ص ١٣٣ . طبعة دار المعارف بمصر .
(٤) دلائل النبوة ٢/٣٥٢ — ٣٥٣ .
(٥) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢١١/١ .
(٦) « أن يبتزونا » : يقال ابتزه أمره : سلبه إياه وغلبه عليه .

رجال من أشرافهم ، فقالوا : يا أبا طالب إنك منا حيث قد علمت وقد حضرك ما ترى وتَخَوَّفْنا عليك ، وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك ، فادعه وخذ له منا وخذ لنا منه ليكف عنا ونكف عنه ، وليدعنا وديننا ، وندعه ودينه ، فبعث إليه أبو طالب فجاءه ، فقال : يا ابن أخي هؤلاء أشراف قومك وقد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك ، فقال رسول الله ﷺ : نعم . كلمة واحدة تعطونيها وتملكون بها العرب ، وتدين لكم بها العجم . فقال أبو جهل : نعم وأبيك ، وعشر كلمات . قال : تقولون لا إلٰه إلا الله ، وتخلعون ما تعبدون من دونه . قال : فصفقوا بأيديهم ثم قالوا : يا محمد ، أتريد أن تجعلَ الآلهة إلٰهاً واحداً ، إن أمرك لعجبٌ . ثم قال بعضهم لبعض : والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئاً مما تريدون ، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه . ثم تفرقوا ، فقال أبو طالب لرسول الله ﷺ : والله يا ابن أخي ما رأيتك سألتهم شحطاً[1] . فلما قالها طمع رسول الله ﷺ فيه ، فجعل يقول له : أي عم ! فأنت فقلها ، أستحلُّ لك بها الشفاعة يوم القيامة . فلما رأى حِرصَ رسول الله ﷺ . قال له : يا ابن أخي والله لولا مخافة السُّبَّة عليك وعلى بني أبيك من بعدي ، وأن تظن قريش أني إنما قلتها جزعاً من الموت لقلتها لا أقولها إلا لِأَسُرَّك بها . فلما تقارب من أبي طالب الموت نظر العباس إليه يحرك شفتيه ، فأصغى إليه بأذنه ، فقال : يا ابن أخي ! والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته بقولها . فقال رسولُ الله ﷺ : لم أسمع[2] . كذا في رواية ابن إسحاق أنه أسلم عند الموت .

وقد رُوي أن عبد الله بن عبد المطلب وآمنة بنت وهب أبوي النبي ﷺ أسلما أيضاً وأن الله أحياهما له فآمنا به . وروي ذلك أيضاً في حق جده عبد المطلب ، وهي روايات لا معوَّل عليها . والصحيح من ذلك ما رويناه من طريق مسلم : حدثني حَرْمَلَةُ بن يَحيى التُّجِيبي ، أخبرنا عبد الله بن وَهْب ، أخبرني يُونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني سعيدُ ابن المسيِّب ، عن أبيه ، أنه قال : لما حضرتْ أبا طالب الوفاة جاءه رسولُ الله ﷺ فوجد

(١) « سألتهم شحطاً » : أي أمراً بعيداً .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٤١٦ — ٤١٨ .

عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ، فقال رسول الله ﷺ : « يا عم ! قل لا إلَه إلا الله ، كلمة أشهدُ لك بها عند الله » . فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب ! أترغبُ عن ملة عبد المطلب ، فلم يزلْ رسولُ الله ﷺ يَعرضُها عليه ، ويُعيدان له تلك المقالة ، حتى قال أبو طالب ـ آخرَ ما كلَّمهم ـ هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إلَه إلا الله . فقال رسولُ الله ﷺ : « أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك » فأنزل الله عز وجل ﴿ ما كانَ للنبيِّ والذين آمنوا أنْ يَستغفروا للمشركينَ ولو كانوا أُولي قُربى من بعدِ ما تبيَّنَ لهم أنَّهم أصحابُ الجحيمِ ﴾ [التوبة : ١١٣] وأنزل الله في أبي طالب ، فقال لرسول الله ﷺ ﴿ إنَّكَ لا تهدي من أحببتَ ولكنَّ الله يَهدي مَنْ يَشاءُ وهو أعلمُ بالمهتدين ﴾[1] [القصص : ٥٦] . ورواه مسلم من حديث أبي هريرة أيضاً وفيه : لولا أن تعيرني قريش ، يقولون : إنما حمله على ذلك الخَرَعُ لأقررت بها عينك[2] .

وفي الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذُكر عنده عمُّه أبو طالب ، فقال : « لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة ، فيُجعلَ في ضحضاح من النار »[3] .

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « أهونُ أهل النَّار في النار عذاباً أبو طالب ، وهو منتعلٌ بنعلين من نار يغلي منهما دماغُه »[4] . وأخبرنا عبد الرحيم المِزي . بقراءة والدي عليه ، أخبركم أبو علي حنبل بن عبد الله بن الفرج ، أخبرنا أبو القاسم بن الحصين ، أخبرنا أبو علي بن المُذْهِب ، أخبرنا أبو بكر القطيعي ، أخبرنا عبد الله بن أحمد ، حدثنا

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان (باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ، ما لم يَشرع في النزع ..) رقم /٢٤/ .

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان (باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموتُ ، ما لم يَشرع في النزع ...) رقم /٢٥/ وفيه .. « الجزعُ » . قال في « النهاية » : قال ثعلب : إنما هو بالخاء والراء . وهو الخور والضعف .

(٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان (باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب) رقم /٢١٠/ . و« الضَّحْضَاحُ » : ما رقَّ من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين ، واستعير في النار .

(٤) رواه مسلم في كتاب الإيمان (باب أهون أهل النار عذاباً) رقم /٢١٢/ .

أبي ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعت ناجية بن كعب يحدث عن علي ؛ أنه أتى النبيَّ ﷺ فقال : إن أبا طالب مات . فقال له النبي ﷺ : « اذهب فواره » . فقال : إنه مات مشركاً . قال : « اذهب فواره » . فلما واريتُه رجعتُ إلى النبي ﷺ فقال لي : « اغتسل »[1] .

وأخبرنا أبو الفضل بن الموصلي ، قال : أخبرنا أبو علي بن سعادة الرُّصافي ، أخبرنا هِبة الله بن محمد الشيباني ، أخبرنا الحسن بن علي التميمي ، أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان ، أخبرنا عبد الله بن أحمد ، حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن يَعلى ابن عطاء ، عن وكيع بن عُدُس ، عن أبي رَزين عمِّه ، قال : قلت : يا رسول الله ! أين أمي ؟ قال : « أمُّك في النار » قال : قلت : فأين من مَضَى من أهلك ؟ قال : « أما ترضى أن تكونَ أمُّك مع أمي ؟! »[2] . قال عبد الله : قال أبي : الصواب حُدُس .

وذكر بعضُ أهل العلم في الجمع بين هذه الروايات ما حاصلُه أن النبي ﷺ لم يزلْ راقياً في المقامات السنية ، صاعداً في الدرجات العلية إلى أن قبضَ الله روحَه الطاهرة إليه ، وأزلفه بما خصَّه به لديه من الكرامة حين القدوم عليه ، فمن الجائز أن تكون هذه درجة حصلت له ﷺ بعد أن لم تكن ، وأن يكون الإحياء والإيمان متأخراً عن تلك الأحاديث فلا تعارض .

وقال السهيلي : شهادة العباس لأبي طالب لو أدَّاها بعدما أسلم كانت مقبولة ؛ لأن العدلَ إذا قال سمعتُ وقال من هو أعدلُ منه لم أسمع ، أخذ بقول من أثبتَ السماع ، ولكن العباس شهد بذلك قبل أن يُسلم .

قلت : قد أسلم العباسُ بعد ذلك ، وسأل رسولَ الله ﷺ عن حال أبي طالب فيما أخبرنا عبد الرحيم بن يُوسف ، بقراءة أبي عليه ، وقرأتُ على أبي الهيجاء غازي بن أبي الفضل ، قال : أخبرنا أبو حفص بن طبرزذ ، قال : أخبرنا ابن الحُصين ، أخبرنا أبو طالب

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند رقم /٧٥٩/ ، وقال المرحوم أحمد شاكر : إسناده صحيح ، ناجية بن كعب هو الأسدي ، تابعي ثقة .. والحديث رواه أبو داود /٣٢١٤/ ، والنسائي ١/٢٨٢ ــ ٢٨٣ .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ٤/١١ ، وإسناده حسن .

ابن غيلان ، أخبرنا أبو بكر الشافعي ، حدثنا بشر بن موسى ، حدثنا الحُميدي ، حدثنا سفيان ، حدثنا عبدُ الملك بن عُمير ، قال : سمعتُ عبدَ الله بن الحارث بن نوفل ، قال : سمعتُ العباسَ يقولُ : قلت يا رسول الله ، إن أبا طالب كان يحفظُك وينصرُك ، فهل نفعَه ذلك ؟ قال : « نعم ، وجدتُه في غَمَراتٍ من النار فأخرجتُه إلى ضَحْضَاح »[1] . صحيح الإسناد مشهور ، متفق عليه من حديث العباس في الصحيحين .

ولو كانت هذه الشهادةُ عنده لأداها بعد إسلامه ، وعلم حال أبي طالب و لم يسأل ، والمعتبر حالة الأداء دون التحمل .

وفيما ذكره السهيلي ؛ أن الحارث بن عبد العزى أبا رسول الله ﷺ من الرضاعة قدم على رسول الله ﷺ مكة ، فأسلمَ وحَسُنَ إسلامه ، في خبر ذكَرَه من طريق يُونس بن بُكير ، عن ابن إسحاق ، عن أبيه ، عن رجال من بني سعد بن بكر[2] .

ذكرُ خروج النبي ﷺ إلى الطائف

وذلك في ليالٍ بقين من شوال سنة عشر من النبوة ، قال ابن إسحاق :

ولما هلك أبو طالب ونالت قريشٌ من رسول الله ﷺ ما لم تكن تنالُ منه في حياته ، خرجَ إلى الطائف وحدَه ـ وقال ابن سعد[3] : ومعه زيدُ بن حارثة ـ يلتمسُ النصرةَ من ثَقيف والمنعةَ بهم من قومه ، ورجا أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله ، فلما انتهى إلى الطائف عَمِدَ إلى نفرٍ من ثقيف ، وهم يومئذ سادةُ ثقيف وأشرافهم ، وهم إخوة ثلاثة : عبدُ يا لِيْلَ ، ومسعود ، وحبيب ، بنو عمرو بن عُمير بن عوف بن عُقْدة بن غِيَرَة بن

---

(١) رواه البخاري في مناقب الأنصار (باب قصة أبي طالب) رقم /٣٨٨٣/ ، ومسلم في كتاب الإيمان (باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب ..) رقم /٢٠٩/ .

(٢) الروض الأنف ١/١٨٥ ، وذكر الحافظ الذهبي الحارث عبد العزى في تجريده في الصحابة ، وقال : أدرك الإسلام ، وأسلم بمكة ، وذكر الطريق التي ذكرها السهيلي ، وعده غير السهيلي في الصحابة جازماً به ، والله أعلم . نور النبراس لوحة ١/٢٢٥ .

(٣) الطبقات الكبرى ١/٢١١ .

عوف بن ثقيف ، وعند أحدهم امرأة[1] من قريش من بني جُمَح ، فجلسَ إليهم رسولُ الله ﷺ وكلَّمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام ، والقيام معه على من خالفه من قومه . فقال له أحدُهم : هو يمرطُ[2] ثيابَ الكعبة إن كان الله أرسلكَ . وقال الآخر : أما وجدَ الله أحداً يُرسلُه غيرَك . وقال الثالث : والله لا أكلِّمُك أبداً ، لئن كنتَ رسولاً من الله كما تقولُ لأنت أعظمُ خطراً من أن أردَّ عليك الكلامَ ، ولئن كنتَ تكذبُ على الله ما ينبغي لي أن أكلِّمَك . فقام رسولُ الله ﷺ من عندهم وقد يئسَ من خير ثقيف ، وقد قال لهم – فيما ذكر لي – : إذا فعلتُم ما فعلتم فاكتُموا عليَّ ، وكره رسولُ الله ﷺ أن يبلغَ قومَه عنه ، فيُذْئِرُهم[3] ذلك عليه ، فلم يفعلوا وأغرَوا به سفهاءَهم وعبيدَهم يسبُّونه ويصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس[4] .

قال موسى بن عقبة : قعدوا له صفين على طريقه ، فلما مرَّ رسولُ الله ﷺ بين صَفيْهم جعل لا يرفعُ رجليه ولا يضعُهما إلا رَضَخُوهما[5] بالحجارة ، حتى أدمَوْا رجليه .

زاد سليمان التيمي : أنه ﷺ كان إذا أذلقته الحِجارة[6] قعدَ إلى الأرض ، فيأخذون بعضديه فيقيمونه ، فإذا مشى رجموه وهم يضحكون .

وقال ابنُ سعد : وزيدُ بن حارثة يقيه بنفسه ، حتى لقد شُجَّ في رأسه شجاجاً[7] .

قال ابن عقبة : فخلَص منهم ، ورجلاه تسيلان دماً ، فعمَد إلى حائطٍ من حوائطهم فاستظلَّ في ظل حَبَلةٍ[8] منه وهو مكروب[9] موجع ، وإذا في الحائط عُتبة وشَيبة ابنا

(١) قال في نور النبراس : هذه المرأة هي صفية بنت معمر بن حبيب بن وهب بن حُذافة بن جُمح . وهي أم كَلَدة بن الحنبل ، وأم صفوان بن أميّة .

(٢) « يمرطُ ثياب الكعبة » : يمزقها ويرمي بها .

(٣) « فيُذْئِرُهم عليه » : يُثيرهم عليه ويجرئهم .

(٤) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٤١٩ – ٤٢٠ .

(٥) « رضخوهما » : رموهما بالحجارة فأدمتهما .

(٦) « أذلقته الحجارة » : آلمته .

(٧) الطبقات الكبرى ١/٢١٢ .

(٨) « حائط » : بستان محوط بسور . و« حَبَلَة » : شجرة عنب ، أو قضبانها .

(٩) « مكروب » : مهموم محزون . قال سبط ابن العجمي : لم يذكر المؤلف هنا الدعاء المعروف ، قال ابن

ربيعة ، فلما رآهما كره مكانَهما لما يعلمُ من عدواتِهما لله ورسوله . قال : فلما رآه ابنا ربيعة وما لقي تحركت له رَحِمُهما فدعَوَا غلاماً لهما نصرانياً يُقال له عَدَّاس ، فقالا له : خذ قِطْفاً[1] من هذا العِنَب ، فضعه في هذا الطبق ، ثم اذهبْ به إلى ذلك الرجل ، فقل له يأكل منه ، ففعلَ عَدَّاسٌ ، ثم أقبل به حتى وضعَه بين يديْ رسول الله ﷺ ، ثم قال له : كل ، فلما وضعَ رسولُ الله ﷺ فيه يدَه قال : بسم الله ، ثم أكَلَ ، فنظر عـدَّاسٌ في وجهه ، ثم قال : والله إن هذا الكلامَ ما يقولُه أهلُ هذه البلاد . فقال له رسول الله ﷺ : ومن أيّ البلادِ أنت يا عداس ؟ وما دينُك ؟ قال : نصراني وأنا من أهل نِيْنَوى[2] . فقال له : كل ، فلما وضعَ رسولُ الله ﷺ فيه يدَه قال : بسم الله ، ثم أكَلَ ، فنظر عدَّاسٌ في وجهه ، ثم قال : والله إن هذا الكلامَ ما يقولُه أهلُ هذه البلاد . فقال له رسول الله ﷺ : ومن أيّ البلادِ أنت يا عداس ؟ وما دينُك ؟ قال : نصراني وأنا من أهل نِيْنَوى[2]. فقال له رسولُ الله ﷺ : من أهل قرية الرجل الصالح يُونس بن مَتَّى ؟ قال له عَدَّاس : وما يُدْريك لقد أعلمني بأمر لا يعلمُه إلا نبيٌّ . قالا : ويحك يا عداس ، لا يصرفنَّك عن دينِك فإن دينَك خيرٌ من دينه .

وروينا في الصحيح ، من حديث عائشة رضي الله عنها ؛ أنها قالت للنبي ﷺ : هل أتى عليكَ يومٌ كان أشدَّ عليك من يوم أحد ؟ فقال : « لقد لقيتُ من قومِك ، وكان أشدَّ ما لقيتُ منهم يومَ العقبة ، إذ عَرَضْتُ نفسي على ابن عبد يَالِيْلُ بن عبد كُلال ، فلم يُجبني إلى ما أردتُ ، فانطلقتُ على وجهي وأنا مهمومٌ ، فلم أستفقْ إلا وأنا بقرن[3] الثعالب ،

= إسحاق : فلما اطمأنَّ رسول الله ﷺ قال — فيما ذكر لي — « اللهم إليكَ أشكو ضعفَ قوَّتي ، وقلَّةَ حيلتي ، وهَواني على الناس ، يا أرحمَ الراحمين ، أنت ربُّ المستضعفين ، وأنتَ ربي ، إلى مَنْ تَكِلُني ؟ إلى بعيدٍ يَتَجَهَّمُني ، أم إلى عدوٍّ مَلَّكْتَه أمري ؟ إن لم يكنْ بكَ عليَّ غضبٌ فلا أُبالي ، ولكن عافيَتَكَ هي أوسعُ لي ، أعوذ بنور وَجْهِكَ الذي أشرقتْ له الظُّلُماتُ ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تُنْزِلَ بي غضبَك ، أو يحلَّ عليَّ سُخْطك ، لك العُتْبى حتى تَرْضى ، ولا حولَ ولا قوَّة إلا بك » . نور النبراس لوحة ١/٢٢٦ ، والسيرة النبوية ١/٤٢٠ .

(١) « قِطْفاً » : عنقوداً .

(٢) « نِينوى » : قرية كانت على ساحل دجلة في أرض الموصل .

(٣) « قرن الثعالب » : هو قرن المنازل ميقات أهل نجد ، وأصل القرن : الجبل الصغير المستطيل المنقطع عن الجبل الكبير .

فرفعتُ رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرتُ فإذا فيها جبريلُ ، فناداني ، فقال : إن الله قد سمعَ قولَ قومِك لكَ وما ردُّوا عليكَ ، وقد بعثَ إليك مَلَكَ الجبال ؛ لتأمرَه بما شئتَ فيهم . فناداني مَلَكُ الجبال ، فسلَّم عليَّ فقال : يا محمد ، ذلك لك فما شئتَ ؟ وإن شئتَ أن أطبقَ عليهم الأخشبَيْن[1] ؟ فقال النبيُّ ﷺ : بل أرجو أن يُخْرِجَ الله من أصلابهم مَنْ يَعبدُ الله لا يُشركُ به شيئاً »[2] .

وذكر ابنُ هشام : أن رسولَ الله ﷺ لما انصرفَ عن أهل الطائف ولم يُجيبوه لما دعاهم إليه من تصديقه ونُصرته ، صار إلى حِراء ، ثم بعث إلى الأخنس بن شُرَيْق ليجيرَه ، فقال : أنا حليفٌ ، والحليفُ لا يُجير . فبعثَ إلى سُهيل بن عمرو ، فقال : إن بني عامر لا تُجيرُ على بني كعب . فبعثَ إلى المُطْعِم بن عديّ فأجابَه إلى ذلك ، ثم تسلَّحَ المطعمُ وأهلُ بيته ، وخرجوا حتى أَتَوْا المسجدَ ، ثم بعثَ إلى رسول الله ﷺ أن ادخلْ ، فدخلَ رسول الله ﷺ ، فطافَ بالبيت وصلَّى عندَه ، ثم انصرفَ إلى منزله[3] .

ولأجل هذه السابقة التي سلفت للمُطعم بن عدي قال رسول الله ﷺ في أسارى بدر : لو كان المطعمُ بن عديّ حيّاً ثم كلَّمني في هؤلاء النتنى لتركتُهم له .

ذكرُ إسلامِ الجِنّ

وفي انصراف رسول الله ﷺ من الطائف راجعاً إلى مكة حين يئس من خير ثقيف مرَّ به النفرُ من الجِنّ وهو بنخلة[4] ؛ كما سيأتي إن شاء الله تعالى . وهم فيما ذكرَ ابنُ

(١) « الأخشبان » : الجبلان المطيفان بمكة ، وهما أبو قُبيس والأحمر ، وهو جبل مشرف وجهُه على قُعَيْقِعَان . والأخشب : كل جبل خشن غليظ الحجارة .

(٢) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق (باب إذا قال أحدُكم « آمين » ..) رقم /٣٢٣١/ ، ورواه مسلم في كتاب الجهاد والسير (باب ما لقي النبيُّ ﷺ من أذى المشركين والمنافقين) رقم /١٧٩٥/ ، ورواه النسائي في السنن الكبرى .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٣٨١/١ .

(٤) « نخلة » : أحد واديين ، بين مكة والطائف ، على ثلاثة أميال من مكة .

إسحاق[1] سبعةً من جن نَصيبين ، وكان رسولُ الله ﷺ قد قام من جوف الليل وهو يُصلّي . والخبرُ بذلك ثابت من طريق عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : قرأتُ على أبي عبد الله بن أبي الفتح الصُّوري بمرج دمشق ، أخبركم أبو القاسم بن الحَرستاني سماعاً عليه ؟ فأقرَّ به . أخبرنا أبو محمد طاهر بن سهل ، أخبرنا أبو الحسين بن مكي ، أخبرنا القاضي أبو الحسن الحلبي ، قال : حدثني إسحاق بن محمد بن يزيد ، قال : حدثنا أبو داود ـ يعني سُليمان بن سيف ـ حدثنا أيوب بن خالد ، حدثنا الأوزاعي ، حدثني إبراهيم ابن طريف ، حدثني يحيى بن سعيد الأنصاري ، حدثني عبدُ الرحمن بن أبي ليلى ، قال : حدثني عبدُ الله بن مسعود ، قال :

كنتُ مع النبي ﷺ ليلةَ صَرَفَ الله النفرَ من الجِن .. الحديث[2] .

وروينا من حديث[3] أبي المعلى[4] ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : خرج رسولُ الله ﷺ قبلَ الهجرةِ إلى نواحي مكة فخطَّ لي خَطّاً ، وقال : لا تُحْدِثن شيئاً حتى آتيكَ . ثم قال : لا يَروعنك أو لا يهولنَّك شيءٌ تراه . ثم جلس ، فإذا رجالٌ سودٌ كأنَّهم رجال الزُّط[5] . قال : وكانوا كما قال الله : ﴿ كَادُوا يكَونُون عليه لِبَداً ﴾[6] [الجن : ١٩] فأردتُ أن أقومَ فأذبَّ عنه ، بالغاً ما بلغتُ ، ثم ذكرتُ عهدَ رسول الله ﷺ ، فمكثتُ ،

---

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام ٦٣/٢ .

(٢) هذا الحديث ليس هو في الكتب الستة بهذه الطريق ، والحرَّاني ذكره الذهبي في « الميزان » وقال : عن الأوزاعي ، له مناكير . ويرده الحديث الذي رواه مسلم والترمذي والنسائي عن ابن مسعود ، من طريق عامر بن شراحيل السبيعي ، قال : سألت علقمة : هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله ﷺ ليلة الجِنّ ؟ فقال علقمة : أنا سألتُ ابن مسعود ، فقلتُ : هل شهدَ أحدٌ منكم مع رسول الله ﷺ ليلةَ الجِنِّ ؟ قال : لا ، ولكنا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ، ففقدناه .. الحديث . نور النبراس لوحة ٢٢٩/١ .

(٣) قال في نور النبراس : حديث أبي العلاء عن ابن مسعود لم أجده في شيء من الكتب الستة .

(٤) كذا في جميع النسخ ، وفي نور النبراس « أبو العلاء » وقال : وأبو العلاء هذا أنا لا أعرفه ، ومن تكنى بأبي العلاء جماعة .. نور النبراس لوحة ٢٢٩/١ .

(٥) « الزُّطّ » : جنس من السودان طوال ، الواحد زطي .

(٦) « لِبَداً » : متراكمين من ازدحامهم عليه تعجباً .

ثم إنهم تفرَّقوا عنه ، فسمعتهم يقولون : يا رسول الله ، إنَّ شُقَّتَنا بعيدة ونحن مُنطلقون ، فزوِّدْنا .. الحديث . وفيه : فلما وَلَّوْا قلت : من هؤلاء ؟ قال هؤلاء جِنُّ نَصيبين .

وروينا من حديث أبي عبد الله الجَدَلي[1] ، عن عبد الله ، وفيه قال : ثم شبَّك أصابعَه في أصابعي وقال : « إني وُعدت أن تؤمنَ بي الجِنُّ والإنسُ ، فأمَّا الإنسُ فقد آمنتْ بي وأما الجِنُّ فقد رأيتَ » .

وروى أبو عمر من طريق أبي داود ، حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي ظَبْيان ، عن أبي عُبيدة بن عبد الله بن مسعود قال : لما كانت ليلةُ الجِنّ أتت النبيَّ ﷺ سَمُرة فآذنته بهم ، فخرجَ إليهم[2] .

قال أبو داود حدثنا هارون بن معروف ، حدثنا سُفيان عن مسعر ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عُبيدة ؛ أن مَسروقاً قال له : أبوك أخبرنا أن شجرةً أنذرت النبيَّ ﷺ بالجِنِّ[3] .

وروينا حديثَ أبي فَزارة ، عن أبي زيد مولى عمرو بن حُريث ، حدثنا عبدُ الله بن مسعود ، قال : أتانا رسولُ الله ﷺ ، قال : إني قد أمرت أن أقرأ على إخوانكم من الجِنّ ، فليقمْ معي رجلٌ منكم ، ولا يقمْ رجلٌ في قلبه مثقالُ حبّة خردل من كِبر ، فقمتُ معه ، وأخذتُ إدَاوة[4] فيها نبيذ ، فانطلقتُ معه فلما برزَ خطَّ لي خطّاً وقال لي : لا تخرجْ منه فإنك إن خرجتَ لم ترني ولم أركَ إلى يوم القيامة . قال : ثم انطلَق فتوارى عني حتى لم أره ، فلما سطعَ الفجرُ أقبلَ ، فقال لي : أراك قائماً . فقلتُ ما قعدتُ . فقال : ما عليك لو فعلتَ . قلت : خشيتُ أن أخرجَ منه . فقال : أما إنك لو خرجتَ منه لم ترني ولم أركَ إلى يوم القيامة . هل معك وَضوء ؟ قلت : لا ، فقال : ما هذه الإداوة ؟ قلت :

---

(١) الجَدَلي : نسبة إلى جديلة ، وهو عبد أو عبد الرحمن بن عبد ، ثقة رُمي بالتشيع ، روى عنه أبو داود والترمذي والنسائي . تقريب التهذيب ص ٦٥٤ .

(٢) و (٣) الدرر في اختصار المغازي والسير ؛ لابن عبد البر ص ٦١ .
وحديث مسروق من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عنه ، عن ابن مسعود ، رواه البخاري في المناقب ومسلم في الصلاة . نور النبراس لوحة ٢٣٠/١ .

(٤) « إداوة » : إناء صغير من جلد يُتّخذُ للماء في الوضوء ونحوه .

فيها نبيذ . قال : تمرةٌ طيِّبة وماءٌ طهور . فتوَّضأ وأقام الصلاة ، فلما قضى الصَّلاةَ قام إليه رجلان من الجِنّ فسألاه المتاعَ . فقال : ألم آمرْ لكما ولقومكما بما يُصلحكما ؟ قالا : بلى ، ولكن أحببنا أن يشهدَ بعضُنا معك الصَّلاةَ . فقال : ممن أنتما ؟ قالا : من أهل نَصيبين . فقال : أفلح هذان وأفلح قومُهما ، وأمر لهما بالرَّوْث والعظم طَعاماً ولحماً ، ونهى النبيُّ ﷺ أن يُستنجى بعظمٍ أو رَوْثة[1] .

رويناه من حديث قيس بن الربيع وهذا لفظه .

ومن حديث الثوري وإسرائيل وشريك والجراح بن مليح وأبي عميس كلهم عن أبي فَزارة .

وغيرُ طريق أبي فَزارة عن أبي زيد لهذا الحديث أقوى منها ، للجهالة الواقعة في أبي زيد ، ولكنَّ أصلَ الحديث مشهورٌ عن ابن مسعود من طرق حِسان متظافرة[2] يشهدُ بعضُها لبعض ويشدُّ بعضُها بعضاً ، ولم تتفرَّدْ طريقُ أبي زيد إلا بما فيها من التوضؤ بنبيذ التمر ، وليس ذلك مقصودُنا الآن . ويكفي من أمر الجن ما في سورة الرحمن ، وسورة قل أوحي إليّ ، وسورة الأحقاف ﴿ وإذْ صَرَفْنا إليكَ نفراً من الجِنّ يَستمعونَ القرآن ﴾ [الأحقاف : ٢٩] الآيات .

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الطهارة (باب الوضوء بالنبيذ) رقم /٨٤/ ، والترمذي في الطهارة رقم /٨٨/ وجاء فيه [قال : فتوضأ منه] ، وابن ماجه في الطهارة رقم /٣٨٤/ ، وقال الترمذي : أبو زيد رجل مجهول عند أهل الحديث لا يعرف له كبير رواية غير هذا الحديث .
وقال النووي — رحمه الله تعالى — في شرح مسلم ١٦٩/٤ : هذا صريح في إبطال الحديث المروي في سنن أبي داود وغيره ، المذكور فيه الوضوء بالنبيذ ... وهو حديث ضعيف باتفاق المحدثين ، ومداره على أبي زيد ، مولى عمرو بن حُريث ، وهو مجهول .
وجاء في عارضة الأحوذي لابن العربي ١٢٨/١ : ويُقال : إن أبا فزارة كان نبَّاذاً بالكوفة ، وكان أصل هذا الحديث : أن النبي ﷺ قال لابن مسعود : « ما في إداوتك ؟ » قال : نبيذ . قال : « تمرةٌ طيبةٌ وماءٌ طهور » . فزاد هو فيه « فأخذه فتوضأ به » ينفق سلعته .
قال الإمام النووي في المجموع ٩٣/١ : أما النبيذ فلا يجوز الطهارة به عندنا — أي عند الشافعية — على أي صفة كان ، من عسل أو تمر أو زبيب أو غيرها ، مطبوخاً كان أو غيره ..

(٢) « متظافرة » : متضافرة ، هما بمعنى واحد ، كما في القاموس .

وذكر ابنُ[1] سعد أن رسولَ الله ﷺ لم يشعرْ بالجِنِّ وهم يستمعون له يقرأ حتى نزلت عليه ﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجِنّ ﴾ الآية .

وروينا عن ابن هشام قال : حدثني خلاد بن قُرة بن خالد السدوسي ، وغيره من مشائخ بكر بن وائل من أهل العلم ؛ أن أعشى بني قيس بن ثَعلبة ، خرجَ إلى رسول الله ﷺ يُريد الإسلام فقال يَمدح رسولَ الله ﷺ :

ألم تغتمضْ عينـاكَ ليلـةَ أرمَـدا ... وبتَّ كما بـاتَ السليـمُ مُسَهَّـدا[2]
ألا أيهذا السائلي أيـــن يَمَّـــمتْ ... فـإن لها في أهـل يثربَ موعـداً
وآليـتُ لا آوي لها مــن كَلالــةٍ ... ولا من حَفَا حتى تُلاقي محمدا[3]
متى ما تُناخي عند بابِ ابن هاشم ... تُراحِي وتلقيْ مـن فواضِلِه نَـدى
نبيّاً يـرى مـا لا تـرون وذكـرُه ... أغـارَ لعمري في البـلاد وأنجدَا[4]
لـه صدقـاتٌ مـا تَـغِبُّ ونائـلٌ ... وليس عطـاءُ اليـوم مانعُـه غـدا[5]
أجِـدَّكَ لم تسمـعْ وَصَاةَ محمـدٍ ... نبيِّ الإلهِ حيـنَ أوصى وأشهـدا[6]
إذا أنتَ لم ترحلْ بزادٍ مـن التُّقـى ... ولاقيْتَ بعد الموت مَنْ قـد تـزوَّدا
نـدمتَ على أن لا تكـونَ كمثلـه ... فترْصِدَ للموت الذي كان أرْصَدا[7]

فلما كان بمكة أو قريباً منها اعترضه بعضُ المشركين من قريش ، فسأله عن أمره ، فأخبره أنه جاء يُريد رسولَ الله ﷺ ليسلمَ ، فقال له : يا أبا بَصير ! فإنه يحرم الزنا .

---

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢١٢/١ .
(٢) « السليمُ » : اللديغ ، وهو من أسماء الأضداد .
(٣) « لا آوي » : لا أشفق ولا أرحم ، ويروى : لا أرثي ، وهو بمعناه . « ولا من حَفَا » : الحفى : رقة تُصيب خُفَّ البعير من كثرة المشي .
(٤) « أغار » : من الغور ، وهو ما انخفضَ من الأرض ، و« أنجدا » : بلغ النجد ، وهو ما ارتفع منها .
(٥) « ما تغبُّ » : لا ينقطع تواليها .
(٦) « أجِدَّكَ » : بكسر الجيم ، منصوبة على المصدرية ، ملازمة للإضافة في هذا الاستعمال . والمعنى أستحلفك في حقيقة الأمر .
(٧) « أرصدَا » : أعدَّ .

فقال الأعشى : والله إن ذلك لأمر مالي فيه من أرب . فقال : يا أبا بصير ، فإنه يحرم الخمر . قال الأعشى : أما هذه فوالله إن في النفس منها لعَلالاتٍ[1] ، ولكني منصرف أرتوي منها عامي هذا ، ثم آتيه فأسلم . فانصرفَ فمات في عامه ذلك ، ولم يَعد إلى رسول الله ﷺ[2] .

● قوله : « لا آوي لها من كَلالة » أي لا أرق . وفي هذه الأبيات عن غير ابن هشام بعد قوله : أغارَ لعمري في البلاد وأنجدا :

به أنقـذَ الله الأنـامَ مـن العَمَـى وما كان فيهم من يَريـغُ إلى هـدى

● وقوله : فلما كان بمكة وَهَمٌ ظاهر ؛ لأن تحريمَ الخمر إنما كان بعد أحد ، وفي الأبيات : « فإن لها في أهل يثربَ موعداً » وهو أيضاً مما يُبيِّن[3] ذلك ، والله أعلم .

خبرُ الطفيل بن عمرو الدَّوْسي

روينا عن محمد بن سعد ، أخبرنا محمد بن عمر ، حدثني عبد الله بن جعفر ، عن عبد الواحد بن أبي عوف الدوسي ، وكان له حِلْفٌ في قريش ، قال : كان الطفيل شريفاً شاعراً نبيلاً كثيرَ الضِّيافة ، فقدم مكةَ ورسول الله ﷺ بها ، فمشى إليه رجال من قريش ، فقالوا : يا طُفيل ، إنك قدمتَ بلادَنا ، وهذا الرجلُ الذي بين أظهرنا قد أعضلَ[4] بنا ، وفرَّق جماعتنا ، وشتَّتَ أمرنا ، وإنما قولُه كالسحر يُفرِّق بين الرجل وأبيه وبين الرجل

---

(١) « لعُلالات » : جمع عُلالة ، وهي البقية من كل شيء .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٣٨٦ — ٣٨٧ .

(٣) قال السهيلي في الروض الأنف ٢/١٣٦ : وهذه غفلة من ابن هشام ومن قال بقوله ، فإن الناسَ مجمعون على أن الخمرَ لم ينزل تحريمها إلا بالمدينة بعد أن مضت بدر وأحد ، وحرمت في سورة المائدة ... إلى أن قال : فإن صح خبر الأعشى وما ذكره له من الخمر ، فلا يكن هذا بمكة ، وإنما كان بالمدينة أرجح ، ويكون القائل له : أما علمتَ أنّه يحرم الخمر ، من المنافقين أو من اليهود ، والله أعلم .

(٤) « أعضلَ بنا » : غلبنا برأيه ، وضيَّق علينا أمرنا .

وأخيه . قال : فوالله ما زالوا بي حتى أجمعتُ أن لا أسمع منه شيئاً ، ولا أكلّمه ، فأبى الله إلا أن يُسمعني بعضَ قوله ، فمكثتُ حتى انصرفَ إلى بيته ، فقلت : يا محمد ! إن قومَك قالوا لي كذا وكذا حتى سددتُ أذني بكرسف[1] لئلا أسمعَ قولَك . فاعرضْ عليَّ أمرَك . فعرضَ عليه الإسلامَ وتلا عليه القرآنَ ، فقال : لا والله ما سمعتُ قولاً قطّ أحسنَ من هذا ، ولا أمراً أعدلَ منه ، فأسلمتُ . فقلتُ : يا نبيَّ الله إني امرؤ مُطاعٌ في قومي ، وأنا راجعٌ إليهم فداعيهم إلى الإسلام ، فادعُ الله أن يكون لي عَوْناً عليهم . قال : اللهم اجعلْ له آية . فخرجتُ حتى إذاكنتُ بثنية تُطلعني على الحاضر وقعَ نورٌ بين عيني مثلُ المِصباح ، فقلت اللهم في غير وجهي ، فإني أخشى أن يظنوا أنها مُثْلة ، فتحوَّلَ في رأس سوطي ، فجعل الحاضرُ يتراءون ذلك النورَ كالقنديل المعلّق . قال : فأتاني أبي ، فقلت له . قال : ديني دينُك فأسلم . ثم أتتني صاحبتي ، فذكر مثل ذلك ، فأسلمت ، ثم دعوت دَوْساً إلى الإسلام فأبطؤوا عليَّ ، ثم جئتُ رسولَ الله ﷺ بمكة ، فقلتُ يا رسول الله ! قد غلبتني دَوْسٌ ، فادعُ الله عليهم . فقال : اللهم اهدِ دَوْساً ، فخرجتُ إليهم ، ثم قدمت على رسول الله ﷺ بمن أسلم من قومي وهو بخيبرَ بسبعينَ أو ثمانينَ بيتاً من دَوْس ، فأسهمَ لنا مع المسلمين ، وقلنا : يا رسولَ الله ! اجعلنا ميمنتَك ، واجعلْ شعارنَا « مبرور » .

ففعلَ ، ثم قلت بعد فتح مكة يا رسول الله ! ابعثني إلى ذي الكَفَّين صنمِ عمرو بن حُمَمَة حتى أحرقَه ، فبعثه . وجعل الطفيل يقول :

يا ذا الكَفَين لستُ من عبَّادكا ميلادُنا أكبرُ من ميلادكا[2]

إني حشوتُ النَّارَ في فؤادكا

قال : فلما أحرقتُه أسلموا جميعاً ، ثم قُتل الطفيل باليمامة شهيداً . والخبر عند ابن سعد[3] طويلٌ وأنا اختصرتُه .

* * *

(١) « بكُرْسُف » : بقطن .

(٢) « الكفين » : خففت الفاء للضرورة الشعرية .

(٣) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ١٥٧/٢ .

ذكرُ الحديث عن مسرى رسول الله ﷺ
ومعراجه وفرض الصلاة

قرأت على أبي عبد الله بن أبي الفتح الصوري ، أخبركم الشيخان أبو مسلم المؤيد ابن عبد الرحيم بن أحمد بن محمد بن الإخوة،وأم حبيبة عائشة بنت معمر بن الفاخر القرشية إجازة ، قالا : أخبرنا أبو الفرج سعيد بن أبي الرجاء الصيرفي قراءةً عليه ونحن نسمع بأصبهان ، أخبرنا أبو نصر إبراهيم بن محمد بن علي الأصبهاني الكسائيُ ، أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المقرىء ، أخبرنا أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن علي الوساوسي ، حدثنا ضَمْرة بن ربيعة ، عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني ، عن أبي صالح مولى أم هانىء ، عن أم هانىء ، قالت : دخلَ عليَّ رسولَ الله ﷺ بغلَس وأنا على فراشي ، فقال : أشعرتِ[1] أني نمتُ الليلةَ في المسجد الحرام ، فأتاني جبريلُ عليه السلام فذهبَ بي إلى باب المسجد ، فإذا دابة[2] أبيضُ فوق الحمار ودون البغل ، مضطربُ الأذنين ، فركبتُه ، فكان يضع حافرَه مَدَّ بصرِه ، إذا أخذ في هبوط طالت يداه وقَصُرت رجلاه ، وإذا أخذ في صعود طالت رجلاه وقصرت يداه ، وجبريلُ عليه السلام لا يفوتني ، حتى انتهينا إلى بيت المقدس ، فأوثقتهُ بالحلقة التي كانت الأنبياء تُوثِق بها ، فنُشِرَ لي رهْطٌ من الأنبياء ، فيهم إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، فصلّيتُ بهم وكلّمتهم ، وأُتيتُ بإناءين أحمرَ وأبيض ، فشربتُ الأبيضَ ، فقال لي جبريلُ عليه السلام : شربتَ اللبن وتركت الخمرَ ، لو شربتَ الخمرَ لارتدت أمّتُك . ثم ركبتُه فأتيتُ المسجدَ الحرامَ فصلّيت به الغداةَ .

فتعلّقتُ بردائِه وقلتُ أنشدُك اللهَ ابنَ عمّ إن تحدث[3] بهذا قريشاً ، فيكذِّبَك من

---

(١) « أشعرتِ » : أعلمتِ .

(٢) « دابة » : قال في القاموس : والدابة ما دبَّ من الحيوان ، وغلب على ما يُركب ، ويقع على المذكر .

(٣) « إن تحدث بهذا » : لا تتحدث .

صدَّقَك . فضربَ بيده على ردائه فانتزعَه من يدي ، فارتفعَ عن بطنه فنظرتُ إلى عُكَنِه[1] فوق ردائه ، وكأنه طيُّ القراطيس وإذا نورٌ ساطعٌ عند فؤاده كاد يخطَفُ بصري ، فخررتُ ساجدةً ، فلما رفعتُ رأسي إذا هو قد خرجَ ، فقلت لجاريتي نبعة : ويحك ! اتبعيه فانظري ماذا يقول ؟ وماذا يُقال له ؟ فلما رجعتْ نبعةُ أخبرتني أنَّ رسولَ الله ﷺ انتهى إلى نفرٍ من قريش في الحطيم ، فيهم المطعم بن عدي بن نوفل ، وعمرو بن هشام ، والوليد بن المغيرة . فقال : إني صلَّيتُ الليلةَ العِشاءَ في هذا المسجد ، وصلَّيتُ به الغداةَ ، وأتيتُ فيما بين ذلك بيتَ المقدس ، فنُشِرَ لي رهطٌ من الأنبياء ، منهم إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، فصلّيت بهم وكلَّمتهم . فقال عمرو بن هشام كالمستهزىء ، صفهم لي . فقال : أما عيسى ففوقَ الرَّبعة ودون الطويل ، عريضُ الصدر ، ظاهرُ الدَّم ، جَعْدُ الشعر ، يعلوه صُهْبَةٌ كأنه عروة بن مسعود الثقفي ، وأما موسى عليه السلام فضخمٌ آدم ، طويلٌ كأنه من رجال شنوءة ، كثيرُ الشعر ، غائر العينين ، متراكبُ الأسنان ، مُقلّصُ الشفتين ، خارج اللِّثة ، عابس ، وأما إبراهيمُ عليه السلام فوالله إنه لأشبه الناس بي خَلْقاً وخُلقاً ، فضجُّوا وأعظموا ذلك ، فقال المُطعم بن عدي بن نوفل : كل أمرك قبل اليوم كان أمماً[2] ، غيرَ قولك اليوم ، أشهدُ أنك كاذبٌ ، نحنُ نضربُ أكبادَ الإبل إلى بيت المقدس مُصْعِداً شهراً ومُنحدِراً شهراً ، تزعمُ أنك أتيتَه في ليلةٍ ، واللاتِ والعزى لا أصدِّقُك ، وما كان هذا الذي تقولُ قط . وكان للمطعم بن عدي حوض على زمزم ، أعطاه إياه عبدُ المطلب فهدمَه ، فأقسم باللات والعزى لا يسقي منه قطرة أبداً ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا مطعم ، بئس ما قلتَ لابن أخيك ، جبَّهْتَه[3] وكذبته ، أنا أشهدُ أنه صادق . فقال : يا محمد ، صف لنا بيتَ المقدس . قال : دخلتُه ليلاً وخرجت منه ليلاً . فأتاه جبريلُ عليه السلام فصوَّرَه في جناحه ، فجعل يقولُ باب منه كذا في موضع كذا ، وباب منه كذا في موضع كذا ، وأبو بكر رضي الله عنه يقول : صدقت صدقت . قالت نبعةُ فسمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول يومئذ : يا أبا بكر إن الله عز وجل قد سمَّاك الصدِّيقَ .

---

(١) « عُكنه » : جمع عُكنة ، وهي ما تثنى من لحم البطن .
(٢) « أمماً » : يسيراً ، يُقال : ما سألتَ إلا أمماً .
(٣) « جَبَّهْتَه » : استقبلته بالمكروه .

قالوا : يا مطعم دعنا نسألْه عما هو أغنى لنا من بيت المقدس ، يا محمد أخبرنا عن عِيرنا . فقال : أتيتُ على عيرِ بني فلان بالرَّوْحَاء قد أضلُّوا ناقةً لهم ، وانطلقوا في طلبها ، فانتهيتُ إلى رِحالهم ليس بها منهم أحد ، وإذا قدحُ ماءٍ فشربتُ منه ، فسلُوهم عن ذلك . فقالوا : هذه واللات والعزى آيةٌ ، ثم انتهيتُ إلى عير بني فلان فنفرتْ مني الإبلُ ، وبركَ منها جملٌ أحمرُ عليه جوالق ، مخطَّط ببياض ، لا أدري أكُسر البعيرُ أم لا ؟ فاسألوهم عن ذلك . فقالوا : هذه والآلهة آيةٌ . ثم انتهيتُ إلى عير بني فلان بالأبواء ، يقدَمها جملٌ أورق ، ها هي تطلعُ عليكم من الثنية . فقال الوليد بن المغيرة : ساحر . فانطلقوا فنظروا فوجدوا كما قال ، فرموه بالسحر . وقالوا : صدقَ الوليد بن المغيرة فيما قال ، وأنزل الله تبارك وتعالى ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنةً للناس والشجرةَ الملعونةَ في القرآن ﴾ . قلت يا أم هانئ ما الشجرة الملعونة في القرآن ؟ قالت : الذين خُوِّفوا فلم يزدهم التخويف إلا طغياناً كبيراً[(1)] .

وروينا من طريق البخاري ، حدثنا يحيى بن بُكير ، حدثنا الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، قال سمعتُ جابرَ بن عبد الله ، أنه سمعَ النبيَّ ﷺ يقول : « لمّا كذبتني قريش قمتُ في الحِجْر ، فجلَّى الله لي بيتَ المقدس فَطِفقْتُ أخبرهم عن آياته وأنا أنظرُ إليه »[(2)] .

وقرأتُ على أبي حفص عمر بن عبد المنعم بن القواس بعِرْبيل بغوطة دمشق ، أخبركم أبو القاسم بن الحرستاني في الرابعة ، فأقرَّ به . قال أخبرنا جمالُ الإسلام أبو الحسن علي ابن المُسَلَّم السُّلمي ، قال أخبرنا أبو نصر الحسين بن محمد بن أحمد بن طَلَّاب الخطيب سماعاً ، أخبرنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن جُميع ، حدثنا محمد بن صالح بن زكريا ابن يحيى بن داود بن زكريا العثماني ، حدثنا أحمد بن العلاء ، حدثنا زيد بن أسامة ، عن

---

(1) رواه الطبراني وأبو يعلى وابن عساكر من طريق أبي صالح ، وابن إسحاق بلفظ آخر ، ورواه الذهبي في السيرة النبوية من تاريخ الإسلام ص ٢٤٥ ـــ ٢٤٦ وأورد قسماً منه ، ثم قال : وهو حديث غريب ، الوساوسي ضعيف تفرَّد به .

(2) رواه البخاري في فضائل أصحاب النبي (باب الإسراء) رقم /٣٨٨٦/ ، ومسلم في الإيمان (باب ذكر المسيح بن مريم ...) رقم /١٧٠/ والترمذي في التفسير (باب من سورة بني إسرائيل) رقم /٣١٣٢/ .

سفيان ، عن مِسْعَر ، عن قتادة ، عن أنس ، عن النبي ﷺ ؛ أُتي بدابةٍ فوقَ الحمارِ ودُون البغل ، خطوُه مدُّ البصر ، فلما دنا منه اشمأزَّ ، فقال جبريل : اسكنْ ، فما ركبَكَ أحدٌ أكرمُ على الله من محمد[1] .

وعن عائشة وأم سلمة وأم هانيء وابن عمرو وابن عباس رضي الله عنهم ، قالوا : أُسري برسول الله ﷺ ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الأول قبل الهجرة بسنة من شِعب أبي طالب إلى بيت المقدس . قال رسولُ الله ﷺ : « حُمِلْتُ على دابةٍ بيضاءَ بين الحمار وبين البغل ، في فخذيها جناحان تَحْفِزُ[2] بهما رجليها ، فلما دنوتُ لأركبَها شَمَسَتْ »[3] ، فوضع جبريلُ يدَه على مَعْرَفتها[4] ، ثم قال : ألا تستحيين يا براق مما تصنعين ؟ والله ما ركب عليك أحد قبل محمد أكرم على الله منه . فاستحيَتْ حتى ارْفَضَّتْ[5] عرقاً ، ثم قرَّتْ حتى ركبتُها .. الحديث[6] .

وفي رواية يُونس بن بُكير : عن ابن إسحاق في هذا الخبر أنه عليه السلام وعدَ قريشاً بقدوم العير الذين أرشدهم إلى البعير ، وشرب إناءهم ، أن يقدموا يوم الأربعاء ، فلما كان ذلك اليوم لم يقدموا حتى كَرِبَتْ الشمسُ أن تغرب ، فدعا الله فحبَس الشمس حتى قدموا كما وصف . قال : ولم تُحبس الشمسُ إلا له ذلك اليوم وليُوشَعَ بن نون[7] .

* * *

---

(١) لم نجده بهذا الإسناد في المصادر الحديثية ، ويشهد له ما رواه قتادة عن أنس في الصحيحين وغيرهما بلفظ قريب مما ورد فيه من استصعاب البراق . وشموسه أول الأمر .

(٢) « تحفز بهما رجليها » : تدفعهما من الخلف .

(٣) « شَمَسَتْ » : منعت ظهرها .

(٤) « مَعْرَفتها » : موضع عرف الفرس ، وهو منبت شعر رقبتها .

(٥) « ارْفَضَّتْ عرقاً » : تساقط عَرَقُها من جسمها وتناثر .

(٦) رواه ابن سعد ٢١٣/١ — ٢١٥ في الطبقات الكبرى بهذا السياق عن عدة من الصحابة وقال : دخل حديث بعضهم في حديث بعض .

(٧) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٠٣/١ من رواية البكائي بنحوه ، دون ذكر حبس الشمس .

حديث المعراج

روينا من طريق مسلم ، حدثنا شَيبانُ بن فَرُّوخ ، حدثنا حمَّادُ بن سلمة ، حدثنا ثابت البُناني ، عن أنس بن مالك ؛ أن رسولَ الله ﷺ قال : « أُتيت بالبراق وهو دابة أبيضٌ طويلٌ ، فوق الحمار ودون البغل ، يضعُ حافرَه عند منتهى طَرْفه ، قال : فركبته حتى أتيتُ بيتَ المقدس . قال : فربطته بالحَلْقة التي تربطُ بها الأنبياء . قال : ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن ، فاخترتُ اللبن . فقال جبريلُ ﷺ : اخترتَ[1] الفطرة ، ثم عرجَ بنا إلى السماء فاستفتحَ جبريلُ عليه السلام ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال محمد ﷺ . قيل : وقد بُعث إليه ؟ قال : قد بُعث إليه . ففُتح لنا فإذا أنا بآدم فرحَّب بي ودعا لي بخير ، ثم عَرَجَ بنا إلى السماء الثانية ، فاستفتحَ جبريلُ فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بُعث إليه ؟ قال : قد بُعث إليه . قال : ففُتح لنا ، فإذا أنا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلوات الله عليهما ، فرحبا بي ودعوا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة ، فاستفتحَ جبريلُ ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بُعث إليه . ففُتح لنا ، فإذا أنا بيوسف ﷺ وإذا هو قد أعطي شطر الحسن . قال : فرحَّبَ بي ودعا لي بخير ، ثم عَرَجَ بنا إلى السماء الرابعة ، فاستفتحَ جبريلُ . قيل : من هذا ؟ قال : جبريلُ . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قال وقد بعث إليه ؟ قال : قد بُعث إليه . ففُتح لنا ، فإذا أنا بإدريس فرحَّبَ بي ودعا لي بخير . قال الله عز وجل : ﴿ ورفعناه مكاناً علياً ﴾ [مريم : ٥٧] ثم عَرَجَ بنا إلى السماء الخامسة ، فاستفتحَ جبريلُ . قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بُعث إليه . قال : قد بُعث إليه .

(١) «الفطرة» : فسر العلماء الفطرة هنا بالإسلام والاستقامة . والمعنى : اخترتَ علامة الإسلام والاستقامة ، وجَعَل اللبن علامة ؛ لكونه سهلاً طَيّباً سائغاً للشاربين ، سليم العاقبة . وأما الخمر فإنها أمّ الخبائث وجالبة لأنواع من الشر في الحال والمآل .

فَفُتحَ لنا فإذا أنا بهارون ﷺ ، فرحَّب بي ودعا لي بخير ، ثم عَرَجَ بنا إلى السماء السادسة ، فاستفتحَ جبريلُ . قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بُعث إليه ؟ قال : قد بُعث إليه . ففُتح لنا ، فإذا أنا بموسى ﷺ فرحَّبَ بي ودعا لي بخير . ثم عَرَجَ بنا إلى السماء السابعة ، فاستفتحَ جبريلُ . فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بُعث إليه ؟ قال : قد بُعث إليه . ففُتِحَ لنا ، فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مُسنداً ظهرَه إلى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفَ ملك لا يَعودون إليه ، ثم ذَهَبَ بي إلى سِدْرة المنتهى ، فإذا ورقُها كآذان الفِيَلَة وإذا ثمرُها كالقِلال . قال : فلما غَشِيَها من أمر الله ما غشي تغيرت فما أحدٌ من خلق الله يستطيعُ أن ينعتَها من حُسنها ، فأوحى الله إليَّ ما أوحى ، ففرضَ علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة ، فنزلتُ إلى موسى ، فقال : ما فرضَ ربُّك على أمتك ؟ قلت : خمسين صلاة . قال : ارجعْ إلى[1] ربك فسله التخفيف فإن أمتك لا تُطيق ذلك ، فإني قد بلوتُ بني إسرائيل وخَبَرْتُهم . قال : فرجعت إلى ربي ، فقلت : يا رب ، خَفِّفْ عن أمتي . فحطَّ عني خمساً ، فرجعتُ إلى موسى . فقلت : حَطَّ عني خمساً . قال : إن أمتَّك لا يُطيقون ذلك ، فارجعْ إلى ربك فسله التخفيف . قال : فلم أزل أرجعُ بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى حتى قال : يا محمد ، إنهن خمسُ صلواتٍ في كل يوم وليلة ، بكل صلاة عشر ، فذلك خمسون صلاة . ومن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها

---

(١) اختص موسى عليه الصلاة من بين الأنبياء الذين لقيهم النبي ﷺ في معراجه بالتعرض له عند هبوطه ، وسؤاله عما عَهد إليه ربه ، ومناصحته له بعد ذلك بمراجعة الله تعالى ، وطلب التخفيف عنه وعن أمته ﷺ ، لما علم موسى عليه السلام من تفضيل الله محمداً عليه بتقريبه إليه ورفع مكانته لديه ، مما دفعه إلى التعلق به تعلُّقَ المفضول بالفاضل ، والتعرض له ، وتقديم النصح له ، بما يزيده فضلاً وعلو مكانة . قالوا : ولأن أمة موسى عليه السلام أكثر من أمة غيره ، ولأن كتابة التوراة أكبر الكتب المنزلة قبل القرآن الكريم تشريعاً وأحكاماً . وقد يكون أيضاً ؛ لأن الصلاة هي العبادة الوحيدةُ المتكررة التي قد تثقل على الناس ويسري إليها التهاون ، وهو الذي عرف ذلك من قومه ، ولذلك قال في معرض كلامه للرسول ﷺ « لقد راودتُ بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا فضعفوا وتركوه » . انظر كتاب « المقاصد السنية في الأحاديث الإلهية » لعلي بن بَلَبَان المقدسي ص ٧٤ — ٧٦ تحقيق وتعليق : محيي الدين مستو ود . محمد العيد الخطراوي . مكتبة دار التراث — المدينة المنورة — الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ .

كتبت له عشراً . ومن همَّ بسيئة فلم يعملْها لم تُكتب عليه شيئاً ، فإن عملَها كُتبت سيئة واحدة . قال : فنزلتُ حتى انتهيتُ إلى موسى ، فأخبرته . فقال : ارجعْ إلى ربِّك فسله التخفيف . فقلت : قد رجعتُ إلى ربي حتى استحييتُ منه »[1] .

قال الشيخ : أبو أحمد[2] ، حدثنا أبو العباس الماسرجسي[3] حدثنا شيبان بن فروخ ، حدثنا حماد بن سلمة بهذا الحديث .

وقد روينا من طريق ابن شهاب عن أنس بن مالك قال : كان أبو ذر يُحدِّث أن رسول الله ﷺ قال : « فُرج سقفُ بيتي وأنا بمكة ، فنزل جبريلُ عليه السلام ففرجَ صدري ثم غسلَه من ماء زمزمَ ، ثم جاء بِطِستْ من ذهب ممتلىءٍ حكمةً وإيماناً فأفرغَها في صدري ، ثم أطبقَه ، ثم أخذ بيدي فعرجَ بي إلى السماء .. » الحديث[4] .

قال ابن شهاب : وأخبرني ابن حزم[5] أن ابنَ عبَّاس وأبا حَبَّة الأنصاري يقولان : قال رسولُ الله ﷺ : « ثم عُرج بي حتى ظهرتُ لمستوىً أسمع فيه صريفَ الأقلام » وفيه : « ثم أُدخلتُ الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ ، وإذا ترابُها المسك »[6] .

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان (باب الإسراء برسول الله ﷺ) رقم /١٦٢/ .

(٢) أبو أحمد : هو محمد بن عيسى بن عبد الرحمن بن عمرو الجُلُودي ، المتوفى سنة ٣٢٨ هـ ، منسوب إلى سكة الجلود بنيسابور . نور النبراس لوحة ٢٣٩/١ .

(٣) الماسَرْجَسِي : أحمد بن محمد بن الحسين بن عيسى ، سبط الحسن بن عيسى بن ماسَرْجِس النَّيسَابوري ، الإمام المحدِّث الثقة . توفي سنة ٣١٣ هـ . سير أعلام النبلاء ٤٠٥/١٤ .

(٤) رواه البخاري في كتاب الصلاة (باب كيف فُرضت الصلوات في الإسراء) رقم /٣٤٩/ ، وفي كتاب الحج (باب ما جاء في زمزم) رقم /١٦٣٦/ وفي كتاب الأنبياء (باب ذكر إدريس عليه السلام) رقم /٣٣٤٢/ .

(٥) ابن حزم : هو أبو بكر محمد بن حزم بن عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان ... قاضي المدينة زمان الوليد ، وأميرها زمان ابن عمِّه عمر بن عبد العزيز ..

(٦) رواه مسلم في كتاب الإيمان (باب الإسراء برسول الله ﷺ ...) رقم /١٦٣/ ، و« جنابذ » : هي القباب ، واحدتها جُنْبُذَة .

وفي حديث مالك بن صعصعة : « فلما جاوزتُه ـ يعني موسى ـ بكى ، فنُودي ما يبكيك ؟ قال : ربِّ هذا غلام بعثته بعدي يدخلُ الجنة من أمته أكثر مما يدخل من أمتي » . وفيه : « ثم رُفع لي البيتُ المعمورُ . فقلت : يا جبريل ! ما هذا ؟ قال هذا البيتُ المعمور يدخلهُ كلَّ يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يَعودوا إليه آخرُ مَا عليهم »[1] .

وفي حديث أبي هريرة : « وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء ، فحانت الصلاة فأممْتُهم ، فقال قائل : يا محمد : هذا مالك خازن النار فسلِّم عليه ، فالتفتُّ ، فبدأني بالسَّلام »[2] .

وكلُّها في الصحيح ، وحديث ثابت عن أنس أحسنُها مساقاً .

وروينا من طريق الترمذي ، حدثنا يعقوبُ بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا أبو تميلة[3] ، عن الزبير بن جُنادة ، عن ابن بُرَيْدة ، عن أبيه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لما انتهينا إلى بيت المقدس ، قال جبريل بأصبعه فخرقَ بها الحجرَ وشدَّ به البراق »[4] .

وذكر ابن إسحاق في حديث أبي سعيد الخدري ، عن النبي ﷺ رؤيته آدم في سماء الدنيا تُعرض عليه أرواح بنيه فيُسَرُّ بمؤمنيها ، ويعبس بوجهه عند رؤية كافريها ، ثم قال : رأيتُ رجالاً لهم مشافر كمشافر الإبل ، في أيديهم قطع من نار كالأفهار[5] ، يقذفونها في أفواههم فتخرج من أدبارهم . قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلماً . قال : ثم رأيت رجالاً لهم بطون لم أر مثلها قط ، بسبيل آل فرعون ، يمرون عليهم كالإبل المهيومة[6] ، حين يُعرضون على النار يطؤونهم ، لا يقدرون على أن يتحولوا من

---

(١) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق (باب ذكر الملائكة) رقم /٣٢٠٧/ ، ومسلم في كتاب الإيمان (باب الإسراء برسول الله ﷺ) رقم /١٦٤/ ، والترمذي في كتاب التفسير (باب ومن سورة ألم نشرح) رقم /٣٣٤٣/ والنسائي في كتاب الصلاة (باب فرض الصلاة) ٢١٧/١ ـ ٢١٨ .

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان (باب الإسراء برسول الله ﷺ) رقم /١٦٨/ ، وهو عند أحمد في المسند ٥٢٨/٢ .

(٣) أبو تُمَيْلَة : يحيى بن واضح ، روى له الجماعة ، وهو حافظ مروزي ، مولى الأنصار ، ثقة .

(٤) رواه الترمذي في كتاب التفسير (باب ومن سورة بني إسرائيل) رقم /٣١٣١/ ، وقال الترمذي : هذا حديث غريب .

(٥) « كالأفهار » : جمع فهر ، وهو الحجرُ ملء الكف .

(٦) « المهيومة » : الإبل المُصَابة بالهُيام ، وهو داء يكسبها العطش ، فتمصُّ الماء مصاً ولا تَروى .

مكانهم ذلك . قال : قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة الربا . قال : ثم رأيتُ رجالاً بين أيديهم لحم سمين طيب إلى جنبه لحم غث مُنتَن يأكلون من الغثّ المنتن ، ويتركون السمين الطيب . قال : قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يتركون ما أحلَّ الله لهم من النساء ويذهبون إلى ما حرَّم الله عليهم منهن . قال : ثم رأيتُ نساءً معلقاتٍ بثُدِيِّهن . فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء اللاتي أدخلن على الرجال ما ليس من أولادهم[1] .

وقد اختلف العلماء في المعراج والإسراء هل كانا في ليلة واحدة أو لا ؟ وأيُّهما كان قبل الآخر ؟ وهل كان ذلك كله في اليقظة أو في المنام . أو بعضه في اليقظة وبعضه في المنام ؟ وهل كان المعراج مرةً أو مراتٍ ؟ واختلفوا في تاريخ ذلك .

والذي روينا عن ابن سعد في المعراج ، عن محمد بن عمر ، عن أبي بكر بن عبد الله ابن أبي سبرة وغيره من رجاله ، قالوا : كان عليه الصلاة والسلام يسأل ربَّه أن يريَه الجنَّة والنَّارَ ، فلما كانت ليلة السبت لسبع عشرة خلت من شهر رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً ، ورسول الله ﷺ نائم في بيته ظهراً ، أتاه جبريلُ وميكائيلُ ، فقالا : انطلق إلى ما سألتَ الله . فانطلقا به إلى ما بين المقام وزمزم ، فأُتي بالمعراج فإذا هو أحسن شيء منظراً ، فعرجا به إلى السموات سماءً سماءً .. الحديث[2] .

وذكر السهيلي رحمه الله خلافَ السلف في الإسراء : هل كان يقظة أو مناماً ؟ وحكى القولين وما يُحتج به لكل قول منهما ، ثم قال : وذهبتْ طائفةٌ ثالثةٌ منهم شيخنا أبو بكر ابن العربي إلى تصديق المقالتين وتصحيح المذهبين ، وأن الإسراء كان مرتين إحداهما في نومه توطئةً له وتيسيراً عليه ؛ كما كان بدء نبوته الرؤيا الصالحة ليسهلَ عليه أمر النبوة فإنه عظيم تضعف عنه القوى البشرية ، وكذلك الإسراء سهَّله عليه بالرؤيا ؛ لأن هولَه عظيم فجاء في اليقظة على توطئة وتقدمة رفقاً من الله بعبده وتسهيلاً عليه[3] . ورجَّح هذا القولَ أيضاً للجمع بين الأحاديث الواردة في ذلك ، فإن في ألفاظها اختلافاً ، وتعدد الواقعة أقرب

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/٤٠٥ — ٤٠٦ .

(٢) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ١/٢١٣ .

(٣) الروض الأنف ٢/١٤٨ .

لوقوع جميعها . وحكى قولاً رابعاً ، قال : كان الإسراء بجسده إلى بيت المقدس في اليقظة ثم أسري بروحه عليه السلام إلى فوق سبع سماوات ، ولذلك شنّع الكفّار قولَه : أتيتُ بيت المقدس في ليلتي هذه . ولم يُشنّعوا قولَه فيما سوى ذلك[1] .

قال : وقد تكلَّم العلماءُ في رؤية النبي ﷺ لربِّه ليلة الإسراء ، فروي عن مسروق عن عائشة أنها أنكرت أن يكون رآه ، قالت : ومن زعمَ أن محمداً رأى ربَّه فقد أعظمَ الفِرْية على الله ، واحتجَّت بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ لا تدركُـه الأبصارُ وهـو يُـدرك الأبصارَ ﴾[2] [الأنعام : ١٠٣] .

وروينا من طريق الترمذي ، حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ، عن مجالد ، عن الشعبي ، قال : لقي ابنُ عباس كعباً بعرفة ، فسأله عن شيء ، فكبَّر حتى جاوبته الجبالُ . فقال ابن عباس : إنا بنو هاشم نقولُ إن محمداً رأى ربَّه . فقال كعب : إن الله قسَم رؤيتَه وكلامَه بين محمد وموسى ، فكلَّم موسى مرتين[3] ورآهُ محمد مرتين[4] .

وروينا من طريق مسلم عن أبي ذر ، قلت : يا رسول الله ، هل رأيتَ ربَّك ؟ قال : « رأيتُ نوراً »[5] . وفي حديث آخر عند مسلم قال : « نورٌ أنَّى أراه »[6] .

وفي تفسير النقَّاش عن ابن عباس : أنه سُئل هل رأى محمد ربَّه ؟ فقال : رآه رآه . حتى انقطع صوته .

وفي تفسير عبد الرزاق عن مَعْمَر عن الزهري وذكر إنكار عائشة أنه رآه ، فقال

(١) الروض الأنف ١٤٨/٢ .

(٢) رواه البخاري في كتاب التفسير – تفسير سورة المائدة (باب يا أيها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربك) ، ومسلم في كتاب الإيمان (باب معنى قول الله عز وجل : ولقد رآهُ نزلةً أخرى) رقم /١٧٧/ ، والترمذي في كتاب التفسير (باب ومن سورة الأنعام) رقم /٣٠٧٠/ .

(٣) كذا في « أ » وفي « جـ » و« د » : رؤيتين .

(٤) قال سبط ابن العجمي : لم أرَ أنا ذلك في أطراف المزي ، فإن كان ذلك في جامع الترمذي ، فلعله سقط من نسختي ، وإن كان ذكره الترمذي في غير جامعه فلا أدري أين هو ، والله أعلم ، وفي روض السهيلي ما لفظه : وفي مصنف الترمذي عن ابن عباس وكعب أنه رآه .. وكأنه أخذه من السهيلي .

(٥) و (٦) رواهما مسلم في كتاب الإيمان (باب قوله عليه السلام : نورٌ أنَّى أراه) رقم /١٧٨/ .

الزهري : ليست عائشةُ أعلمَ عندنا من ابن عباس[1] .

وفي تفسير ابن سَلَّام[2] عن عروة ، أنه كان إذا ذُكر إنكار عائشة يشتدُّ ذلك عليه[1] .

وقول أبي هريرة في هذه المسألة كقول ابن عباس أنه رآه[1] .

قال أبو القاسم : والمتحصل من هذه الأقوال أنه رآه لا على أكمل ما تكون الرؤية ، على نحو ما يراه في حظيرة القدس عند الكرامة العظمى والنعيم الأكبر ، ولكن دون ذلك ، وإلى هذا يُومىء قوله : رأيت نوراً[1] .

قلت : وقوله تعالى ﴿ لا تُدركُه الأبصارُ ﴾ لا يُعارض هذا لأنه لا يلزم من الرؤية الإدراك .

وأما فرضُ الصلواتِ الخمسِ فكان ليلة المِعراج ، وقد ذكرنا عن الواقدي من طريق ابن سعد : أنه كان ليلة السبت لسبع عشرة خلت من رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً من مكة إلى السماء[3] . ومن يرى أن المعراجَ من بيت المقدس وأنه هو والإسراء في تاريخ واحد ، فقد ذكرنا في الإسراء أنه ليلة سبع عشرة من ربيع الأول قبل الهجرة بسنة ، وبعد المبعث بتسعٍ ، أو اثنتي عشرة على حسب اختلافهم في ذلك ، وهذا هو المشهور .

قال أبو عمر : وقد روى الوقَّاصي[4] عن الزهري ؛ أن الإسراء وفرض الصلاة كان بعد المبعث بخمس سنين . وأبعدُ من ذلك ما حكاه أبو عمر أيضاً ، قال : وقال أبو بكر محمد بن علي بن القاسم في تاريخه : ثم أُسري بالنبيِّ ﷺ من مكة إلى بيت المقدس ، وعُرج به إلى السماء بعد مبعثه بثمانية عشر شهراً . قال : ولا أعلم أحداً من أهل السير قال ذلك ، ولا أسندَ قولَه إلى أحد ممن يُضاف إليه هذا العلم .

---

(1) الروض الأنف ١٥٦/٢ .

(2) ابن سَلَّام : هو يحيى بن سَلَّام البصري ، نزيل مصر ، شيخ صدوق ، ذكره ابن حبان في الثقات . نور النبراس لوحة ٢٤٣/١ .

(3) انظر ص ٢٤٩ هامش رقم (٢) .

(4) الوقَّاصي : بفتح الواو وتشديد القاف ، هو عثمان بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن أبي وقَّاص الزهري المدني ، ضعفه الجماعة ، وقال البخاري : تركوه . نور النبراس لوحة ٢٤٤/١ .

وفي صبيحة ليلة المِعراج كان نزول جبريل وإمامته بالنبي ﷺ ليُريَه أوقاتَ الصلوات الخمس ؛ كما هو مرويٌّ من حديث ابن عباس وأبي هريرة وبُريدة وأبي موسى وأبي مسعود وأبي سعيد وجابر وعمرو بن حزم والبراء وغيرهم[1] . وكان ذلك عند البيت وأَمَّ به مرتين ، مرة أول الوقت ومرة آخره ليعلمه بذلك كله .

وأما عدد ركعاتِها حين فُرضت ، فمن الناس من ذهبَ إلى أنها فُرضت أول ما فرضت ركعتين ركعتين ، ثم زيد في صلاة الحضر فأُكملت أربعاً وأقرت صلاة السفر على ركعتين ، روي ذلك عن عائشة والشعبي وميمون بن مَهران ومحمد بن إسحاق وغيرهم .

ومنهم من ذهب إلى أنها فرضت أول ما فرضت أربعاً إلا المغرب ففرضت ثلاثاً والصبح ركعتين . كذلك قال الحسن البصري ونافع بن جبير بن مطعم وابن جُريج .

ومنهم من ذهب إلى أنها فُرضت في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين ويُروى ذلك عن ابن عباس .

وقال أبو إسحاق الحربي : أوّل ما فُرضت الصلاة بمكة فُرضت ركعتين أول النهار وركعتين آخره ، وذكر في ذلك حديث عائشة : فرضَ رسولُ الله ﷺ الصلاةَ ركعتين ركعتين ، ثم زاد فيها في الحضر[2] . هكذا حدَّث به الحربي ، عن أحمد بن الحجاج ، عن ابن المبارك ، عن ابن عجلان ، عن صالح بن كيسان ، عن عروة ، عن عائشة . حكى ذلك أبو عمر . قال : وليس في حديث عائشة دليل على صحة ما ذهب إليه الحربي ، ولا يُوجد هذا في أثر صحيح ، بل فيه دليل على أن الصلاة التي فُرضت ركعتين ركعتين هي الصلوات الخمس ، لأن الإشارة بالألف واللام في الصلاة إشارة إلى معهود .

وروينا عن الطبراني ، حدثنا الحسن بن علي بن الأشعث المصري ، حدثنا محمد بن يحيى بن سلام الإفريقي ، حدثني أبي ، حدثني عثمان بن مقسم ، عن يحيى بن سعيد

---

(١) انظر جامع الأصول ؛ لابن الأثير ٢٠٦/٥ ــ ٢١٥ . والسيرة الشامية ٢٤٣/٣ .

(٢) حديث عائشة رضي الله عنها رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين (باب صلاة المسافرين وقصرها) رقم /٦٨٥/ ، وهو في البخاري .

الأنصاري ، عن سعيد بن يسار ، عن عمر بن عبد العزيز ، حدثني عروة بن الزبير ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : فُرضت الصلاة ركعتين ، فزيد في صلاة المقيم ، وأُثبتت صلاةُ المسافر كما هي[1] .

وقد روينا عن السائب بن يزيد مثل ذلك ؛ روينا عن أبي العباس بن السرَّاج ، حدثنا قتيبة ، حدثنا عبد العزيز ، عن سعيد بن سعيد ، عن السائب بن يزيد ، أنه قال : فرضت الصلاة ركعتين ، ثم زيد في صلاة المقيم وأقرت صلاة المسافر[2] .

قال أبو عمر : قول الشعبي في هذا ، أصلُه من حديث عائشة ، ويمكن أن يكون قد أخذه عن مسروق أو الأسود عنها ، فأكثر ما عنده عن عائشة فهو عنهما .

قلت : قد وقع لنا ذلك من حديثه عن مسروق كما ظن أبو عمر . روينا من طريق السرَّاج ، حدثنا أحمد بن سعيد الرباطي ، حدثنا محبوب بن الحسن ، حدثنا داود عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة ، قالت : فُرضت صلاةُ الحضر والسفر ركعتين ركعتين ، فلما أقام رسولُ الله ﷺ بالمدينة زيد في صلاة الحضر ركعتان ركعتان . وتُركت صلاةُ الفجر لطول القراءة ، وصلاة المغرب لأنها وتر النهار[3] .

وأما ابن إسحاق فخبر عائشة عنده عن صالح بن كيسان ، عن عروة ، عنها . فيمكن أن يكون أخذَه من هناك[4] .

وأماميمون بن مهران فروي ذلك عنه من طريق سالم مولى أبي المهاجر ، وسالمٌ غيرُ سالمٍ من الجرح ، ومن قال بهذا من أهل السير قال : إن الصلاة أُتمت بالمدينة بعد الهجرة بشهر وعشرة أيام ، وقيل بشهر .

---

(١) رواه النسائي في الصلاة (باب كيف فُرضت الصلاة) ٢٢٥/١ بنحوه عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، وهو في الصحيحين .
(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٥٨/٢ وقال : رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح .
(٣) رواه ابن خزيمة وابن حبان والبيهقي من طريق الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة رضي الله عنها . انظر السيرة الشامية ٢٤٦/٣ .
(٤) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢٤٣/١ .

وأما من قال : فُرضت أربعاً ثم خفف عن المسافر ، فأخبرنا الإمام الزاهد أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن أحمد الواسطي قراءةً عليه وأنا أسمع بسفح قاسيون ، أخبركم الشيخان أبو البركات داود بن أحمد بن محمد بن ملاعب قراءة عليه وأنت تسمع بدمشق ، وأبو علي الحسن بن إسحاق بن موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي سماعاً عليه ببغداد . قال الأول : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن سلامة بن الرُّطبي قراءةً عليه وأنا أسمع . وقال الثاني : أخبرنا أبو بكر محمد بن عبيد الله بن الزاغوني ، قالا : أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن البُسْري ، أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص ، حدثنا يحيى — يعني ابن محمد بن صاعد — حدثنا لُوَيْن بن محمد بن سليمان ، حدثنا حمّاد بن زيد ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن رجل من بني عامر ، قال : والرجل حيٌّ فاسمعوه منه ، يُقال له أنس بن مالك ، قال ابن صاعد : هو القُشيريّ : أن النبيَّ ﷺ بعثَ خيلاً فغارت على إبل جار لي ، فانطلق في ذلك أبي وعمي أو قرابة[1] لي قريبة . قال : فقدمت إلى رسول الله ﷺ وهو يَطعم فقال : هلم إلى الغداء . قال : إني صائم . قال ﷺ : هلم أحدثك عن ذلك ، إن الله وضع عن المسافر شطرَ الصلاةِ والصيامَ وعن الحبلى والمرضع[2] .. الحديث . خالف أيوب يحيى بن أبي كثير ، فرواه عن أبي قِلابة ، عن جعفر بن عمرو ابن أمية الضَّمْري ، عن أبيه ، عن النبي ﷺ .

وقد رويناه من طريق السَّراج ، حدثنا داود بن رشيد ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن الأوزاعي ، عنه .

ومع صحة الإسنادين فتصويب الأول أولى من جعلهما حديثين عند أبي قلابة ، لاشتهار هذا الخبر من طريق أنس القشيري ، وبعُد تعدد هذه الواقعة والله أعلم .

---

(١) كذا في جميع النسخ ، وفي نور النبراس « وقرابة » بالواو فقط ، ولعله هو الصواب .

(٢) رواه الترمذي في كتاب الصوم (باب الرخصة في الإفطار للحبلى والمرضع) رقم /٧١٥/ ، وأبو داود في كتاب الصوم (باب اختيار الفطر) رقم /٢٤٠٨/ ، والنسائي في كتاب الصوم (باب وضع الصيام عن المسافر) ٤/١٨٠ — ١٨٢ وابن ماجه في كتاب الصيام (باب ما جاء في الإفطار للحامل والمرضع) رقم /١٦٦٧/ . قال الترمذي : حديث أنس بن مالك الكعبي حديث حسن ، ولا نعرف لأنس بن مالك هذا عن النبي ﷺ غير هذا الحديث الواحد .

قالوا : ووضع ، لا يكون إلا من فرض ثابت ، وبما روينا من طريق أبي العباس الثقفي ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، أخبرنا عبد الله بن إدريس ، حدثنا ابن جريج ، عن ابن أبي عمار ، عن عبد الله بن بَابَيْه ، عن يَعلى بن أمية ، قال : قلت لعمرَ بن الخطاب : ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم ؟ فقد أَمِنَ النَّاسُ . فقال عمر : عَجبتُ مما عجبتَ منه ، فسألت رسولَ الله ﷺ عن ذلك . فقال : « صدقةٌ تصدَّقَ الله بها عليكم فاقبلوا صدقته »[1] . رواه مسلم عن إسحاق بن إبراهيم ، فوقع لنا موافقة عالية له .

قالوا : و لم يقصرْ رسولُ الله ﷺ آمناً إلا بعد نزول آية القصر في صلاة الخوف ، وكان نزولها بالمدينة ، وفرض الصلاة بمكة . فظاهر هذا يقتضي أن القصر طارىء على الإتمام .

وأما قولُ ابن عباس إنها فرضت في الحضر أربعاً ، وفي السفر ركعتين ، وفي الخوف ركعة ، فقرأتُ على أبي العباس أحمد بن هبة الله بن عساكر بجامع دمشق ، أخبرتكم زينبُ بنت عبد الرحمن الشَّعْري إجازة ، قالت : أخبرنا الشيخان أبو محمد إسماعيل بن القاسم ابن أبي بكر القارىء سماعاً ، وأبو عبد الله الفَراوي إجازةً ، قالا : أخبرنا عبد الغافر الفارسي ، أخبرنا بشر بن أحمد الإسفراييني ، أخبرنا أبو سليمان داود بن الحسين البيهقي ، حدثنا يحيى بن يحيى ، حدثنا أبو عوانة ، عن بُكير بن الأخنس ، عن مُجاهد ، عن ابن عباس ، قال : فرضَ الله عز وجل الصلاة على لسان نبيكم في الحضر أربعاً ، وفي السفر ركعتين ، وفي الخوف ركعة[2] . رواه مسلم عن يحيى فوافقناه بعلو .

وقرأت على الشيخة الأصيلة مؤنسة خاتون بنت الملك العادل سيف الدين أبي بكر ابن أيوب إجازة ، أخبرتْكِ أم هانىء عفيفة بنت أحمد بن عبد الله الفَارْقانية إجازة ، أخبرنا أبو طاهر عبد الواحد بن محمد الصباغ ، أخبرنا أبو نُعيم الحافظ ، أخبرنا ابن الصواف ، أخبرنا بشر بن موسى ، حدثنا محمد بن سعيد – يعني ابن الأصبهاني – ، حدثنا شَريك

---

(١) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين (باب صلاة المسافرين وقصرها) رقم /٦٨٦/ .

(٢) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين (باب صلاة المسافرين وقصرها) رقم /٦٨٧/ ، وأبو داود في كتاب الصلاة (باب من قال يُصلي بكل طائفة ..) رقم /١٢٤٧/ ، والنسائي في التقصير (باب تقصير الصلاة في السفر) ١١٨/٣ و١١٩ .

وأبو وكيع ، عن زُبيد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن عمر ، قال : صلاة السفر ركعتان ، وصلاة الجمعة ركعتان ، وصلاة العيد ركعتان ، تمامٌ غير قصر على لسان رسول الله ﷺ[1] . وقال أبو وكيع : على لسان نبيّكم ﷺ .

وروينا عن الطبراني ، حدثنا محمد بن سهل الرباطي ، حدثنا سهل بن عثمان ، حدثنا شريك ، عن قيس بن وهب ، عن أبي الكَنُود ، سألتُ ابنَ عمر عن صلاة السفر ، فقال : ركعتان نزلت من السماء فإن شئتم فردوها[2] .

وأما قول الحربي فبعيد ، غير أنه قد قيل : إن الصلاة قبل فرضها كانت كذلك وسيأتي .

قال أبو عمر : وقد أجمعَ المسلمون أن فرضَ الصلاة في الحضر أربعاً إلا المغرب والصبح ، لا يعرفون غير ذلك عملاً ونقلاً مستفيضاً ، ولا يضرهم الاختلاف فيما كان أصل فرضها إذ لا خلاف بينهم فيما آل إليه أمرها واستقر عليه حالها .

وأما الصلاة طرفي النهار : فروينا عن ابن الصواف بالسند المذكور آنفاً ، حدثنا أبو علي بشر بن موسى ، حدثنا إبراهيم بن إسحاق الضبي ، حدثنا محمد بن أبان ، عن أبي إسحاق ، عن عمارة بن رُويبة الثقفي ، قال : سمع أذناي ووعى قلبي من رسول الله ﷺ يقول : « من صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وجبت له الجنة »[3] ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وسبِّح بحمدِ ربِّك بالعشيِّ والإبكار ﴾ [غافر : ٥٥] .

* * *

---

(١) رواه النسائي في الجمعة (باب عدد صلاة الجمعة) وفي تقصير الصلاة ، وفي العيدين (باب عدد صلاة العيدين) ٣/١١٣ و١١٨ و١٨٣ ، ورواه ابن ماجه في إقامة الصلاة (باب تقصير الصلاة في السفر) رقم /١٠٦٣/ . قال النسائي : ابن أبي ليلى لم يسمعه عن عمر ، ورواه ابن ماجه عن ابن أبي ليلى ، عن كعب بن عجرة ، عن عمر .

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/١٥٤ ، وقال : رواه الطبراني في الصغير ورجاله موثقون .

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١/٣١٨ وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله موثقون .

ذكرُ عرضِ رسولِ الله ﷺ نفسَه
على قبائل العرب

أخبرنا محمد بن إبراهيم المقدسي الإمام قراءةً عليه وأنا حاضر في الرابعة ، وعبدُ الرحيم ابن يوسف المِزي قراءة عليه وأنا أسمع بالجامع الأزهر ، قال الأول : أخبرنا أبو اليمن زيد ابن الحسن الكِندي قراءة عليه وأنا أسمع . وقال الثاني : أخبرني أبو حفص عمر بن محمد ابن طبرزذ سماعاً عليه في الخامسة ، قالا : أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد الأنصاري ، أخبرنا أبو الحسن علي بن إبراهيم بن عيسى الباقلاني ، أخبرنا أبو بكر محمد ابن إسماعيل الورَّاق ، حدثنا أبو أحمد إسماعيل بن موسى بن إبراهيم الحاسب ، حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة ، حدثنا محمد بن عبد الله الأسدي ، حدثنا إسرائيل يعني ابن يونس ، عن عثمان بن أبي المغيرة الثقفي ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن جابر بن عبد الله ، قال : كان النبيُّ ﷺ يعرضُ نفسَه على الناس في الموقف ويقول : « ألا رجلٌ يعرض عليَّ قومه ، فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي »[1] .

وأخبرنا عبد الرحيم بن يوسف الموصلي بقراءة والدي عليه وغازي بن أبي الفضل بن عبد الوهاب الدمشقي بقراءتي عليه ، قالا : أخبرنا ابن طبرزذ ، أخبرنا ابن الحصين . أخبرنا ابن غيلان ، أخبرنا محمد بن عبد الله الشافعي ، حدثنا إسحاق بن الحسن بن ميمون الحربي ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، حدثنا سعيد بن سلمة بن أبي الحسام ، حدثنا محمد بن المُكندر أنه سمعَ ربيعةَ بن عِبَاد ـ أو عبَّاد ـ الدُّؤلي يقول : رأيتُ رسولَ الله ﷺ يطوفُ على الناس في منازلهم[2] قبل أن يُهاجر إلى المدينة يقول : « يا أيها الناس إن الله يأمركم أن تعبدوه ولا تُشركوا به شيئاً » . قال : ووراءه رجلٌ يقول : يا أيها الناس إن هذا يأمركم أن تتركوا دينَ آبائكم . فسألتُ من هذا الرجل ؟ فقيل : أبو لهب[3] .

---

(١) رواه أبو داود في كتاب السنة (باب في القرآن) رقم /٤٧٣٤/ ، وأخرجه ابن ماجه في المقدمة رقم /٢٠١/ وهو عند أحمد في المسند ٣/٣٢٢ و٣٣٩ و٣٩٠ . وقال الذهبي في « السيرة النبوية » من تاريخ الإسلام ص ٢٨٢ : أخرجه أبو داود وهو على شرط البخاري .

(٢) « في منازلهم » : يعني مكان نزولهم في منى .

(٣) تقدم الحديث وتخريجه في باب دعاء رسول الله ﷺ قومه وغيرهم إلى الإسلام ص ١٩٠ .

وذكر ابنُ إسحاق عرضَه عليه السلام نفسَه على كِندة ، وعلى كَلْب ، وعلى بني حنيفة . قال : ولم يكُ أحدٌ من العرب أقبحَ ردّاً عليه منهم . وعلى بني عامر بن صعصعة[1] .

وذكر الواقديُّ دعاءَه عليه السلام بني عبس إلى الإسلام ، وأنه أتى غسَّان في منازلهم . وبني مُحارب كذلك[2] .

وذكر قاسم بن ثابت فيما رأيته عنه من حديث عبد الله بن عباس عن علي بن أبي طالب في خروجهما هو وأبو بكر مع رسول الله ﷺ لذلك ، قال علي : وكان أبو بكر في كل خير مقدّماً . فقال : ممن القوم ؟ فقالوا : من شيبان بن ثعلبة . فالتفتَ أبو بكر إلى رسول الله ﷺ فقال : بأبي أنت وأمي هؤلاء غُرَرٌ[3] في قومهم ، وفيهم مفروق بن عمرو ، وهانيء بن قبيصة ، ومُثَنَّى بن حارثة ، والنعمان بن شريك . وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم جمالاً ولساناً ، وكانت له غديرتان ، وكان أدنى القوم مجلساً من أبي بكر رضي الله عنه . فقال له أبو بكر رضي الله عنه : كيف العدد فيكم ؟ فقال له مفروق : إنا لنزيد على الألف ، ولن تُغلب الألفُ من قلة . فقال أبو بكر : كيف المَنَعة فيكم ؟ فقال مفروق : علينا الجَهد ولكل قوم جَد . فقال أبو بكر : فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم ؟ فقال مفروق : إنا لأشد ما نكون غضباً حين نلقى وإنا لأشد ما نكون لقاء حين نغضب ، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد والسلاح على اللقاح ، والنصرُ من عند الله ، يُديلنا[4] مرة ، ويديل علينا أخرى ، لعلك أخو قريش ؟ فقال أبو بكر : أو قد بلغكم أنه رسول الله ؟ فها هو ذا . فقال مفروق : قد بلغنا أنه يذكر ذلك ، فإلامَ تدعو يا أخا قريش ؟ فتقدم رسول الله ﷺ ، فقال : أدعو إلى شهادة أن لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له ، وأني رسول الله ، وإلى أن تؤوني وتنصروني ، فإن قريشاً قد تظاهرت على أمر الله وكذَّبت رسلَه ، واستغنت بالباطل عن الحق ، والله هو الغني الحميد . فقال مفروق إلامَ تدعو أيضاً

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٢٤/١ .
(٢) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢١٦/١ — ٢١٧ .
(٣) « غُرَرٌ » : جمع غرة ، وهو السيد ، يقال : فلان غرة قومه : أي سيدهم .
(٤) « يُديلنا مرة » : ينصرنا على أعدائنا ، من الإدالة : وهي الغلبة والنصر .

يا أخا قريش ؟ فقال : رسولُ الله ﷺ : ﴿ قل تعالَوْا أتلُ ما حرَّم ربُّكم عليكم ألَّا تُشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ، ولا تقتلوا أولادَكم من إملاقٍ نحنُ نرزقُكم وإيَّاهم ولا تقربُوا الفواحشَ ما ظهرَ منها وما بطنَ ، ولا تقتلُوا النفسَ التي حرَّم الله إلا بالحقِّ ذلكم وَصَّاكم به لعلَّكم تعقلون ﴾ [الأنعام : ١٥٠] فقال مفروق : وإلامَ تدعو أيضاً يا أخا قريش ؟ فتلا رسول الله ﷺ : ﴿ إنَّ الله يأمُرُ بالعدل والإحسانِ وإيتاءِ ذي القُرْبى وينهَى عن الفحشاءِ والمنكر والبغي يعظكُم لعلَّكُم تَذَكَّرون ﴾ [النحل : ٩٠] فقال مفروق : دعوتَ والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ، ومحاسن الأعمال ، ولقد أفكَ[1] قومٌ كذبوك ، وظاهروا عليك . وكأنه أراد أن يَشْرَكَه في الكلام هانئُ بن قَبيصة ، فقال : وهذا هانىء بن قَبيصة شيخُنا وصاحب ديننا . فقال هانئُ : قد سمعنا مقالتَك يا أخا قريش ، وإني أرى أن تركنا ديننا واتباعنا إياك على دينك لمجلس جلسته إلينا ليس له أوّل ولا آخِر : زَلَّةٌ في الرأي وقِلّة نظر في العاقبة ، وإنما تكون الزَّلة مع العجلة ، ومن ورائنا قومٌ نكره أن نعقد عليهم عَقْداً ، ولكن نرجعُ وترجعُ ، وننظرُ وتنظرُ . وكأنه أحبَّ أن يَشرُكه في الكلام المثنى بن حارثة . فقال : وهذا المثنى بن حارثة شيخنا ، وصاحبُ حربنا . فقال المثنى : قد سمعتُ مقالتَك يا أخا قريش ، والجوابُ هو جوابُ هانيء بن قبيصة : في تركنا ديننا ، واتباعنا دينَك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر ، وإنا إنما نزلنا بين صَرَيَيّ[2] اليمامة والسمامة . فقال رسول الله ﷺ ما هذان الصَّرَيَيْن ؟ فقال أنهار كسرى ومياه العرب . فأما ما كان من أنهار كسرى فذنبُ صاحبه غيرُ مغفور وعذره غير مقبول ، وأما ما كان من مياه العرب فذنب صاحبه مغفور وعذره مقبول ، وإنا إنما نزلنا على عهدٍ أخذه علينا كسرى أن لا نُحدث حَدَثاً ولا نُؤوي مُحدْثاً ، وإني

(١) « أَفَكَ » : يأفِكُ أَفْكاً : انقلب وانصرف .

(٢) « صَرَيَيّ اليمامة والسمامة » : الصَّرَيَي : تثنية صرىً ، وهو الماء المجتمع . ويروى « الصيرين » : تثنية صِيْر ، وهو الماء الذي يحضره الناس ، وقد صار القوم يصيرون إذا حضروا الماء . ويروى بين « صيرتين » : تثنية صيرة ، على وزن فِعْلة ، مؤنث صِيْر .

أرى أن هذا الأمر الذي تدعونا إليه أنت ، هو مما تكرهه الملوك ، فإن أحببتَ أن نؤويَك وننصرَك ، مما يلي مياه العرب فعلنا . فقال رسول الله ﷺ : ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق ، وإن دينَ الله لن ينصره إلا من حاطه[1] من جميع جوانبه . أرأيتم إن لم تلبثوا[2] إلا قليلاً حتى يُورثَكم الله أرضهم وديارَهم وأموالَهم ويُفْرشَكم نساءَهم ؟ أتسبحون الله وتقدسونه ؟ فقال النعمانُ بن شريك : اللهم لك ذا . فتلا رسولُ الله ﷺ ﴿ يا أيها النبيُّ إنَّا أرسلنَاكَ شاهداً ومُبَشِّراً ونذيراً . ودَاعياً إلى الله بإذنِهِ وسِراجاً مُنيراً ﴾ [الأحزاب : ٤٥ ـ ٤٦] ثم نهضَ رسول الله ﷺ فأخذَ بيدي فقال : يا أبا بكر يا أبا حسن أية أخلاق في الجاهلية ؟! ما أشرفَها ! بها يدفَع الله بأْسَ بعضهم عن بعض ، وبها يتحاجزون فيما بينهم .

قال : ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج ، فما نهضنا حتى بايعوا النبيَّ ﷺ ، وكانوا صُدُقاً صُبُراً[3] .

ولم يزلْ رسولُ الله ﷺ في ذلك كله يدعو إلى دين الله ، ويأمر به كلَّ من لَقِيَه ورآه من العرب ، إلى أن قدم سُويد بن الصامت[4] ، أخو بني عمرو بن عوف من الأوس ، فدعاه رسولُ الله ﷺ إلى الإسلام فلم يُبعد ولم يُجبْ ، ثم انصرفَ إلى يثرب فقُتل في بعض حروبهم[5] .

(١) « حَاطَه » : كلأه ورعاه .
(٢) في « ب » : يلبثوا .
(٣) الروض الأنف ١٨٢/٢ .
(٤) سُويد بن الصامت : كان من حنفاء الأوس وشعرائهم ، قُتل في حرب بُعاث . وقد أشار الذهبي في « تجريده » إلى أنه لم يقع منه إسلام بل قارب ، والمقاربة ليست إسلاماً ، وقال ابن عبد البر في « الاستيعاب » : أنا شاكٌّ في إسلام سُويد بن الصامت كما شكَّ فيه غيري ممن ألف في هذا الشأن قبلي ، والله أعلم . نور النبراس لوحة ٢٥١/١ .
(٥) نقل المؤلف رحمه الله تعالى هذه الفقرة من الدرر في المغازي والسير ، لابن عبد البر ص ٦٦ .

قال ابن إسحاق : فإن كان رجالٌ من قومه ليقولون إنا نراه قد قُتل وهو مسلم[1] .

وقدم مكة أبو الحَيْسر أنس بن رافع في فتيةٍ من قومه بني عبد الأشهل ، يطلبون الحِلْفَ ، فدعاهم رسولُ الله ﷺ إلى الإسلام . فقال رجل منهم اسمه إياس بن مُعاذ ، وكان شاباً : يا قومُ ، هذا والله خيرٌ مما قدمنا له . فضربَه أبو الحَيْسر وانتهَرَه فسكت . ثم لم يتم لهم الحلفُ فانصرفوا إلى بلادهم ، ومات إياس بن معاذ . فقيل : إنه مات مسلماً[2] .

* * *

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٤٢٧ .

(٢) الدرر في المغازي والسير ص ٦٦ .

بدء إسلام الأنصار وذكر العقبة(١) الأولى

والأنصار : بنو الأوس والخزرج ، ابني حارثة بن ثعلبة العَنْقاء بن عمرو مُزَيْقِياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغِطْريف بن امرىء القيس البْطِريق بن ثَعلبة البُهلول بن مازن ابن الأزد دِرَاء بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ عامر بن يشجُب ابن يعرُب بن يقطُن قحطان .

قال ابن إسحاق : فلما أراد الله إظهارَ دينه وإعزازَ نبيّه وإنجاز موعده له ، خرجَ رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقي فيه النفر من الأنصار ، فعرض نفسَه على قبائل العرب كما كان يصنَعُ في كل موسم ، فبينما هو عند العقبة لقي رَهْطاً من الخزرج ، أراد الله بهم خيراً ، فقال لهم : من أنتم ؟ قالوا : نفر من الخزرج . قال : أمن موالي يهود ؟ قالوا : نعم . قال : أفلا تجلسون أُكلّمْكم . قالوا : بلى . فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله ، وعرضَ عليهم الإسلامَ ، وكان مما صنعَ الله به في الإسلام أن يهود كانوا معهم في بلادهم ، وكانوا أهل علمٍ وكتاب ، وكانوا هم أهلَ شرك ، أصحاب أوثان ، وكانوا قد غزوهم ببلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شيء . قالوا لهم : إن نبياً مبعوثٌ الآن ؛ قد أظلَّ زمانه ، تتبعه نقتلُكم معه قتل عادٍ وإرم . فلما كلَّمَ رسولُ الله ﷺ أولئك النفر ، ودعاهم إلى الله ، قال بعضهم لبعض تَعَلَّموا(٢) والله إنه للنبي الذي تَوَعَّدَكم به يهود ، فلا يسبقُنّكم إليه . فأجابوه فيما دعاهم إليه ؛ بأن صدّقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام . وقالوا له : إنا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجلَ أعزُّ منك . ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدَّقوا .

---

(١) سمّى ابن سيد الناس رحمه الله تعالى هذا اللقاء **بالعقبة الأولى** ، كما سمّى اللقاء الذي تمَّ بينهم وبين رسول الله ﷺ في العام الذي بعده **بالعقبة الثانية** ، وما بعدها **بالعقبة الثالثة** .. بينما يجعلها ابن هشام عقبتين ، مُسقطاً من حسابه اللقاء الأول ، لأنه لم يتضمن عهداً .

(٢) « تَعَلَّموا » : اعلموا .

وهم فيما ذُكر لي ستة نفر من الخزرج منهم[1] من بني النجار – وهو[2] تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج الأكبر : أسعد بنُ زرارة بن عُدَس بن عُبيد بن ثَعلبة بن غَنْم ابن مالك بن النجار . وعَوف بن الحارث بن رِفاعة بن الحارث بن سَواد بن غَنْم بن مالك ابن النجار – وابن سعد يقول : سَواد بن مالك بن غَنْم بن مالك – وهو ابن[3] عفراء .

ومن بني زُرَيق : رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زُرَيق .

ومن بني سواد بن غنم بن كعب بن سَلِمة : قُطْبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن سواد .

ومن بني سَلِمةَ بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تَزيد بن جُشم .

ثم من بني حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سَلِمة : عقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام .

ومن بني عُبيد بن عَدي بن غنم بن كعب بن سلِمة : جابر بن عبد الله بن رئاب ابن النعمان بن سنان بن عُبيد[4] .

قال أبو عمر : ومن أهل العلم بالسير من يجعل فيهم عبادة بن الصامت ويسقط جابر ابن رئاب[5] ، والله أعلم .

ذكر العقبة الثانية

حتى إذا كان العام المقبل قدم مكة من الأنصار اثنا عشر رجلاً ، منهم خمسة من الستة الذين ذكرنا وهم : أبو أمامة ، وعوف بن عفراء ، ورافع بن مالك ، وقطبة ، وعقبة[6] .

---

(١) في جميع النسخ « ثم » والتصحيح من السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٢٩/١ .
(٢) في جميع النسخ « وهم » والتصحيح من السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٢٩/١ .
(٣) ابن عفراء : هو عوفُ ابن الحارث ، وعفراءُ أمُّه ، وهي بنت عُبيد بن ثعلبة بن عُبيد بن ثعلبة بن غَنْم .
(٤) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٢٨/١ – ٤٣٠ .
(٥) الدرر في المغازي والسير ص ٦٧ .
(٦) تقدمت نسبتهم إلى أفخاذهم الخزرجية قبل قليل .

وبقيتهم : معاذ بن الحارث بن رفاعة وهو ابن عفراء أخو عوف المذكور[1] .

وذكوان بن عبد قيس بن خَلْدَة بن مُخَلَّد بن عامر بن زُرَيق الزُّرَقي[2] . ذكروا أنه رَحَل إلى رسول الله ﷺ إلى مكة فسكنها فهو مهاجري أنصاري قتل يوم أحد .

وعُبَادة بن الصامت بن قيس بن أُصْرم بن فِهْر بن ثَعلبة بن غَنْم بن عَوْف بن عمرو ابن عَوْف بن الخزرج .

ومن بني سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج : العباس بن عبادة بن نَضْلة ابن مالك بن العَجْلان بن زيد بن غَنْم بن سالم .

ومن حلفائهم : يزيد بن ثعلبة بن خَزْمة – بسكون الزاي والطبري يفتحها – بن أُصْرم بن عمرو بن عَمَّارة – بفتح العين وتشديد الميم – بن مالك من بني قَرَّانَّ[3] من بَليّ .

ومن بني الأوس بن حارثة أخي الخزرج[4] : ثم من بني جُشم أخي عبد الأشهل بن جُشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : أبو الهيثم مالك بن التيهان – أهل الحجاز يخففون الياء وغيرهم يشددها – بن مالك بن عمرو بن زيد بن جُشم بن عمرو بن جُشم . ومن الناس من يعدّه مولى لهم من بَليّ .

ومن بني أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس : عويم بن ساعدة بن عايش بن قيس بن النعمان بن زيد بن أمية بن زيد بن أمية بن زيد .

فبايعَ رسولُ الله ﷺ هؤلاء عند العقبة على بيعة النساء ، ولم يكن أُمِر بالقتال بعد .

أخبرنا أحمد بن يوسف السَّاوي بقراءة والدي عليه سنة ست وسبعين ، أخبرنا أبو روح المطهر بن أبي بكر البيهقي سماعاً ، أخبرنا أبو بكر الطوسي ، أخبرنا نصر الله بن أحمد

---

(١) وهو من بني النجار .

(٢) وهو من بني زُرَيق .

(٣) في السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٣٢/١ : من بني غُصَيْنَة من بليّ .

(٤) بدأ المؤلف بذكر رجال العقبة الثانية من الأوس .

الخشنامي ، أخبرنا أحمد بن الحسن النيسابوري ، أخبرنا محمد بن أحمد ، حدثنا محمد بن يحيى الذُّهْلي ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر عن الزهري ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن عبادةَ بن الصامت ، قال : بايعَ رسولُ الله ﷺ نفراً أنا منهم ، فتلا عليهم آيةَ النساء لا تُشركوا بالله شيئاً ثم قال : « ومن وفَّى فأجرُه على الله ، ومن أصابَ من ذلك شيئاً فعُوقب به في الدنيا فهو طُهْرٌ له ـ أو قال كَفَّارة له ـ ومن أصابَ من ذلك شيئاً فستَرَه الله عليه فأمرُه إلى الله إن شاءَ الله غفرَ له وإن شاءَ عذَّبه »[1] . رواه البخاري .

حدثني إسحاق بن منصور ، أخبرنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن أخي ابن شهاب ، عن عمه ، فذكره بمعناه .

فلما انصرفوا بعث رسول الله ﷺ معهم ابن أم مكتوم ومصعب بن عمير يُعلِّمان من أسلم منهم القرآن ، ويدعوان من لم يسلم إلى الإسلام ، فنزل مصعب بن عمير على أسعد بن زرارة ، وكان مصعب بن عُمير يُدعى المقرىء والقارىء ، وكان يؤمُّهم ، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضُهم أن يؤمَّه بعض ، فجمَّع بهم أوَّلَ جمعة جُمِّعت في الإسلام[2] . وعند ابن إسحاق : أول من جمَّع بهم أبو أُمامة أسعد بن زرارة[3] .

روينا عن ابن أبي عَروبة حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا ابن وهب ، عن يونس عن ابن شهاب ، قال : بلغنا أن أول ما جُمِّعت الجمعة بالمدينة قبل أن يقْدَمها رسولُ الله ﷺ ، فجمَّع بالمسلمين مصعب بن عمير بن عبد مناف[4] . وبه قال حدثنا هاشم ، حدثنا ابن

---

(١) رواه البخاري في مناقب الأنصار (باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة وبيعة العقبة) رقم /٣٨٩٢/ ، والنسائي في البيعة على الجهاد ١٤٢/٧ وبيعة النساء ١٤٩/٧ ، وهو عند الإمام أحمد في المسند ٣٢٣/٥ .

(٢) الدرر في المغازي والسير ص ٦٩ .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٣٥/١ .

(٤) قال سبط ابن العجمي عن خبر ابن أبي عروبة : وهذا بلاغ ، فهو ضعيف .

وهب ، أخبرني ابن جُرَيج ، عن سليمان بن موسى ؛ أن النبي ﷺ كتبَ إليه يأمُرُه بذلك[1] .

وروينا من طريق أبي داود ، حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا ابن إدريس ، عن محمد ابن إسحاق ، عن محمد بن أبي أمامة بن سهل ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك – وكان قائد أبيه بعدما ذهب بصره – عن أبيه كعب بن مالك ، أنه كان إذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم لأسعدَ بن زرارة . فقلت له إذا سمعت النداء ترحمت لأسعد بن زرارة ؟ فقال : لأنه أول من جمَّع بنا في هزم النَّبِيت من حرة بني بياضة في بقيع يقال له : بقيع الخَضِمَات . قلت : كم أنتم يومئذ ؟ قال : أربعون[2] .

بقيع الخضمات بالباء وقع في هذه الرواية ، وقيده البكري بالنون ، وقال : هزم النَّبِيت[3] : جبل على بريد من المدينة .

قال السهيلي : تجميع أصحاب رسول الله ﷺ الجمعة وتسميتهم إياها بهذا الاسم هداية من الله لهم قبل أن يؤمروا بها ، ثم نزلت سورة الجمعة بعد أن هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة فاستقر فرضها واستمر حكمها ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : « أضلته اليهود والنصارى وهداكم الله له »[4] .

---

(١) قال سبط ابن العجمي : هذا الحديث الذي ساقه هنا مرسل ، وسليمان بن موسى ، قال النسائي عنه : ليس بالقوي ، وقال البخاري : عنده مناكير . وقال ابن كثير في « السيرة النبوية » من البداية والنهاية ١٨١/٢ : وقد روى الدارقطني عن ابن عباس ؛ أن رسول الله ﷺ كتب إلى مصعب بن عُمير يأمُرُه بإقامة الجمعة ، وفي إسناده غرابة ، والله أعلم .

(٢) رواه أبو داود في كتاب الصلاة (باب الجمعة في القرى) رقم /١٠٦٩/ ، وابن ماجه في كتاب الصلاة (باب فرض الجمعة) رقم /١٠٨٢/ .

(٣) « هزم النبيت » : جبل بصدر قباء ، والنبيت : أبو حيّ من اليمن اسمه مالك بن عمرو .
والبقيع : كل أرض منخفضة فيها أروم شجر . وكان في المدينة أكثر من بقيع واحد ، وأشهرها « بقيع الغرقد » مقبرة أهل المدينة .

(٤) الروض الأنف ١٩٦/٢ .

وذكر عبد بن حميد : حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين ، قال : جَمَّعَ أهلُ المدينة قبل أن يقدَم رسولُ الله ﷺ المدينة ، وقبل أن تنزل الجمعة .. الحديث[١] .

وروى الدارقطني عن ابن عباس إذن النبي ﷺ لهم بها قبل الهجرة .

وقد روينا من طريق ابن أبي عروبة الأثر عن سليمان بن موسى بذلك[٢] .

* * *

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف ، في الجمعة رقم /٥١٤٤/ عن معمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين ، وهو خبر مرسل .

(٢) هذا الأثر تقدم تخريجه ص ٢٦٦ ، وهو الطريق الثاني الذي ذكره المؤلف عن ابن أبي عَروبة .

ذكرُ إسلامِ سعدِ بن مُعاذ وأُسَيْد بن حُضَيْر
على يديْ مُصعب بن عُمير

قال ابن إسحاق : وحدثني عُبيد الله بن المغيرة بن مُعَيْقيب وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ؛ أن أسعدَ بن زُرَارة خرج بمصعب بن عُمير يُريد دارَ بني عبد الأشهل ودارَ بني ظَفَر فدخل حائطاً من حوائط بني ظَفَر ، فجلسا فيه ، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم ، وسعد بن معاذ وأُسَيْد بن حُضَيْرْ يومئذ سيدا قومهما ، وكلاهما مشرك على دين قومه ، فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لأُسَيْد بن حُضَير : لا أبالك ، انطِلقْ إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءَنا فازجرْهما وانههما عن أن يأتيا دارَيْنا ، فإنه لولا أن أسعدَ بن زُرَارة مني حيث قد علمتَ كفيتُك ذلك ، هو ابن خالتي ، ولا أجد عليه مقدماً ، فأخذ أُسَيد بن حُضير حربته ، ثم أقبل إليهما ، فلما رآه أسعدُ بن زُرارة قال لمصعب : هذا سيد قومه ، قد جاءَك ، فاصْدُقِ الله فيه . ثم قال مصعب : إن يجلسْ هذا أكلِّمْه . قال : فوقف عليها متشتماً ، فقال : ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا ، اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة . فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع ، فإن رضيت أمراً قبلتَه وإن كرهتَه كفَّ عنك ما تكره . قال : أنصفتَ . ثم ركز حربتَه وجلس إليهما ، فكلَّمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن . فقالا فيما يذكر عنهما : والله لعرفنا في وجهه الإسلامَ قبل أن يتكلم . ثم قال : ما أحسن هذا وأجملَه ! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟ قالا له : تغتسلُ فَتَطهَّر ، وتُطَهِّر ثوبيْك ، ثم تشهدُ شهادةَ الحق ، ثم تُصلِّي . فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهَّد شهادة الحق ، ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إن ورائي رجلاً إن اتبعكما لم يتخلفْ عنه أحد من قومه ، وسأرسله إليكما الآن ، وهو سعد ابن معاذ . ثم أخذ حربته فانصرف إلى سعد وقومه ، وهم جلوس في ناديهم ، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً ، قال : أحلفُ بالله لقد جاءكم أُسَيْد بن حُضير بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم ، فلما وقفَ على النادي قال له سعد : ما فعلت ؟ قال : كلَّمت الرجلين ، فوالله ما رأيتُ بهما بأساً ، وقد نهيتُهما ، فقالا : نفعلُ ما أحببتَ ، وقد حُدِّثتُ

أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زُرارة ليقتلوه ، وذلك أنهم عرفوا أنه ابنُ خالـتِك لِيُخفِرُوك . فقام سعد مغضَباً مبادراً تخوّفاً للذي ذكر له من بني حارثة ، فأخذ الحربة من يده وقال : والله ما أراك أغنيتَ عنا شيئاً . ثم خرج إليهما ، فلما رآهما سعدُ مُطمئنَيْنِ ، عرف أن أُسَيْداً إنما أراد منه أن يسمع منهما . فوقف عليهما متشتماً ، ثم قال لأسعد بن زُرارة : يا أبا أمامة ، أما والله لولا ما بيني وبينَك من القرابة ما رمتَ مني هذا . أتغشانا في دارِنَا بما نكره ، وقد قال أسعدُ بن زرارة لمصعب بن عمير : أي مصعب ، جاءك والله سيِّدُ مَنْ وراءه من قومه ، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان . قال : فقال له مصعب : أو تقعدْ فتسمعَ فإن رضيتَ أمراً قبلتَه وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره . قال سعد : أنصفتَ ، ثم ركز الحربةَ وجلس ، فعرض عليه الإسلام ، وقرأ عليه القرآن . قالا : فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلَّم . ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين . قالا : تغتسلُ فتَطَّهَرُ وتُطَهِّر ثوبيْك ، ثم تشهدُ شهادةَ الحق ، ثم تركع ركعتين . قال فقام فاغتسل وطهَّر ثوبيْه ثم شهد شهادة الحق ، ثم ركع ركعتين ، ثم أخذ حربتَه فأقبلَ عامداً إلى نادي قومِه ومعهم أُسَيْد بن حُضير ، فلما رآه قومُه مقبلاً قالوا : نحلفُ بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم . فلما وقف عليهم قال : يا بني عبد الأشهل ، كيف تعلمون أمري فيكم ؟ قالوا : سيدنا وأفضلنا رأياً وأيمننا نقيبةً ، قال : فإن كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله . قال : فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأةٌ إلا مسلماً ومسلمة[1] .

قال أبو عمر : حاشا الأُصَيْرم ، وهو عمرو بن ثابت بن وَقْش ، فإنه تأخر إسلامه إلى يوم أحد ، فأسلم واستشهد ولم يسجد لله سجدة ، وأخبرَ رسولُ الله ﷺ أنه من أهل الجنة[2] .

رَجْعٌ إلى ابن إسحاق : قال ورجع مصعب إلى منزل أسعد بن زرارة ، فأقام عنده يدعو الناسَ إلى الإسلام ، حتى لم تبقَ دارٌ من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ، إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد ، وخَطْمة ووائل وواقف ، وتلك أوس الله ، وهم

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٤٣٥ — ٤٣٨ .

(٢) الدرر في المغازي والسير ص ٦٩ — ٧٠ .

من الأوس بن حارثة(١) .

قال أبو عمر : وكانوا سكاناً في عوالي المدينة ، فأسلم منهم قوم ، وكان سيدهم أبو قيس صيفيّ بن الأسلب ، فتأخر إسلامُه وإسلام سائر قومه إلى أن مضت بدر وأحد والخندق ثم أسلموا كلُّهم(٢) .

ورأيت في « التاريخ الأوسط » للبخاري أن أهل مكة سمعوا هاتفاً يهتف قبل إسلام سعد بن معاذ :

فإن يُسلم السعدان يُصبح محمدٌ ... بمكةَ لا يخشى خلافَ المُخالفِ

فحسبوا أنه يُريد القبيلتين سعد هُذَيمْ(٣) من قضاعة ، وسعدَ بن زيد مناة بن تميم ، حتى سمعوه يقول :

فيا سعدَ سعدَ الأوس كنْ أنتَ ناصراً ... ويا سعدَ سعدَ الخزرجَيْن الغَطارِفِ
أجيبا إلى داعي الهُدى وتمنّيا ... على الله في الفردوس مُنيةَ عارِفِ

في أبياتٍ(٤) ، وقد روينا ذلك أطول من هذا .

* * *

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٤٣٥ — ٤٣٨ .
(٢) الدرر في المغازي والسير ص ٦٩ — ٧٠ .
(٣) كذا في جميع النسخ ، وفي « جمهرة أنساب العرب » ص ٤١٨ : سعد هزيم ، بالزاي .
(٤) هذا الخبر في الروض الأنف ١/٢٧٢ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٢/٤٢٨ ، والسيرة الشامية ٣/٢٧٢ وقال الصالحي : رواه ابن أبي الدنيا والخرائطي والبيهقي عن عبد المجيد بن أبي عيسى ، عن أبيه ، عن جده . وابن عساكر عن البخاري في تاريخه الأوسط ، عن شيخه أبي محمد الكوفي ..

ذكر البراءِ بن مَعرور وصلاتُه إلى القبلة
وذكر العقبة الثالثة

قال ابن إسحاق : ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة ، وخرجَ من خرجَ من الأنصار من المسلمين إلى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك ، حتى قدموا مكة فواعدوا رسولَ الله ﷺ العقبةَ من أوسط أيام التشريق ، فحدثني معبد بن كعب بن مالك أن أخاه عبدَ الله ، وكان من أعلم الأنصار، حدثه أن أباه كعباً حدَّثه، وكان ممن شهد العقبة وبايع رسول الله ﷺ بها ، قال : خرجنا في حجاج قومنا من المشركين ، وقد صلينا وفقِهنا ومعنا البراء بن معرور سيدنا وكبيرنا ، فلما وَجَّهنا لسفرنا وخرجنا من المدينة ، قال البراء لنا : يا هؤلاء ! إني قد رأيت رأياً والله ما أدري أتوافقوني عليه أم لا ؟ قال : قلنا وما ذاك ؟ قال : رأيتُ أن لا أدع هذه البَنِيَّة مني بظهر – يعني الكعبة – وأن أصلي إليها . قال : قلنا : والله ما بلغنا أن نبينا يُصلي إلا إلى الشام ، وما نُريد أن نخالفَه . قال : فقال : إني لمصلٍّ إليها . قال : قلنا له : لكنا لا نفعل . قال : فكنا إذا حضرتِ الصَّلاة صلَّينا إلى الشام وصلى إلى الكعبة ، حتى قدمنا مكة . قال : وقد كنا عِبنا عليه ما صنعَ ، وأبى إلا الإقامة على ذلك . قال : فلما قدمنا مكة قال لي : يا ابن أخي ! انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ حتى أسألَه عما صنعتُ في سفري هذا ، فإنه والله لقد وقع في نفسي منه شيء ، لما رأيتُ من خلافكم إياي فيه . قال : فخرجنا نسأل عن رسول الله ﷺ ، وكنا لا نعرفه ولم نره قبل ذلك ، فلقينا رجلاً من أهل مكة ، فسألناه عن رسول الله ﷺ ، فقال : هل تعرفانه ؟ قلنا : لا . قال : فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمَّه ؟ قال : قلنا : نعم . قال : وكنا نعرف العبَّاسَ ، كان لا يزال يقدَم علينا تاجراً . قال : فإذا دخلتما المسجدَ هو الرجل الجالس مع العباس . قال : فدخلنا المسجدَ فإذا العبَّاسُ جالسٌ ورسول الله ﷺ معه ، فسلمنا ثم[1] جلسنا إليه . فقال رسول الله ﷺ للعباس : هل تعرف هذين الرجلين

---

(١) في « ج » و« د » : حين جلسنا .

يا أبا الفضل ؟ قال : نعم . هذا البراء بن معرور سيّدُ قومه ، وهذا كعب بن مالك . قال : فوالله ما أنسى قول رسول الله ﷺ : الشاعر ؟ قال : نعم . قال : فقال له البراء بن معرور : يا نبي الله ! إني خرجتُ في سفري هذا ، وقد هداني الله للإسلام ، فرأيتُ أن لا أجعل هذه البَنِيَّة مني بظهر فصليت إليها ، وخالفني أصحابي في ذلك ، حتى وقع في نفسي من ذلك شيء ، فماذا ترى يا رسول الله ؟ قال : قد كنتَ على قبلة لو صبرتَ عليها . فرجعَ البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ وصلَّى إلى الشام ، وأهلُه يزعمون أنه صلَّى إلى الكعبة حتى مات ، وليس كما قالوا ، نحن أعلم به منهم .

ثم خرجنا إلى الحج وواعدَنا رسولُ الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق ، فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسولَ الله ﷺ لها ، ومعنا عبد الله بن عمرو ابن حَرَام أبو جابر ، سيّدٌ من ساداتنا ، أخذناه وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا ، فكلّمناه وقلنا له يا أبا جابر إنك سيّدٌ من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، وإنا نرغبُ بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً ، ثم دعوناه إلى الإسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا العقبة . قال : فأسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيباً .

فنمنا[1] تلك الليلة مع قومنا في رِحالنا ، حتى إذا مضى ثلثُ الليل ؛ خرجنا من رحالنا لميعادِ رسول الله ﷺ تَسَلّلَ القطا ، مستخفين . حتى اجتمعنا في الشِّعب عند العقبة ، ونحن ثلاثةٌ وسبعون رجلاً ، ومعنا امرأتان من نسائنا : نُسَيْبة بنت كعب أمّ عُمارة إحدى نساء بني مازن بن النجار ، وأسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي إحدى نساء بني سَلِمة ، وهي أم منيع . قال : فاجتمعنا في الشِّعب ننتظرُ رسولَ الله ﷺ حتى جاءنا ومعه العباس بنُ عبد المطلب ، وهو يومئذٍ على دين قومه ، إلا أنه أحبَّ أن يحضرَ أمرَ ابنَ أخيه ويتوَثَّق له . فلما جلس كان أوّلَ متكلم . فقال : يا معشر الخزرج وكانت العرب إنما يسمون هذا الحيَّ من الأنصار : الخزرج – خزرجَها وأوسَها – إن محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عز من قومه ومَنعة في بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما

(١) في « ب » و« ج » و« د » : فمكثنا .

دعوتموه إليه ، ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه ، فإنه في عز ومنَعة من قومه وبلده . قال : فقلنا له قد سمعنا ما قلت . فتكلَّمْ يا رسولَ الله فخذْ لنفسِك ولِرَبِّكَ ما أحببتَ . قال : فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ، ودعا إلى الله ، ورغَّب في الإسلام ، ثم قال : أبايعُكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءَكم وأبناءَكم . قال : فأخذَ البراءُ بن معرور بيده ثم قال : نعم والذي بعثَك بالحقِّ لنَمنعنَّك مما نمنعُ منه أُزُرَنا[1] فبايعْنَا رسولَ الله ﷺ ، فنحن والله أهلُ الحروب وأهل الحَلْقة[2] ، ورثناها كابراً عن كابر . قال : فاعترضَ القولَ — والبراءُ يكلّم رسولَ الله ﷺ — أبو الهيثم بن التيهان ، فقال : يا رسول الله ! إن بيننا وبين الرجال حِبَالاً ، وإنا قاطعوها — يعني اليهود — فهل عسيْتَ إن نحن فعلنا ذلك ، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنَا . قال : فتبسم رسولُ الله ﷺ ، ثم قال : بل الدَّمُ[3] الدَّمُ والهَدْمُ الهَدْمُ ، أنا منكم وأنتم مني ، أحاربُ من حاربتم ، وأُسالمُ من سالمتم .

وقال رسولُ الله ﷺ : أخرجوا إليَّ منكم اثني عشر نقيباً ، يكونون على قومهم بما فيهم . فأخرجوا تسعةً من الخزرج وثلاثة من الأوس .

فمن الخزرج ثم من بني النجار : أسعد بن زرارة بن عُدَس . ومن بني مالك الأغر ابن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج : عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن عمرو بن امرىء القيس الأكبر بن مالك الأغر . وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك الأغر . ومن بني زريق : رافع ابن مالك بن العجلان . ومن بني سَلِمة ، ثم بني حَرام : عبد الله بن عمرو بن حَرَام بن ثعلبة بن حَرَام . ومن بني عُبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سَلِمة : البراء بن معرور ابن صخر بن خنساء بن سنان بن عُبيد . ومن بني طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب

---

(1) « أُزُرَنا » : جمع إزار ، كنّى به عن النساء ، أو عن النفس ، وانظر فوائد المؤلف ص ٢٨٢ .

(2) « الحَلْقة » : الدروع ، ويريد السلاح .

(3) « الدَّمُ الدَّمُ ، والهَدْمُ الهَدْمُ » : أي دمي دمكم ، وما هدمتموه من الدماء هدمته ، وانظر شرح المؤلف وافياً لهذه العبارة في الفوائد ص ١٧١ .

ابن الخزرج : سعد بن عبادة بن دُلَيم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طرِيف . ومن بني ثعلبة بن الخزرج أخي طَريف : المنذر بن عمرو بن خُنَيْس بن لُوذان بن عبد ودّ بن زيد بن ثعلبة . ومن بني غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج : عبادة بن الصامت .

ومن الأوس ، ثم من بني عبد الأشهل بن جُشَم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو ابن مالك بن الأوس : أُسَيْد بن حُضَيْر بن سِماك بن عَتيك بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل . ومن بني السَّلْم بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس : سعد بن خيثمة ابن الحارث بن مالك بن كعب بن النَّحَّاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن السَّلْم . ومن بني أمية بن زيد ، رِفاعة بن عبد المنذر بن زَنْبَر بن زيد بن أمية[1] .

قال ابن هشام : وأهل العلم يعدُّون فيهم أبا الهيثم بن التيهان بدل رفاعة[2] .

وروينا عن أبي بكر البيهقي بسنده إلى مالك ، قال : فحدثني شيخ من الأنصار أن جبريل عليه السلام كان يُشير له إلى من يجعلُه نقيباً[3] .

وقد قيل إن الذي تولَّى الكلام مع الأنصار وشدَّ العقدَ لرسول الله ﷺ أسعدُ بن زرارة .

وروينا من طريق العَدني ، حدثنا يحيى بن سُلَيم ، عن ابن خُثَيْم ، عن أبي الزبير ، عن جابر فذكر حديث العقبة وفيه : فأخذ بيده يعني النبيّ ﷺ أسعد بن زرارة وهو أصغرُ السبعين إلا أنا ، فقال . رويداً يا أهلَ يثرب ، إنا لم نضربْ إليه أكبادَ المطي إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ، وإن إخراجَه اليوم مفارقةُ العرب كافة ، وقتلُ خياركم ، وأن تعضكم السيوف ، فإما أنتم قوم تصبرون عليها إذا مستكم بقتلِ خياركم ومفارقة العرب كافة فخذوه وأجركم على الله ، وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفةً فذروه ، فهو أعذرُ لكم عند الله . فقالوا : يا أسعد ! أمط عنا يدكَ ، فوالله لا نذرُ هذه البيعة ولا نستقيلها .. الحديث[4] .

---

(١) خبر ابن إسحاق عن العقبة الثالثة في السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٣٨/١ ــ ٤٤٥ .

(٢) السيرة النبوية ٤٤٥/١ .

(٣) دلائل النبوة ؛ للبيهقي ٤٥٣/٢ وفيه : قال مالك : فحدثني شيخ من الأنصار : أن جبريلَ كان يشيرُ له إلى من يجعله نقيباً .

(٤) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٤٦/٦ وقال : رواه أحمد والبزار .. ورجال أحمد رجال الصحيح ، وهو

وقيل : بل العباس بن عبادة بن نضلة . رُوينا عن ابن إسحاق ، حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ؛ أن القوم لما اجتمعوا لبيعةِ رسول الله ﷺ ، قال العباس بن عبادة بن نضلة : يا معشر الخزرج ! إنكم تُبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس . فذكر نحو ما تقدم . قال : فأما عاصم فقال : والله ما قال ذلك العباس إلا ليشدَّ العقدَ لرسول الله ﷺ ، وأما عبد الله بن أبي بكر فقال : ما قال ذلك العباسُ إلا ليؤخرَ القوم تلك الليلة رجاءَ أن يحضرَها عبد الله بن أبي بن سلول ، فيكون أقوى لأمر القوم ، فالله أعلم أي ذلك كان[1] .

وكانت هذه البيعةُ على حرب الأسود والأحمر ، وأخذ رسولُ الله ﷺ لنفسه واشترطَ عليهم لربه ، وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنَّةَ ، فأوّل المبايعين فيها مختلف فيه : فروينا عن ابن إسحاق من طريق البكّائي ، ومن طريق أبي عَروبة ، عن سليمان بن سيف ، عن سعيد بن بُزيغ عنه قال : بنو النجار يزعمون أن أبا أُمامة أسعدَ بن زُرارة كان أوّل من ضربَ على يد رسول الله ﷺ . وبنو عبد الأشهل يقولون : بل أبو الهيثم بن التيهان ، وقد تقدم أنه البراء بن معرور .

فلما انتهت البيعةُ صرخَ الشيطانُ من رأس العقبة : يا أهلَ الجباجب[2] هل لكم في مُذمم[3] والصُّبَاةُ[4] معه قد أجمعوا على حربكم . فقال رسول الله ﷺ : هذا أزبُّ[5]

= في كشف الأستار برقم /١٧٥٦/ ، والمسند ٣٢٢/٣ و٣٣٩ ، والطريق التي ذكرها المؤلف رواها الطبراني ، كما في نور النبراس .

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٤٦/١ . وقال سبط ابن العجمي : الظاهر أن أسعد قال هذا الكلام ، والعباسُ قال نحوه ، وطريق الطبراني إلى أسعد أصح ؛ لأنها متصلة صحيحة ، وليس فيها إلا عنعنة أبي الزبير عن جابر ، وهي على شرط مسلم ، وأما الطريق الثانية فإن عاصماً شيخ ابن إسحاق وإن كان ثقة إماماً ، خصوصاً في المغازي ، إلا أن حديثه هذا مرسل ، وأين عاصم وأين هذه القصة ؟! ولم يذكر إسنادها ، والله تعالى أعلم .

(٢) « الجباجب » : سيأتي شرحها في الفوائد التي ذكرها المؤلف ص ٢٨٥ .

(٣) « مُذمم » : المذموم جداً ، قلبٌ لاسمه ﷺ منهم ، بعد نبوته ، تنفيساً لحقدهم وعداوتهم .

(٤) « الصُّباةُ » : جمع صابىء بعد تسهيل همزته ، وهو الخارج من دينه إلى دين آخر . أطلقته قريش على كل من كان يُفارق دينَها ويدخلُ في دين الإسلام .

(٥) « أزب العقبة » : انظر شرحها في فوائد المؤلف ص ٢٨٥ .

العقبة ، أتسمع أي عدو الله ، أما والله لأفرغنَّ لك . فاستأذنه العباس بن عبادة في القتال . فقال : لم نُؤمر بذلك . وتطلَّب المشركون خبرَهم فلم يعرفوه ، ثم شَعروا به حين انصرفوا فاقتفوا آثارهم فلم يُدركوا إلا سعدَ بن عبادة والمنذر بن عمرو ، فأما سعد فكان ممن عُذِّبَ في الله ، وأما المنذر فأعجزهم وأفلت . ونمى خبرُ سعد بن عبادة إلى جُبير بن مُطعم والحارث ابن حرب بن أمية على يديْ أبي البَختري بن هشام فأنقذه الله بهما . وقال ضرار بن الخطاب الفهري :

تداركتَ سعداً عنْوةً فأخذتَه وكان شفاءً لو تداركتَ منذرا
ولو نلتَه طُلَّتْ هناك جراحُهُ وكان حريّاً أن يُهان ويُهدرا[1]

فأجابه حسان[2] بأبيات ذكرها ابن إسحاق .

فلما قدموا المدينة أظهروا الإسلام وكان عمرو بن الجموح ممن بقي على شركه ، وكان له صنم يُعظِّمه فكان فتيان ممن أسلم من بني سلِمة يُدلجون بالليل على صنمه فيطرحونه في بعض حفر بني سلِمة منكساً رأسُه في عُذَر النَّاس ، فإذا أصبحَ عمرو قال : ويحكم من عدا على آلهتنا هذه الليلة ، ثم يغدو يلتمسه حتى إذا وجده غسله وطهَّره وطيَّبه ، فإذا أمسى عدوا عليه ففعلوا به مثل ذلك إلى أن غسله مرة وطهرَّه ثم جاء بسيفه فعلَّقه عليه ، ثم قال له : ما أعلم من يصنع بك ما أرى ، فإن كان فيك خيرٌ فامتنعْ فهذا السيفُ معك . فلما أمسى ونام عمرو عدوا عليه وأخذوا السيف من عنقه ، ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه به بحبل ثم ألقَوْه في بئر من آبار بني سلمة فيها عُذَرٌ من عُذَرُ الناس . وغدا عمرو بن الجموح فلم يجدْه في مكانه ، فخرج يتبعُه حتى وجده في تلك البئر منكّساً مقروناً بكلب ميت ، فلما رآه أبصر شأنه وكلَّمه من أسلم من قومه فأسلم رضي الله عنه ، وحَسُن إسلامهُ[3] .

* * *

(١) « طُلَّتْ » : هُدرتْ ولم يُثأر لها .
(٢) انظر السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٥١/١ .
(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٥٢/١ .

[تسمية من شهد العقبة]

وهذه تسمية من شهد العقبة ، وكانوا ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين . هذا هو العدد المعروف ، وإن زاد في التفصيل على ذلك ، فليس ذلك بزيادة في الجملة ، وإنما هو لمحل الخلاف فيمن شهد ، فبعض الرواة يثبته وبعضهم يُثبت غيرَه بدلَه ، وقد وقع ذلك في غير موضع ، في أهل بدر وشهداء أحد ، وغير ذلك .

وهم من الأوس أحد عشر رجلاً[1] ، ثم من بني عبد الأشهل : أُسيد بن حُضير ، وأبو الهيثم مالك بن التَّيِّهان ، وسلَمة بن سلامة بن وَقْش بن زُغْبة بن زَعُوراء بن عبد الأشهل .

وسعد بن زيد بن عامر بن عمرو بن جُشم بن الحارث بن الخزرج ، وبنو جشم عدادهم في بني عبد الأشهل . شهد العقبة في قول الواقدي وحده وهو معدود في البدريين عند غيره . وقد اختلف في نسبه ، وهو عند ابن إسحاق : سعد بن زيد بن مالك بن عُبيد ابن كعب بن عبد الأشهل .

ومن بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : ظُهير بن رافع ابن عدي بن زيد بن جشم بن حارثة ، وأبو بردة هانىء بن نِيار بن عمرو بن عُبيد بن كِلاب بن دُهمان بن غنم بن ذُبيان بن هُميم بن كاهل بن ذُهْل بن هني بن بلي بن عمرو ابن الحاف بن قُضاعة حليف لهم ، وبُهيز[2] بن الهيثم بن نابي بن مَجْدَعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج – وبُهيز بالباء الموحدة عند بعضهم وبالنون عند آخرين – .

ومن بني عمرو بن عوف : سعد بن خيثمة ، ورفاعة بن عبد المنذر ، وعبد الله بن

---

(١) أحد عشر رجلاً : في « ب » و« ج » : وهم من الأوس ، ثم من بني عبد الأشهل أحد عشر رجلاً . وقد قدمناها لأن هذا العدد هو جملة من حضر من الأوس ، منهم ثلاثة نفر فقط من بني عبد الأشهل – علماً بأن المذكورين اثني عشر رجلاً ، وقد أرجع صاحب نور النبراس ذلك إلى سقوط اسم سعد بن زيد بن عامر من بعض النسخ الصحيحة المقروءة .

(٢) قال في نور النبراس : وعند بعضهم : نُهيز ، بالنون ، ثم قال : وأخطأ ابن عبد البر في الاستيعاب في جعلهما اسمين مختلفين لرجلين ، والصحيح رجل واحد مختلف في ضبط اسمه .

جُبير بن النعمان بن أمية بن البُرَك[1] ـ واسم البُرَك : امرىء القيس ـ بن ثعلبة بن عمرو ، ومعن بن عدي بن الجَدِّ بن العجلان بن ضُبَيْعة ، وعويم بن ساعدة .

ومن الخزرج ثم من بني النجار : أبو أيوب خالد بن زيد بن كُليب بن ثعلبة بن عبد ابن عوف ابن غنم بن مالك بن النجار ، ومعاذ بن عفراء ، وأخواه مُعَوِّذ وعوف ، وعمارة ابن حزم ابن زيد بن لَوْذان بن عمرو بن عبد عوف بن غَنْم بن مالك بن النجار ، وأسعد ابن زرارة ، والنعيمان بن عمرو بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن غنم عند الواقدي وحده .

ومن بني مبذولِ عامرِ بن مالك بن النجار : سهلُ[2] بن عتيك بن نعمان بن زيد بن معاوية بن عمرو بن عتيك بن عمرو بن عامر .

ومن بني حُدَيلة : أبيٌّ بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار ، وحُدَيلة أم معاوية بن عمرو ، وهي ابنة مالك بن زيد مناة بن حبيب ابن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشم بن الخزرج ، ولم يذكره ابن[3] إسحاق .

ومن بني مَغالة ؛ وهم بنو عدي بن عمرو بن مالك بن النجار : أوسُ بن ثابت بن المنذر بن حَرَام ، بن عمرو بن زيد مناة بن عدي ، وأبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود ابن حَرَام .

ومن بني مازن بن النجار : قيسُ بن أبي صعصعةَ عمرو بن زيد بن عوف بن مَبذول ابن عمرو بن غنم بن مازن ، وعمرو بن غَزِيّة بن عمرو بن ثعلبة بن خنساء بن مبذول . وابن هشام يقول : هو غزية بن عمرو بن عطية بن خنساء ، وغيرهما[4] يثبتهما معاً .

ومن بني الحارث بن الخزرج : عبدُ الله بن رَواحة ، وسعدُ بن الربيع ، وخارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج ،

---

(١) « واسم البُرك » سقطت من « أ » والمطبوع .

(٢) في « أ » و « ج » : سُهيل : قال الحافظ ابن حجر في الإصابة ٨٨/٢ : ووقع عند ابن الأثير : وقيل : سُهيل .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٥٧/١ ، بل ذكر مكانه رجلين آخرين هما : أوس بن ثابت ، وأبو طلحة زيد بن سهل . اللذين ذكرهما المؤلف منسوبين لبني مَغَالة .

(٤) وغيرهما : الظاهر أنه يعني ابن إسحاق وابن هشام ، وفي الإصابة : غزية بن عمرو بن ثعلبة بن الخنساء .

وبشير بن سعد بن ثعلبة بن خَلَّاس – بفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام للدارقطني ، وبكسرها وتخفيف اللام عند غيره – ابن زيد مناة بن مالك الأغر ، وخلَّادُ بن سُويد ابن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرىء القيس بن مالك الأغر ، وعبدُ الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه بن زيد بن الحرث بن الخزرج . وبعضُهم يقول في زيد زيد مناة ، وابن عمارة يُسقط ثعلبة[1] . صاحبُ الأذان[2] .

ومن بني الأبجر : خُدرةَ بن عوف بن الحارث بن الخزرج : عبدُ الله بن ربيع بن قيس ابن عامر بن عبَّاد الأبجر . ومن بني أخيه خُدارة بن عوف : عقبةُ بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة بن عُسيرة بن عطية بن خُدارة بن عوف بن الحارث ، أبو مسعود وكان أحدثَهم سناً ، وابن إسحاق يسقط منه عطية ، وأسيرة عنده بالياء يسيرة ، وذكرها الدارقطني وأبو بكر الخطيب عن ابن إسحاق نسيرة بالنون المضمومة ، ووهَّم الأمير[3] ، وابنُ عبد البر من قال ذلك ، وأما ابن عقبة فقال أسيرة بفتح الهمزة ، وكذلك اختلفوا في تقييد عسيرة ، فمنهم من يفتح العين ويكسر السين ، ومنهم من يفتح السين ويضم العين . وخدارة : منهم من يقولها بالجيم ، ومنهم من يقولها بالخاء المعجمة ، والذين يقولونها بالجيم منهم من يضمُّها ومنهم من يكسرها .

ومن بني زريق[4] بن عبد حارثة : رافعُ بن مالك بن العجلان ، وذكوانُ بن عبد[5]

---

(١) يُسقط ثعلبة : فهو عنده : عبد الله بن زيد بن عبد ربه بن زيد .
وابن عُمارة : هو عبد الله بن محمد بن عُمارة بن القَدَّاح ، المديني ، نزيل بغداد ، لم يذكر فيه ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » تجريحاً ولا تعديلاً ، وقال الذهبي : أنصاري مدني أخباري ، مستور ، ما وثق ولا ضُعِّفَ . الجرح والتعديل ١٥٨/٥ ، وميزان الاعتدال ٤٨٩/٣ .

(٢) صاحبُ الأذان : قال ابن هشام ٤٥٩/١ : وهو الذي أُري النداء للصلاة ، فجاء به إلى النبي ﷺ ، فأمَرَ به ، والحديث رواه أبو داود في الصلاة (باب كيف الأذان) رقم /٤٩٩/ ، والترمذي في الصلاة (باب ما جاء في بدء الأذان) رقم /١٨٩/ ، وهو حديث صحيح .

(٣) الإكمال ، للأمير ابن ماكولا ، والاستيعاب ؛ لابن عبد البر ٤٢٩/٤ .

(٤) في السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٦٠/١ : ومن بني زُرَيق بن عامر بن زُريق بن عبد حارثة ..

(٥) هو ذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلّد بن عامر بن زُريق ، أخو الحارث الآتي ، كما جاء في السيرة الشامية ؛ للصالحي ٢٩٦/١ ، مع ملاحظة عدم إثبات المراجع كلمة « عبد » في نسب الحارث .

قيس ، وعبَّادُ بن قيس[1] بن عامر بن خالد بن عامر بنُ زريق . والحارثُ بن قيس بن خالد بن مخلد بن عامر بن زريق . وعند ابن الكلبي : خلدة بدل خالد .

ومن بني بياضة بن عامر بن زريق : زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سِنان بن عامر بن عدي ابن أمية بن بياضة ، وفروة بن عمرو بن وَدْفة[2] بن عُبيد بن عامر بن بياضة ، وخالد ابن قيس بن مالك بن العجلان بن عامر بن بياضة .

ومن بني سَلِمة ، ثم من بني عُبيد : البراءُ بن معرور ، وابنه بشر ، وسنانُ بن صيفي ابن صخر بن خنساء بن سنان بن عُبيد ، والطفيلُ بن النعمان بن خنساء بن سنان بن عُبيد – قال ابن سعد : لا أحسبه إلا وَهَلاً[3] – ومعقِل ويزيد ابنا المنذر بن سَرْح بن خُنَاس بن سِنان بن عُبيد ، ومسعودُ بن يزيد بن سُبيع بن خنساء بن سِنان بن عُبيد ، والضحاكُ بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عُبيد ، ويزيدُ بن خِذام – وبعضهم يقول حرام – بن سُبيع بن خنساء بن سِنان بن عُبيد ، وجَبَّارُ بن صخر بن أمية بن خنساء بن سِنان بن عُبيد ، ويقال خُنَاس . والطفيل بن مالك بن خنساء بن سِنان بن عُبيد .

ومن بني سلِمة أيضاً ، ثم من بني سَواد ، ثم من بني كعب بن سواد : كعبُ بن مالك بن أبي كعب بن القَيْن ، وعند غيره : كعبُ بن أبي كعب بن عمرو بن القين بن كعب بن سواد ، رجلٌ .

ومن بني غنم بن سواد : قُطْبَةُ بن عامر بن حَدِيدة وأخوه يزيد ، وسُلَيم بن عمرو

---

(١) يبدو أن قيساً والدَ عبَّاد هذا سمَّاه أبوه عامر بن خالد باسم أخيه قيس بن خالد ، فعلى هذا يكون عبَّادٌ ابن ابن عم ذكوان والحارث (عامر) .

(٢) « وَدْفة » : كذا ورد في « ج » ومعناه في اللغة الروضة الخضراء ، وفي « د » والسيرة النبوية ٤٥٩/١ : وذفة ، من قولهم توذَّفَ في مشيته : إذا تبختر . وفي « أ » و « ب » والإصابة ٢٠٨/٥ : وَدْقَة ، ومعناه الروضة الخضراء أيضاً . والأول عن السُّهيلي في روضه ٢٨٢/١ هو الأصح .

(٣) « وَهَلاً » : وَهَلَ إلى الشيء يَوْهل ويَهِلُ : ذهب وهمه إليه وغلط فيه . وهو يريد الغلط الواقع في اسم أبي الطفيل ، فهو في السيرة الشامية ٢٩٩/٣ ، وهامش السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٦١/١ : الطفيل ابن مالك . وقد ذكره المؤلف وابن إسحاق في آخر بني سَلِمة كذلك .

ابن حَدِيدة ، وأبو اليَسَر كعب بن عمرو بن عبَّاد بن عمرو بن غنم ، وصيفيٌّ بن سواد ابن عباد المذكور ، خمسة .

ومن بني نابي بن عمرو بن سَواد : ثعلبةُ بن عَنمة بن عدي بن نابي وأخوه عمرو ، وعَبْسُ ابن عامر بن عدي بن نابي ، وخالد بن عمرو بن عدي بن نابي ، وعبد الله بن أُنيس بن أسعد بن حرام بن حَبيب بن مالك بن غنم بن كعب بن تيم بن بُهْثة بن ناشرة[1] بن يربوع ابن البَرْك بن وَبَرة . والبَرْك : دخل في جهينة حليف لهم — وعند أبي عمر[2] : تيم بن نُفاثة بن إياس بن يربوع — خمسةٌ . وعامرُ بن نابي : أبو عقبة المذكور في العقبة الأولى ذكره ابن الكلبي ، وعُمير بن عامر بن نابي شهد المشاهد كلَّها ، قاله ابن الكلبي ، قال الدمياطي : و لم أرَ من تابعه على ذكر عُمير في الصحابة .

ومن بني سلِمة ثم من بني حَرَام : عبدُ الله بن عمرو بن حَرَامُ ، ابنه جابر ، وثابتُ ابن الجِذْع[3] ثعلبةَ بن زيد بن الحارث بن حرام ، وعُمير— وقيل عمرو — بن الحارث ابن ثعلبة بن الحارث ابن حرام ، وابن هشام يقول : لِبْدة بدل ثعلبة . وعمرو بن الجموح ابن زيد بن حرام ، وابنه معاذ . و لم يذكر ابن إسحاق[4] عَمْراً . وخَديجُ بن سلامة بن أوس بن عمرو بن كعب بن القُراقِر بن الضَّحْيَان أبو شُبَاث[5] حليف لهم من قضاعة ، سبعة .

ومن بني أُدَيّ بن سعد أخي سَلِمة بن سعد : معاذُ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن أُدَيّ ، عداده في بني سَلِمة ؛ لأنه كان أخا سهل ابن محمد بن الجد بن قيس بن صخر بن سنان بن عُبيد لأمه .

ومن بني غنم بن عوف أخي سالم الحُبْلى[6] : عبادة بن الصامت ، والعبَّاسُ بن عُبادة

(١) في السيرة الشامية ؛ للصالحي ٢٩٩/٣ : ناشرة .
(٢) الاستيعاب ، لابن عبد البر أبو عمر .
(٣) الجِذْعُ : هو ثعلبة بن زيد ، والجِذْعُ لقبه .
(٤) سبق أن ذكر المؤلف رحمه الله تعالى أن عمرو بن الجَمُوح ممن تأخر إسلامهم ص ٢٧٦ .
(٥) أبو شُبَاث : كنية خديج بن سلامة .
(٦) الحُبْلَى : هو لقب سالم بن غَنْم المذكور ، لُقّب بذلك لعظم بطنه ، وعُرف أولاده ببني الحُبْلى ، والنسبة إليهم حُبُلِّي ، بضم الباء ، على غير القياس .

ابن نَضْلة ، ويزيدُ بن ثعلبة البلوي حليفهم ، وعمرو بن الحارث بن لِبْدة بن عمرو بن ثعلبة ، ومالك بن الدُّخْشُم بن مالك بن الدُّخْشُم بن مِرْضَخة بن غَنْم ، وأبو معشر ينكر شهوده العقبة ، خمسةٌ ، وهم من القواقل .

ومن بني الحُبْلى سالم : رِفاعة بن عمرو بن زيد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن سالم ، وابنه مالك بن رِفاعة ، ذكره الأموي . وعقبةُ بن وَهْب بن كَلَدَة بن الجعد بن هلال بن الحارث بن عمرو بن عدي بن جشم بن عوف بن بُهْثة بن عبد الله بن غطفان بن سعد ابن قيس عيلان حليفٌ لهم ، ثلاثة .

ومن بني ساعدة : سعدُ بن عبادة ، والمنذرُ بن عمرو .

والمرأتان من بني مازن بن النجار : نَسِيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول ابن عمرو بن غَنْم بن مازن أمُّ عُمارة . ومن بني سلِمة : أمُّ مَنيع أسماءُ بنت عمرو بن عدي بن نابي .

قال أبو عمر : وقد ذكر بعض أهل السير فيهم أوس[1] بن عباد بن عدي في بني سلِمة .

ذكر فوائد تتعلق بخبر هذه العقبة

● قول البراء : نمنعك مما نمنع منه أزرَنا . العربُ تكني عن المرأة بالإزار ، وتكني به أيضاً عن النفس ، وتجعل الثوب عبارة عن لابسه ، ويحتمل هنا الوجهين . قاله السهيلي . قال : ومعروز معناه مقصود ، ورأيت بخط جدي[2] أبي بكر محمد بن أحمد رحمه الله : البراء في اللغة ممدود : آخر ليلة من الشهر وبها سمي البراء بن معرور ، وكانت العرب تسمي بما تسمعه حال ولادة المولود .

---

(١) قال في نور النبراس : اعلم أن أوساً هذا لم أرَ أحداً ذكره في الصحابة فضلاً عن أن يكون من أهل العقبة ، وقد راجعت الاستيعاب فلم أر ذلك فيه ، ولعله ذكره في غير الاستيعاب والله أعلم .

(٢) جدي : أي جد المؤلف وهو حافظ المغرب أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن سيد الناس الأندلسي اليعمري . انظر ترجمة ابن سيد الناس في أول الكتاب ص ٣٥ .

قلت : وابنه بشر بن البراء الذي سوَّده رسول الله ﷺ على بني سلِمة كما ذكر ابن إسحاق ، وكما أنبأنا محمد بن أبي الفتح الصُّوري بقراءة الحافظ أبي الحجاج المِزّي عليه وأنا أسمع ، أخبركم أبو القاسم بن الحرستاني قراءة عليه وأنتم تسمعون ؟ فأقرَّ به . أخبرنا أبو الحسن بن قبيس،أخبرنا أبو الحسن بن أبي الحديد ، أخبرنا جدي أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر الخرائطي ، حدثنا أبو بكر أحمد بن منصور الرمادي ، حدثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن الزهري ، عن ابن كعب بن[1] مالك ، أن رسول الله ﷺ قال لبني ساعدة : « من سيّدُكم ؟ قالوا : الجدُّ بن قيس . قال : بم سودتموه ؟ قالوا : إنه أكثرُنا مالاً ، وإنا على ذلك لنَزُنُّه[2] بالبخل . فقال النبيّ ﷺ وأي داءٍ أدوأُ من البخل ؟ قالوا : فمن ؟ قال : سيدكم بشر بن البراء بن معرور » .

وكان أولَ من استقبل الكعبة[3] حياً وميتاً ، وكان يُصلّي إلى الكعبة ورسول الله ﷺ يُصلِّي إلى بيت المقدس ، فأطاع النبيَّ ﷺ ، فلما حضره الموت قال لأهله استقبلوا بي الكعبة . كذا روينا في هذا الخبر .

وروينا عن عمرو بن دينار ومحمد بن المنكدر والشعبي من طريق ابن سعد[4] ؛ أن النبيَّ ﷺ ، قال : بل سيدكم الجعد الأبيض عمرو بن الجموح .

وذكره السهيلي[5] عن الزهري ، والذي وقع لنا عن الزهري كرواية ابن إسحاق[6] .

وأنشد أبو عمر في ذلك لشاعر الأنصار :

---

(١) قال سبط ابن العجمي : هذا الحديث مرسل وليس في الكتب الستة ، ولا أدري من عنى بابن كعب ابن مالك . وأولاد كعب بن مالك كلهم تابعيون .. ثم قال : اعلم أن كعب بن مالك له عدة أولاد رووا عنه ، وهم : عبد الله ، وعبد الرحمن ، ومحمد ، ومصعب ، وعبيد الله .. وروى عنه ابن ابنه : عبد الرحمن بن عبد الله ، والزهري ..

(٢) « لَنَزُنُّه » : من زنَّ يَزُنُّ : بمعنى اتهم ، وكذا : أَزَنَّ يُزِنُّ .

(٣) في « ب » و « ج » و « د » : القبلة .

(٤) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد .

(٥) الروض الأنف ٢/٢٠٢ .

(٦) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٤٦١ .

وقـــال رسولُ الله والحقُّ قولُـــه لمن قـال منـا مـن تعـدون سيّـدا
فقالوا له جدُّ بـن قـيس على التـي نُبَخِّلُـــه فيها ومـــا كان أسودا
فسوَّدَ عمرو بـنَ الجمـوحِ لجودِه وحُـقَّ لعمـرٍو بالنَّـدَى أن يُسَوَّدا

في أبيات[1] ذكرها .

وقد بقي علينا في الخبر الذي أسندناه آنفاً موضعان ينبغي التنبيه عليهما :

أحدهما : قوله لبني ساعدة ، وليس بشيء ، ليس في نسب هؤلاء ساعدة ، هم بنو سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج .

والثاني : قوله في بشر بن البراء ، وكان أوَّل من استقبل الكعبة حياً وميتاً ، وإنما ذلك أبوه البراء غيرَ شكٍّ . كذلك رويناه فيما سلف ، وكذلك رويناه عن أبي عَروبة ، حدثنا ابن شبيب ، حدثنا عبدُ الرزاق ، أخبرنا معمر ، قال : قال الزهري : البراءُ بن معرور أوّلُ من استقبل القبلة حياً وميتاً[2] .

وذكرُ يزيد بن خِزام ، هو عند ابن إسحاق وعند موسى بن عقبة : يزيد بن خدارة ، وعند أبي عمر : يزيد بن حرام .

ويزيد بن خزمة – بسكون الزاي عند ابن إسحاق وابن الكلبي ، وفتحَها الطبري – وهو يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم بن عمرو بن عَمّارة – بفتح العين وتشديد الميم – .

وفروة بن عمرو بن وَذْفة ، عند ابن إسحاق بالذال المعجمة ، وقال ابن هشام بالدال المهملة ، ورجَّحه السهيلي ، وفسَّر الودفة بالروضة الناعمة .

● وقال[3] : وإنما جعلَ النبيُّ ﷺ النقباء اثني عشر اقتداءً بقوله سبحانه في قوم موسى ﴿ وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً ﴾ [المائدة : ١٢].

(١) الاستيعاب ؛ لابن عبد البر ٥٠٤/٢ .
(٢) رواه عبد الرزاق في مصنفه في الجامع رقم /٢٠٧٠٥/ عن معمر ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ... وانظر الإصابة ١٤٤/٣ .
(٣) وقال : أي السهيلي في الروض الأنف ٢٠٣/٢ .

● وقوله يا أهل الجباجب . يعني منازل منى .

● وأزبُّ العقبة : شيطان .

● وقوله : بل الدمُّ الدمُّ والهدْمُ الهدْمُ : قال ابن هشام : الهَدَم بفتح الدال ، وقال ابن قتيبة : كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار دمي دمك وهدَمي هَدَمُك ، أي ما هدمت من الدماء هدمته أنا . قال : ويقال أيضاً : بل اللدّم اللدّم والهدَم الهدَم ، وأنشد .

* ثم الحقي بهدَمي ولدَمي *

● فاللَّدمُ جمع لادم ، وهم أهله الذين يلتدمون عليه إذا مات ، وهو من لدمتُ صدَره إذا ضربتُه . والهدَم ، قال ابن هشام : الحرمةُ ، وإنما كنى عن حرمه الرجل وأهله بالهدَم ، لأنهم كانوا أهل نجعة وارتحال ، ولهم بيوت يستخفُّونها يوم ظَعَنِهم ، فكلما ظعنوا هدموها ، والهدَمُ بمعنى المهدوم ، كالقَبَض ، ثم جعلوا الهَدَم وهو البيت المهدوم ، عبارة عما حوى ، ثم قالوا : هَدَمي هَدمُك . أي رِحلتي مع رحلتك[1] .

* * *

(١) كذا في جميع النسخ ، وفي « أ » : راحلتي مع راحلتك .

ذكر الهجرة إلى المدينة

قال ابن إسحاق : فلما تمت بيعة هؤلاء لرسول الله ﷺ في ليلة العقبة ، وكانت سراً عن كفار قومهم وكفار قريش ، أمر رسول الله ﷺ من كان معه بالهجرة إلى المدينة . فخرجوا أرسالاً ، أوّلهم – فيما قيل – أبو سلمة بنُ عبد الأسد المخزومي ، وحُبست عنه امرأته أمّ سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بمكة نحو سنة ، ثم أذن لها بنو المغيرة الذين حبسوها في اللحاق بزوجها ، فانطلقت وحدَها مهاجرة ، حتى إذا كانت بالتنعيم لقيت عثمانَ بن طلحة أخا بني عبد الدار ، وكان يومئذ مشركاً ، فشيَّعَها حتى أوفى على قرية بني عمرو بن عوف بقباء ، قال لها : هذا زوجُكِ في هذه القرية ، ثم انصرف راجعاً إلى مكة ، فكانت تقول : ما رأيتُ صاحباً قط كان أكرمَ من عثمان بن أبي طلحة[1] .

وقد قيل : إن أول المهاجرين مصعب بن عمير . روينا عن أبي عروبة ، حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعتُ البراء يقول : كان أول من قدم المدينة من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير ، ثم عامر بن ربيعة حليفُ بني عدي بن كعب ، معه امرأته ليلى بنت أبي حَثْمة بن غانم[2] . قال أبو عمر : وهي أوَّل ظعينة دخلت من المهاجرات المدينة . وقال موسى بن عقبة : وأوّل امرأة دخلت المدينة أم سلمة .

ثم عبدُ الله بن جحش بن رئاب بأهله وأخيه عبدِ بن جحش أبي أحمد ، وكان ضريراً ، وكان منزلهما[4] ومنزل أبي سلمة وعامرٍ ، على مُبشِّر بن عبد المنذر بن زَنْبر بقباء في بني

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٤٦٨ – ٤٧٠ باختصار كبير .

(٢) حديث البراء هذا رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار (باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة) رقم /٣٩٢٤/ و/٣٩٢٥/ .

(٣) الاستيعاب ٤/٤٠٢ على هامش الإصابة .

(٤) « منزلهما » : أي نزولهما .

عمرو بن عوف .

قال أبو عمر : وهاجر جميع بني جحش بنسائهم ، فعدا أبو سفيان على دارهم فتملكها ، وكانت الفارعة بنت أبي سفيان بن حرب تحت أبي أحمد بن جحش . وزاد غيرُ أبي عمر : فباعها من عمرو بن علقمة أخي بني عامر بن لؤي ، فذكر ذلك عبد الله ابن جحش لما بلغه لرسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله : « ألا ترضى يا عبد الله أن يُعطيك الله بها داراً في الجنة خيراً منها ؟ قال : بلى ، قال : فذلك لك » . فلما افتتح رسولُ الله ﷺ مكة كلَّمه أبو أحمد في دارهم ، فأبطأ عليه رسول الله ﷺ ، فقال الناس لأبي أحمد : يا أبا أحمد ! إنَّ رسولَ الله ﷺ يكرهُ أن ترجعوا في شيء أُصيب منكم في الله . فأمسَكَ عن كلام رسول الله ﷺ[1] .

رجع إلى خبر ابن إسحاق :

وكان بنو غنم بن دُودان أهل إسلام قد أوعبوا[2] إلى المدينة مع رسول الله ﷺ هجرةً ؛ رجالُهم ونساؤهم .

عُكَّاشة بن مِحْصن بن حُرْثان بن قيس بن مرة بن كبير بن غَنْم بن دُودان بن أسد ابن خُزيمة أبو محصن ، حليفُ بني أمية . وأخوه عمرو بن مِحْصن . وشُجاع وعُقبة ابنا وَهْب بن ربيعة بن أسد بن صُهيب بن مالك بن كبير بن غنم بن دُودان بن أسد بن خزيمة . وأرْبَدُ بن جُميرة ، وقال ابن هشام : حُمَيْرة بالحاء ، وهو عند ابن سعد : حُمَيِّر . ومنقذ ابن نباتة بن عامر بن غنم بن دودان بن أسد . وسعيد بن رُقَيْش . ومُحرز بن نَضْلة ابن عبد الله بن مرة بن كبير بن غنم . وزيد بن رُقَيْش . وقيس بن جابر . ومالك بن عمرو . وصفوان بن عمرو . وثَقْفُ بن عمرو حليفُ بني عبد شمس . وربيعةُ بن أكثم بن سَخْبَرة ابن عمرو بن لُكَيْز بن عامر بن غَنْم بن دُودان بن أسد . والزبير بن عُبيدة . وتمَّام بن عبيدة . وسَخْبَرة بن عبيدة . ومحمد بن عبد الله بن جحش .

---

(١) قال سبط ابن العجمي : ذكر هذا الحديث سنداً ومتناً في كتاب « المؤتلف والمختلف » أبو الحسن الدارقطني . وانظر السيرة الشامية ، للصالحي ٣/٣١٥ .

(٢) « أوعبوا » : خرجوا جميعاً .

ومن نسائهم : زينب بنت جحش . وأمُّ حبيبة بنت جحش . وجُدَامة بنت جندل . وأمُّ قيس بنتِ محصن . وأم حبيب بنت ثُمامة . وآمنة بنت رُقَيْش . وسَخْبرة بنت تميم . وحَمْنة بنت جحش[1] .

وقال أبو عمر : ثم خرج عمرُ بن الخطاب ، وعيَّاشُ بن أبي ربيعة ، في عشرين راكباً ، فقدموا المدينة ، فنزلوا في العوالي في بني أمية بن زيد ، وكان يُصلّي بهم سالم مولى أبي حذيفة ، وكان أكثرُهم قرآناً ، وكان هشام بن العاصي بن وائل قد أسلمَ وواعدَ عمرَ بن الخطاب أن يهاجرَ معه ، وقال : تجدني أو أجدك عند أضاةِ[2] بني غِفار ، ففطن لهشام قومُه فحبسوه عن الهجرة . ثم إن أبا جهل والحارث بن هشام ـ ومن الناس من يذكر معهما أخاهما العاصي بن هشام ـ خرجا حتى قدما المدينةَ ، ورسول الله ﷺ بمكة ، فكلّما عياشَ بن أبي ربيعة ، وكان أخاهما لأمهما وابن عمهما ، وأخبراه أن أمه قد نذرت أن لا تغسلَ رأسها ولا تستظلَّ حتى تراه ، فرقَّتْ نفسُه وصدَّقهما ، وخرج راجعاً معهما ، فكتَّفاه في الطريق وبلغا به مكة ، فحبساه بها إلى أن خلَّصه الله تعالى بعد ذلك بدعاء رسول الله ﷺ له في قنوت الصلاة : « اللهم أنجِ الوليدَ بن الوليد ، وسلمة بن هشام ، وعيَّاش ابن أبي ربيعة »[3] .

قال ابن إسحاق : فحدثني بعضُ آل عياش بن أبي ربيعة ؛ أنهما حين دخلا مكة ، دخلا به نهاراً مُوثَقاً ، ثم قالا : يا أهل مكة ، هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفيهنا هذا[4] .

قال ابن هشام : وحدثني من أثق به ، أن رسولَ الله ﷺ قال وهو بالمدينة : « من لي بعياش بن أبي ربيعة ، وهشام بن العاص ؟ » فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة : أنا لك

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٧٢/١ .
(٢) « أضاة » : كحَصَاة ، الغدير يجتمع من ماء المطر ، وهي على عشرة أميال ، شمال مكة .
(٣) الدرر في المغازي والسِّير ؛ لابن عبد البر ص ٧٧ .
وحديث دعاء النبي ﷺ في قنوت الصلاة رواه البخاري في كتاب الجهاد (باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة) رقم /٢٩٣٢/ .
(٤) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٧٥/١ .

يا رسولَ الله بهما . فخرج إلى مكة فقدمها مستخفياً ، فلقي امرأة تحمل طعاماً ، فقال لها : أين تريدين يا أمة الله ؟ قالت : أريد هذين المحبوسين – تعنيهما – فتبعها حتى عرفَ موضعهما ، وكانا محبوسين في بيتٍ لا سقفَ له ، فلما أمسى تسوَّرَ عليهما ، ثم أخذ مروة[1] فوضعها تحت قيديهما ، ثم ضربهما بسيفه فقطعهما ، فكان يُقال لسيفه : ذو المروة لذلك . ثم حملهما على بعيره ، وساق بهما ، فعثَرَ فدميت إصبعه ، فقال :

هل أنتِ إلا إصبعٌ دَميتِ ؟ وفي سبيلِ الله ما لقيتِ

ثم قدم بهما على رسول الله ﷺ المدينة[2] .

قال ابن إسحاق : ونزل عمرُ بن الخطاب حين قدم المدينة ، ومن لحق به من أهلِه وقومِه ، وأخوه زيد بن الخطاب ، وعمرو وعبدُ الله ابنا سراقة بن المعتمر بن أنس بن أداة ابن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب ، وخُنيس بن حُذافة السهمي – وكان صهرُه على ابنته حفصة بنت عمر بن الخطاب ، خَلَفَ عليها رسولُ الله ﷺ بعدَه – وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل ، وواقد بن عبد الله التميمي حليفٌ لهم ، وخَوْلِّي بن أبي خَوْلي ، ومالك بن أبي خولي ، واسم أبي خولي عمرو بن زهير – قيل : جُعْفي ، وقيل : عِجْلِّي وقيل غير ذلك – حليفان لهم ، وبنو البُكير أربعتُهم إياس وعاقل وعامر وخالد ، حلفاؤهم من بني سعد بن ليث : على رِفاعة بن عبد المنذر بن زنبر ، في بني عمرو بن عوف[3] بقباء ، وقد كان منزل عيَّاش بن أبي ربيعة معه عليه حين قدما المدينة[4] .

ثم تتابع المهاجرون ، فنزل طلحةُ بن عبد الله وصهيبُ بن سنان على خُبيب بن إساف ،

---

(١) « مروة » : حجر صُلب أبيض ، قد يقدح به النار .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٧٦/١ .

(٣) سبق للمؤلف أن نقل عن أبي عمر ؛ أن عمرَ بن الخطاب وعياشاً خرجا مهاجريْن في عشرين راكباً ، ونزلوا في العوالي في بني أمية بن زيد ، وانظر « الدرر » ص ٧٧ .

(٤) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٧٦/١ – ٤٧٧ . وانظر خبر هجرة صهيب في أسد الغابة ٣٠/٣ – ٣٣ .

ويقال : بل نزل طلحةُ على سعد بن زرارة أخي بني النجار ، كذا قال ابن سعد وإنما هو أسعد .

قال ابن هشام : وقد ذُكر لي عن أبي عثمان النهدي ، أنه قال : بلغني أن صُهيباً حين أراد الهجرةَ قال له كفار قريش : أتيتنا صُعلوكاً حقيراً ، فكثر مالك عندنا ، وبلغت الذي بلغتَ ، ثم تريدُ أن تخرج بمالك ونفسكَ ؟ لا والله لا يكون ذلك . فقال لهم صهيب : أرأيتم إن جعلتُ لكم مالي أتُخلون سبيلي ؟ قالوا : نعم . فقال : فإني قد جعلتُ لكم مالي . فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ ، فقال : « ربحَ صهيب ، ربحَ صهيب »[1] .

قال ابن إسحاق : ونزل حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة ، وأبو مَرْثد كُنَّاز بن الحصين بن يربوع بن عمرو بن يربوع بن خَرَشة بن سعد بن طريف بن جِلَّان بن غنم ابن غني بن يَعصر الغنوي ، كذا ذكره أبو عمر عن ابن إسحاق . وأما ابن الرُّشاطي[2] فقال : حصين بن عمرو بن يَربوع بن طريف بن خَرشة بن عُبيد بن سعد بن عوف بن كعب بن جيلان بن غنم بن غنيّ . وابنُه مرثد . وأَنَسة ، وأبو كبشة ؛ مولياً رسول الله ﷺ : على كلثوم بن هدم ، أخي بني عمرو بن عوف بقباء ، ويقال : بل نزلوا على سعد بن خيثمة . ويقال : بل نزل حمزة بن عبد المطلب على أسعد بن زرارة .

ونزل عُبيدة بن الحارث وأخواه الطفيل والحصين ومِسطح بن أُثاثة ـ واسمه عمرو ابن أُثاثة ـ بن عباد بن المطلب بن عبد مناف بن قصي ، وسويبط بن سعد بن حُريملة ، وطُليب بن عُمير ، وخبَّاب مولى عتبة بن غزوان : على عبد الله بن سلمة ، أخي بني العجلان بقباء .

ونزل عبدُ الرحمن بن عوف في رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع .

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٧٧/١ .

(٢) ابن الرُّشاطي : هو عبد الله بن علي بن عبد الله اللخمي الأندلسي ، أبو محمد ، عالم بالأنساب والحديث ، من كتبه « اقتباس الأنوار والتماس الأزهار ، في أنساب الصحابة ورواة الآثار » قال ابن كثير : هو من أحسن التصانيف الكبار . استشهد بالمرية عند تغلب الروم عليها عام ٥٤٢ هـ . الأعلام ١٠٥/٤ .

ونزل الزبيرُ بن العوام وأبو سبرة بن أبي رُهم على منذر بن محمد بن عقبة بن أُحيحة ابن الجُلاح .

ونزل مصعبُ بن عمير على سعد بن معاذ .

ونزل أبو حذيفة بن عتبة ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وعتبة بن غزوان ، على عبَّاد ابن بشر بن وَقْش .

ونزل عثمانُ بن عفان على أوس بن ثابت أخي حسان .

ويقال : نزل الأعزابُ من المهاجرين على سعد بن خيثمة ، وذلك أنه كان عَزَباً[1] .

وأقام رسولُ الله ﷺ بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يُؤذن له في الهجرة ، ولم يتخلّف معه أحدٌ من المهاجرين ، إلا من حُبس أو افتتن ؛ إلا عليُّ بن أبي طالب وأبو بكر ، وكان أبو بكر كثيراً ما يَستأذن رسولَ الله ﷺ في الهجرة ، فيقولُ له : لا تعجلْ ، لعلَّ الله أن يجعلَ لك صاحباً ، فيطمعُ أبو بكر أن يكون هو[2] .

ذكر يوم الزحمة

قال ابن إسحاق : ولما رأت قريش أن رسولَ الله ﷺ قد كانت له شيعة وأصحاب من غيرهم ، بغير بلدهم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم ، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً وأصابوا مَنَعة ، فحذِروا خروجَ رسول الله ﷺ إليهم ، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم ، فاجتمعوا له في دار الندوة ، وهي دار قُصيٍّ بن كلاب ، التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها ، يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ حين خافوه . فحدثني من لا أتهم من أصحابنا ، عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن مُجاهد بن جَبْر أبي الحجاج وغيره ممن لا أتهم ، عن عبد الله بن عباس ، قال : لما اجتمعوا لذلك واتّعدوا أن يدخلوا دارَ الندوة ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله ﷺ ، غدوا في اليوم الذي اتّعدوا له ، وكان ذلك

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٤٧٨ — ٤٨٠ .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٤٨٠ وفيها : فيطمع أبو بكر أن يكونه .

اليوم يُسمَّى يوم الزحمة ، فاعترضهم إبليس لعنه الله في هيئة شيخ جليل عليه بَتٌّ[1] له ، فوقف على باب الدار ، فلما رأوه واقفاً على بابها قالوا : من الشيخ ؟ قال : شيخ من أهل نجد[2] سمع بالذي اتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون ، وعسى أن لا يُعْدِمَكم منه رأياً ونصحاً . قالوا : أجل فادخلْ ، فدخلَ معهم ، وقد اجتمع فيها أشراف قريش من بني عبد شمس : عُتبة بن ربيعة ، وشيبةُ بن ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب . ومن بني نوفل ابن عبد مناف : طُعيمة بن عدي ، وجُبير بن مطعم ، والحارث بن عمرو بن نوفل . ومن بني عبد الدار بن قُصيّ : النضر بن الحارث بن كَلَدَةَ . ومن بني أسد بن عبد العزى : أبو البَخْتري بن هشام ، وزَمْعة بن الأسود ، وحكيم بن حِزام . ومن بني مخزوم : أبو جهل بن هشام . ومن بني سهم : نُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحجاج . ومن بني جُمَحَ : أمية بن خلف . ومن كان منهم وغيرهم ممن لا يُعَدُّ من قريش .

فقال بعضُهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم ، وإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا ، فأجمعوا فيه رأياً . قال : فتشاوروا ، ثم قال قائل منهم : احبسوه في الحديد ، وأغلقوا عليه باباً ، ثم تربصوا به ما أصابَ أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبلَه زهير والنابغة ، ومن مضى منهم من هذا الموت ، حتى يصيبَه ما أصابهم . قال الشيخ النجدي : لا والله ما هذا لكم برأي ، والله لو حبستموه كما تقولون ليخرجنَّ أمرُه من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه ، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ، ثم يُكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ، ما هذا لكم برأي ، فانظروا إلى غيره . فتشاوروا ، ثم قال قائل منهم : نُخرجه من بين أظهرنا ، فننفيه من بلادنا ، فإذا

---

(١) « بتٌّ » : الكساء الغليظ من صوف جيد أو خز ، يُلبسُ كالعباءة ، فيدل على المكانة والشرف ، وجمعه بتوت ، قال الراجز في معرض فخره :

مــــن كان ذا بتٌّ فهــــذا بَتِّــــي   مقيَّــــظٌ مُصَيَّــــفٌ مُشَتِّــــي

نسجتـــــهُ مـــــن نَعَجَـــاتٍ ست   سودٍ سمانٍ مـــن نعجـــات الـــدَّشْتِ

والدست : الأرض الواسعة .

(٢) قال السهيلي في « الروض الأنف » ٢٩١/١ : وإنما قال لهم : إني من أهل نجد ــ فيما ذكر بعضُ أهل السير ــ لأنهم قالوا : لا يدخلنَّ معكم في المشاورة أحد من أهل تِهامة ؛ لأن هواهم مع محمد .

خرجَ عنا ، فوالله ما نبالي أين ذهب ولا حيث وقع إذا غاب عنا وفرغنا منه ، فأصلحنا أمرنا وأُلفتنا كما كانت . قال الشيخ النجدي : والله ما هذا لكم برأي ألم تروا حسنَ حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به ، والله لو فعلتم ذلك ما أمنتُ أن يَحُلَّ على حيٍّ من العرب ، فيغلب بذلك عليهم من قوله وحديثه ، حتى يُتَابعوه عليه ، ثم يسيرُ بهم إليكم ، حتى يطأكم بهم ، فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد ، أديروا فيه رأياً غير هذا . قال : فقال أبو جهل بن هشام : والله إن لي فيه لرأياً ما أراكم وقعتم عليه بعدُ . قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : أرى أن تأخذوا من كل قبيلة فتًى شاباً جَلْداً نسيباً وسيطاً ، ثم نعطي كلَّ فتى منهم سيفاً صارماً ، ثم يعمَدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه ، فنستريحَ منه ؛ فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرَّقَ دمُه في القبائل جميعاً ، فلم يقدرْ بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً ، فيرضوا منّا بالعقل[1] ، فعقلناه لهم . قال : يقول الشيخ النجدي : القولُ ما قال هذا الرجل ، هذا الرأيُ ولا رأيَ غيره . فتفرق القومُ على ذلك وهم مجمعون له .

فأتى جبريلُ رسولَ الله ﷺ فقال : لا تبتْ هذه الليلة على فِراشك الذي كنتَ تبيتُ عليه . قال : فلما كانت عَتمةٌ من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام ، فيثبون عليه ، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانَهم قال لعلي بن أبي طالب : نم على فراشي وتسجَّ[2] ببردي هذا الحضرمي الأخضر ، فنم عليه ، فإنه لن يخلُص إليك شيء تكرهه منهم . وكان رسول الله ﷺ ينام في برده ذلك إذا نام[3] .

فحدثني يزيدُ بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : لما اجتمعوا له وفيهم أبو جهل بن هشام ، فقال وهم على بابه : إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوكَ العرب والعجم ، ثم بُعثتم من بعد موتكم ، فجُعلت لكم جنانٌ كجنان الأردن ، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح ، ثم بُعثتم من بعد موتكم ، فجُعلت لكم نارٌ تُحرقون فيها .

---

(١) « بالعقل » : بإعطاء الدية ، وأصلها من عَقْل إبل الدية بِفناء ولي أمر المقتول .

(٢) « تسجَّى » : تغطَّى .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٤٨٠ — ٤٨٣ .

قال : وخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخذَ حفنةً من تراب في يده ، ثم قال : نعم أنا أقول ذلك ، وأنت أحدُهم . وأخذ الله أبصارَهم عنه فلا يرونه ، فجعل ينثر ذلك الترابَ على رؤوسهم ، وهو يتلو هذه الآيات ﴿ يٓس . والقرآن الحكيم . إنك لمن المرسلين . على صراط مستقيم ﴾ إلى قوله : ﴿ فأغشيناهم فهم لا يُبصرون ﴾ [يس : ١ – ٩] حتى فرغ رسولُ الله ﷺ من هذه[1] الآيات ، ولم يبق منهم رجلٌ إلا وقد وضع على رأسه تراباً ، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهبَ ، فأتاهم آتٍ ممن لم يكن معهم ، فقال : وما تنتظرون ها هنا ؟ قالوا : محمداً . قال : قد خيَّبكم اللهُ ، قد والله خرجَ عليكم محمدٌ ، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضعَ على رأسه تراباً وانطلق لحاجته ، أفما ترون ما بكم ؟ قال : فوضعَ كلُّ رجل منهم يدَه على رأسه فإذا عليه تراب ، ثم جعلوا يَطَّلعون ، فيرون علياً على الفراش متسجِّياً ببرد رسول الله ﷺ فيقولون : والله إن هذا لمحمد نائماً ، عليه برده ، فلم يزالوا كذلك حتى أصبحوا[2] ، فقام عليٌّ عن الفراش . فقالوا : والله لقد صدقنا الذي كان حدثنا .

فكان مما أنزل الله من القرآن في ذلك : ﴿ وإذ يمكرُ بك الذين كفروا ليُثْبتوكَ أو يقتلوك أو يُخرجوك ويمكرونَ ويمكرُ الله والله خيرُ الماكرين ﴾ [الأنفال : ٣٠] وقول الله تعالى : ﴿ أم يقولون شاعرٌ نتربَّص به ريبَ المَنُون . قلْ تربَّصُوا فإني معكم من المتربصين ﴾[3] [الطور : ٣٠ – ٣١] .

* * *

---

(١) كذا في « أ » وفي « ج » والسيرة النبوية ٤٨٣/١ : هؤلاء .

(٢) قال سبط ابن العجمي : إن قيل : ما المانع لهم من اقتحام الجدار عليه في الدار مع قصر الجدار ، وقد جاؤوا لقتله ؟ قيل : ذكر بعضُ أهل السير في الخبر أنهم هَمُّوا بالولوج عليه ، فصاحت امرأة من الدار . فقال بعضهم لبعض : إنها لسُبَّةٌ في العرب أن يُحَدَّث عنا أنّا تسوّرنا الحيطانَ على بنات العمّ وهتكنا ستر حرمتنا ، فهذا الذي ألزمَهم الباب حتى أصبحوا .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٨٣/١ – ٤٨٤ ، وهذا الخبر عن محمد بن كعب القرظي لم يسنده إلى صحابي ، فهو مرسل .

ذكر فوائد تتعلق بهذه الأخبار

● قوله : بقباء هو مسكن بني عمرو بن عوف ، على فرسخ من المدينة ، ويُمدُّ ويُقصر ، ويؤنث ويذكر ، ويُصرف ولا يصرف .

● **وذكرَ** في مهاجري بني دودان بن أسد : بناتِ جحش بن رئاب ، وهن : زينب ، وكان اسمُها بَرَّة ، فسمَّاها رسولُ الله ﷺ زينب ، وهي التي كانت عند زيد ابن حارثة ، ونزلت فيها ﴿ فلما قَضَى زيدٌ منها وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ [الأحزاب : ٣٧] . وحمنةُ بنتُ جحش ، وهي التي كانت تحت عبد الرحمن بن عوف . وأم حبيبة ، وقال السهيلي : أم حبيب وحكاه أبو عمر ، وقال : هو قول أكثرهم ، وكان شيخُنا الحافظ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي رحمه الله يقول : أم حبيب حبيبة ، وأما الحافظ أبو القاسم بن عساكر فعنده أم حبيبة ، واسمها حمنة ، فهما اثنتان – على هذا – فقط . ولم أجد في جمهرة ابن الكلبي وكتاب أبي محمد بن حزم في النسب غير زينب وحمنة ، والسهيلي يقول : كانت زينبُ عند زيد بن حارثة ، وأم حبيب تحت عبد الرحمن بن عوف ، وحمنة تحت مُصعب بن عمير . وقال : ووقع في الموطأ وَهَم أن زينبَ كانت تحت عبد الرحمن بن عوف ، ولم يقلْه أحد ، والغلط لا يسلم منه بشر ، غير أن شيخنا أبا عبد الله محمد بن نجاح ، أخبرنا : أن أم حبيب كان اسمُها زينب ، فهما زينبان ، غلبت على إحداهما الكنية ، فعلى هذا لا يكون في حديث الموطأ وهم .

● **وذكرَ** جدامةَ بنت جندل – وهي بالدال المهملة ، ومن أعجمَها فقد صحف – قال السهيلي : وأحسبُها جُدامة بنت وهب . قلت : جدامة بنت جندل غير معروفة ، والذي ذكره أبو عمر جدامة بنت وهب ، أسلمت بمكة وهاجرت مع قومها إلى المدينة لا يُعرف غير ذلك .

● **وذَكر** في المهاجرين مُحرزَ بن نَضْلة . وابن عُقبة يقول فيه : محرز بن وهب .

● **وذَكر** في خبر يوم الزحمة : تشاورَ قريشٍ في أمره عليه السلام ، ولم يسمِّ المشيرين ، وكان الذي أشار بحبسه أبو البختري بن هشام ، والذي أشار بإخراجه ونفيه هو أبو الأسود ربيعةُ بن عُمير ، أخو بني عامر بن لؤي ، ذكره السهيلي عن ابن سلَّام .

أحاديث الهجرة وتوديع رسول الله ﷺ مكة

قرأت على أبي حفص عمر بن عبد المنعم بعربيل من غوطة دمشق ، أخبركم أبو القاسم عبد الصمد بن محمد الأنصاري حضوراً في الرابعة ، أخبرنا أبو الحسن السلمي ، أخبرنا أبو نصر الحسين بن محمد بن أحمد بن طَلَّاب الخطيب ، قال : أخبرنا ابن جميع ، حدثنا إبراهيم بن معاوية ، حدثنا عبدُ الله بن سليمان ، حدثنا نصر بن عاصم ، حدثنا الوليد ، حدثنا طلحة ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « والله إني لأخرجُ منكِ وإني لأعلم أنك أحبُّ بلاد الله إلى الله ، وأكرمُها على الله ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجتُ منك »(1) .

وكان أبو بكر يستأذنُه عليه الصلاة والسلام في الهجرة فيثبطه ليكونَ معه من غير أن يصرِّحَ له بذلك ؛ كما أخبرنا الإمام أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المقدسي بقراءة والدي عليه وأنا حاضر في الرابعة ، وأبو عبد الله محمد بن عبد المؤمن بقراءتي عليه بظاهر دمشق ، قالا : أخبرنا ابنُ ملاعب ، أخبرنا الأرموي ، أخبرنا يوسف بن محمد بن أحمد ، أخبرنا أبو عمر بن مهدي ، أخبرنا ابن مخلد ، حدثنا ابن كرامة ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : استأذنَ أبو بكر في الخروج من مكة حين اشتدَّ عليه الأذى ، فقال له رسول الله ﷺ : أقم . فقال : يا رسول الله ! أتطمعُ أن يُؤذن لك ؟ فيقول : إني لأرجو ذلك . فانتظره أبو بكر ، ثم أتى رسولُ الله ﷺ ذات يوم ظهراً ، فناداه ، فقال : أخرجْ مَنْ عِندَك . فقال : يا رسولَ الله إنما هما ابنتاي . قال : أشَعْرتَ(2) أنه قد أُذن لي في الخروج ؟ فقال : يا رسولَ الله ! الصحبة . فقال : الصحبةَ . قال : يا رسول الله ! عندي ناقتان قد أعددتُهما للخروج ، فأعطى النبيَّ ﷺ إحداهما

---

(1) قال في نور النبراس : هذا الحديث ليس في الكتب الستة ولا أحدها .. وذكر في إسناده طلحة بن عمرو المكي ، روى عن سعيد بن جبير وعطاء ، ضعفوه ، وكان واسع الحفظ ، أخرج له ابن ماجه ، توفي سنة ١٥٢ هـ . وانظر ميزان الاعتدال ٢/٣٤٠ .

(2) « أشعرتَ » : أعلمتَ .

ـ وهي الجدعاء ـ فركبها ، فانطلقا حتى أتيا الغار ، وهو بثور ، فتواريا فيه ، وكان عامرُ بن فُهيرة غلاماً لعبد الله[1] بن الطفيل ، وهو أخو عائشة[2] لأمها ، وكانت لأبي بكر منحة[3] فكان يروح بها ويغدو عليها ، ويُصبح فيُدلج إليهم ، ثم يَسرح ولا يفطن له أحد من الرعاء ، فلما خرجا خرج معهما يُعقبانه ، حتى قدم المدينة ، فقُتِلَ عامر بن فهيرة يوم بئر معونة[4] .

حديث الغار

قرأت على أبي الفتح الشيباني بدمشق ، أخبركم الحسن بن علي بن الحسين بن الحسن ابن محمد بن البن الأسدي قراءة عليه وأنت تسمع ، قال : أخبرنا جدي ، قال : أخبرنا أبو القاسم بن أبي العلاء ، أخبرنا ابن أبي النصر ، أخبرنا خيثمة ، حدثنا عبد الله بن أحمد الدورقي ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا عون بن عمرو القيسي أخو رِياح القيسي ، حدثنا أبو مصعب المكي ، قال : أدركت أنسَ بن مالك وزيدَ بن أرقم والمغيرة بن شعبة ، فسمعتُهم يتحدثون : أن النبيَّ ﷺ ليلةَ الغار أمرَ الله شجرةً فنبتت في وجه النبي ﷺ فسترته ، وأمرَ الله حمامتين وحشيتين فوقفتا بفم الغار ، وأقبل فِتيانُ قريش من كل بطن بِعِصيِّهم وهَراويهم وسيوفهم ، حتى إذا كانوا من النبي ﷺ على أربعين ذراعاً ، تعجل بعضهم ينظر في الغار فلم ير إلا حمامتين وحشيتين بفم الغار ، فرجع إلى أصحابه ، فقالوا له : ما لك ؟ قال : رأيتُ حمامتين وحشيّتين فعرفتُ أنه ليس فيه أحد ، فسمعَ النبيُّ ﷺ

---

(١) قال سبط ابن العجمي في « نور النبراس » ما خلاصته : كذا وقع في غزوة الرجيع من البخاري ، وصوابه : الطفيل بن عبد الله ، وقد كان أبو بكر اشترى عامراً من الطفيل وأعتقه .

(٢) أي : الطفيل . وكان أبوه عبد الله بن الحارث بن سخبرة قدم هو وزوجته أم رومان إلى مكة وسكنها حليفاً لأبي بكر ، فولدت له أم رومان الطفيل ؛ ثم توفي ، فخلفه عليها أبو بكر ، وأنجب منها عبد الرحمن وعائشة ، فهما أخوا الطفيل لأمه .

(٣) « منحة » : القطعة من الغنم .

(٤) رواه البخاري في كتاب المغازي (باب غزوة الرجيع) رقم /٤٠٩٣/ ، والمؤلف رحمه الله تعالى رواه بإسناده لما فيه من البدل ، وهو إسناد عال ، فتأمله .

ما قال ، فعرف رسولُ الله ﷺ أن الله عز وجل قد درأ عنه[1] .

حديث الهجرة وخبر سُراقة بن مالك بن جُعْشُم

روينا من طريق البخاري ، حدثنا يحيى بن بُكير ، حدثنا الليث ، عن عقيل ، قال ابن شهاب ، فأخبرني عروة بن الزبير أن عائشة زوجَ النبيّ ﷺ قالت : لم أعقلْ أبوي إلا وهما يدينان الدينَ ، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسولُ الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشيّة ، فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة ، حتى إذا بلغَ بَرْكَ[2] الغِماد لقيه ابن الدُّغنّة ، وهو سيد القارة[3] ، فقال : أين تريد يا أبا بكر ؟ قال أبو بكر : أخرجني قومي ، فأريدُ أن أسيحَ في الأرض ، فأعبدَ ربي . قال ابن الدُّغنة : فإن مثلك يا أبا بكر لا يُخرَجُ ، إنك تُكسب المعدومَ ، وتصل الرحمَ ، وتحمل الكلَّ ، وتَقري الضيفَ ، وتعينُ على نوائب الحق ، فأنا لك جار ، فارجع فاعبدْ ربَّك ببلدك . فرجع وارتحل مع ابن الدغنة ، فطاف ابن الدغنة عشيّة في أشراف قريش ، فقال لهم : إن أبا بكر لا يَخرجُ مثلُه ولا يُخرج ، أتُخرجون رجلاً يُكسب المعدومَ ، ويَصل الرحم ، ويحمل الكلَّ ويَقري الضيفَ ، ويُعين على نوائب الحق . فلم تكذِّب قريش بجوار ابن الدغنة . وقالوا لابن الدُّغنّة : مر أبا بكر فليعبدْ ربَّه في داره ، فليصلِّ فيها وليقرأ ما شاء ، ولا يؤذنا بذلك ، ولا يستعلن به ، فإنا نخشى أن يفتنَ نساءَنا وأبناءَنا . فقال ذلك ابنُ الدغنة لأبي بكر .

فلبث أبو بكر بذلك يعبدُ ربَّه في داره ولا يستعلنُ بصلاته ولا يقرأُ في غير داره .

---

(١) حديث الغار رواه ابن سعد ٢٢٩/١ ، وأبو نُعيم في دلائل النبوة ، والبيهقي في دلائل النبوة ٤٨٢/٢ وابن عساكر ، كلهم عن أبي مُصعَب المكي . وفي سنده عون بن عمرو منكر الحديث مجهول ، وذكر الذهبي له حديثين ، الثاني منهما هذا الذي ذكره المؤلف . وقال : أبو مُصعب لا يُعرف . انظر ميزان الاعتدال ٣٠٦/٣ ـ ٣٠٧ ، والسيرة الشامية ٣٣٩/٣ ـ ٣٤٠ .

(٢) « بَرك الغِماد » : موضع على خمس ليالٍ من مكة إلى جهة اليمن . وقال البكري : هي أقاصي هجر .

(٣) « القارة » : بتخفيف الراء ، قبيلة مشهورة من بني الهُون بن خزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مُضر ، وكانوا حلفاء بني زُهرة من قريش .

ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره ، فكان يُصلي فيه ويقرأُ القرآن ، فيتقصَّفُ[1] عليه نساء المشركين وأبناؤهم ، وهم يعجبون منه ، وينظرون إليه . وكان أبو بكر رجلاً بكَّاء ، لا يملكُ عينيه إذا قرأ القرآن ، فأفزع ذلك أشرافَ قريش من المشركين ، فأرسلوا إلى ابن الدُّغنّة ، فقدم عليهم ، فقالوا : إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبدَ ربَّه في داره ، فقد جاوز ذلك ، فابتنى مسجداً بفناء داره ، فأعلن بالصلاة والقراءة فيه ، وإنا قد خشينا أن يفتنَ نساءَنا وأبناءَنا بهذا ، فإن أحبَّ أن يقتصرَ على أن يعبدَ ربَّه في داره فعل ، وإن أبى إلا أن يُعلنَ بذلك فسله أن يردَّ إليك ذمّتك ، فإنا قد كرهنا أن نُخْفِرَكَ ، ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان .

قالت عائشة : فأتى ابن الدُّغنّة إلى أبي بكر فقال : قد علمتَ الذي عاقدتُ لك عليه ، فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترجعَ إليَّ ذمتي ، فإني لا أحب أن تسمع العربُ أني أُخْفِرتُ في رجل عقدت له . فقال له أبو بكر : فإني أردُّ إليك جوارَك وأرضى بجوار الله . والنبيُّ ﷺ يومئذ بمكة ، فقال النبي ﷺ للمسلمين : إني أُريت دارَ هِجرتكم ذات نخل بين لابتين ، وهما الحرتان ، فهاجر من هاجر قِبل المدينة ، ورجعَ عامةُ من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة ، وتجهَّز أبو بكر قِبل المدينة . فقال له رسول الله ﷺ : على رِسْلك ، فإني أرجو أن يُؤذن لي . فقال أبو بكر : هل ترجو ذلك بأبي أنت ؟ قال : نعم . فحبسَ أبو بكر نفسَه على رسول الله ﷺ ليصحبَه ، وعلف راحلتين عندَه ورق السَّمُرِ ـ وهو الخَبْطُ ـ أربعةَ أشهر .

قال ابن شهاب : قال عروة : قالت عائشة : فبينا نحن جلوس يوماً في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة ، قال قائل لأبي بكر : هذا رسول الله ﷺ متقنعاً في ساعة لم يكن يأتينا فيها . فقال أبو بكر : فدى له أبي وأمي ، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمرٌ . قالت : فجاء رسول الله ﷺ ، فاستأذن ، فأُذِن له ، فدخل ، فقال النبيُ ﷺ لأبي بكر : أخرجْ مَن عندك . فقال أبو بكر : إنما هم أهلُك بأبي أنت يا رسول الله . قال : فإنه قد أُذن لي في الخروج . فقال أبو بكر : الصحابةَ بأبي أنت يا رسول الله ؟ قال رسول الله ﷺ :

---

(١) « فيتقصّف عليه » : يزدحمون عليه حتى يسقط بعضُهم على بعض .

نعم . قال أبو بكر : فخذ بأبي أنت يا رسولَ الله إحدى راحلتي هاتين . قال رسولُ الله ﷺ : بل بالثمن . قالت عائشة : فجهزناهما أحثَّ الجَهاز ، وصنعنا لهما سفرةً في جِراب ، فقطعت أسماء بنتُ أبي بكر قطعةً من نِطاقها فربطت به على فم الجِراب فبذلك سميت ذاتُ النطاقين . قالت : ثم لحق رسولُ الله ﷺ وأبو بكر بغارٍ في جبل ثور ، فمكثا فيه ثلاثَ ليال يبيتُ عندهما عبدُ الله بن أبي بكر ، وهو غلام شابٌّ ثَقِفٌ لَقِن[1] ، فيدلج من عندهما بسحر ، فيُصبح مع قريش بمكة كبائت ، فلا يسمعُ أمراً يُكادان[2] به إلا وعاه ، حتى يأتيهما بخبر ذلك[3] حين يختلط الظلام ، ويرعى عليهما عامرُ بن فهيرة مولى أبي بكر مِنْحة من غنم ، فيريحها عليهما حين تذهبُ ساعة من العشاء ، فيبيتان في رِسْل — وهو لبنُ منحتهما ورضيفُهما[5] — حتى ينعِق[6] بهما عامرُ بن فهيرة بغلَس ، يفعلُ ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث . واستأجر رسولُ الله ﷺ وأبو بكر رجلاً[7] من بني الدِّيل — وهو من بني عبد بن عدي — هادياً خِرِّيتاً — والخِرِّيت : الماهر بالهداية — قد غمسَ[8] حِلفاً في آل العاص بن وائل السهمي ، وهو على دين كفار قريش ، فأمِنَاه ، فدفعا إليه راحلتيهما ، وواعداه غارَ ثور بعد ثلاث ليال ، فأتاهما براحلتيهما صبحَ ثلاث ، وانطلق معهما عامرُ بن فُهيرة والدليل ، فأخذ بهم على طريق السواحل[9] .

---

(١) « ثَقِفٌ لَقِنٌ » : ذو فطنة وذكاء .

(٢) « يُكادان » : وفي رواية « يكتادان » ، وكلاهما من الكيد ، وهو طلب المكروه لهما .

(٣) كذا في «أ» والبخاري ، أما في بقية النسخ : حتى يأتيهما بخبر ذلك اليوم .

(٤) « رِسْل » : الرِّسْل : اللبن الطري .

(٥) « رَضيفهما » : الرَّضيف : اللبن المحمَّى بالرَّضْف ، وهي الحجارة المحمَّاة بالنار أو الشمس ، يُفعل به ذلك لتزولَ رخاوته .

(٦) « ينعِق بهما » : يسمعهما صوته إذا زجر غنمه .

(٧) هو عبد الله بن أُريقط ؛ كما في السيرة النبوية .

(٨) « غمسَ حِلْفاً » : كان حليفاً لهم ، وكان العربُ إذا تحالفوا غمسوا أيمانهم في دمٍ أو طيب ، أو شيء يكون فيه تلويثٌ للأيدي ، فيكون ذلك تأكيداً للحلف .

(٩) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار (باب هجرة النبي ﷺ) رقم /٣٩٠٥/ .

قال ابنُ شهاب : وأخبرني عبدُ الرحمن بن مالك المُدْلِجيّ ــ وهو ابن أخي سُراقة ابن مالك بن جُعشم ــ أن أباه أخبره ، أنه سمع سراقةَ بن مالك بن جُعشم يقول : جاءنا رسلُ كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتلَه أو أسرَه ، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مُدلج ، أقبل رجلٌ منهم حتى قام علينا ، ونحن جلوس ، فقال : يا سراقةُ ! إني قد رأيت آنفاً أسوِدةً[1] بالساحل ، أراها محمداً وأصحابَه . قال سراقة : فعرفت أنهم هم . فقلت له : إنهم ليسوا بهم ، ولكنك رأيتَ فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا . ثم لبثتُ في المجلس ساعةً ، ثم قمت فدخلتُ ، فأمرت جاريتي أن تخرجَ بفرسي ، وهي من وراء أُكَمَةٍ فتحبسَها علي ، وأخذتُ رمحي ، فخرجتُ به من ظهر البيت ، فخططتُ بزجِّه[2] وخفضت عاليه ، حتى أتيتُ فرسي فركبتُها ، فرفعتها تُقرِّبُ[3] بي ، حتى دنوتُ منهم ، فعثرتْ بي فرسي فخرَرْت عنها ، فقمتُ فأهويتُ بيدي إلى كنانتي ، فاستخرجتُ منها الأزلام[4] ، فاستقسمتُ بها : أضرُّهم أم لا ؟ فخرج الذي أكره ، فركبتُ فرسي ــ وعصيتُ الأزلامَ ــ تُقرِّبُ بي ، حتى إذا سمعتُ قراءةَ رسول الله ﷺ وهو لا يلتفتُ ، وأبو بكر يكثر الالتفاتَ ، ساختَ يدا فرسي في الأرض ، حتى بلغتا الركبتين ، فخرَرت عنها ، ثم زجرتُها فنهضت ، فلم تكدْ تُخرجُ يديها ، فلما استوتْ قائمةً إذا لأثرِ يديْها عُثانٌ[5] ساطع في السماء مثلُ الدخان ، فاستقسمت بالأزلام فخرجَ الذي أكره ، فناديتُهم بالأمان ، فوقفوا ، فركبت فرسي حتى جئتُهم ، ووقع في نفسي حين لقيتُ ما لقيتُ من الحبس عنهم أنْ سيظهرُ أمرُ رسول الله ﷺ ، فقلتُ له : إن قومَك جعلوا فيك الدية ، وأخبرتُهم أخبارَ ما يُريد الناس بهم ، وعرضتُ عليهم الزادَ والمتاع ، فلم يرزآني ولم يسألاني ، إلا أن قالا : أخفِ عنا . فسألتُه

---

(١) « أسْوِدَةً » : أشخاصاً .

(٢) « بزجِّه » : الزُّجُّ : النَّصْلُ .

(٣) « فرفعتها تقربُ بي » : الرفع : الإسراع ، والتقريب : نوع جيد منه ، تضع الفرسُ فيه رجليها مكان يديها .

(٤) « الأزلام » : المراد بها هنا السِّهام .

(٥) « عُثَانٌ » : غبار ، شبه الدخان .

أن يكتبَ لي كتابَ أمنٍ ، فأمر عامرَ بن فُهيرة فكتبَ لي في رُقعةٍ من أَدَمٍ ، ثم مضى رسول الله ﷺ[1] .

قال ابنُ شهاب فأخبرني عروة بن الزبير أن رسولَ الله ﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام ، فكسا الزبيرُ رسولَ الله ﷺ وأبا بكر ثيابَ بَيَاضٍ . وسمع المسلمون بالمدينة مخرجَ رسول الله ﷺ من مكة ، فكانوا يغدون كلَّ غداة إلى الحَرَّةِ فينتظرونه ، حتى يردَّهم حرُّ الظهيرة ، فانقلبوا يوماً بعدما أطالوا انتظارَهم ، فلما أووا إلى بيوتهم أَوْفى رجلٌ من يهود على أُطُمٍ من آطامهم لأمر ينظر إليه ، فبصُر برسول الله ﷺ وأصحابِهِ مبيَّضين ، يزول بهم السراب ، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته : يا معاشر العرب ! هذا جدُّكم[2] الذي تنتظرون . فثار المسلمون إلى السلاح ، فتلقَوْا رسولَ الله ﷺ بظهر الحرَّة ، فعدلَ بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في دار[3] بني عمرو ابن عوف ، وذلك في يوم الاثنين من شهر ربيع الأول ، فقام أبو بكر للناس وجلسَ رسولُ الله ﷺ صامتاً ، فطفِق من جاء من الأنصار ممن لم يرَ رسولَ الله ﷺ يحيي أبا بكر ، حتى أصابت الشمسُ رسولَ الله ﷺ ، فأقبلَ أبو بكر حتى ظلَّلَ عليه بردائه ، فعرفَ الناسُ رسولَ الله ﷺ عند ذلك ، فلبثَ رسولُ الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضعَ عشرة ليلةً ، وأسَّس المسجدَ الذي أُسِّسَ على التقوى ، وصلَّى فيه رسولُ الله ﷺ ، ثم ركب راحلتَه ، فسار يمشي معه الناسُ ، حتى بركت عند مسجدِ الرسول ﷺ بالمدينة ، وهو يُصلِّي فيه يومئذ رجالٌ من المسلمين ، وكان مِرْبَداً[4] للتمر ، لسهلٍ وسهيلٍ غلامين يتيمين في حِجْر سعد بن زُرارة . فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلتُه : هذا إن شاء الله تعالى المنزل . ثم دعا رسولُ الله ﷺ الغلامين ، فساومهما بالمِربد ليتخذَه مسجداً ، فقالا : بل نهبُه لك يا رسول الله . فأبى رسولُ الله ﷺ أن يقبلَه منهما هبة ، حتى ابتاعه[5] منهما ، ثم بناه مسجداً ، فطفِق رسولُ الله ﷺ ينقلُ معهم اللَّبِنَ في بنائه ،

(١) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار (باب هجرة النبي ﷺ) رقم /٣٩٠٦/ .
(٢) « جدُّكم » : حظكم وصاحب دولتكم الذي تتوقعونه .
(٣) كذا في جميع النسخ ، وفي نور النبراس لوحة ٢٤٩/١ والبخاري « في بني عمرو بن عوف » .
(٤) « مِرْبد » : مكان لتجفيف التمر .
(٥) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار (باب هجرة النبي ﷺ) رقم /٣٩٠٦/ .

ويقول وهو ينقل اللبن :

هـذا الحِمـالُ لا حِمـالُ خيبـرْ هـذا أبـرُّ ربَّنـا وأطهـر
اللهـم إنَّ الأجـرَ أجـرُ الآخـرة فارحـم الأنصارَ والمُهاجـرة

تمثل بشعر رجل من المسلمين لم يُسمَّ لي .

قال ابن شهاب : ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسولَ الله ﷺ تمثل ببيت شعر تام غير هذه الأبيات[1] .

كذا وقع في هذا الخبر أن الذي كسا رسولَ الله ﷺ وأبا بكر الزبيرُ ، وذكر موسى ابن عقبة أنه طلحة بن عُبيد الله في خبر ذكره .

وروينا من طريق البخاري أن أبا بكر كان يُسأل عن النبي ﷺ : من هذا ؟ فيقول : هذا الرجل يهديني الطريق . قال : فيحسِب الحاسُب أنه يعني الطريق ، وإنما يعني سبيلَ الخير[2] .

وروينا من طريق ابن إسحاق : أنه عليه الصلاة والسلام أعلم علياً بمخرجه، وأمره أن يتخلف بعده حتى يُؤَدِّيَ عنه الودائعَ التي كانت عنده للناس، وأن أبا بكر خرج بماله كلِّه ، وهو فيما قيل خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم .

أخبرنا عبد الله بن أحمد بن فارس ، ويوسف بن يعقوب بن المجاور قراءةً على الأول وأنا أسمع بالقاهرة ، وبقراءتي على الثاني بسفح قاسيون ، قالا : حدثنا أبو اليمن الكندي ، أخبرنا هبة الله بن أحمد الحريري ، أخبرنا أبو طالب العُشاري ، أخبرنا أبو الحسين بن سمعون ، حدثنا عمر بن الحسن بن علي بن مالك ، أخبرنا يحيى بن إسماعيل الحريري ، حدثنا جعفر بن علي ، حدثنا سيف ، عن بكر بن وائل ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : قال رسول الله ﷺ : « ما أحدٌ أمنُّ عليَّ في صحبته وذاتِ يده من أبي

---

(١) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار (باب هجرة النبي ﷺ) رقم /٣٩٠٦/ .

(٢) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار (باب هجرة النبي ﷺ) رقم /٣٩١١/ ولفظه : هذا الرجل يهديني السبيل . وهو أنسبُ للتورية .

بكر ، وما نفعني مالٌ ما نفعني مال أبي بكر ، ولو كنتُ متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً »[1] .

وجهل أهل مكة الخبر عنهم ، إلى أن سمعوا الهاتف يهتف بالشعر الذي فيه ذكر أم معبد ، فعلموا أنهم توجهوا نحو يثرب وأنهم قد نجوا منهم .

حديث أم مَعبد[2]

أخبرنا الشيخان أبو الفضل عبد الرحيم بن يوسف المزي بقراءة والدي عليه ، وأبو الهيجاء غازي بن أبي الفضل بقراءتي عليه ، قالا : أخبرنا ابن طَبرزذ ، أخبرنا ابن الحُصَيْن ، أخبرنا ابن غَيلان ، أخبرنا أبو بكر الشافعي ، حدثنا محمد بن يُونس القرشي ، حدثنا عبد العزيز بن يحيى مولى العباس بن عبد المطلب ، حدثنا محمد بن سليمان بن سَليط الأنصاري ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن جده أبي سَليط وكان بدرياً ، قال : لما خرجَ رسولُ الله ﷺ في الهجرة ومعه أبو بكر الصديق وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وابن أُريقط يدلُّهم على الطريق ، مروا بأمِّ مَعبد الخزاعية ، وهي لا تعرفهم . فقال لها : يا أمَّ معبد ، هل عندك من لبن ؟ قالت : لا والله وإن الغنم لعازبة[3] . قال : فما هذه الشاة التي أرى ـ لشاة رآها في كِفاء[4] البيت ـ قالت : شاة خلَّفها الجهدُ عن الغنم . قال : أتأذنين في حِلابها ؟ قالت : لا والله ما ضَرَبها من فحل قطّ ، فشأنَك بها ، فدعا بها ، فمسح ظهرَها وضَرعَها ، ثم دعا بإناء يُربضُ[5] الرهطَ ، فحلب فيه فملأه ، فسقى أصحابَه عَلَلاً بعد

---

(١) قال في « نور النبراس » : لوحة ٢٥٢/١ هذا الحديث ليس في الكتب الستة ولا في أحدها .
ويشهد له حديث البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : « إن من أمنِّ النّاس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر رضي الله عنه ، ولو كنت متخذاً خليلاً عند ربي عز وجل لاتخذت أبا بكر ، ولكن أخوة الإسلام ومودته ... » .

(٢) مراد المؤلف رحمه الله : الحديث المذكور فيه أم معبد ، ولو قال : قصة أم معبد لكان أحسن . نور النبراس لوحة ٢٥٢/١ .

(٣) « لعازبة » : بعيدة المرعى ، لا تأوي إلى المنزل ليلها .

(٤) « كفاءُ البيت » : مؤخرته .

(٥) « يُربض الرهطَ » : يغذي الجماعة ويُشبعهم .

نَهَلٍ[1] ، ثم حلب فيه آخرَ ، فغادره عندها ، وارتحل ، فلما جاء زوجُها عند المساء ، قال : يا أم معبد ! ما هذا اللبن ولا حلوبة في البيت والغنم عازبة ؟ قالت لا والله إلا أنه مر بنا رجل ظاهر الوضاءة ، متبلج[2] الوجه ، في أشفاره وَطَف[3] ، وفي عينيه دَعَج[4] وفي صوته صَحَل[5] ، غصن بين الغصنين ، لا تشنؤه من طول ولا تقتحمُه من قصر ، لم تَعِبْه ثجلة[6] ولم تُزْره صَعْلة[7] ، كأن عنقه إبريق فضة ، إذا صمتَ فعليه البَهاء ، وإذا نطقَ فعليه وقار ، له كلام كخرزات النظم ، أزينُ أصحابه منظراً ، وأحسنُهم وجهاً ، أصحابُه يَحفُّون به ، إذا أمر ابتدروا أمرَه ، وإذا نهى اتَّقفوا[8] عند نهايته . قال : هذه والله صفة صاحب قريش ، ولو رأيته لاتبعته ، ولأجتهدنَّ أن أفعل .

قال : فلم يعلموا بمكة أين توجَّه رسولُ الله ﷺ وأبو بكر ، حتى سمعوا هاتفاً على رأس أبي قُبيس ، وهو يقول :

جـــزى الله خيراً والجزاءُ بكفّــــه ... رفيــقين حلَّا خيمتــيْ أمِّ معبــدِ
هما رَحَــلا بــالحقِّ وانتــزلا بـــه ... فقـد فـازَ مـن أمسى رفيـقَ محمـدِ
فما حملتْ من ناقةٍ فـوقَ رَحْلِهـا ... أبــرَّ وأوفى ذِمــةً مـــن محمّـــدِ
وأكسى لبُـرد الخالِ قبـلَ ابتذالِـه ... وأعطى بـرأسِ السابحِ المُتجـردِ
ليَهْـنِ بنـي كعـبٍ مكـانُ فتاتِهـم ... ومقعدُهـــا للمؤمـــنين بمرصدِ[9]

---

(١) « عَلَلاً بعد نَهَل » : النهل : الشرب الأول ، والعَلَل : الشرب الثاني ، أي مرة بعد مرة .

(٢) « متبلج الوجه » : مشرق الوجه مستنيره .

(٣) « في أشفاره وطف » : في أهدابه طول .

(٤) « دعج » : سواد شديد .

(٥) « صحل » : بحَحٌ ، والمراد عدم الحِدّة في الصوت .

(٦) « لم تَعِبْه ثَجْلَة » : ليس بكبير البطن .

(٧) « لم تزرِ به صَعْلَة » : ليس بصغير الرأس .

(٨) « اتقفوا » : وقفوا ، يقال : وقفته فوقفَ واتَّقف ؛ كاتصف واتعد ، من وصفَ ووعَدَ .

(٩) رواه أبو بكر الشافعي عن أبي سَلِيط ، واسمه أُسيرة بن عمرو بن قيس بن مالك الخزرجي النجاري ، وفي إسناده محمد بن يونس القرشي ؛ متروك ومتهم بالوضع . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٧٩/٨ وقال : رواه الطبراني وفيه عبد العزيز بن يحيى المديني ، ونسبه البخاري وغيره إلى الكذب ، وقال الحاكم :

وبه(1) قال أبو بكر الشافعي ، حدثنا محمد بن يحيى بن سليمان ، حدثنا أحمد بن محمد بن أيوب ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حُدِّثْتُ عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما ؛ أنها قالت : لما خرجَ رسولُ الله ﷺ أتانا نفرٌ من قريش ، فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبي بكر رضي الله عنه ، فخرجتُ إليهم ، فقالوا : أين أبوك يا بنتَ أبي بكر ؟ قالت : قلت : والله لا أدري أين أبي . قالت : فرفع أبو جهل يدَه ـ وكان فاحشاً خبيثاً ـ فلطمَ خدي لطمة خرم منها قرطي . قالت : ثم انصرفوا ، فمضى ثلاثُ ليال ما ندري أين توجه رسولُ الله ﷺ ، إذ أقبل رجلٌ من الجن من أسفل مكة ، يغني بأبيات ، غنَّى بها العرب ، وإن الناس ليتبعونه يَسمعون صوتَه وما يرونه ، حتى خرج بأعلى مكة :

جزى الله ربُّ النَّاسِ خيرَ جزائِهِ ... رفيقين حَلَّا خيمتَيْ أمِّ مَعْبَدِ
هما نزلاها بالهدى واغْتَدَوا بهِ ... فأفلحَ من أمسَى رفيقَ محمّدِ
لِيَهْنِ بني كعبٍ مكانُ فتاتِهم ... ومقعدُها للمؤمنينَ بمرصدِ

قالت : فلما سمعنا قولَه عرفنا حيثُ توجه رسولُ الله ﷺ ... الحديث(2) .

وقد روينا حديثَ أسماء هذا متصلاً ، من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أسماء . أخبرنا عبدُ الله بن أحمد بن فارس قراءة عليه وأنا أسمع بالقاهرة ، وأبو الفتح يوسف ابن يعقوب الشيباني بقراءتي عليه بسفح قاسيون ، قالا : أخبرنا أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي ، أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن أحمد بن عمر الحريري ، أخبرنا أبو طالب محمد ابن علي بن الفتح ، أخبرنا أبو الحسين محمد بن أحمد ، حدثنا عمر بن الحسن بن علي بن مالك الشيباني ، أخبرنا يحيى بن إسماعيل ، حدثنا جعفر بن علي ، حدثنا سيف ، عن هشام ابن عروة ، عن أبيه ، عن أسماء ابنة أبي بكر رضي الله عنهما ، قالت : ارتحل النبيُّ ﷺ وأبو بكر ، فلبثنا أياماً ثلاثة أو أربعة ، أو خمس ليال ، لا ندري أين توجَّه ، ولا يأتينا

= صدوق . فالعجب منه ! وفيه مجاهيل . وقال العقيلي : محمد ابن سليمان بن سليط مجهول .. وفيه : عبد العزيز بن يحيى ، وهو واه . وانظر نور النبراس لوحة ٢٥٣/١ .

(1) « وبه » : أي بالسند المتقدم إلى أبي بكر الشافعي ، راوي الغيلانيات .

(2) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٨٧/١ وفيه انقطاع ظاهر بين ابن إسحاق وأسماء .

عنه خبر ، حتى أقبل رجلٌ من الجِنّ ... الحديث[1] بنحو ما تقدم .

وروينا عن أبي بكر الشافعي بالسند المتقدم ، حدثنا بشر بن أنس أبو الخير ، حدثنا أبو هشام محمد بن سليمان بن الحكم بن أيوب بن سليمان بن زيد بن ثابت بن يسار[2] الكعبي الرَّبَعي الخزاعي ، حدثني عمي أيوب بن الحكم ، قال الشافعي : وحدثني أحمد ابن يوسف بن تميم البصري ، حدثنا أبو هشام محمد بن سليمان بن زيد . قال : حدثني عمي أيوب بن الحكم ، عن حزام بن هشام ، عن أبيه هشام ، عن جده حُبَيْش بن خالد صاحب رسول الله ﷺ ؛ أن رسولَ الله ﷺ خرجَ من مكة مُهاجراً إلى المدينة ، فذكر نحوَ ما تقدم من خبر أبي سَليط ، وذكر الأبيات وزاد فيها :

فيا لقصيٍّ ما زوى الله عنكمُ ... به من فَعال لا تُجارى وسُودَدِ
سلوا أختكم عن شاتِها وإنائها ... فإنكمُ إن تسألوا الشاةَ تشْهدِ
دعاها بشاةٍ حائلٍ فتحلَّبَتْ ... عليه صَريحاً ضَرَّةُ[3] الشَّاةِ مُزْبدِ
فغادرها رهناً لديها بحالبٍ ... ترددها في مَصْدَرٍ ثم مَوْرِدِ

فلما سمع بذلك حسان بن ثابت قال يجاوب الهاتف :

لقد خابَ قومٌ زالَ عنهم نبيُّهم ... وقُدِّس من يَسري إليه ويَغْتدِي
ترحَّل عن قوم فضلَّتْ عقولُهم ... وحلَّ على قوم بنور مُجدد
هداهُم به بعد الضَّلالةِ ربُّهم ... وأرشدَهُم ، من يتبعِ الحقَّ يَرشُدِ
وقد نزلت منه على أهل يثربٍ ... ركابُ هُدًى حلت عليهم بأَسْعَد
نبيٌّ يرى مالا يرى الناسُ حولَه ... ويتلو كتاب الله في كلِّ مسجدِ
وإن قال في يوم مقالةَ غائبٍ ... فتصديقُها في اليوم أو في ضُحى الغدِ

---

(١) رواه أبو بكر الشافعي في الغيلانيات ، وفيه سيف بن عمر الضبي الأسدي ، راوي الفتوح ؛ ضعيف .
(٢) في جميع النسخ « سيَّار » والتصحيح من نور النبراس ، وقد صححها سبط ابن العجمي رحمه الله تعالى من نسخته الصحيحة بالسيرة ، ومن الغيلانيات . نور النبراس لوحة ٢٥٦/١ .
(٣) « ضَرَّةُ الشاة » : أصل الضرع .

لَيَهْنِ أبو بكر سعادةُ جَدِّه   بصحبته، من يُسعدِ اللهُ يَسْعَدِ[1]

واجتاز رسولُ الله ﷺ في وجهه ذلك بعبدٍ يَرعى غنماً ، فكان من شأنه ما رويناه من طريق البيهقي بسنده ، عن قيس بن النعمان ، قال : لما انطلق النبيُّ ﷺ وأبو بكر مستخفيين ، مرَّا بعبدٍ يرعى غنماً ، فاستسقياه اللبنَ ، فقال : ما عندي شاة تحلب ، غير أن ها هنا عَنَاقاً[2] حملت أوَّل ، وقد أُخْدَجت[3] ، وما بقي لها لبن ، فقال : ادعُ بها . فدعا بها ، فاعتقلَها[4] النبيُّ ﷺ ، ومسح ضَرْعَها ، ودعا حتى أنزلت ، وقال : جاء أبو بكر بمِجَنٍّ[5] فحلَبَ ، فسقى أبا بكر ، ثم حلبَ فسقى الراعي ، ثم حلبَ فشرب . فقال الراعي : بالله من أنت ؟ فوالله ما رأيتُ مثلَك . قال : أو تراك تكتم عليَّ حتى أخبرَك ؟ قال : نعم . قال : فإني محمدٌ رسولُ الله . فقال : أنت الذي تزعم قريش أنه صابىء ؟ قال : إنهم ليقولون ذلك . قال : فأشهد أنك نبيٌّ ، وأن ما جئتَ به حقٌّ ، وأنه لا يفعل ما فعلتَ إلا نبيٌّ ، وأنا متبعك . قال : إنك لن تستطيع ذلك يومَكَ ، فإذا بلغك أني قد ظهرت فائتنا[6] .

---

(١) رواه أبو بكر الشافعي في الغيلانيات ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٥٧/٦ وقال : رواه الطبراني وفي إسناده جماعة لم أعرفهم .
وقال الصالحي في السيرة الشامية ٣٤٦/٢ : رواه الطبراني والحاكم وصححه ، وأبو نُعيم ، وأبو بكر الشافعي عن حُبَيْش بن خالد الأشعر الخُزَاعي القُدَيْدي .. وقد رواه الحاكم في « المستدرك » ١٠/٣ مطولاً ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ، و لم يخرجاه ، ويُستدل على صحته وصدق رواته بدلائل .... وتعقبه الذهبي بقوله : ما في هذه الطرق شيء على شرط الصحيح .
وانظر **قصة أم معبد** في دلائل النبوة ؛ لأبي نُعيم ٢٨٣/٢ ـ ٢٨٧ ، والطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢٣٠/١ ، ودلائل النبوة ؛ للبيهقي ٢٧٦/١ ـ ٢٨٠ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٤٨٧/١ ـ ٤٨٨ . والروض الأنف للسهيلي ٧/٢ ـ ٨ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣٢٦/١ ، والاستيعاب ؛ لابن عبد البر ٧٩٦/٢ ـ ٧٩٧ ، وتاريخ الإسلام ؛ للذهبي ٢٢٧/٢ ، والإصابة ؛ لابن حجر ٤٩٨/٤ . وديوان حسان بن ثابت ٨٩/٢ .
(٢) « عَنَاقاً » : وهي أنثى الماعز التي لم تتم لها سنة .   (٣) « أُخْدَجت » : ولدت قبل أوانها .
(٤) « اعتقلها » جلس منها جِلْسَةَ الحالب ، حيث يضع رجل الشاة التي من جهته في ثني ساقه وفخذه ، يمنعها بذلك من الهروب منه أثناء الحلب .   (٥) « بمِجَنٍّ » : المِجَن : الترس .
(٦) دلائل النبوة ؛ للبيهقي ٤٩٧/٢ ، وقال الحافظ ابن كثير في « البداية والنهاية » ١٩٤/٣ : رواه أبو يعلى

ذكر فوائد تتعلق بهذه الأخبار

● العُثان : بضم العين المهملة والثاء المثلثة : شبه الدخان ، وهو مفسر في الخبر بذلك ، وجمعه عواثن .

● الحِمَال : جمع أو مصدر ، أي هذا الحِمل أو المحمول من اللَّبِنِ أفضل من حِمال خيبر ؛ التمر والزبيت المحمول منها ، قيل رواه المستملي بالجيم فيهما ، وله وجه ، والأول أظهر .

● وأم معبد : عاتكة بنت خالد ، إحدى بني كعب من خزاعة ، وهي أخت حُبيش ابن خالد الذي روينا الخبر من طريقه وله صحبة ، وكان منزلها بقديد .

● وأبو سَليط : أُسَيْرة بن عمرو ، أنصاريّ من بني النجار ، شهد بدراً وما بعدها . ووقع في الأبيات التي رويناها في الخبر من طريقه .

* فما حملتْ من ناقةٍ فوقَ رَحْلِها *

البيت ، والذي يليه في ذلك الشعر ، وليس ذلك بمعروف ، والمعروف في هذا الشعر أنه لأبي أُناس الديلي رهط أبي الأسود ، صحابي ذكره أبو عمر ، وعمه سارية بن زنيم ، الذي قال له عمر بن الخطاب : يا ساريةُ الجبلَ . وكان أبو أناس شاعراً ، وهو القائل لرسول الله ﷺ :

تَعَلَّــــمْ رسولَ الله أنَّكَ قـــادرٌ   على كلِّ حَافٍ مـن تَهـام ومُنجـدِ

وهي طويلة منها :

وما حملتْ من ناقةٍ فـوقَ رَحْلِهـا   أبـرَّ وأوفَـى ذِمـةً مـــن محمّـــدِ

= الموصلي عن جعفر بن حُميد الكوفي ، عن عبد الله بن إياد بن لقيط به . كما رواه أبو داود الطيالسي في « مسنده » ، وذكرها ابن عبد البر في ترجمة النعمان بن قيس السكوني ، أحد وفد عبد القيس . وانظر الاستيعاب ونور النبراس لوحة : ٢٥٧/١ .

● وتضمن حديثُ أمّ معبد أشياء من صفة النبي ﷺ يأتي شرحُها في الشمائل إن شاء الله تعالى .

● وكِفاء البيت : سُترة في البيت من أعلاه إلى أسفله من مؤخره ، وقيل : الكِفاء : الشقة التي تكون في مؤخر الخِباء ، وقيل : هو كِساء يُلقى على الخِباء كالإزار حتى يبلغَ الأرضَ ، وقد أكفى البيتَ . ذكره ابن سِيده .

* * *

ذكر دخوله عليه الصلاة والسلام المدينة

وكان أهل المدينة يتوكفون[1] قدوم رسول الله ﷺ حين بلغهم توجهُه إليهم ، فكانوا يخرجون كل يوم لذلك أوَّلَ النهار ثم يرجعون ، حتى كان يومُ الاثنين لاثنتي عشرةَ ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، خرجوا لذلك على عادتهم فرجعوا و لم يَقْدَمْ عليهم رسولُ الله ﷺ ، ثم قدم من يومه ذلك حين اشتد الضُّحاء[2] ، فنزل بقباء على بني عمرو بن عوف على كلثوم بن هِدْم ، وكان يجلس للناس في بيت سعد بن خيثمة[3] .

قال الواقدي : ونزل على كلثوم أيضاً جماعة من الصحابة ، منهم : أبو عبيدة بن الجراح ، والمقداد بن عمرو ، وخَبَّاب بن الأرت ، وسُهيل وصفوان ابنا بيضاء ، وعِياض ابن زهير ، وعبد الله بن مخرمة ، ووهب بن سعد بن أبي سرح ، ومعمر بن أبي سرح ، وعمرو بن أبي عمرو من بني مُحارب بن فهر ، وعُمير بن عوف مولى سُهيل بن عمرو . وكلُّ هؤلاء قد شهد بدراً ، ثم لم يلبث كلثوم أن مات قبل بدر ، وكان رجلاً صالحاً غير مغموص عليه . انتهى كلام الواقدي .

وقيل : نزل أبو بكر على خُبيب بن إساف ، وقيل : على خارجة بن زيد بن أبي زهير .

وأقام عليٌّ بمكة ثلاث ليال حتى أدى الودائعَ التي كانت عند النبي ﷺ للناس ، ثم جاء فنزل على كلثوم ، فكان يقول: كان بقباء امرأة لا زوج لها مسلمة ، فرأيت إنساناً يأتيها من جوف الليل ، فيضرب عليها بابها ، فتخرج إليه فيُعطيها شيئاً معه فتأخذه ، قال : فاستربت شأنَه ، فقلت : يا أمة الله ، من هذا الرجل الذي يضرب عليك بابك كل ليلة فتخرجين إليه فيعطيك شيئاً لا أدري ما هو وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك ؟ قالت :

---

(١) « يتوكفون » : من التوكف ، وهو الانتظار والتوقع .

(٢) « الضحاء » : الضحى ، يُمَدُّ ويُقصر .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٤٩٣ ــ ٤٩٤ .

هذا سهل بن حُنَيف ، قد عرف أنّي امرأة لا أحد لي ، فإذا أمسى عدا على أوثان قومه فكسرها ، ثم جاءني بها ، فقال احتطبي بهذا ، فكان عليٌّ يَأْثِرُ ذلك من أمر سهل بن حُنيف[1] .

وكان فيمن خرج لينظرَ إلى رسول الله ﷺ قوم من اليهود فيهم عبد الله بن سلام .

أخبرنا الشيخان أبو الفضل عبد الرحيم بن يوسف وأبو الهيجاء غازي بن أبي الفضل ، قالا : أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن طبرزد ، أخبرنا أبو القاسم بن الحصين ، أخبرنا أبو طالب بن غيلان ، أخبرنا أبو بكر الشافعي ، حدثنا معاذ ، حدثنا مُسدد ، حدثنا يحيى ، عن عوف قال : حدثنا زرارة ، قال : قال عبد الله بن سَلَام : لما قدم رسولُ الله ﷺ المدينةَ ، قيل : قدمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ فانجفلَ النَّاسُ إليه ، فكنتُ فيمن انجفل ، فلما رأيتُ وجهه ﷺ عرفت أن وجهَه ليس بوجه كذاب ، فأوَّلُ ما سمعتُه يقول : « أفشوا السلامَ ، وأطعموا الطعامَ ، وصِلُوا الأرحامَ ، وصَلُّوا بالليل والنَّاسُ نيام تدخلوا الجنةَ بسلام »[2] .

وأشرقت المدينة بقدومه ﷺ ، وسرى السرور إلى القلوب بحلوله بها .

روينا من طريق ابن ماجه ، حدثنا بِشر بن هلال الصَّواف ، حدثنا جعفر بن سليمان ، الضُّبَعي ، حدثنا ثابت ، عن أنس بن مالك ، قال : لما كان اليوم الذي دخلَ فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاءَ منها كلُّ شي ، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء ، وما نفضنا عن النبي ﷺ الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا[3] .

---

(١) السيرة النبوية « لابن هشام ١/٤٩٤ ، وفي السيرة الشامية « للصالحي ٣/٣٧٩ رواه ابن إسحاق ورزين . ومعنى « يَأْثِرُ » : ينقل ويحكي .

(٢) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة (باب رقم ٤٣) رقم /٢٤٨٧/ ، وابن ماجه في كتاب الأطعمة (باب إطعام الطعام) رقم /٣٢٥١/ وإسناده صحيح . ومعنى « انجفل الناس إليه » : ذهبوا إليه مسرعين .

(٣) رواه ابن ماجه في كتاب الجنائز (باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ) رقم /١٦٣١/ ، ورواه الترمذي في كتاب المناقب (باب رقم ٣) رقم /٣٦٢٢/ وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب .

وروى ابن أبي خيثمة[1] ، عن أنس : شهدتُ يوم دخول النبي ﷺ المدينةَ فلم أر يوماً أحسن منه ولا أضوأ .

وروى البخاريُّ من حديث البراء بن عازب ، قال : فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرَحَهم برسول الله ﷺ .. الحديث[2] .

قال ابن إسحاق : وأقام رسولُ الله ﷺ في بني عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس ، وأسَّس مسجدَهم ، ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة . وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثرَ من ذلك[3] .

وقد روينا عن أنس من طريق البخاري إقامته فيهم أربع عشرة ليلة[4] . والمشهور عند أصحاب المغازي ما ذكره ابن إسحاق .

فأدركتْ رسولَ الله ﷺ الجمعةُ في بني سالم بن عوف ، فصلَّاها في المسجد الذي في بطن الوادي ، وادي رانوناء ، فكانت أوَّلَ جمعة صلَّاها بالمدينة ، فأتاه عِتْبان بن مالك وعباس بن عبادة بن نضلة في رجال من بني سالم بن عوف ، فقالوا : يا رسول الله ، أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة . قال : خلُّوا سبيلها فإنها مأمورة – لناقته – فخلَّوْا سبيلَها فانطلقت حتى وازت دار بني بياضة ، تلقَّاه زياد بن لبيد وفروة بن عمرو في رجال من بني بياضة ، فقالوا : يا رسول الله ! هلم إلينا ، إلى العَدد والعُدة والمنعة . فقال : خَلُّوا سبيلَها فإنها مأمورة فخَلّوْا سبيلَها فانطلقت ، حتى إذا مرت بدار بني ساعدة اعترضه سعدُ ابن عُبادة والمنذر بن عمرو في رجال من بني ساعدة ، فقالوا : يا رسول الله هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة . قال : خلُّوا سبيلَها فإنها مأمورة . فخَلَّواْ سبيلَها فانطلقت ، حتى إذا وازت دارَ بني الحارث بن الخزرج ، اعترضه سعدُ بن الربيع وخارجةُ بن زيد وعبد الله

---

(١) ابن أبي خيثمة : هو محمد بن أبي بكر بن أبي خيثمة زهير بن حرب ، أبو عبد الله النسائيّ ثم البغدادي ، حافظ كبير . نور النبراس لوحة ١/٢٦١ .

(٢) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار (باب هجرة النبي ﷺ) رقم /٣٩٢٥/ .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٤٩٤ .

(٤) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار (باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة) رقم /٣٩٣٢/ .

ابن رَواحة في رجال من بني بَلْحارث بن الخزرج ، فقالوا : يا رسول الله ! هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة . قال : خلُّوا سبيلَها فإنها مأمورة . فخلَّواْ سبيلَها حتى إذا مرت بدار عدي بن النجار ـ وهم أخواله دِنْيَا أمّ عبد المطلب ، سلمى بنت عمرو إحدى نسائهم ـ اعترضه سَليط بن قيس وأبو سَليط أُسَيْرة بن أبي خارجة في رجال من بني عديّ بن النجار ، فقالوا : يا رسول الله ! هلم إلى أخوالك ، إلى العدد والعدة والمنعة ، قال : خلُّوا سبيلَها فإنها مأمورة ، فَخلَّوْا سبيلَها فانطلقت ، حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار بركت على باب مسجده ﷺ وهو يومئذ مِربدٌ لغلامين يتيمين من بني مالك بن النجار في حِجر معاذ بن عفراء ، سهل وسُهيل ابني عمرو ، فلما بركتْ ورسولُ الله ﷺ لم ينزل وثبت ، فسارت غير بعيد ورسولُ الله ﷺ واضعٌ لها زِمامها لا يَثنيها به ، ثم التفتت خلفَها فرجعت إلى مَبْرَكها أوَّلَ مرة فبركت فيه ، ثم تحلحلت[1] وأرزمت[2]ووضعت جرانها[3] ، ونزل عنها رسولُ الله ﷺ ، واحتملَ أبو أيوب خالدُ بن زيد رَحْلَه فوضَعه في بيته ، ونزلَ عليه رسولُ الله ﷺ[4] .

* * *

(١) « تَحَلْحَلَتْ » : تحركت في مبركها جيئة وذهاباً ، ثم ثبتت في مكانها .

(٢) « أرزمَتْ » : صوتت . وفي السيرة النبوية « وزمَّت » .

(٣) « جِرَانَها » : مقدم عنق البعير .

(٤) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٩٤/١ — ٤٩٦ .

« دنيا » منونة وغير منونة ، وبكسر الدال وضمها ، القرابة الأقرب في العمومة والخؤولة .

ذكر بناء المسجد

وسأَلَ رسول الله ﷺ عن المِرْبد لمن هو ؟ فقال له معاذ بن عفراء : هو يا رسول الله لسَهل وسُهيل ابني عمرو ، وهما يتيمان لي وسأرضيهما منه فاتخذه مسجداً ، فأمَرَ به رسولُ الله ﷺ أن يُبنى ، ونزل رسولُ الله ﷺ على أبي أيوب حتى بُني مسجدُه ومساكنُه ، فعملَ فيه رسولُ الله ﷺ ليُرغِّبَ المسلمين في العمل فيه ، فعمل فيه المهاجرون والأنصار ودَأبوا فيه ، فقال قائل من المسلمين :

لئن قعدنا والنبيُّ يعملُ ... لذاكَ مِنَّا العملُ المُضَلَّلُ

وأقامَ رسولُ الله ﷺ بالمدينة إذ قدمها شهر ربيع الأول إلى صفر من السنة الداخلة ، يُبنى له فيها مسجدُه ومساكنُه[1] .

قال أبو عمر : وقد رُوي أن النبيَّ ﷺ أبى أن يأخذَه إلا بثمن ، فالله أعلم . فبنى رسولُ الله ﷺ مسجدَه وجعلَ عضَادتيْه الحجارة ، وسَواريَه جذوعَ النخل ، وسقفَه جريدَها ، بعد أن نبشَ قبورَ المشركين وسوَّاها ، وسوَّى الخِرَب ، وقطعَ النخلَ ، وعمِل فيه المسلمون(حِسْبَةً[2]).

ومات أبو أمامة أسعدُ بن زُرارة حينئذ ، فوجِدَ عليه رسولُ الله ﷺ وَجْداً شديداً ، وكان قد كواه من ذبحةٍ نزلت به ، وكان نقيبَ بني النجار فلم يجعلْ عليهم رسولُ الله ﷺ نقيباً[3] بعدَه ، وقال لهم : أنا نقيبُكم . فكانت من مفاخرهم .

وذكر أحمد بن يحيى بن جابر البلاذُري ، قال : فنزل رسولُ الله ﷺ عند أبي أيوب ، وأراده قوم من الخزرج على النزول عليهم ، فقال : « المرءُ مع رحله » . فكان مُقامُه في منزل أبي أيوب سبعة أشهر ، ونزل عليه تمامُ الصلاة بعد مقدمه بشهر ، ووهبت الأنصارُ لرسول

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٩٦/١ – ٤٩٨ مع الاختصار والتصرف اليسير .

(٢) زيادة من « الدرر » .

(٣) الدرر في المغازي والسير ؛ لابن عبد البر ص ٨٨ .

الله ﷺ كلَّ فضلٍ كان في خِططِهَا ، وقالوا : يا نبيَّ الله ! إن شئتَ فخذ منازلنا ، فقال لهم خيراً . قالوا : وكان أبو أمامة أسعدُ بن زرارة يُجَمِّع بمن يليه في مسجد له ، فكان رسولُ الله ﷺ يُصلِّي فيه ، ثم إنه سأل أسعدَ أن يبيعَه أرضاً متصلة بذلك المسجد كانت في يده ليتيمين في حِجْره يُقال لهما سَهْل وسُهيل ابنا رافع بن أبي عمرو بن عائذ بن ثعلبة ابن غنم[1] .

كذا نسبهما البَلاذُري وهو يُخالف ما سبق عن ابن إسحاق وغيره ، والأول أشهر .

قال : فعرض عليه أن يأخذها ويغرمَ عنه لليتيمين ثمنها ، فأبى رسولُ الله ﷺ ذلك وابتاعها منهما بعشرة دنانير أداها من مال أبي بكر .

ثم إن رسول الله ﷺ أمر باتخاذ اللَّبِنِ فاتخذ ، وبُني به المسجد ، ورُفع أساسه بالحجارة ، وسُقف بالجريد ، وجُعلت عُمدُه جذوعاً ، فلما استُخلف أبو بكر لم يُحدث فيه شيئاً ، واستُخلف عمر فوسَّعه ، فكلَّم العباسَ بن عبد المطلب في بيع داره ليزيدَها فيه ، فوهبَها العباسُ لله وللمسلمين ، فزادها عمرُ في المسجد . ثم إن عثمان بناه في خلافته بالحجارة والقَصَّة[2] وجعل عمده حجارة ، وسقفه بالسَّاج[3] وزاد فيه ونقل إليه الحصباءَ من العقيق . وكان أول من اتخذ فيه المقصورة مروان بن الحكم ، بناها بحجارة منقوشة ، ثم لم يُحْدَثْ فيه شيء إلى أن ولي الوليد بن عبد الملك بن مروان بعد أبيه ، فكتب إلى عمر بن عبد العزيز وهو عاملُه على المدينة يأمره بهدم المسجد وبنائه ، وبعث إليه بمال وفسيفساء ورخام ، وبثمانين صانعاً من الروم والقِبْط من أهل الشام ومصر ، فبناه وزاد فيه . وولي القيام بأمره والنفقة عليه صالح بن كيسان ، وذلك في سنة سبع وثمانين ، ويقال في سنة ثمان وثمانين .

ثم لم يُحْدِثْ فيه أحد من الخلفاء شيئاً حتى استُخلف المهدي . قال الواقدي : بعث

---

(١) البلاذري : هو أحمد بن يحيى بن جابر ، الحافظ الكبير ، صاحب التاريخ المشهور ، وهو من طبقة أبي داود السجستاني . نور النبراس لوحة ١/٢٦٤ .

(٢) « القَصَّة » : الجير المحروق .

(٣) « الساج » : ضرب من الشجر .

المهديُّ عبدَ الملك بن شبيب الغساني ورجلاً من ولد عمر بن عبد العزيز إلى المدينة لبناء مسجدها والزيادة فيه ، وعليها يومئذ جعفرُ بن سليمان بن عليّ ، فمكثا في عمله سنةً ، وزادا في مؤخره مائةَ ذراع ، فصار طولُه ثَلاثمائة ذراع وعرضه مائتي ذراع . وقال علي ابن محمد المدائني : ولَّى المهديُّ جعفرَ بن سليمان مكة والمدينة واليمامة ، فزاد في مسجد مكة ومسجد المدينة ، فتم بناء مسجد المدينة في سنة اثنتين وستين ومائة ، وكان المهدي أتى المدينة في سنة ستين قبل الهجرة فأمر بقلع المقصورة وتسويتها مع المسجد[1] .

* * *

(١) انظر أخبار هذه الزيادات في وفاء الوفاء ؛ للسمهودي ١/٣٨٠ .

ذكر الموادعة بين المسلمين واليهود

قال ابن إسحاق : وكتب رسولُ الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار ، ووادعَ فيه يهودَ ، وعاهدهم وأقرَّهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم واشترط عليهم : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتابٌ من محمد النبيّ ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم ، إنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على رَبَعَتِهم[1] يتعاقلون بينهم ، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو عوف على رَبَعَتِهم ، يتعاقلون معاقلَهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيَها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وذكر كذلك في بني ساعدة ، وبني جُشَم ، وبني النجار ، وبني عمرو ابن عوف ، وبني النَّبيت ، وبني الأوس . وإن المؤمنين لا يتركون مُفْرَحاً[2] بينهم أن يُعطوه بالمعروف في فداء أو عَقْل ، ولا يُحالف مؤمن مولى مؤمن دونه ، وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دَسِيعةَ[3] ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين ، وإن أيديهم عليه جميعاً ولو كان وَلَدَ أحدهم ، ولا يَقتل مؤمنٌ مؤمناً في كافر ، ولا يُنصر كافرٌ على مؤمن ، وإن ذمة الله واحدة ، يُجير عليهم أدناهم ، وإن المؤمنين بعضُهم موالي بعض دون الناس ، وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم ، وإن سِلْم المؤمنين واحدة ، لا يُسالم مؤمن من دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء أو عدل بينهم ، وإن كلَّ غازية[4] غزتْ معنا يُعْقِبُ بعضُها بعضاً ، وإن المؤمنين يُبيءُ[5] بعضُهم عن بعض بما نال دماءهم في سبيل الله ، وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه ، وإنه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن ،

---

(١) « رَبَعَتِهم » : بفتح الراء والباء والعين ؛ الحالة التي جاء الإسلام وهم عليها ، ويقال أيضاً رِبْعة ورَباعة .

(٢) « مُفْرَحاً » : المثقل بالدين والكثير من العيال ، ويروى : مُفْرَجاً .

(٣) « دسيعة ظلم » : المطلب على وجه الظلم ، أو العطية على وجه الظلم ، وأصلها ما يخرج من حلق البعير إذا رغا .

(٤) « غازية » : صفة لموصوف محذوف ، أي طائفة غازية .

(٥) « يُبيءُ » : يدفع بعضُهم عن بعض ويكفُّ ، فدماؤهم متساوية متكافئة لا يفضل أحدُهم الآخر .

وإنه من اعتبط[1] مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولي المقتول ، وإن المؤمنين عليه كافة ، ولا يحل لهم إلا قيام عليه ، وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم آخر أن ينصر مُحْدِثاً ولا يؤويه ، وإن من نصره أو آواه فإن عليه لعنةَ الله وغضبَه يوم القيامة ، ولا يُؤخذ منه صرف[2] ولا عدل ، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مردَّه إلى الله وإلى محمد ، وإن اليهود يُنفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن يهودَ بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينُهم وللمسلمين دينُهم ، مواليهم وأنفسهم إلا من ظَلَم أو أَثِم فإنه لا يُوتغُ[3] إلا نفسَه وأهل بيته . وذكر مثل ذلك ليهود بني النجار ، وبني الحارث ، وبني ساعدة ، وبني جُشم ، وبني الأوس ، وبني ثعلبة ، وبين الشَّطْبة ، وإن جفنة بطنٌ من ثعلبة ، وإن بطانة يهودَ كأنفسهم ، وإن البر دون الإثم ، وإن موالي ثعلبة كأنفسهم ، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ، وإنه لا ينحجز عن ثأر جرح ، وإنه من فَتَكَ فبنفسه[4] إلا من ظلم ، وإن الله على أبرِّ[5] هذا ، وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم ، وإنه لن يأثم امرؤ بحليفه ، وإن النصر للمظلوم ، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة ، وإن الجار كالنفس غير مُضَّار ولا آثم ، وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها ، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يُخاف فسادُه فإن مردَّه إلى الله وإلى محمد ﷺ ، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره ، وإنه لاتُجار قريش ولا من نصر ها ، وإن بينهم النصر على من دهم يثربَ . وإذا دُعوا إلى صلح يُصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه ، وإنهم إذا دَعَوْا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين ، إلا من حارب في الدين ، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قِبَلُهم ، وإن يهودَ الأوس مواليهم وأنفسُهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه

---

(١) « اعتبطَ مُؤمناً » : قتله من غير جناية ولا جريرة توجب قتله .

(٢) « صَرفٌ ولا عدلٌ » : توبة ولا فدية ، وقيل : نافلة ولا فريضة .

(٣) « لا يُوتغ » : لا يهلك .

(٤) كذا في جميع النسخ ، وفي السيرة النبوية ٥٠٣/١ ، والأموال ؛ لأبي عُبيد ٧/١ : ومَنْ فتكَ فبنفسه فتك . و« فتكَ » : أخذَ على غِرة .

(٥) « على أبرِّ هذا » : على الرضا به .

الصحيفة ، وإن البر دون الإثم ، ولا يكتسبُ كاسب إلا على نفسه ، وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره ، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم ولا آثم ، وإن من خرج آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة ، إلا من ظلم أو أثم . وإن الله جارٌ لمن برَّ واتقى ، ومحمد رسول الله ﷺ[1] .

هكذا ذكره ابن إسحاق ، وقد ذكره ابن أبي خيثمة ، فأسنده : حدثنا أحمد بن جَناب أبو الوليد ، حدثنا عيسى بن يونس ، حدثنا كَثير بن عبد الله بن عمرو المزني ، عن أبيه ، عن جده ؛ أن رسول الله ﷺ كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار ، فذكره بنحوه .

شرح ما فيه من الغريب

● الرَّبعَة : الحالة التي جاء الإسلام وهم عليها ، من كتاب المزني . قال الخشني : رَبْعة وربَعَة ، وكذلك رِباعة ورَباعة .

● والمُفْرح : رواه ابن جريج مُفْرَجاً . قال أبو عبيدة ومعناهما واحد ، وقال أبو عبيد : سمعت محمدَ بن الحسن يقول هذا يروى بالحاء وبالجيم ، قال أبو العباس ثعلب : المُفْرَح المثقل من الديون ، وبالجيم الذي لا عشيرة له . وقال أبو عبيدة : المُفْرج بالجيم أن يُسلم الرجلُ فلا يُوالي أحداً بقول ، فتكون جنايته على بيت المال ، لأنه لا عاقلة له ، فهو مُفْرَج . وقال بعضهم : هو الذي لا ديوان له . وقال أبو عُبيد القاسم بن سَلَّام عن محمد بن الحسن : هو القتيل يُوجد بأرض فلاة لا يكون عند قرية فإنه يُودى من بيت المال ولا يُطَلُّ دمه .

● وقوله : وإن المؤمنين يُبيء بعضهم عن بعض : يعني أن دماءهم متكافئة ، يقال : ما فلان بُبُواءٍ لفلان ، أي بكفؤ له . ويقال : باءَ الرجل بصاحبه يبوء بَوَاءً ؛ إذا قُتل به كفؤاً ، ولم يفسره ابن قتيبة ، ومعناه : يقتل بعضُهم قاتل بعض ، يُقال أبأت لفلان قاتلَه : أي قتلته . ويوتغ : يفسد ، قاله ابن هشام .

● نقلت هذه الفوائد من خط جدي رحمه الله من حواشي كتابه الذي تقدم ذكره .

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٥٠١/١ — ٥٠٤ ، وسند ابن أبي خيثمة فيه راو واه ، وهو كَثير بن عبد الله بن عمرو المزني . انظر ميزان الاعتدال ٤٠٦/٣ — ٤٠٨ ونور النبراس لوحة ٢٧٢/١ .

ذكر المؤاخاة[1]

وكانت المؤاخاة مرتين[2] : الأولى بين المهاجرين بعضِهم وبعض قبل الهجرة على الحق والمواساة ، آخى بينهم النبيُّ ﷺ ، فآخى بين أبي بكر وعمر ، وبين حمزة وزيد بن حارثة ، وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف ، وبين الزبير وابن مسعود ، وبين عبيدة بن الحارث وبلال ، وبين مصعب بن عُمير وسعد بن أبي وقاص ، وبين أبي عبيدةوسالم مولى أبي حذيفة ، وبين سعيد بن زيد وطلحة بن عبيد الله ، وبين علي ونفسِه ﷺ .

قرأتُ على أبي الربيع سليمان بن أحمد المَرجاني بثغر الاسكندرية وغيره ، عن محمد ابن عماد ، أخبرنا ابن رفاعة ، أخبرنا الخِلْعي قال أخبرنا أبو العباس أحمد بن الحسن بن جعفر العطار ، حدثنا أبو محمد الحسن بن رشيق العسكري ، حدثنا أبو عبد الله محمد ابن زُريق بن جامع المديني ، حدثنا أبو الحسين سفيان بن بشر الأسَدي ، حدثنا علي بن هاشم بن البَرِيد ، عن كَثير النَّوَّاء ، عن جُميع بن عُمير ، عن عبد الله بن عمر ، قال : آخى رسولُ الله ﷺ بين أصحابه ، فآخى بين أبي بكر وعمر ، وفلانٍ وفلان ، حتى بقي عليٌّ عليه السلام ، وكان رجلاً شجاعاً ، ماضياً على أمره إذا أراد شيئاً ، فقال رسول الله ﷺ : « أما ترضى أن أكونَ أخاك ؟ قال : بلى يا رسول الله رضيت . قال : فأنت

---

(١) **فائدة** : قال السهيلي : إنما كانت مؤاخاته من أصحابه عليه الصلاة والسلام حين نزلوا المدينة ؛ ليذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ويشد أزر بعضهم ببعض ؛ فلما أعز الله الإسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة أنزل الله آية ﴿ وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض ﴾ يعني المواريث ، ثم جعل الله كلهم إخوة فقال ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ يعني في التودد وشمول الدعوى .

(٢) ذكر سبط ابن العجمي قول الحافظ ابن تيمية في كتاب « الرد على ابن المطهر الحلبي الرافضي » : ومنها أن النبي ﷺ لم يؤاخ علياً ولا غيره ، وحديث المؤاخاة لعلي ، ومؤاخاة أبي بكر لعمر من الأكاذيب ، وإنما آخى بين المهاجرين والأنصار ، ولم يؤاخ بين مُهاجري ومُهاجري .
والمؤاخاة بين المهاجرين بعضهم وبعض أوردها ابن عبد البر في كتابه الدرر ص ٩٢ وعنه نقل المؤلف — رحمه الله تعالى — وزاد عليها المؤاخاة بين رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه . انظر نور النبراس ٢٧٢/١ .

أخي في الدنيا والآخرة » . قال كَثير : فقلت لِجُميع بن عُمير : أنت تشهد بهذا على عبد الله بن عمر ؟ قال : نعم أشهدُ[1] .

فلما نزل عليه الصلاة والسلام المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار على المواساة والحق في دار أنس بن مالك ، فكانوا يتوارثون بذلك دون القرابات ، حتى نزلت وقتَ وقعة بدر ﴿ وأولُوا الأرحام بعضُهم أولى ببعضٍ في كتاب الله ﴾ [الأنفال : ٧٥] فنسخت ذلك . وكانت المؤاخاة بعد بنائه عليه الصلاة والسلام المسجد . وقد قيل : كان ذلك والمسجد يُبنى . وقال أبو عمر : بعد قدومه عليه السلام المدينة لخمسة أشهر[2] .

قرىء على أبي عبد الله بن أبي الفتح المقدسي بمرج دمشق وأنا أسمع ، أخبركم ابن الحرستاني سماعاً ، قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن منصور بن قُبَيْس الغسَّاني قراءة عليه وأنا أسمع ، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن أبي الحَدِيد السُّلَمي ، أخبرنا جدي أبو بكر محمد بن أحمد بن عثمان ، أخبرنا محمد بن جعفر بن محمد أبو بكر الخرائطي قراءة عليه ، حدثنا سعدان ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : قال المهاجرون : يا رسول الله ! ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسنَ مواساةً في قليل ، ولا أحسنَ بذلاً من كثير ، كفوْنا المؤنة ، وأشركونا في المهنأ ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله . قال : « لا ، ما أثنيتم عليهم ودعوتم لهم »[3] .

وبه إلى الخرائطي ، حدثنا سعدان بن نصر ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : لقد رأيتُنا وما الرجلُ المسلم بأحقَّ بديناره ودرهمه من

---

(١) الحديث من الغيلانيات ، وهو ضعيف جداً ، فيه كثير النَّوَّاء ، شيعي ضعيف ، وفيه جميع بن عمير التيمي ، قال ابن حبان : رافضي يصنع الحديث ، وقال ابن نُمير : كان من أكذب الناس ، وقال ابن عدي : عامة ما يرويه لا يتابع عليه . ميزان الاعتدال ١/٤٢١ .

(٢) الدرر في المغازي والسير ؛ لابن عبد البر ص ٨٨ .

(٣) حديث الخرائطي عن أنس رواه أبو داود في كتاب الأدب (باب في شكر المعروف) رقم /٤٨١٢/ ، والترمذي في كتاب القيامة (باب مواساة الأنصار للمهاجرين) رقم /٢٤٨٩/ ، وهو عند الإمام أحمد في المسند ٣/٢٠٠ ، ٢٠٤ .

أخيه المسلم[1] . رواه مسلم عن أبي كُريب ، والترمذي والنسائيّ عن هنَّاد ، كلاهما عن أبي معاوية ، فوقع لنا بدلاً عالياً لهم .

وقال ابن إسحاق : آخى رسولُ الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فقال : تآخوا في الله أخوين أخوين ، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب ، فقال : هذا أخي . فكان رسولُ الله ﷺ وعليٌّ أخوين ، وحمزة وزيد بن حارثة أخوين ، وإليه أوصى حمزة يوم أحد[2] .

وذكر سُنيد بن[3] داود : أن زيدَ بن حارثة وأسيد بن الحضير أخوان ، وهو حسن إذ هما أنصاري ومهاجري ، وأما المؤاخاة بين حمزة وزيد فقد ذكرناها في المرة الأولى .

رجع إلى ابن إسحاق : وجعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل أخوين[4] ، وأنكره الواقدي لغيبة جعفر بالحبشة ، وعند سُنيد أن المؤاخاة كانت بين ابن مسعود ومعاذ بن جبل .

رجع : وأبو بكر بن أبي قحافة وخارجة بن زيد بن أبي زهير أخوين ، وعمر بن الخطاب وعِتْبان بن مالك أخوين ، وأبو عُبيدة بن الجراح وسعد بن معاذ أخوين ، وعبد الرحمن ابن عوف وسعد بن الربيع أخوين ، والزبير بن العوام وسلمة بن سلامة بن وقش أخوين ، ويُقال : بل الزبير وعبد الله بن مسعود . قلت : هذا كان في المؤاخاة الأولى قبل الهجرة . وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت بن المنذر أخوين ، وطلحة بن عُبيد الله وكعب بن مالك

(١) حديث الخرائطي الثاني عن ابن عمر لم نجده في صحيح مسلم ولا في النسائيّ ، وذكره الصالحي في « السيرة الشامية » وقال : روى مسلم والنسائيّ والخرائطي عن ابن عمر ، ونظنه قد تابع ابن سيد الناس في ذلك .. وقد وجدنا سبط ابن العجمي يقول : قول المؤلف : « رواه مسلم عن أبي كريب والترمذي والنسائيّ عن هَنَّاد ، وكلاهما عن أبي معاوية ..» هذا الكلام فيه نظر ، والحديث المذكور ليس في مسلم ولا في الكتابين ، ولا ترجمة الأعمش عن نافع عن ابن عمر في الكتب الستة فيحرر ما قاله .. نور النبراس لوحة ٢٧٨/١ .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٥٠٤/١ ـ ٥٠٥ .

(٣) سُنيد بن داود : المِصيصي ، أبو علي المحتسب ، صاحب التفسير ، روى عن حماد بن زيد وشريك وابن المبارك ، وروى عنه أبو زُرْعة وأبو بكر الأثرم ، وذكره أبو حاتم في شيوخه وقال : بغدادي صدوق . وقال ابن أبي عاصم : توفي سنة ٢٢٠ هـ . خلاصة الخزرجي ص ١٣٧ .

أخوين ، وسعيد بن زيد وأبيّ بن كعب أخوين ، ومعصب بن عُمير وأبو أيوب خالد ابن زيد أخوين ، وأبو حُذيفة بن عتبة وعبَّاد بن بشِر أخوين ، وعمَّار بن ياسر وحذيفة ابن اليمان أخوين . ويقال : بل ثابت بن قيس بن الشمَّاس . وأبو ذر والمنذر بن عمرو أخوين[١] ، وأنكره الواقدي ؛ لغيبة أبي ذر عن المدينة ، وقال : لم يشهد بدراً ولا أحداً ولا الخندق ، وإنما قدم بعد ذلك ، وعنده : طليب بن عُمير والمنذر بن عمرو أخوين .

رجع إلى ابن إسحاق : وحاطب بن أبي بلتعة وعُويم بن ساعدة أخوين ، وسلمان الفارسي وأبو الدرداء أخوين ، وبلال وأبو رويحة عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي أخوين[٢] ، وعند سُنيد بن داود فيما حكاه أبو عمر ؛ المؤاخاة بين أبي مرثد وعبادة بن الصامت ، وبين سعد بن أبي وقاص وسعد بن معاذ ، وبين عبد الله بن جحش وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، وبين عتبة بن غزوان وأبي دجانة ، وبين أبي سلمة بن عبد الأسد وسعد بن خيثمة ، وبين عثمان بن مظعون وأبي الهيثم بن التيهان . وزاد غيره : وبين عُبيدة ابن الحارث وعُمير بن الحمام ، وبين الطفيل بن الحارث أخي عبيدة وسفيان[٣] بن نَسْرْ ابن زيد من بني جُشم بن الحارث بن الخزرج ، وبين الحصين أخيهما وعبد الله بن جبير ، وبين عثمان بن مظعون والعباس بن عُبادة بن نَضْلة ، وبين صفوان بن بَيْضاء ورافع بن المُعَلَّى ، وبين المقداد وابن رواحة ، وبين ذي[٤] الشِّمالين ويزيد بن الحارث — من بني حارثة — وبين عمير بن أبي وقاص وخُبيب بن عدي ، وبين عبد الله بن مظعون وقُطْبة ابن عامر ابن حديدة ، وبين شمَّاس بن عثمان وحنظلة بن أبي عامر ، وبين الأرقم بن أبي الأرقم وطلحة بن زيد ، وبين زيد بن الخطاب ومَعْن بن عديّ ، وبين عَمْرو بن سُرَاقة وسَعْد بن زيد — من بني عبد الأشهل — وبين عاقل بن البُكَيْر ومُبَشِّر بن عبد المنذر ،

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٥٠٤ — ٥٠٥ .
(٢) الدرر في اختصار المغازي والسير ص ٨٩ .
(٣) كذا في النسخ « أ » و « ج » و « د » وصوَّبه ابن ماكولا ، وفي « ب » : ابن بشر ، وقال به أبو معشر أيضاً كما في نور النبراس لوحة ١/٢٧٩ .
(٤) ذو الشمالين : هو عُمير بن عبد عمرو بن نضلة ، خزاعي ، حليف لبني زُهرة ، وكان أعسَرَ ، استُشهد ببدر ، أسد الغابة ٢/١٤١ .

وبين عبد الله بن مَخْرَمة وفروة بن عمرو البياضي ، وبين خُنَيْس بن حُذافة والمنذر بن محمد بن عقبة ابن أُحَيْحة بن الجُلَاح ، وبين سَبْرة بن أبي رُهْم وعبادة بن الخَشْخَاش ، وبين مِسْطح بن أُثَاثة وزيد بن المُزَيَّن ، وبين عُكَّاشة بن مِحْصن والمُجَذَّر بن ذِياد — حليف الأنصار — وبين عامر بن فُهَيْرة والحارث بن الصِّمَّة ، وبين مِهْجع مولى عمر وسُراقة بن عمرو بن عطية — من بني غنم بن مالك بن النجار — .

وكل هذا المزيد عن أبي عمر[1] ، وقيل : كان عددهم مائةً : خمسين من المهاجرين وخمسين من الأنصار .

وزيد بن المُزَيَّن ، كذا وُجد بخط أبي عمر ، بزاي مفتوحة وياء آخر الحروف مشددة مفتوحة . وفي أصل ابن مُفَوِّز[2] : المِزْين بكسر الميم ، ساكنةِ الزاي ، مفتوحةِ الياء . وعند ابن هشام : ابن المزني[3] .

قال ابن إسحاق : فلما دوَّن عمر الدواوين بالشام ، وكان بلال قد خرج إلى الشام فأقام بها مجاهداً ، فقال عمر لبلال : إلى من تجعل ديوانَك ؟ قال : مع أبي رويحة ، لا أفارقه أبداً ؛ للأخوة التي كان رسول الله ﷺ عقد بيني وبينه ، فضمَّه إليه ، وضمَّ ديوانَ الحبشة إلى خثعم لمكان بلال منهم ، فهو في خثعم إلى هذا اليوم بالشام[4] .

أخبرنا عبد الرحيم بن يوسف الموصلي وغازي بن أبي الفضل الدمشقي ، قالا : أخبرنا عمر بن محمد بن مُعَمَّر ، أخبرنا هبة الله بن محمد ، أخبرنا أبو طالب محمد بن محمد ، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله ، حدثنا أبو عبد الله الحسين بن عمر الثقفي ، حدثنا العلاء ابن عمرو الحنفي ، حدثنا أيوب بن مُدرك ، عن مكحول ، عن أبي أمامة ، قال : لما آخى

---

(١) الدرر في المغازي والسير ؛ لابن عبد البر ص ٩١ — ٩٢ .

(٢) ابن مُفوِّز : المراد به الحافظ أبو الحسن طاهر بن مفوِّز بن أحمد بن مُفوِّز المغافري الشاطبي ، أكثر عن أبي عمر بن عبد البر ، وكان من أثبت الناس فيه ، وكان حسن الخط ، موصوفاً بالذكاء وسعة العلم .. نور النبراس لوحة ٢٨١/١ .

(٣) كذا في جميع النسخ ، وفي السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٩٢/١ : زين بن المُرَيّ .

(٤) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٥٠٧/١ .

النبيُّ ﷺ بين الناس آخى بينه وبين عليٍّ[(1)] .

أخبرنا أبو عبد الله بن أبي الفتح فيما قرأ عليه الحافظ أبو الحجَّاج المِزّي وأنا أسمع ، قال له : أخبرك القاضي أبو القاسم عبد الصمد بن محمد الأنصاري قراءة عليه وأنت تسمع ؟ فأقرَّ به ، قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد المالكي سماعاً ، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن عبد الواحد السُّلَمي ، أخبرنا جدي أبو بكر محمد بن أحمد ، أخبرنا محمد بن جعفر الخرائطي ، حدثنا سَعْدَان بن يزيد ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا حُميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، أن عبدَ الرحمن بن عوف هاجر إلى المدينة ، فآخى رسولُ الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع ، فقال له سعد : يا عبدَ الرحمن إني من أكثر الأنصار مالاً ، وأنا مُقاسِمُك ، وعندي امرأتان ، فأنا مُطَلِّق إحداهما ، فإذا انقضت عِدّتُها فتزوّجْها . فقال له : بارك الله لك في أهلك ومالك . رواه البخاري[(2)] من حديث حُميد عن أنس أطولَ من هذا .

* * *

---

(١) حديث أبي أمامة في الغيلانيات ، وهو ضعيف جداً ، فيه العلاء بن عمرو الحنفي متروك ، لا يجوز الاحتجاج به ، وأيوب بن مُدرك متروك أيضاً ، ومكحول لم ير أبا أمامة ، كما ذكر ذلك أبو حاتم .. من نور النبراس باختصار لوحة ١/٢٨٥ .

(٢) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار (باب إخاء النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار) رقم /٣٧٨٠/ . قال سبط ابن العجمي : الحديث أخرجه الأئمة في الكتب الستة ، وإنما عدل المؤلف عن ذكره عنها أن يقع له من هذه الطريق التي ساقها أعلى من الكتب الستة ، والله أعلم . نور النبراس لوحة ١/٢٩٥ .

بدء الأذان

وكان الناس إنما يجتمعون إلى الصلاة لتحيّن مواقيتها من غير دعوة ، فهمَّ رسولُ الله ﷺ أن يجعلَ بوقاً كبوق اليهود الذين يَدْعون به لصلاتِهم ، ثم كرهه ، ثم أمر بالناقوس فنُحت ليَضربَ به للمسلمين في الصلاة ، فبينما هم على ذلك رأى عبدُ الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربهِ ـ أخو بلحارث بن الخزرج ـ النداءَ .

روينا من طريق أبي داود ، حدثنا عبَّاد[1] بن موسى الخُتُلي وزياد بن أيوب ، وحديث عبَّاد أتم ، قالا : حدثنا هُشيم ، عن أبي بشر ، قال زياد : أخبرنا أبو بِشر ، عن أبي عُمير ابن أنس ، عن عمومة له من الأنصار ، قال : اهتمَّ النبيُّ ﷺ للصلاة كيف يجمعُ الناسَ لها ، فقيل له : انصب رايةً عند حضور الصلاة فإذا رأوها آذنَ بعضُهم بعضاً ، فلم يعجبه ذلك ، قال : فذكر له القُنْع ـ يعني الشَّبُّور ـ[2] وقال زياد : شَبُّور اليهود . فلم يعجبه ذلك ، وقال : هو من أمر اليهود . قال : فُذكر له الناقوس . فقال : هو من أمر النصارى فانصرفَ عبدُ الله بن زيد وهو مهتمّ لهمِّ رسول الله ﷺ ، فأُري الأذان في منامه . قال فغدا على رسول الله ﷺ فأخبرَه ، فقال يا رسول الله ! إني لبَيْنَ نائم ويقظان إذا أتاني آتٍ فأراني الأذانَ ، قال : وكان عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه قد رآه قبل ذلك فكتمَه عشرين يوماً . قال : ثم أخبر النبيَّ ﷺ . فقال له : ما منعكَ أن تخبرني . فقال : سبقني عبدُ الله بنُ زيد فاستحييتُ . فقال رسول الله ﷺ : يا بلال ! قمْ فانظرْ ماذا يأمُرك به عبدُ الله بن زيد فافعله ، فأذَّنَ بلال . قال أبو بشر : فأخبرني أبو عُمير أن الأنصار تزعمُ أن عبدَ الله بن زيد لولا أنه كان يومئذٍ مريضاً لجعلَه رسولُ الله ﷺ مؤذناً[3] .

---

(١) قال في نور النبراس : عبَّاس بن موسى : كذا في النسخ التي وقعت عليها ، وما أدري .. هل هو من النساخ أو من المؤلف . وصوابه عباد بالدال ، وكذا هو على الصواب في سنن أبي داود . نور النبراس لوحة ٢٩٨/١ .

(٢) « الشَّبور » : البوق .

(٣) رواه أبو داود في كتاب الصلاة (باب كيفية الأذان) رقم /٤٩٨/ وإسناده صحيح . وانظر السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٥٠٨/١ .

وروينا عن ابن إسحاق من طريق زياد ، ومن طريق أبي داود ، حدثنا محمد بن منصور الطوسي ، حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، عن محمد بن عبد الله بن زيد بن عبد ربه ، قال : حدثني أبي عبدُ الله بن زيد ، قال : لما أمر رسولُ الله ﷺ بالناقوس يُعمل ليضربَ به للناس يجمع للصلاة ، طافَ بي وأنا نائم رجلٌ يحمل ناقوساً في يده ، فقلت : يا عبد الله ! أتبيعُ الناقوسَ ؟ قال : وما تصنعُ به ؟ فقلت : ندعو به إلى الصلاة . قال : أفلا أَدُلُّكَ على[1] ما هو خيرٌ من ذلك ؟ فقلت : بلى . فقال تقول : الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، أشهدُ أنّ لا إلّه إلا الله أشهد أن لا إلّه إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله أشهدُ أن محمداً رسول الله ، حيّ على الصلاة حيّ على الصلاة ، حيّ على الفلاح حيّ على الفلاح ، الله أكبر الله أكبر ، لا إلّه إلا الله . قال : ثم استأخر عني غير بعيد ، ثم قال : تقول إذا أقمت الصلاة : الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إلّه إلا الله ، أشهدُ أن محمداً رسول الله ، حي على الصلاة حي على الفلاح ، قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة ، الله أكبر الله أكبر ، لا إلّه إلا الله . فلما أصبحتُ أتيتُ رسولَ الله ﷺ فأخبرتُه بما رأيتُ . فقال : إنها لرؤيا حقّ إن شاء الله ، فقم مع بلال فألقِ عليه ما رأيتَ ، فليؤذن به ، فإنه أندى صوتاً منك . فقمتُ مع بلال فجعلتُ ألقيه عليه ويؤذن به ، قال : فسمعَ بذلك عمرُ بن الخطاب وهو في بيته ، فخرج يجرُّ رداءَه يقول : والذي بعثك بالحقّ يا رسول الله لقد رأيتُ مثل ما رأى . فقال رسولُ الله ﷺ : « فللّه الحمد »[2] . اللفظ لأبي داود .

قال ابن هشام : وذكر ابن جريج قال : قال لي عطاء : سمعتُ عُبيد بنَ عُمير يقول : ائتمر النبيُّ ﷺ وأصحابُه بالناقوس للاجتماع للصلاة ، فبينما عمرُ بن الخطاب يُريد أن يشتريَ خشبتين للناقوس ؛ إذ رأى في المنام أن لا تجعلوا الناقوس ، بل أذنّوا للصلاة ، فذهب إلى النبي ﷺ ليخبرَه بالذي رأى ، وقد جاء النبيَّ ﷺ الوحيُ بذلك ، فما راعَ عمر

---

(١) كذا في « أ » وسنن أبي داود ٣٣٨/١ وفي « ج » و « د » : أفلا أدلك على ما هو خير لك من ذلك .

(٢) رواه أبو داود في كتاب الصلاة (باب كيفية الأذان) رقم /٤٩٩/ ، وقال الخطابي : روي هذا الحديث والقصة بأسانيد مختلفة ، وهذا الإسناد أصحُّها .

إلا بلال يُؤذِّن ، فقال رسول الله ﷺ حين أخبره بذلك : قد سبقَك بذلك الوحيُ[1] .

وكان يُؤَذِّنُ لرسول الله ﷺ بلال ، وابن أم مكتوم ، وأبو محذورة ، وسعد القرظ ، وهو ابن عائذ مولى عمار بن ياسر ، وكان يلزم التجارة في القرظ فعُرف بذلك ، وكان يؤذن لأهل قباء ، وابن أم مكتوم : عمرو بن قيس العامري ، وقيل : عبد الله . وأبو محذورة : سمرة بن معير ، وقيل أوس .

وروينا عن الطبراني : حدثنا أبو عبد الرحمن النسائي ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن راهويه ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثنا أبي ، عن عامر الأحول ، عن مكحول ، عن عبد الله بن مُحيريز ، عن أبي محذورة ، قال : علمني رسولُ الله ﷺ فقال : الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسولُ الله أشهد أن محمداً رسولُ الله ، ثم يعودُ فيقولُ : أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسولُ الله أشهد أن محمداً رسول الله ، حيّ على الصلاة حي على الصلاة ، حيّ على الفلاح حيّ على الفلاح ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله[2] . رواه النسائي في سننه كذلك . ورواه مسلم عن ابن راهويه ، فوقع لنا عالياً ، وهذا من أعزّ الموافقات .

قال ابن إسحاق : ونصبت عند ذلك أحبار يهود لرسول الله ﷺ العداوة بغياً وحسداً وضِغْناً ، لما خصَّ الله به العربَ من أخذه رسولَه منهم ، وانضاف إليهم رجال من الأوس والخزرج ممن كان عَسَى[3] على جاهليته ، فكانوا أهل نفاق على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالمبعث ، إلا أن الإسلام قهرهم بظهوره واجتماع قومهم عليه ، فظهروا بالإسلام واتخذوه جُنّة من القتل ، ونافقوا في السر ، فكان هواهم مع يهود ، وكان أحبار يهود هم الذين يسألون رسولَ الله ﷺ ويتعنتونه ليلبسوا الحق بالباطل ، فكان القرآن ينزل فيهم فيما يسألون عنه ، إلا قليلاً من المسائل في الحلال والحرام ، كان المسلمون يسألون عنها .

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢٠٩/١ .

(٢) رواه مسلم في كتاب الصلاة (باب صفة الأذان) رقم/٣٧٩/ ، والنسائي في الأذان (باب خفض الصوت في الترجيع في الأذان) ٤/٢ ، كما رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من طريق آخر .

(٣) « عسى على جاهليته » : تصلّب وتشدد في البقاء عليها .

فمن اليهود الموصوفين بذلك حيّ بن أخطب وأخواه ياسر[1] وجُدَيّ ، وسلّام بن مِشكم ، وكِنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وكعب بن الأشرف ، وعبد الله بن صُوريا الأعور – من بني ثعلبة بن الفِطْيون – ولم يكن بالحجاز في زمانه أعلم بالتوارة . وابن صَلُوبا ، ومُخيريق – وكان حَبْرَهم –[2] .

وذكر ابن إسحاق منهم جماعة : منهم عبد الله بن سلام ، وكان حَبْرَهم[3] وأعلَمهم ، وكان اسمه الحصين ، فلما أسلم سمّاه رسولُ الله ﷺ عبدَ الله[2] .

* * *

(١) ياسر : عم صفية بنت حيي بن أخطب ، يهودي معروف ، قُتل في خيبر ، وسيأتي قريباً بعد في خبر مخيريق : « عمي أبو ياسر » وكذا في سيرة مغلطاي . فهل هما اثنان ؟ أو على حذف حرف ، وأن اسمه ياسر وكنيته أبو ياسر ، والله أعلم . نور النبراس لوحة ٣٠٥/١ .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٥١٣/١ – ٥١٤ .

(٣) كذا في السيرة النبوية و « ج » و « د » ، وفي « أ » و « ب » : وكان خيرهم . وأشار إلى هذا الاختلاف في النسخ في نور النبراس لوحة ٣٠٩/١ .

إسلام عبد الله بن سلام

رضي الله تعالى عنه

وهو من بني إسرائيل ، من ولد يوسف بن يعقوب نبي الله ، وهو حليف للقواقلة ، وهم بنو غنم وبنو سالم ابنا عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج .

روينا عن ابن سعد : أخبرنا عبدُ الله بن عمر ، وأبو معمر المِنْقَري ، حدثنا عبدُ الوارث ابن سعيد ، حدثنا عبد العزيز بن صُهيب ، عن أنس بن مالك ، قال : أقبلَ نبيُّ الله ﷺ إلى المدينة ، قالوا : جاء نبي الله . فاستشرفوا ينظرون ، إذ سمع به عبد الله بن سلام وهو في نخل لأهله يخترف[1] لهم منه ، فعجلَ أن يضعَ التي يخترف لهم فيها فجاء وهي معه ، فسمعَ من نبيِّ الله ﷺ ، ثم رجعَ إلى أهله . فلما خَلَى نبيُّ الله ﷺ جاء عبدُ الله بن سلام فقال أشهدُ أنك رسولُ الله حقاً وأنك جئت بحق ، ولقد علمتِ اليهودُ أني سيّدُهم وابنُ سيّدهم ، وأعلَمُهم وابن أعلمهم ، فادعهم فاسألهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمتُ ، فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا فيَّ ما ليس فيَّ . فأرسل نبيُّ الله ﷺ إليهم ، فدخلوا عليه ، فقال لهم نبيُّ الله ﷺ : يا معشرَ اليهود ! ويلكم اتقوا الله ، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسولُ الله حقاً ، وأني جئتكم بحق ، أسلموا . قالوا : ما نعلمه ، فأعادَها عليهم ثلاثاً ، وهم يُجيبونه كذلك. قال : فأيُّ رجل فيكم عبدُ الله ابن سلام ؟ قالوا : ذلك سيّدُنا وابنُ سيدنا وأعلُمنا وابن أعلمنا . قال : أفرأيتم إن أسلمَ . قالوا : حاشى لله ما كان ليُسلمَ . فقال : يا ابنَ سلام اخرجْ عليهم . فخرجَ إليهم ، فقال : يا معشرَ اليهود ! ويلكم ! اتقوا الله ، والله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسولُ الله حقاً ، وأنه جاء بالحق . فقالوا : كذبتَ . فأخرجهم النبيُّ ﷺ[2] . رواه البخاري من حديث عبد العزيز بن صُهيب .

---

(١) « يخترف » يجتني .

(٢) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢٣٦/١ ، ورواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار (باب هجرة النبي ﷺ) رقم /٣٩١١/ . قال في نور النبراس لوحة ٣١١/١ : ولو أخرجه من طريق البخاري لكان أعلى بدرجة مما ذكر من طبقات ابن سعد .

وروينا من طريق البخاري : حدثني حامد بن عمر ، عن بِشر بن المُفَضَّل ، حدثنا حُميد ، حدثنا أنس ؛ أن عبدَ الله بن سلام بلغه مقدمُ النبيِّ ﷺ المدينةَ ، فأتاه يسأله عن أشياء ، فقال : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبيّ ، ما أوّل أشراط الساعة ، وما أوّل طعام يأكُله أهلُ الجنة ، وما بال الولد ينزع إلى أبيه وإلى أمه ؟ قال : « أخبرني بهنّ جبريلُ آنفاً » . قال ابن سلام : ذاك عدوّ اليهود من الملائكة . قال : « أما أوّل أشراط الساعة فنارٌ تحشرُهم من المشرق إلى المغرب ، وأما أوّلُ طعام يأكُله أهلُ الجنة فزيادةُ كبدِ الحوت ، وأما الولد فإذا سبقَ ماءُ الرجل ماءَ المرأة نزعَ الولدَ ، وإذا سبق ماءُ المرأة ماءَ الرجل نزعتِ الولدَ » . قال : أشهدُ أن لا إلَه إلا الله وأنّك رسولُ الله . قال : يا رسول الله إن اليهودِ قوم بُهْتٌ[1] . فذكرَ نحو ما تقدم .

وروينا عن ابن سعد : أخبرَنا يزيد بن هارون ، أخبرنا جُويبر ، عن الضحّاك ، في قوله تعالى : ﴿ قل أرأيتُم إنْ كان من عند الله وكفرتُم به وشِهدَ شاهدٌ من بني إسرائيلَ على مِثله ﴾ [الأحقاف : ١٠] قال جاء عبدُ الله بن سَلَام إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ! إن اليهودَ أعظمُ قومٍ غضيهة[2] ، فسلهم عني ، وخذ عليهم ميثاقاً أني إن اتبعتُك وآمنتُ بكتابِك أن يؤمنوا بك وبكتابك الذي أُنزل عليك ، واخبئني يا رسول الله قبل أن يدخلوا عليك ، فأرسل إلى اليهود ، فقال : ما تعلمون عبدَ الله بن سلام فيكم ؟ قالوا : خيرُنا[3] ، وأعلَمُنا بكتاب الله ، سيدنا وعالمنا وأفضلنا . قال : أرأيتم إن شهدَ أني رسولُ الله وآمن بالكتاب الذي أُنزل عليَّ ، تؤمنون بي ؟ قالوا : نعم . فدعاه ، فخرج عليهم عبدُ الله . فقال : يا عبد الله بن سلام ! أما تعلم أني رسول الله ؟ تجدوني مكتوباً

---

(١) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار (باب كيف آخى النبي بين أصحابه) رقم /٣٩٣٨/ وتتمته : إن اليهود قومٌ بهتٌ ، فاسألهم عني قبل أن يعلموا بإسلامي . فجاءت اليهودُ ، فقال النبي ﷺ : « أرأيتم إنْ أسلمَ عبدُ الله بن سلام ؟ » قالوا : أعاذَه الله من ذلك . فأعادَ عليهم ، فقالوا مثل ذلك . فخرجَ إليهم عبدُ الله فقال : أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا الله وأنَّ محمداً رسولُ الله . قالوا : شرُّنا وابن شرِّنا ، وتنقَّصُوه . قال : هكذا كنتُ أخافُ يا رسولَ الله .

(٢) « عَضِيهةً » : كذباً وبهتاناً .

(٣) في « ج » و « د » : وابن خيرنا .

عندكم في التوراة والإنجيل ، أخذَ الله ميثاقكم أن تؤمنوا بي ، وأن يتبعني من أدركني منكم ؟ قال : بلى . قالوا : ما نعلمُ أنك رسولُ الله . وكفروا به وهم يعلمون أنه رسول الله ، وأن ما قالَ حقّ ، فأنزل الله : ﴿ قل أرأيتم إن كان من عنـد الله ﴾ - يعنـي الكتـاب والرسول - ﴿ وكفرتُم به ، وشهدَ شاهدٌ من بني إسرائيلَ على مثله ﴾ يعني عبد الله بن سلام ﴿ فآمنَ واستكبرتُم إنَّ الله لا يَهدي القومَ الظالمين ﴾ [الأحقاف : ١٠] ففي ذلك نزلت هذه الآية(٥) .

* * *

(١) الطبقات الكبرى ، لابن سعد ٣٥٢/٢ ، وإسناده ضعيف جداً ، فيه جُويبر بن سعد أبو القاسم الأزدي متروك ، والضحاك بن مزاحم متكلم فيه . باختصار من نور النبراس لوحة ٣١٢/١ .

خبر مخيريق

قال ابن إسحاق : وكان حَبْراً عالماً غنياً كثيرَ الأموال من النخل ، وكان يعرفُ رسولَ الله ﷺ بصفته ، وما يجدُ في علمه ، وغلب عليه إلفُ[1] دينِهِ ، فلم يزلْ على ذلك حتى كان يومُ أُحد يومُ السبت ، قال : والله يا معشرَ يهود إنكم لتعلمون أن نصرَ محمدٍ عليكم لحقّ . قالوا : إن اليومَ يومُ السبت . قال : لا سبتَ لكم ، ثم أخذ سلاحَه فخرجَ حتى أتى رسولَ الله ﷺ وأصحابَه بأُحد ، وعهد إلى مَن وراءَه من قومه : إن قتلتُ هذا اليوم فأموالي إلى محمد يصنعُ فيها ما أراه الله . فلما اقتتل الناسُ قاتل حتى قُتل ، فكان رسولُ الله ﷺ فيما بلغني يقول : « مخيريق خيرُ يهود » . وقبضَ رسولُ الله ﷺ أموالَه فعامَّةُ صدقاتِ رسول الله ﷺ بالمدينة منها[2] .

وقال الواقدي : كان مخيريق أحدَ بني النضير حَبْراً عالماً ، فآمن برسول الله ﷺ ، وجعل مالَه له ، وهو سبعة حوائط[3] ، فجعلَها رسولُ الله ﷺ صدقةً ، وهي المِيْثَب ، والصَّافية ، والدَّلال ، وحُسْنى ، وبُرْقَة ، والأَعْواف ، ومَشْربةُ[4] أمِّ إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ، وهي مارية القبطية[5] .

---

(١) « إلفُ دينه » : أي دين النبي ﷺ .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٥١٨/١ .

(٣) « حوائط » : جمع حائط ، وهو البستان من النخل .

(٤) « مشربة » : قال الخليل : هي الغرفة ، وقال الطبري : هي كالخزانة فيها الطعام والشراب . وقال السهيلي : وإنما سميت مشربة أم إبراهيم ؛ لأنها كانت تسكنها . نور النبراس لوحة ٣٢٣/١ .

(٥) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٥٠٢/١ .

[أخبار كفار اليهود والمنافقين]

وذكر ابن إسحاق : عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : حُدِّثت عن صفية ابنة حيي ، أنها قالت : كنتُ أحبَّ ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر ، فلما قدم رسولُ الله ﷺ المدينة غَدَوا عليه ، ثم جاءا من العشيّ ، فسمعتُ عمي يقول لأبي : أهو هو ؟ قال : نعم والله . قال : أتعرفه وتثبته . قال : نعم . قال : فما في نفسك منه ؟ قال : عداوته — والله — ما بقيت[1] .

وذكر ابن إسحاق من المنافقين رُويَّ بن الحارث ، والحارث بن سُويد ، وجُلاس بن سُويد ، وكان ممن تخلَّف عن غزوة تبوك ، وقال : لئن كان هذا الرجلُ صادقاً لنحن شرٌّ من الحمر . فَرَفعَ ذلك إلى رسول الله ﷺ عميرُ بن سعد ، وكان في حِجْر جُلَاس ، خَلَفَ على أمّه ، فقال له عُمير : والله يا جُلَاس إنك لأحبُّ الناس إليَّ ، وأحسنُهم عندي يداً ، ولقد قلتَ مقالةً لئن رفعتُها عنك لأفضحنَّك ، ولئن صمتُّ عليها ليهلكنَّ ديني ، ولإحداهُما أيسرُ عليَّ من الأخرى ، ثم مشى إلى رسول الله ﷺ فذكر له ما قال جُلاسٌ . فحلف جُلَاس بالله لرسول الله ﷺ : لقد كذبَ عليَّ عُمير ، وما قلتُ ما قال . فأنزلَ الله تعالى : ﴿ يَحْلِفُونَ بالله ما قَالُوا ولقد قَالُوا كلمةَ الكُفْرِ وكَفَرُوا بعدَ إسلامِهم ﴾ إلى قوله : ﴿ وما لَهمُ في الأرضِ مِنْ وَليّ ولا نَصيرٍ ﴾ [التوبة : ٧٤] فزعموا أنه تاب ، فحسُنَتْ توبتُه[2] .

وزاد ابنُ سعد في هذا الخبر : فقال — يعني جُلَاساً — قد قلتُه وقد عرضَ الله عليَّ التوبة فأنا أتوب[3] ، فقُبل ذلك منه . وكان له قتيل في الإسلام فوَداه رسولُ الله ﷺ فأعطاه ديتَه فاستغنى بذلك . وكان قد هَمَّ أن يلحق بالمشركين . قال : وقال رسول الله ﷺ للغلام : « وَفَتْ أُذُنُكَ »[2] . وقال الواقدي : ولم ينزع جلاسٌ عن خير كان يصنعهُ

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٥١٨/١ .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٥١٩/١ .

(٣) يشير إلى الآية التي نزلت في المناسبة نفسها ، وهي قوله تعالى : ﴿ فإن يتوبوا يكُ خيراً لهم وإن يتولوا يعذبهم الله عذاباً أليماً ﴾ [التوبة : ٧٤] .

إلى عُمير ، فكان ذلك مما عُرفت به توبتُه[1] .

وأخوه الحارث هو الذي قتل المُجَذَّر بن ذياد البلوي يومَ أُحد بأبيه سُوَيد بن الصامت ، فأمر رسولُ الله ﷺ عمرَ بن الخطاب بقتل الحارث إن ظَفِرَ به ، ففاته فكان بمكة ، ثم بعث إلى أخيه الجُلَاس يطلب التوبةَ ، فأنزل الله فيه فيما بلغني عن ابن عباس : ﴿ كيفَ يَهْدِي اللهُ قَوْمَاً كَفَرُوا بعد إيمانهم ﴾ [آل عمران : ٨٦] إلى آخر القصة[2] .

وقال الواقدي : إن الحارث أتى مُسلماً بعد الفتح ، وكان قد ارتد ولحق بالمشركين ، فقتلَه النبيُّ ﷺ بالمُجَذَّر[3] .

ومن بني ضُبَيْعة بن زيد : بِجَاد بن عثمان ، ونَبْتَل بن[4] الحارث ، وهو الذي قال : إنما محمد أذنٌ ، من حدَّثه شيئاً صدَّقه ، فأنزل الله فيه : ﴿ ومنهمُ الذين يُؤذون النبيَّ ويقولُنَ هو أُذُنٌ ﴾ [التوبة : ٦١] وأبو حَبيبةَ بن الأزعر ، وكان ممن بنى مسجد الضِّرار ، وثعلبة ابن حاطب ، ومُعَتِّب بن قُشير ، وهما اللذان عاهدا الله ﴿ لئن آتَانَا من فضلِه ﴾ [التوبة : ٧٥] إلى آخر القصة . ومُعَتِّب الذي قال يوم أحد : ﴿ لو كانَ لنا من الأمر شيءٌ ما قُتِلْنَا هَاهُنا ﴾ [آل عمران : ١٥٤] وهو الذي قال يوم الأحزاب : كان محمد يَعِدُنا أن نأكلَ كنوزَ كسرى وقيصر ، وأحدُنا لا يأمن أن يذهبَ إلى الغائط ، فأنزلَ الله : ﴿ وإذْ يقولُ المنافقونَ والذين في قلوبهم مرضٌ ما وعدَنا اللهُ ورسولُه إلا غُروراً ﴾ [الأحزاب : ١٢] — وأنكر ابن هشام دخولَ ثعلبة ومُعَتِّب في المنافقين[5] — وعبَّاد بن حُنيف — أخو سهل وعثمان — وجارية بن عامر[6] ، وابناه مُجمِّع وزيد — وقيل : لا يصح عن مجمّع النفاق — وذكر آخرين .

---

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٣٧٦/٤ .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٥٢١/١ .

(٣) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٣٥٣/٣ .

(٤) في السيرة النبوية ٥٢١/١ أن نبتَل بن الحارث من بني لَوْذان بن عمرو بن عوف .

(٥) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٥٢٢/١ .

(٦) ذكر في السيرة النبوية أن جارية بن عامر من بني ثعلبة بن عمرو بن عوف .

ومن بني أمية بن زيد : وديعة بن ثابت،وهو الذي كان يقول : ﴿ إنما كُنّا نخوضُ ونلعبُ ﴾ [التوبة : ٦٥] .

ومن بني عُبيد : خِذَام بن خالد ، وهو الذي أخرج مسجد الضّرار من داره ، وبشر ، ورافع ابنا زيد .

ومن بني النَّبِيْت عمرو بن مالك بن الأوس : مِرْبعُ بن قيظي ، وأخوه أوس ، وأوس الذي قال يوم الخندق : إن بيوتنا عورة فأْذَنْ لنا فلنرجعْ إليها ، فأنزلَ الله فيه : ﴿ يقولونَ إنَّ بيُوتَنا عورةٌ وما هي بعورة ﴾ الآية [الأحزاب : ١٣] .

ومن بني ظَفَر : حاطب بن أمية ، وبُشير بن أُبيرق ، والحارث بن عمرو بن حارثة . وعند ابن إسحاق : بُشير ، وهو أبو طُعمة سارقُ الدرعين ، الذي أنزل الله فيه ﴿ ولا تُجادلْ عن الذينَ يَختانونَ أنفسَهم ﴾ [النساء : ١٠٧] وقُزمان : حليف لهم ، وهو المقتول يوم أحد بعد أن أبلى في المشركين ، قتل نفسَه ، بعد أن أخبرَ رسولُ الله ﷺ أنه من أهل النار .

ولم يكن في بني عبد الأشهل منافق ولا منافقة ، إلا أن الضحاك بن ثابت اتهم بشيء من ذلك ولم يصح .

ومن الخزرج من بني النجار : رافع بن وديعة ، وزيد بن عمرو ، وعمرو بن قيس ، وقيس بن عمرو بن سهل .

ومن بني جُشَم بن الخزرج : الجَدُّ بن قيس وهو الذي يقول : يا محمد إئذن لي ولا تفتني[١] .

ومن بني عوف بن الخزرج : عبد الله بن أُبيّ بن سلول ، وكان رأسَ المنافقين ، وهو الذي قال : ﴿ لئنْ رَجَعْنَا إلى المدينةِ ليُخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ ﴾ [المنافقون : ٨] في غزوة بني المصطلق ، وفيه نزلت سورة المنافقين بأسرها[٢] .

---

(١) قال ذلك معتذراً عن الخروج إلى تبوك ، وقوله : إني أخشى على نفسي نساء بني الأصفر .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٥٢٣/١ ـــ ٥٢٦ .

قال أبو عمر : وزيد بن أرقم هو الذي رفع إلى رسول الله ﷺ عن عبد الله بن أبي قوله : ﴿ لئنْ رَجَعْنَا إلى المدينة ﴾ فأكذبه عبد الله بن أبي وحلف ، فأنزل الله تصديقَ زيد بن أرقم ، فتبادر أبو بكر وعمر إلى زيد ليبشراه ، فسبق أبو بكر ، فأقسم عمر أن لا يبادره بعدَها إلى شيء ، وجاء النبيُّ ﷺ فأخذ بأذن زيد وقال : « وَفَتْ أُذنُك يا غلام »[1] .

ووديعة وسويد وداعس من رهط ابن سلول ، وهم وعبد الله بن أبي الذين كانوا يدسون إلى بني النضير حين حاصرَهم رسولُ الله ﷺ أن اثبتوا ، فوالله لئن أُخرجتم لنخرجنَّ معكم القصة[2] .

وكان النفاق في الشيوخ ولم يكن في الشباب ، إلا في واحد وهو قيس بن عمرو بن سهل .

رجع إلى ابن إسحاق : فكان ممن تعوَّذ بالإسلام وأظهره وهو منافق من أحبار يهود ، من بني قينقاع : سعد بن حُنيف ، وزيد بن اللُّصَيْت ، ونعمان بن أوفى بن عمرو ، وعثمان بن أوفى . وزيد بن اللُّصَيت هو الذي قال حين ضَلَّتْ ناقةُ رسول الله ﷺ : يزعم محمد أنه يأتيه خبرُ السماء ، وهو لا يدري أين ناقته . فقال رسول الله ﷺ — وجاءه الخبر بما قال عدو الله — : « إن قائلاً قال : يزعمُ محمد أنه يأتيه خبرُ السماء وهو لا يدري أين ناقته . وإني والله ما أعلم إلا ما علمني ربي ، وقد دلَّني الله عليها ، وهي في هذا الشعب قد حبستها شجرةٌ بزمامها » . فذهبَ رجال من المسلمين فوجدوها حيث قال رسولُ الله ﷺ وكما وصف . ورافع بن حُريملة ، وهو الذي قال رسولُ الله ﷺ حين مات : « قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين » . ورِفاعة بن زيد بن التابوت ، وهو الذي اشتدت الريح يوم موته ، فقال رسول الله ﷺ وهو قافل من غزوة بني المصطلق : « إنها هبَّتْ لموت عظيم من عظماء الكفار » . وسِلْسلة بن بِرهام ، وكنانة بن صُورِيا .

---

(١) الاستيعاب ، لابن عبد البر ١/٥٥٧ .
(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٥٢٦ .

وكان هؤلاء[1] يحضرون المسجد فيسخرون من المسلمين ، فأمر ﷺ بإخراجهم منه فأُخرجوا ، ففيهم نزل صدر سورة البقرة إلى المائة منها .

قال ابن إسحاق : وكتبَ رسول الله ﷺ إلى يهود خيبر فيما حدثني مولىً لآل زيد ابن ثابت ، عن عكرمة ، أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله ﷺ صاحب موسى وأخيه ، والمصدق لما جاء به موسى ، ألا إن الله تعالى قد قال لكم يا معشر أهل التوراة ، وإنكم تجدون ذلك في كتابكم ﴿ محمدٌ رسولُ اللهِ والذينَ معه أشِدَّاءُ على الكفار رحماءُ بينَهم تراهُم رُكَّعاً سُجَّداً يَبتغونَ فَضْلاً منَ اللهِ ورضواناً سِيماهُم في وِجوهِهم من أثرِ السُّجودِ ذلكَ مَثلُهم في التوراةِ وَمثلُهم في الإنجيلِ كزرعٍ أخرجَ شَطْأَهُ فآزرَه فاستغلظَ فاستوى على سُوقِهِ يُعجبُ الزُّرَّاعَ ليغيظَ بهم الكُفّار وَعَدَ اللهُ الذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحاتِ منهم مغفرةً وأجراً عظيماً ﴾ [الفتح : ٢٩] وإني أَنشُدكم بالله وأَنشُدكم بما أُنزل عليكم ، وأَنشُدكم بالذي أطعم من كان قبلكم من أسباطكم المنَّ والسلوى ، وأَنشُدكم بالذي أيبس البحر لآبائكم حتى أنجاهم من فرعونَ وعمله ، إلا أخبرتمونا ، هل تجدون فيما أُنزل عليكم أن تُؤمنوا بمحمد ، فإن كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا كره عليكم ، قد تبين الرشد من الغيّ ، فأدعوكم إلى الله وإلى نبيّه »[2] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن يهودَ كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه ، فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه . فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء : يا معشر يهود ! اتقوا الله وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك ، وتخبروننا أنه مبعوث ، وتصفونه لنا بصفته . فقال سَلَّام بن مِشْكم أحدُ بني النضير : ما جاءنا بشيء نعرفه ، ما هو بالذي كنا نذكره لكم ، فأنزل الله في ذلك من قولهم ﴿ ولما جاءَهم كتابٌ من عندِ الله مُصَدِّقٌ لما مَعهم

---

(١) وكان هؤلاء : الإشارة هنا إلى عامة المنافقين من الأوس والخزرج واليهود . وانظر السيرة النبوية ٥٢٨/١ ـ ٥٣٠ .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٥٤٤/١ ـ ٥٤٥ .

وكانوا من قبلُ يَستفتحونَ على الذينَ كَفَروا فلمَّا جاءَهم ما عَرَفوا كَفَرُوا به فلعنةُ الله على الكافرين ﴾[1] [البقرة : ٨٩] .

قال ابن إسحاق : وقال مالك بن الصَّيف ـ حين بُعث رسول الله ﷺ ، وذكر لهم ما أخذ الله عليهم له من الميثاق وما عهد الله إليهم فيه ـ : والله ما عُهد إلينا في محمد عهد ، وما أُخذ له علينا ميثاق . فأنزل الله فيه : ﴿ أَوَكُلَّما عاهَدوا عَهْداً نَبَذَه فريقٌ منهم بل أكثرُهم لا يُؤمنون ﴾ [البقرة : ١٠٠] وقال ابن صَلُوبا الفِطْيُوني لرسول الله ﷺ : يا محمد ! ما جئتنا بشيء نعرفه ، وما أنزل الله عليك من آية بينة فنتبعَك بها ، فأنزل الله في ذلك من قوله : ﴿ ولقَدْ أنْزَلْنا إليكَ آياتٍ بيِّناتٍ وما يَكفرُ بها إلا الفَاسقون ﴾ [البقرة : ٩٩] . وقال رافع بن حُريملة ووهب بن زيد لرسول الله ﷺ يا محمد ائتنا بكتاب تنزله من السماء نقرؤه ، وفجِّرْ لنا أنهاراً نتبعك ونصدقك ، فأنزل الله في ذلك : ﴿ أم تُريدونَ أن تَسألُوا رسولَكم كما سُئل موسى من قبلُ ومن يَتَبَدَّلِ الكفرَ بالإيمان فقد ضَلَّ سواءَ السَّبيل ﴾ [البقرة : ١٠٨] وكان حيي بن أخطب ، وأبو ياسر بن أخطب من أشد يهود للعرب حسداً ، إذ خصهم الله برسوله ﷺ ، فكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام بما استطاعا ، فأنزل الله فيهما : ﴿ ودَّ كثيرٌ من أهلِ الكتابِ لو يَرُدُّونَكم من بعد إيمانِكم كُفَّاراً حَسَدَاً من عندِ أنفسِهم من بعد ما تبيَّنَ لهم الحقُّ ﴾ [البقرة : ١٠٩] . الآية[1] .

ولما قدم أهلُ نجران من النصارى على رسول الله ﷺ أتتهم أحبارُ يهود ، فتنازعوا عند رسول الله ﷺ ، فقال لهم رافع بن حُريملة : ما أنتم على شيء ، وكفر بعيسى وبالإنجيل ، فقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود : ما أنتم على شيء ، وجحد نبوة موسى ، وكفر بالتوراة ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وقالتِ اليهودُ ليستِ النَّصارى على شيءٍ وقالتِ النَّصارى ليستِ اليهودُ على شيء ﴾ [البقرة : ١١٣] الآية . وقال رافع بن حريملة : يا محمد إن كنتَ رسولاً من الله كما تقول فقل لله فليكلمنا ، فأنزل الله : ﴿ وقال الذينَ لا يَعلمون لولا يُكَلِّمُنا الله أو تَأْتِيْنا آية ﴾ [البقرة : ١١٨] . وقال عبدُ الله بن

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٥٤٧ ـ ٥٤٩ .

صُوريا الأعور : ما الهدى إلا ما نحن عليه ، فاتبعنا يا محمد تهتدِ . وقالت النصارى مثل ذلك ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وقالُوا كُونوا هُوداً أو نَصارى تَهْتَدوا ﴾ [البقرة : ١٣٥] الآية[1] .

وسأل معاذ بن جبل وسعدُ بن معاذ وخارجةُ بن زيد نفراً من أحبار يهود عن بعض ما في التوراة ، فكتموهم إياه ، فأنزل الله : ﴿ إنَّ الذينَ يَكتُمونَ ما أنزلْنا من البيِّناتِ والهُدى من بعد ما بيَّناه للناس ﴾ [البقرة : ١٥٩] الآية . ودعا عليه الصلاة والسلام اليهودَ إلى الإسلام ، فقال له رافع ومالك بن عوف : بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ، فأنزلَ الله تعالى : ﴿ وإذا قيلَ لهم اتَّبِعُوا ما أنزلَ الله قَالوا بل نَتَّبِعُ ما وَجَدْنا عليه آباءَنَا ﴾ [لقمان : ٢١] ولما أصاب الله قريشاً يومَ بدر جمع رسولُ الله ﷺ يهودَ في سوق بني قينقاع ، حين قدم المدينة ، فقال : يا معشر يهود ، أسلموا قبل أن يصيبَكم الله بمثل ما أصابَ به قريشاً . قالوا له : يا محمد ! لا يغرنَّك من نفسك أنك قتلت نفراً من قريش ، كانوا أغماراً لا يعرفون القتال ، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس ، وإنك لم تلق مثلنا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ قلْ للذينَ كَفَرُوا ستُغلبونَ وتُحشرونَ إلى جهنَّمَ وبئسَ المِهَاد ﴾ [آل عمران : ١٢] الآية والتي بعدها . ودخلَ رسولُ الله ﷺ بيت المدراس على جماعة من يهود ، فدعاهم إلى الله ، فقال له النعمان بن عمرو والحارث بن يزيد : وعلى أي دين أنت يا محمد ؟ قال : على ملة إبراهيم ودينه . قالا : فإن إبراهيم كان يهودياً . فقال لهما رسولُ الله ﷺ : فهلمَّ إلى التوراة فهي بيننا وبينكم فأبيا عليه ، فأنزل الله : ﴿ ألم تَرَ إلى الذينَ أُوتوا نَصيباً من الكتابِ يُدعونَ إلى كتابِ الله ليَحكُم بينَهم ثم يتولَّى فريقٌ منهم وهم مُعرضون ﴾ [آل عمران : ٢٣] الآية والتي تليها .

وقال أحبار يهود : وما كان إبراهيم إلا يهودياً ، وقالت نصارى نجران : ما كان إلا نصرانياً ، فأنزل الله : ﴿ يا أهلَ الكتابِ لم تُحاجُّون في إبراهيمَ ﴾ الآيات إلى ﴿ والله وليُّ المؤمنين ﴾ [آل عمران : ٦٥ – ٦٨] .

وقال عبدُ الله بن صَيف وعديُّ بن زيد والحارثُ بن عوف ، بعضهم لبعض : تعالوا

---

(١) المصدر السابق ١/٥٤٩ .

نؤمن بما أنزل الله على محمد غُدوةً ونكفر به عشيَّةً ، حتى نَلْبِسَ عليهم دينَهم ، لعلَّهم يصنعون كما نصنع ، فيرجعون عن دينهم ، فأنزل الله : ﴿ يا أهلَ الكِتابِ لم تَلْبِسُون الحقَّ بالباطلِ وتَكتمُون الحقَّ وأنتُم تَعلمون ﴾ إلى قوله ﴿ والله واسعٌ عليم ﴾(1) [آل عمران : ٧١ – ٧٣] .

وقال أبو رافع القُرظي حين اجتمعت الأحبارُ من يهود ، والنصارى من أهل نجران ، عند رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام : أتريدُ منا يا محمد أن نعبدَك كما تعبدُ النصارى عيسى بن مريم ؟! وقال رجلٌ من نصارى نجران مثلَه ؟ قال رسول الله ﷺ : معاذ الله أن يُعبد غيرُ الله ، فأنزل الله تعالى : ﴿ ما كانَ لبشرٍ أن يُؤتيَه اللهُ الكِتابَ والحُكْمَ والنبوّةَ ثم يقولَ للنَّاسِ كُونوا عِبَاداً لي من دُونِ الله ﴾ [آل عمران : ٧٩] الآية . ثم ذكر ما أخذ عليهم من الميثاق بتصديقه ، فقال : ﴿ وإذا أخذَ الله ميثاقَ النبيّن لما آتيتُكم من كتابٍ وحِكمة ثم جاءَكم رسولٌ مُصدِّقٌ لما معكُم لتُؤمِنُنَّ به ولتَنصُرُنَّه ﴾ [آل عمران : ٨١] إلى آخر القصة(2) .

ومرَّ شاسُ بن قيس – وكان شيخاً قد عسا(3) ، عظيم الكفر ، شديد الطعن على المسلمين ، شديدَ الحسد لهم – على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج يتحدثون ، فغاظه ما رأى من إلفتهم وجماعتهم بعدما كان بينهم من العداوة ، فقال : قد اجتمع ملأ بني قَيْلة بهذه البلاد ، لا والله مالنا معهم إذا اجتمعوا من قرار ، فأمَرَ فتًى شاباً من يهود كان معهم ، فقال : اعمد إليهم ، فاجلس معهم ، ثم اذكر يوم بُعاث ، وما كان فيه ، وأنشِدْهم بعضَ ما كانوا يتقاولون فيه من الأشعار ، ففعل ، فتكلَّم القومُ عند ذلك ، وتنازعوا حتى تواثب رجلان على الرُّكب : أوس بن قيظي من الأوس ، وجَبَّارُ بن صخر من الخزرج ، فتقاولا ، ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم رددتها الآن

---

(1) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٥٥٠ – ٥٥٣ .
(2) المصدر السابق ١/٥٥٤ .
(3) « عسا » : كَبر وأسنَّ .

جَذَعة(١) ، وغضب الفريقان جميعاً ، وقالوا : قد فعلنا ، موعدكم الظاهرة ـ والظاهرة : الحَرَّة ـ السلاحَ السلاحَ ، فخرجوا ، وبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه ، حتى جاءهم ، فقال : يا معشر المسلمين الله الله أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ، بعد أن هداكم الله إلى الإسلام ، وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم من الكفر ، وألّف به بينكم . فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان ، وكيدٌ من عدوهم ، فبكَوْا ، وعانق الرجال من الأوس الرجالَ من الخزرج ، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ ، فأنزل الله في شاس بن قيس : ﴿ قُلْ يا أهلَ الكِتابِ لِمَ تَصُدُّونَ عن سبيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَها عِوَجاً ﴾ [آل عمران : ٩٩] الآية . وفي أوس وجَبَّار : ﴿ يا أيُّها الذينَ آمَنُوا إنْ تُطِيعُوا فريقاً من الذينَ أُوتوا الكتابَ يَردُّوكم بعدَ إيمانِكُم كافرين ﴾ إلى قوله ﴿ وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾(٢) [آل عمران : ١٠٠ ـ ١٠٥] .

وكان رجال من المسلمين يُواصلون رجالاً من يهود لما كان بينهم من الجِوار ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يا أيُّها الذينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً من دُونِكم لا يألُونَكم خَبَالاً ﴾ إلى ﴿ عليم بذاتِ الصُّدور ﴾(٣) [آل عمران : ١١٨ ـ ١١٩] .

ودخل أبو بكر بيتَ المدراس ، فقال لفنحاص : اتق الله وأسلم ، والله إنك لتعلم أن محمداً لرسولُ الله . فقال : والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر ، وإنه إلينا لفقير . فغضبَ أبو بكر وضربَ وجه فنحاص ضرباً شديداً ، وقال : لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك . فشكاه فنحاص إلى رسول الله ﷺ ، فذكر له أبو بكر ما كان منه ، فأنكر قولَه ذلك ، فأنزل الله تعالى : ﴿ لقد سمِعَ اللهُ قولَ الذين قالُوا إنَّ الله فقيرٌ ونحنُ أغنياء ﴾ [آل عمران : ١٨١] الآية . وأنزل في أبي بكر رضي الله عنه ﴿ ولتَسْمَعُنَّ من الذينَ أُوتوا الكتابَ من قَبْلِكُم ومن الذينَ أَشْرَكُوا أذىً كثيراً ﴾(٤) [آل عمران : ١٨٦] الآية .

---

(١) « جَذَعة » : الجَذَعة : الفتية من الماشية ، والمقصود بها هنا : رددتُها فتنة قوية كما كانت .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٥٥٥ ـ ٥٥٧ .

(٣) المصدر السابق ١/٥٥٨ .

(٤) المصدر السابق ١/٥٥٨ ـ ٥٥٩ .

وكان كَرْدَم بن قيس وأسامة بن حبيب في نفر من يهود يأتون رجالاً من الأنصار يتنصحون لهم ، فيقولون لهم : لا تُنفقوا أموالَكم فإنا نخشى عليكم الفقرَ ، فأنزل الله فيهم : ﴿ الذينَ يبخلونَ ويأمرونَ النَّاسَ بالبخلِ ويَكتُمونَ ما آتَاهُم اللهُ من فضلِهِ ـ أي التوراة التـي فيها تصديـقُ مـا جـاء بـه محمد ـ وأعْتَدْنَـا للكافريـنَ عذابـاً مُهينـاً ﴾[1] [النساء : ٣٧] .

وكان رِفاعة بن زيد بنِ التابوت من عظماء يهود ، إذا كلَّم رسولَ الله ﷺ لوى لسانَه ، وقال أَرْعِنَا سَمْعَكَ يا محمد حتى نُفهِمُكَ ، ثم طعن في الإسلام وعابَه ، فأنزل الله فيه : ﴿ ألمْ تَرَ إلى الذينَ أُوتوا نَصِيْباً من الكتابِ يَشْتَرُونَ الضَّلالةَ ويُريدونَ أنْ تَضِلُّوا السبيلَ ﴾ إلى ﴿ ولكنْ لعنَهم الله بُكفرهم فلا يُؤمنونَ إلا قَليلاً ﴾ [النساء : ٤٦] .

وكلَّم رسولُ الله ﷺ رؤساء من أحبار يهود منهم عبد الله بن صُوريا الأعور وكعب ابن أسد ، فقال لهم : يا معشر يهود ! اتقوا الله وأسلموا ، فوالله إنكم لتعلمون أن الذي جئتكم به لحقٌّ . قالوا ما نعرف ذلك ، فأنزل الله : ﴿ يا أَيُّها الذينَ أُوتوا الكتابَ آمِنُوا بما نَزَّلْنا مُصَدِّقَاً لما مَعَكُم مِنْ قَبلِ أن نَطْمِسَ وُجوهاً فنردَّها على أدبارِهَا أو نلعنَهم كما لَعَنَّا أصحابَ السبتِ وكانَ أمرُ الله مَفعُولاً ﴾[2] [النساء : ٤٧] .

وقال سُكَين بن عدي بن زيد : يا محمد ! ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شيء بعد موسى ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوحٍ والنبيين من بعده ﴾ إلى قوله : ﴿ وكانَ اللهُ عزيزاً حكيماً ﴾ [النساء : ١٦٣ ـ ١٦٥] .

ودخلتْ على رسول الله ﷺ جماعة منهم ، فقال لهم : أما والله إنكم لتعلمون أني رسول الله . قالوا : ما نعلمه وما نشهد عليه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ لكن اللهُ يشهدُ بما أنزلَ إليكَ أنزلَه بعلمِه والملائكةُ يَشهدونَ وكفَى باللهِ شَهيداً ﴾ [النساء : ١٦٦] .

وأتى رسولَ الله ﷺ نعمانُ بن أضا وبَحريُّ بن عمرو وشاس بن عديّ ، فكلّموه

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٥٦٠ .
(٢) المصدر السابق ١/٥٦٠ ـ ٥٦١ .

وكلَّمهم ، ودعاهم إلى الله وحذَّرهم نقمته ، فقالوا : ما تخوفنا يا محمد ، نحن أبناء الله وأحبَّاؤه ــ كقول النصارى ــ فأنزل الله فيهم : ﴿ وقالتِ اليهودُ والنَّصارَى نحنُ أبناءُ الله وأحبَّاؤُه ﴾ [المائدة : ١٨] الآية[١] .

ودعاهم إلى الإسلام مرة وحذَّرهم عقوبة الله ، فأبوا عليه ، فقال لهم مُعاذ بن جبل وسعدُ بن عبادة وعقبة بن وهب : يا معشر يهود ! اتقوا الله فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله ولقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه ، وتصفونه بصفته ، فقال رافع بن حُريملة ووهب ابن يهوذا : ما قلنا لكم هذا ، وما أنزل الله من كتاب بعد موسى ، وما أرسل بشيراً ولا نذيراً بعدَه . فأنزل الله في ذلك من قولهما : ﴿ يا أهلَ الكتابِ قد جاءَكُم رسولُنا يُبيِّنُ لكم على فترةٍ من الرسلِ أن تَقُولوا ما جاءَنا من بشيرٍ ولا نذيرٍ فقد جاءَكُم بشيرٌ ونذيرٌ ﴾ [المائدة : ١٩] الآية[٢] .

واجتمع أحبارُهم في بيت المدراس ، فأتوا برجل وامرأة زنيا بعد إحصانهما ، فقالوا : حكِّموا فيهما محمداً ، فإن حكم فيهما بحكمكم من التجبية ــ وهو الجلد بحبل من ليف مَطلي بقار ، ثم تسوَّد وجوههما ، ثم يحملان على حمارين وُجوههما من قبل أدبار الحمارين ــ فإنما هو مَلِكٌ ، وإن حكم فيهما بالرجم فهو نبيٌّ ، فاحذروه على ما في أيديكم أن يَسلبكموه . ففعلوا ، فمشى رسولُ الله ﷺ حتى أتى بيتَ المدراس ، فقال لهم : أخرجوا إليَّ علماءَكم . فأخرجوا له عبد الله بن صُوريا ، فخلا به يناشده : هل تعلم أن الله حكم فيمن زنى بعد إحصانه بالرجم في التوراة ؟ قال : اللهم نعم ، أما والله يا أبا القاسم إنهم ليعرفون أنك نبيٌّ مرسل ، ولكنهم يحسدونك . قال : فخرج رسولُ الله ﷺ فأمَرَ بهما فرجما عند باب مسجده ، ثم جحد ابن صوريا بعد ذلك نبوّةَ رسول الله ﷺ ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يا أيُّها الرسولُ لا يَحْزُنْكَ الذينَ يُسارِعُونَ في الكفرِ من الذينَ قالُوا آمنَّا بأفواهِهم ولم تؤمنْ قلوبُهم ﴾ [المائدة : ٤١] الآية[٣] . وفي بعض طرق هذا الحديث أن حَبْراً منهم جلسَ يتلو التوراة بين يديْ رسول الله ﷺ ، فوضعَ يدَه على آية

(١) المصدر السابق ١/٥٦٢ ــ ٥٦٣ .
(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٥٦٤ .
(٣) المصدر السابق ١/٥٦٥ .

الرجم ، فضربَ عبدُ الله بن سلام يدَه ، وقال : هذه آية الرجم أبى أن يتلوها عليك ... الحديث(١) .

وقال كعبُ بن أسد وابن صَلُوبا وابن صوريا وشاس بن قيس بعضُهم لبعض : اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه ، فإنما هو بشر ، فأتوه فقالوا : قد عرفت أنَّا أحبارُ يهود وأشرافُهم ، وأنا إن اتبعناك اتبعك يهود ، و لم يخالفونا ، وإن بيننا وبين بعض قومنا خصومة فنحاكمهم إليك ، فتقضي لنا عليهم ، ونؤمن بك ونُصدِّقُك ، فأبى ذلك رسولُ الله ﷺ ، فأنزل الله : ﴿ وأنِ احْكُمْ بينَهم بما أنزلَ اللهُ ولا تتبعْ أهواءَهم ﴾ إلى قوله ﴿ ومَنْ أحسنُ من الله حُكْماً لقومٍ يُوقنون ﴾(٢) [المائدة : ٤٩ ـ ٥٠] .

وأتى رسولَ الله ﷺ جماعة منهم ، فسألوه عمن يُؤمن به من الرسل ، فقال : ﴿ آمنَّا بالله وما أُنزلَ إلينا وما أُنزل إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ وما أُوتي مُوسى وعيسى وما أُوتي النبيّونَ من ربِّهم لا نُفَرِّقُ بينَ أحدٍ منهم ونحنُ له مُسلمون ﴾ [البقرة : ١٣٦] فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته ، وقالوا : لا نؤمن بعيسى ولا نؤمن بمن آمن به ، فأنزل الله : ﴿ قلْ يا أهلَ الكتابِ هلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إلّا أنْ آمنَّا باللهِ وما أُنزل إلينَا وما أُنزلَ من قبلُ وأنَّ أكثرَكم فاسِقون ﴾(٢) [المائدة : ٥٩] .

وأتى رسولَ الله ﷺ رافعُ بن حارثة ، وسلَّام بن مِشْكم ، ومالك بن الصَّيف ، ورافع ابن حُرَيملة ، فقالوا : يا محمد ألست تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه، وتؤمن بما عندنا من التوراة ، وتشهد أنها من الله حق ؟ قال : بلى ، ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أُخذ عليكم من الميثاق ، وكتمتم منها ما أُمرتم أن تبينوه للناس ، فبرئتُ من إحداثكم . قالوا : فإنا نأخذ بما في أيدينا فإنا على الهدى والحق ، ولا نؤمن بك ولا نتبعك ، فأنزل الله تعالى : ﴿ قلْ يا أهلَ الكِتَابِ لستُم على شيءٍ حتى تُقيمُوا التوراةَ والإنجيلَ وما أُنزل إليكم من ربِّكم ﴾(٣) [المائدة : ٦٨] الآية .

---

(١) المصدر السابق ١/٥٦٦ .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٥٦٧ .

(٣) المصدر السابق ١/٥٦٨ ـ ٥٦٩ .

وكان رفاعة بن زيد بن التابوت ، وسويد بن الحارث قد أظهرا الإسلام ونافقا ، فكان رجال من المسلمين يُوادُّونهما ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يا أيُّها الذينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الذينَ اتَّخَذُوا دِينَكم هُزُواً ولَعِباً من الذينَ أُوتوا الكتابَ من قبلِكم والكُفَّارَ أولياءَ ﴾ إلى قوله ﴿ واللهُ أعلمُ بما كَانُوا يَكتُمون ﴾ [المائدة : ٥٧ — ٦١] . وقال جبلُ بن أبي قُشير ، وشَمُويل ابن زيد : يا محمد متى الساعة إن كنت نبياً ؟ فأنزل الله : ﴿ يَسئلونَكَ عن السَّاعةِ أيَّانَ مُرْسَاهَا قلْ إنَّما عِلْمُها عند ربِّي ﴾ [الأعراف : ١٨٧] الآية(١) .

وأتى رسولَ الله ﷺ سلَّامُ بن مِشْكم ، ونعمان بن أوفى ، ومحمود بن دحية ، في نفر منهم ، فقالوا له : كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا ، وأنت لا تزعم أن عُزيراً ابن الله ؟ فأنزل الله : ﴿ وقالتِ اليهودُ عزيرٌ ابنُ الله وقالتِ النَّصَارَى المسيحُ ابنُ الله ذلكَ قولُهم بأفواهِهم ﴾ [التوبة : ٣٠] الآية .

وأتى رسولَ الله ﷺ محمود بن سَيْحان وعُزير بن أبي عزير في جماعة منهم ، فقالوا : إنا لا نرى ما جئت به متسقاً كما تتسق التوراة ، أما يُعلِّمُكَ هذا إنس ولا جن ؟ فقال لهم : أما والله إنكم لتعلمون أنه من عند الله ، وأني رسول الله تجدون ذلك مكتوباً عندكم في التوراة . قالوا : فإن الله يصنع لرسوله إذا بعثه ما يشاء ، فأنزلْ علينا كتاباً من السماء نقرؤه ونعرفه ، وإلا جئناك بمثل ما تأتي به ، فأنزل الله تعالى : ﴿ قلْ لئنِ اجتمعتِ الإنسُ والجنُّ على أنْ يأتُوا بمثلِ هَذا القُرآنِ لا يأتونَ بمثلِه ولو كانَ بعضُهم لبعضٍ ظَهيراً ﴾(٢) [الإسراء : ٨٨] .

وقال قوم منهم لعبد الله بن سلام حين أسلم : ما تكون النبوة في العرب ، ولكن صاحبك ملك مُتقوِّل ، ثم جاءوا فسألوه عن ذي القرنين ، فقصَّ عليهم ما جاءه من الله فيه مما كان قصَّ على قريش ، وهم كانوا ممن أمر قريشاً أن يسألوا رسولَ الله ﷺ عنه حين بعثوا إليهم النضرَ بن الحارث وعقبةَ بن أبي مُعيط ، وأتى رهط منهم رسولَ الله ﷺ فقالوا : يا محمد ! هذا الله خلقَ الخلقَ فمن خلقَه ؟ فغضب حتى انْتُقِعَ لونه ، ثم ساورهم

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٥٦٨/١ — ٥٦٩ .
(٢) المصدر السابق ٥٧٠/١ — ٥٧١ .

غضباً لربه ، فجاءه جبريل فسكنه ، وأنزل عليه : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ السورة ، فلما تلاها عليهم ، قالوا : فصف لنا كيف خلقه ؟ وكيف ذراعه ؟ وكيف عضده ؟ فغضب أشدَّ من غضبه الأول ، فأتاه جبريلُ من الله تعالى بقوله تعالى : ﴿ ما قَدَرُوا اللهَ حقَّ قَدْرِهِ ﴾ [الحج : ٧٤] الآية(١) .

وكان الذين حزَّبوا الأحزاب من قريش وغطفان وبني قريظة : حُيَيُّ بن أخطب ، وسلَّام بن أبي الحُقَيْق أبو رافع ، والربيع بن الربيع بن أبي الحُقَيْق ، وأبو عمَّار ، ووحوحُ ابن عامر وهَوْذَة بن قيس ، فأما وحوح وأبو عمار وهوذة فمن بني وائلة ، وسائرهم من بني النضير ، فلما قدموا على قريش ، قالوا : هؤلاء أحبار يهود وأهل العلم بالكتاب الأوّل ، فاسألوهم أدينكم خيرٌ أم دين محمد ؟ فسألوهم ، فقالوا : بل دينكم خير من دينه وأنتم أهدى منه وممن اتبعه ، فأنزل الله فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إلى الذينَ أُوتُوا نَصِيباً من الكتابِ يُؤمنونَ بالجِبْتِ والطَّاغُوتِ ويَقُولُونَ للذينَ كَفَروا هؤلاءِ أَهدَى من الذينَ آمَنُوا سَبيلاً ﴾ إلى قوله : ﴿ مُلْكاً عَظِيماً ﴾(٢) [النساء : ٥١ ـ ٥٤] .

قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران ستون راكباً ، فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم ، في الأربعة عشر منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم : العاقب ـ أمير القوم وذو رأيهم ـ واسمه عبدُ المسيح ، والسيِّدُ ـ ثمالُهم(٣) وصاحبُ رحلهم ـ واسمه الأيهم ، وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل ـ أُسْقُفُّهم وحَبرهم وإمامُهم ـ فكان أبو حارثة قد شَرُف فيهم ودرس كتبَهم حتى حسن علمه في دينهم ، فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرَّفوه ومولوه وأخدموه ، وبنوا له الكنائس ، فبسطوا عليه الكرامات لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم ، فلما وُجِّهوا إلى رسول الله ﷺ من نجران ، جلس أبو حارثة على بغلة له مُوجِّهاً(٤) ، وإلى جنبه أخ له يقال له كُوز بن علقمة ، فعثرت بغلة أبي حارثة ، فقال كوز : تعس الأبعد ـ يريد رسولَ الله ﷺ ـ فقال له أبو

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٥٧١ ـ ٥٧٢ .
(٢) المصدر السابق ١/٥٦١ ـ ٥٦٢ .
(٣) « ثمالهم » : يقال : ثمال القوم : أصلهم الذي يرجعون إليه ويسوسهم ويقوم بأمرهم .
(٤) « مُوجِّهاً » : يعني موجهاً وجهه إلى رسول الله ﷺ .

حارثة : بل أنت تعست . قال : ولم يا أخي ؟ قال : بلى والله ، إنه للنبي الذي كنا ننتظر . فقال له كوز : فما يمنعُك منه وأنت تعلم هذا ؟ قال : ما صنع بنا هؤلاء القوم ، شرفونا ومولونا وأكرمونا ، وقد أبوا إلا خلافَه ، فلو فعلت نزعوا منا كلَّ ما ترى ، فأضمرَ عليها منه أخوه كوز بن علقمة حتى أسلم بعد ذلك ، فهو كان يحدث عنه هذا الحديث فيما بلغني . ودخلوا على النبي ﷺ مسجده حين صلَّى العصر ، عليهم ثياب الحِبَرات ، جُبَبٌ وأردية في جَمَال رجال بني الحارث بن كعب ، قال : يقول بعض من رآهم من أصحاب النبي ﷺ يومئذ : ما رأينا بعدهم وفداً مثلَهم . وقد حانت صلاتُهم فقاموا في مسجد رسول الله ﷺ يُصلُّون . فقال رسول الله ﷺ : دعوهم . فصلَّوْا إلى المشرق .

وكان تسمية الأربعة عشر : السيد ، والعاقب ، وأبو حارثة ، وأوس ، والحارث ، وزيد ، وقيس ، ويزيد ، ونَبيه ، وخُويلد ، وعمرو ، وخالد ، وعبد الله ، ويُحَنَّس ، فكلَّم رسولَ الله ﷺ منهم أبو حارثة والعاقب والأيهم ، وهو من النصرانية على دين الملك ، مع اختلاف من أمرهم ، يقولون : هو[1] الله ، ويقولون : هو ولد الله ، ويقولون : هو ثالث ثلاثة . وكذلك قول النصرانية .

فهم يحتجون في قولهم هو الله ، بأنه كان يُحيي الموتى ويبرىءُ الأسقام ، ويُخبرُ بالغيوب ، ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخُ فيه فيكون طائراً ، وذلك كلُّه بأمر الله تبارك وتعالى وليجعلَه آية للناس ، ويحتجون في قولهم بأنه ولدُ الله ، بأنهم يقولون[2] : لم يكن له أب يُعلم ، وقد تكلم في المهد ، شيء لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله .

ويحتجون في قولهم بأنه ثالث ثلاثة ، بقول الله : فعلنا وأمرنا وخلقنا وقضينا ، فيقولون : لو كان واحداً ما قال إلا فعلتُ وأمرتُ وقضيتُ وخلقتُ ، ولكنه هو وعيسى ومريم . ففي كل ذلك من قولهم نزل القرآن . فلما كلمه الحَبْران ، قال لهما رسول الله ﷺ : أسلما . قالا : قد أسلمنا . قال : إنكما لم تُسْلما فأَسْلِما . قالا : بلى قد أسلمنا قبلَك . قال : كذبتما ، يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً ، وعبادتكما الصليب ، وأكلكما الخِنزير . قالا : فمن أبوه يا محمد ؟ فصمتَ فلم يجبهما ، فأنزلَ الله صدرَ سورة

(١) يعنون المسيح عليه السلام .
(٢) « شيء لم يصنعه » : أي : وهذا شيء لم يصنعه أحد .

آل عمران إلى بضع وثمانين آية . فلما أتى رسولَ الله ﷺ الخبرُ من الله عنه والفصلُ من القضاء بينه وبينهم ، وأمر بما أمر من ملاعنتهم إن ردُّوا ذلك عليه ، دعاهم إلى ذلك ، فقالوا : يا أبا القاسم ! دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتك بما تريد أن تفعل فيما دعوتنا إليه ، فانصرفوا عنه ، ثم خَلَوا بالعاقب وكان ذا رأيهم ، فقالوا : يا عبدَ المسيح ! ما ترى ؟ فقال : والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمداً لنبيٌّ مرسل ، ولقد جاءكم من خبر صاحبِكم ، ولقد علمتم ما لاعن قوم نبياً قطُّ فبقي كبيرُهم ولا نبتَ صغيرهم ، وإنه لَلاستئصالُ منكم إن فعلتم ، فإن كنتم قد أبيتم إلا إلفَ دينكم والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم ، فوادِعوا الرجلَ ، ثم انصرفوا إلى بلادكم . فأتوا رسولَ الله ﷺ ، فقالوا : يا أبا القاسم ! قد رأينا أن لا نلاعنَكَ وأن نتركَكَ على دينكَ ونرجعَ على ديننا ، ولكن ابعثْ معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يحكمُ بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا ، فإنكم عندنا رضىً . فقال رسول الله ﷺ : ائتوني العشية أبعثُ معكم القويَّ الأمين . فكان عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه يقول : ما أحببتُ الإمارة قطُّ حبّي إياها يومئذ رجاء أن أكونَ صاحبَها ، فرحت إلى الظهر مُهَجِّراً ، فلما صلَّى بنا رسولُ الله ﷺ الظهر سلَّم ، ثم نظرَ عن يمينه ويساره ، فجعلتُ أتطاولُ له ليراني ، فلم يزل يلتمسُ ببصره حتى رأى أبا عبيدةَ بن الجراح ، فدعاه ، فقال : اخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه . قال عمر : فذهب بها أبو عبيدة[1] .

* * *

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٥٧٣ — ٥٨٤ .

خبر عبد الله بن أبيّ بن سَلول ، وأبي عامر الفاسق ، وكان يُقال له : الراهب

قال ابن إسحاق : وقدمَ رسولُ الله ﷺ المدينة – كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة – وسيِّدُ أهلها عبدُ الله بن أبيّ بن سَلول لا يختَلف عليه في شرفه من قومه اثنان ، لم يجتمع الأوس والخزرج قبلَه ولا بعدَه على رجل من أحد الفريقين حتى جاء الإسلام ؛ غيرِه ، ومعه في الأوس رجل هو في قومه من الأوس شريف مطاع ، أبو عامر عبد عَمْرو ابن صيفيّ بن النعمان ، أحد بني ضُبَيعة بن زيد ، وهو أبو حنظلة ، الغسيلُ يوم أحد ، وكان قد ترهَّبَ في الجاهلية ولبسَ المُسوحَ ، فكان يُقال له : الراهب . فشقيا بشرفهما .

أما ابن أبيّ ، فكان قومه قد نظموا له الخرز ليتوِّجوه ثم يُملِّكوه عليهم ، فجاءهم الله برسوله وهم على ذلك ، فلما انصرف قومه عنه إلى الإسلام ضَغِن ، ورأى أن رسولَ الله ﷺ قد سلبَه مُلكاً عظيماً ، فلما رأى قومَه قد أبوا إلا الإسلام ، دخل فيه كارهاً مصراً على نفاق .

وأما أبو عامر فأبى إلا الكفر والفراق لقومه حين اجتمعوا على الإسلام ، فخرج منهم إلى مكة ببضعة عشر رجلاً مفارقاً للإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تقولوا الراهب ولكن قولوا الفاسق » وكان قد قال لرسول الله ﷺ قبل أن يخرج إلى مكة : ما هذا الذي جئتَ به ؟ قال : جئت بالحنيفية دين إبراهيم عليه السلام . قال : فأنا عليها . قال له رسول الله ﷺ : إنك لستَ عليها . قال : بلى ، إنك أدخلتَ يا محمد في الحنيفية ما ليس منها . قال : ما فعلتُ ولكني جئت بها بيضاء نقية . قال : الكاذب أماته الله طريداً غريباً وحيداً . فقال النبي ﷺ : أجل . فكان هو ذلك ، خرج إلى مكة فلما افتتح رسولُ الله ﷺ مكة خرجَ إلى الطائف ، فلما أسلم أهلُ الطائف ، خرج إلى الشام فمات بها طريداً غريباً وحيداً[1] .

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٥٨٤ – ٥٨٦ .

جُمَّاع أبواب مغازي رسول الله ﷺ

وبعوثه وسراياه

ولما أذن الله عز وجل لنبيه في القتال كانت أول آية نزلت في ذلك : ﴿ أُذنَ للذينَ يُقاتَلونَ بأنَّهم ظُلموا وإنَّ اللهَ على نَصْرِهم لقَدير ﴾ [الحج : ٣٩] . كما روينا من طريق أبي عَروبة ، حدثنا سلمة ، حدثنا عبدُ الرزاق ، أخبرنا الثوريُّ ، عن الأعمش ، عن مسلم البَطِين ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : كان يقرأ : ﴿ أُذنَ للذينَ يُقاتَلون بأنَّهم ظُلموا ﴾ قال : وهي أوّل آية نزلت في القتال[١] .

وروينا عن ابن[٢] عائذ ، أخبرنا الوليد بن محمد ، عن محمد بن مسلم الزهري ، قال : وكان أول آية نزلت في القتال قوله عز وجل : ﴿ أُذنَ للذينَ يُقاتَلُونَ بأنَّهم ظُلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذينَ أُخرجوا من دِيارِهم بغيرِ حقّ إلا أنْ يَقُولوا رَبُّنا اللهُ ولولا دفعُ اللهِ النَّاسَ بعضَهم ببعضٍ لهُدِّمَتْ صوامعُ وبيعٌ وصلواتٌ ومساجدُ يُذكَر فيها اسمُ الله كثيراً ولَيَنصُرَنَّ اللهُ مَنْ ينصرُهُ إنَّ الله لقويٌّ عزيز ﴾ [الحج : ٣٩ — ٤٠] .

قرىء على أبي محمد عبد العزيز بن عبد المنعم الحراني وأنا أسمع ، أخبركم أبو علي بن أبي القاسم بن الحُرَيْف حضوراً في الخامسة ، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد الأنصاري ، أخبرنا أبو الحسن علي بن إبراهيم الباقلاني ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر القطيعي ، أخبرنا أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله البصري ، حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد ، عن ابن عجلان ، عن المقبري ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أمرت أن أقاتلَ النَّاسَ حتى يقولوا لا إلَه إلا الله ، فإذا قالُوها عَصموا مني دماءَهم وأموالَهم إلا بحقها وحسابُهم على الله تعالى »[٣] .

---

(١) الأثر عن ابن عباس في أول ما نزل في القتال إسناده صحيح .

(٢) رواه ابن عائذ في مغازيه ، وإسناده ضعيف ، فيه الوليد بن محمد المُوَقَّري ، أبو بشر البلقاوي ، قال أبو حاتم : ضعيف الحديث ، وقال ابن المديني : لا يُكتب حديثه ، وكذبه ابن معين . انظر ميزان الاعتدال ٤/٣٤٦ .

(٣) الحديث من هذه الطريق ليس في الكتب الستة ولا في أحدها ، ورواه البخاري في كتاب الإيمان رقم

ذكر الخبر عن عدد مغازي
رسول الله ﷺ وبعوثه

روينا عن ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر بن واقد الأسلمي ، حدثنا عمر بن عثمان بن عبد الرحمن بن سعيد بن يَربوع المخزوميّ ، وموسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، ومحمد بن عبد الله بن مسلم ابن أخي الزهري ، وموسى بن يعقوب بن عبد الله ابن وهب بن زمعة بن الأسود ، وعبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة الزهري ، ويحيى بن عبد الله بن أبي قتادة الأنصاري ، وربيعة بن عثمان بن عبد الله بن الهُدير التيمي ، وإسماعيل بن إبراهيم بن أبي حَبيبة الأشهليّ ، وعبد الحميد بن جعفر الحَكَمي ، وعبد الرحمن بن أبي الزّناد ، ومحمد بن صالح التّمّار . قال ابن سعد : أخبرنا رُويم بن يزيد المقرىء ، حدثنا هارون بن أبي عيسى ، عن محمد بن إسحاق . قال : أخبرنا حسين بن محمد ، عن أبي مَعشر ، قال : وأخبرنا إسماعيل بن عبد الله بن أبي أويس المدني ، عن إسماعيل بن إبراهيم بن عُقبة ، عن عمه موسى بن عقبة ، دخل حديث بعضهم في حديث بعض . قالوا : كان عدد مغازي رسول الله ﷺ التي غزا بنفسه سبعاً وعشرين ، وكانت سراياه التي بعث فيها سبعاً وأربعين سرية ، وكان ما قاتل فيه من المغازي تسع غزوات : بدرُ القتال ، وأُحد ، والمريسيع ، والخندق ، وقريظة ، وخيبر ، وفتح مكة ، وحُنين ، والطائف . فهذا ما اجتمع لنا عليه ، وفي بعض رواياتهم أنه قاتل في بني النضير ولكن الله جعلها له نفلاً خاصة ، وقاتل في غزاة وادي القرى مُنصرفه من خيبر ، وقُتل بعض أصحابه ، وقاتل في الغابة(١) .

= /٢٥/ ، ومسلم في كتاب الإيمان رقم /٢٢/ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بأطول مما أورده المؤلف رحمه الله تعالى .

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/٥ — ٦ .

غزوة وَدّان[1]

فأول مغازيه ﷺ بنفسه : غزوة وَدَّان .

روينا عن أبي عروبة ، حدثنا سليمان بن سيف ، حدثنا سعيد بن بَزيع ، حدثنا ابن إسحاق : قال خرجَ رسولُ الله ﷺ في صفر غازياً على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه المدينة لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر صفر ، حتى بلغ وَدَّان ، وكان يريد قريشاً وبني ضَمْرة ، وهي غزوة الأبواء[2] ، ثم رجع إلى المدينة ، وكان استعملَ عليها سعد بن عبادة فيما ذكره ابن هشام . قال ابن إسحق : فوادعته فيها بنو ضَمْرة ، وكان الذي وادعه منهم عليهم مَخْشِيُّ بن عمرو الضَّمْري ، وكان سيدهم في زمانه ذلك ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلق كيداً[3] .

بعث حمزة وعُبيدة بن الحارث

روينا عن ابن إسحاق قال : فأقامَ رسولُ الله ﷺ بها بقية صفر وصدراً من شهر ربيع الأول ، وبعث في مقدمه ذلك عُبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف في ستين أو ثمانين راكباً من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، فسار حتى بلغ ماءً بالحجاز

---

(١) « وَدَّان » : قرية جامعة من عمل الفرع ، بينها وبين رابغ مما يلي المدينة ٢٩ ميلاً .
وهذه الغزوة هي أول مغازيه بنفسه ﷺ ، أما السرايا فقد بُدئت بسرية سعد بن أبي وقاص على رأس تسعة أشهر ، كما سيذكر ابن سيد الناس قريباً . وقال ابن هشام في السيرة ١/٦٠٠ : « ذكر بعض أهل العلم أن بعث سعدٍ هذا كانَ بعد بعث حمزة » . وعليه تكون سرية سعد هي الثالثة بعد سرية عُبيدة ابن الحارث ، وسرية حمزة بن عبد المطلب ؛ اللتين عقد لواءَهما رسول الله ﷺ بعد عودته من وَدَّان .

(٢) « الأبواء » : قرية من عمل الفرع بينها وبين الجُحْفة من جهة المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً ، قيل : سُميت بذلك لما كان فيها من الوباء ، وهي على القلب ، وإلا لقيل : الأوباء .
والأبواء ووَدَّان مكانان متقاربان بينهما ستة أميال أو ثمانية .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٥٩١ .

بأسفل ثنية المَرّة ، فلقي بها جمعاً عظيماً من قريش ، فلم يكن بينهم قتال ، إلا أن سعد ابن أبي وقاص قد رمى يومئذ بسهم ، فكان أوّلَ سهم رمى به في الإسلام ، ثم انصرف القومُ عن القوم وللمسلمين حامية ، وفرّ من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو وعُتبة ابن غَزْوان ، وكانا مسلمين ، ولكنهما خرجا ليتوصلا[1] بالكفار ، وكان على القوم عكرمة بن أبي جهل . وقال ابن هشام : مِكْرَز بن حفص بن الأخيف . قال ابن إسحاق : فكانت راية عبيدة فيما بلغنا أوّلَ راية عُقدت في الإسلام . وبعض العلماء يزعم أن رسول الله ﷺ بعثه حين أقبل من غزوة الأبواء قبل أن يصل إلى المدينة ، وبعث في مقامه ذلك حمزة بن عبد المطلب بن هاشم إلى سِيف[2] البحر من ناحية العيص[2] في ثلاثين راكباً من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد ، فلقي أبا جهل بن هشام في ذلك الساحل في ثلاثمائة راكب ، فحجزَ بينهم مجديّ بن عمرو الجهني ، وكان موادعاً للفريقين جميعاً ، فانصرف بعضُ القوم عن بعض ، ولم يكن بينهم قتال . وبعض الناس يقول كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله ﷺ ، وذلك أن بعثه وبعث عُبيدة كانا معاً فشُبّه ذلك على الناس[3] .

وروينا عن موسى بن عُقبة أن أوّلَ البعوث بعثُ حمزة في ثلاثين راكباً ، فلقوا أبا جهل في ثلاثين ومائة راكب من المشركين ، ثم كانت الأبواء على رأس اثني عشر شهراً ، ثم بعث عُبيدة فلقوا بعثاً عظيماً من المشركين على ماء يُدعى الأحياء ، من رابغ ، قال : وهو أول يوم التقى فيه المسلمون والمشركون في قتال[4] .

وروينا عن ابن عائذ ، عن الوليد ، عن ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة ؛ أن رايةَ حمزة هي الأولى[5] .

---

(١) « ليتوصلا بالكفار » : أي اتخذا خروجهما معهم وسيلة للوصول إلى المسلمين .
(٢) « سيف البحر » : ساحله . و « العِيص » : موضع بساحل البحر في ناحية ذي المروة .
(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٥٩١/١ — ٥٩٦ .
(٤) الدرر في المغازي والسير لأبي عمر بن عبد البر ص ٩٦ .
(٥) رواه ابن عائذ في مغازيه ، وفي سنده ابن لهيعة ، والعمل على تضعيفه .. نور النبراس .

ورويناه عنه أيضاً : عن محمد بن شُعيب ، عن عثمان بن عطاء الخراساني ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ذِكْرَ بعثِ عُبيدة ثم بعث حمزة بنحو ما ذكرَ ابنُ إسحاق .

وروينا عن ابن سعد : أن أوَّلَ لواء عقده رسولُ الله ﷺ لحمزة بن عبد المطلب في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر لواءً أبيض ، وكان الذي حمله أبو مَرْثِد كَنّاز بن الحصين الغنوي في ثلاثين راكباً من المهاجرين . قال : ولم يبعث رسولُ الله ﷺ أحداً من الأنصار مبعثاً حتى غزا بهم بدراً ، وذلك أنهم شرطوا له أنهم يمنعونه في دارهم . وخرج حمزةُ يعرضُ لعير قريش قد جاءت من الشام تُريد مكة وفيها أبو جهل بن هشام في ثلاثمائة رجل . ثم سرية عُبيدة في ستين من المهاجرين إلى بطن رابغ في شوال على رأس ثمانية أشهر عقد له لواءً أبيض حمله مِسْطح بن أُثاثة ، فلقي أبا سفيان بن حرب في مائتين من أصحابه على ماء يُقال له أحياء — وقال أبو عمر : أبنى[1] — من بطن رابغ على عشرة أميال من الجحفة وأنت تريد قديداً عن يسار الطريق وإنما نكبوا عن الطريق ليرعَوْا ركابهم[2] .

سرية سعد بن أبي وقاص

إلى الخَرَّار في ذي القعدة على رأس تسعة أشهر ، عقد له لواءً أبيض حمله المقداد بن عمرو وبعثه في عشرين من المهاجرين .

ثم غزوة[3] رسول الله ﷺ الأبواء ، وهي غزوة وَدَّان ، وكلاهما قد ورد . وبينهما ستة أميال ، وكانت على رأس اثني عشر شهراً من الهجرة ، وحمل اللواء حمزة بن عبد المطلب ، فكانت الموادعة على أن بني ضَمْرة لا يغزونه ولا يُكثِّرون عليه جمعاً ، ولا يُعينون عليه عدواً ، ثم انصرفَ عليه السلام إلى المدينة ، وكانت غيبته خمسَ عشرة ليلة .

---

(١) الدرر في المغازي والسير ؛ لأبي عمر بن عبد البر ص ٩٦ .
(٢) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/٢ .
(٣) انظر تعليقنا رقم (١) ص ٣٥٤ .

غزوة بُوَاط[1]

قال ابن إسحاق : ثم غزا رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول يُريد قريشاً حتى بلغ بُوَاط من ناحية رَضْوَى[2] ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلقَ كيداً[3] .

واستعملَ على المدينة السَّائبَ بن مَظعون فيما ذكر ابن هشام[4] .

وحمل اللواء ـ وكان أبيضَ ـ سعدُ بن معاذ فيما ذكر ابن سعد ، وقال : وخرج في مائتين من أصحابه يعرض لعير قريش فيها أمية بن خلف الجمحي ومائة رجل من قريش وألفان وخمسمائة بعير[5] .

غزوة العُشَيْرة[6]

قال ابن إسحاق : في أثناء جُمادى الأولى يعني من السنة الثانية : ثم غزا قريشاً حتى نزل العُشَيْرة من بطن ينبع ، فأقام بها جُمادى الأولى وليالِيَ من جُمادى الآخرة ، ووادع فيها بني مُدلج وحلفاءهم من بني ضَمْرة ، وفيها كنَّى رسولُ الله ﷺ علياً أبا تراب حين وجده نائماً هو وعمار بن ياسر ، وقد علق به تراب ، فأيقظه عليه الصلاة والسلام برجله ، وقال له : « مالك أبا تراب ؟ لما يرى عليه من التراب . ثم قال : ألا أحدثكما بأشقى الناس ؟ رجلين . قلنا : بلى يا رسول الله . قال : أحيمر ثمود الذي عقر الناقة ، والذي

---

(١) « بُوَاط » : جبل من جبال جُهينة ، ويقع على يمين المصعد إلى مكة من المدينة .

(٢) « رَضْوَى » : جبل على أربعة أبراد من المدينة .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٥٩٩ .

(٤) المصدر السابق ١/٥٩٨ .

(٥) الطبقات الكبرى ، لابن سعد ٢/٧ .

(٦) قال النووي : في جميع نسخ صحيح مسلم العُسير أو العُشيرة ـ العين مضمومة ، والأول بالسين المهملة والثاني بالمعجمة ـ وقال القاضي في المشارق : هي ذات العشيرة ـ بضم العين وفتح الشين المعجمة ـ شرح صحيح مسلم ؛ للنووي ١٢/١٩٥ .

يضربك يا عليّ على هذه - ووضعَ يدَه على قرنِه - حتى يَبُلَّ منها هذه . وأخذ بلحيته » . واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد ، فيما ذكر ابن هشام[1] .

وذكر ابنُ سعد أنها كانت في جُمادى الآخرة على رأس ستة عشر شهراً ، وحمَلَ لواء رسول الله ﷺ فيها حمزة بن عبد المطلب - وكان أبيض - وخرج في خمسين ومائة ويقال : في مائتين من قريش من المهاجرين ممن انتدَب ، ولم يُكره أحداً على الخروج ، وخرجوا على ثلاثين بعيراً يعتقبونها ، وخرج يعترض لعير قريش حين أبدأت[2] إلى الشام ، فكان قد جاءه الخبر بفصولها[3] من مكة ، فيها أموال قريش ، وهي لبني مُدْلج بناحية الينبع ، وبين ينبع والمدينة تسعة برد ، فوجدَ العيرَ التي خرج إليها قد مضت قبل ذلك بأيام ، وهي العير التي خرج إليها حين رجعت من الشام ، فكانت بسببها وقعة بدر الكبرى[4] .

غزوة بدر الأولى

قال ابن إسحاق : فلم يقم رسول الله ﷺ بالمدينة حين قدم من غزوة العُشيرة إلا ليالَي قلائل لا تبلغ العشر حتى أغار كُرْز بن جابر الفِهْري على سَرْح[5] المدينة ، فخرج

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٥٩٨/١ - ٦٠٠ . وعند ذكر حديث عمار في هذه الغزوة قال السهيلي : وأصح من ذلك ما رواه البخاري في جامعه .. فذكر حديث الصحيح ، ثم قال : وما ذكره ابن إسحاق من حديث عمار مخالف له ، أو أن يكون رسول الله ﷺ كناه بها مرتين ؛ مرة في المسجد ، ومرة في هذه الغزوة .

وقال الحافظ ابن كثير : وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، له شاهد من وجه آخر في تسمية علي أبا تراب ؛ كما في صحيح البخاري ؛ أن علياً خرج مغاضباً فاطمة ، فجاء المسجد ، فنام فيه ، فدخل رسول الله ﷺ ، فسألها عنه ، فقالت : خرج مغاضباً ، فجاء إلى المسجد ، فأيقظه ، وجعل يمسحُ التراب عنه ويقول : « قم أبا تراب ، قم أبا تراب » .

وجعل الإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية قصة الصحيح هي الصحيحة ، ولم يجمع ، والله أعلم . نور النبراس لوحة ٣٣٢/١ .

(٢) « أبدأت » : خرجت .

(٣) في جميع النسخ : بقفولها ، والتصحيح من طبقات ابن سعد ١١/٢ ، قال في القاموس : فصَلَ من البلد فصولاً : خرج منه .

(٤) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٥٩٨/١ ، والطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٩/٢ - ١٠ .

(٥) عبارة ابن سعد : وكان كُرْز بن جابر قد أغار على سرح المدينة فاستاقه ، وكان يرعى بالجمَّاء ، والسرحُ

رسول الله ﷺ في طلبه حتى بلغ وادياً يقال له سَفوان من ناحية بدر ، وفاته كرز بن جابر فلم يدركه .

واستعمل على المدينة فيما قال ابن هشام زيدَ بن حارثة .

وذكر ابن سعد أنها في ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً من الهجرة ، وحمل اللواء فيها علي بن أبي طالب ، قال : والسرح : ما رعوَاْ من نعمهم[1] .

سرية عبد الله بن جحش

وبعث عبد الله بن جحش في رجب مقفله من بدر الأولى ، ومعه ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد ، وكتب له كتاباً وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ، ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره به ، ولا يستكره أحداً من أصحابه .

وكان أصحابه : أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وعكَّاشة بن محصن الأسدي ، وعتبة بن غزوان ، وسعد بن أبي وقاص ، وعامر بن ربيعة ، من عنز بن وائل ، حليف بني عديّ ، وواقد بن عبد الله أحد بني تميم ، حليفٌ لهم ، وخالد بن البُكير ، وسُهيل بن بيضاء .

فلما سار عبدُ الله بن جحش يومين فتحَ الكتاب ، فنظر فيه ، فإذا فيه : إذا نظرتَ في كتابي هذا فامض حتى تنزل نَخلة[2] بين مكة والطائف ، فترصَّدْ بها قريشاً ، وتعلَّمْ لنا من أخبارهم . فلما نظر في الكتاب قال : سمعاً وطاعة . ثم قال ذلك لأصحابه ، وقال : قد نهاني أن أستكره أحداً منكم . فمضوا لم يتخلف عليه منهم أحد .

وسلكَ على الحجاز حتى إذا كان بمَعْدن فوق الفُرُع يقال له بُحْرَان[3] ، أضلَّ سعد ابن أبي وقاص وعُتْبةُ بن غَزْوان بعيراً لهما كانا يعتقبانه ، فتخلَّفا عليه في طلبه ، ومضى

= ما رعوا من نَعَمهم ، والجمَّاء : جبل ناحية العقيق إلى الجُرْف بينه وبين المدينة ثلاثة أميال .

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٠١/١ ، والطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٩/٢ .

(٢) « نخلة » : موضع على ليلة من مكة .

(٣) « بَحْرَان » بفتح الباء وضمها وسكون الحاء ، موضع بناحية الفرع من الحجاز .

عبدُ الله بن جحش وأصحابُه حتى نزل بنخلة ، فمرت به عيرٌ لقريش فيها عمرو بن الحضرمي ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ، وأخوه نوفل ، المخزوميان ، والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة .

فلما رآهم القوم هابوهم ، وقد نزلوا قريباً منهم ، فأشرف عليهم عُكَّاشةُ بن مِحْصن ، وكان قد حلقَ رأسَه ، فلما رأوْه أمنوا ، وقالوا : عُمَّار[1] لابأس عليكم منهم . وتشاورَ القومُ فيهم ، وذلك في آخر يوم من رجب ، فقال القوم : والله لئن تركتم القوم في هذه الليلة ليدخُلنَّ الحرم فليمتنعُنَّ منكم به ، ولئن قتلتموهم لتقتُلنَّهم في الشهر الحرام . فتردَّدَ القومُ وهابوا الإقدامَ عليهم ، ثم شجَّعوا أنفسَهم عليهم ، وأجمعوا قتلَ من قدروا عليه منهم وأخْذِ ما معهم ، فرمى واقدُ بن عبد الله التميمي عمرَو بن الحضرمي بسهم فقتلَه ، واستأسرَ عثمانُ بن عبد الله والحكَمُ بن كيسان ، وأفلت القومَ نوفلُ بن عبد الله فأعجزَهم ، وأقبل عبدُ الله بن جحش وأصحابه بالعير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله ﷺ المدينة .

وقد ذكرَ بعضُ آل عبد الله بن جحش أن عبدَ الله قال لأصحابه : إن لرسول الله ﷺ مما غنمنا الخمسَ ، وذلك قبل أن يَفْرِضَ الله الخمسَ من المغانم ، فعزلَ لرسول الله ﷺ خمسَ العير ، وقسم سائرَها بين أصحابه[2] .

قال ابن إسحاق : فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال : ما أمرتُكم بقتال في الشهر الحرام ، فوقف العيرَ والأسيرين ، وأبى أن يأخذَ من ذلك شيئاً ، فلما قال ذلك رسول الله ﷺ سُقط في أيدي القوم ، وظنوا أنهم قد هلكوا ، وعنَّفهم إخوانُهم من المسلمين فيما صنعوا ، وقالت قريش : قد استحلَّ محمد وأصحابه الشهرَ الحرام ، وسفكوا فيه الدم ، وأخذوا فيه الأموالَ ، وأسروا فيه الرجال . فقال من يردُّ عليهم من المسلمين ممن كان بمكة : إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان .

وقالت يهودُ ــ تفاءَلُ بذلك على رسول الله ﷺ وسلم ــ : عمرو بن الحضرمي قتلَه واقدُ بن عبد الله ، عمرو : عَمِرت الحربُ ، والحضرمي : حضرتِ الحربُ ، وواقد

---

(١) « عُمَّار » : معتمرون .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٦٠١ ــ ٦٠٣ .

ابن عبد الله : وقدتِ الحربُ . فجعلَ الله ذلك عليهم لا لهم[1] .

فلما أكثرَ الناسُ في ذلك أنزل الله تعالى : ﴿ يسئلونَكَ عن الشهرِ الحرامِ قتالٍ فيه قلْ قتالٌ فيه كبيرٌ وصدٌّ عن سبيلِ الله وكفرٌ به والمسجدِ الحرامِ وإخراجُ أهلِه منه أكبرُ عندَ الله والفتنةُ أكبرُ من القتل ﴾ [البقرة : ٢١٧] ففرَّجَ الله عن المسلمين ما كانوا فيه ، وقبضَ رسولُ الله ﷺ العيرَ والأسيرين ، وبعثت إليه قريش في فداء عثمان بن عبد الله ، والحكم بن كيسان . فقال رسولُ الله ﷺ : لا نُفديكما حتى يقدَمَ صاحبانا ، يعني : سعدَ بن أبي وقاص ، وعُتْبة بن غَزْوان ، فإنا نخشاكم عليهما ، فإن تقتلوهما نقتلْ صاحبيْكم ، فقدم سعدٌ وعُتْبة ، فأفداهما رسولُ الله ﷺ منهم ، فأما الحكم بن كيسان فأسلمَ فحَسُن إسلامُه ، وأقام عند رسول الله ﷺ ومات في بئر معونة شهيداً ، وأما عثمان بن عبد الله فلحِقَ بمكة فمات بها كافراً[1] .

فلما تجلَّى عن عبد الله بن جحش وأصحابُه ما كانوا فيه حين نزل القرآن طمعوا في الأجر ، فقالوا : يا رسول الله ، أنطمعُ أن تكونَ لنا غزوة نُعطى فيها أجر المجاهدين ، فأنزل الله فيهم : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم ﴾ [البقرة : ٢١٨] فوضعهم الله من ذلك على أعظم الرجاء . والحديث في هذا عن الزهري ويَزيد بن رُومان ، عن عُروة بن الزبير[1] . ثم قسم الفيء بعد كذلك .

قال ابن هشام : وهي أول غنيمة غنمها المسلمون . وعمرو بن الحضرمي أول من قتل المسلمون ، وعثمان والحكم أول من أسر المسلمون[2] . فقال في ذلك أبو بكر الصديق ، ويقال هي لعبد الله بن جحش :

تعـدُّون قتـلاً في الحرام عظيمـةً ... وأعظمُ منه لو يَرى الرُّشدَ راشدُ
صدودُكـمُ عمـا يقـولُ محمـدٌ ... وكفـرٌ بـه والله راءٍ وشاهـدُ
شفينا[3] من ابن الحضرمي رماحَنا ... بنخلـةَ لما أوقـدَ الحربَ واقـدُ

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٠٤/١ — ٦٠٥ .

(٢) المصدر السابق ٦٠٥/١ .

(٣) كذا في أكثر النسخ ، وفي « ج » والسيرة النبوية لابن هشام ٦٠٦/١ « سقينا » ويؤيده البيت الذي يليه :

وذكر موسى بن عقبة ومحمد بن عائذ نحو ذلك ، غير أنهما ذكرا صفوان بن بيضاء بدل سهيل أخيه ، ولم يذكرا خالداً ولا عُكّاشة ، وذكر ابنُ عقبة فيهم عامر بن إياس .

وقال ابن سعد : كان الذي أسر الحكَمَ بن كيسان المقدادُ بن عمرو ، وذكر أن النبيَّ ﷺ بعثَ عبدَ الله بن جحش في اثني عشر رجلاً من المهاجرين ، كل اثنين يعتقبان بعيراً إلى بطن نخلة ، وهو بُستان ابن عامر ، وأن سعد بن أبي وقاص كان زميلَ عُتبة بن غزوان ، فضَلَّ بهما بعيرُهما فلم يشهدا الوقعة(١) .

والذي ذكره موسى بن عقبة أن ابن جحش لما قرأ عليهم كتابَ رسولِ الله ﷺ وخيَّر أصحابه ، تخلَّفَ رجلان سعدٌ وعتبة ، فقدما بُحران ومضى سائرهم .

وقال ابن سعد : ويُقال إن عبد الله بن جحش لما رجع من نخلة خمَّسَ ما غنم وقسم بين أصحابه سائرَ المغانم ، فكان أول خمس خُمِّس في الإسلام ، ويقال إن رسول الله ﷺ وقف غنائم نخلة حتى رجع من بدر فقسمها مع غنائم بدر ، وأعطى كلَّ قوم حقهم ، وفي هذه السرية سمي عبد الله بن جحش أمير المؤمنين(١) .

* * *

=

دَمَـــاً وابـــنُ عبـــدِ اللهِ عثمانُ بينَنَـــا ... يُنَازِعُـــه غُـــلٌ مـــن القـــدِّ عانـــدُ

و« القَدُّ » : شَرَك يُقطع من الجلد . و« عاندٌ » : سائل بالدمّ لا ينقطع .

(١) الطبقات الكبرى ، لابن سعد ٢/١٠ — ١١ .

تحويل القبلة

قرىء على الشيخ أبي عبد الله محمد بن إبراهيم المقدسي وأنا حاضر في الرابعة ، أخبركم أبو الحسن علي بن النفيس بن بُورنداز ، قراءة عليه ببغداد فأقرَّ به ، أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى ، أخبرنا أبو عطاء بن أبي عاصم ، أخبرنا حاتم بن محمد بن يعقوب ، حدثنا أبو العباس محمد بن محمد بن الحسن الفَرِبْرَني[1] ، حدثنا أبو جعفر رجاء بن عبد الله بن فُورجة[2] ، حدثنا مالك بن[3] سليمان الهروي ، عن يزيد ، بن[4] عطاء ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب ، قال : لقد صلينا بعد قدوم النبي ﷺ نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً ، وكان الله يعلم أنه يُحب أن يُوجَّه نحو الكعبة ، فلما وُجِّهَ النبي ﷺ إليها صلى رجل[5] معه ، ثم أتى قوماً من الأنصار وهم ركوع نحو بيت المقدس ، فقال لهم وهم ركوع : أشهدُ أن رسولَ الله ﷺ قد وُجه نحو الكعبة ، فاستداروا وهم ركوع فاستقبلوها ..»

رواه البخاري وغيره من حديث أبي إسحاق عن البراء[6] .

---

(١) الفَرِبْرَني : هو بفاء مفتوحة ، وكسر الراء بعدها ، ثم مثناة تحتانية ساكنة ، ثم زاي ، ثم نون ، ثم ياء النسبة . هكذا ضبطه سبط ابن العجمي .

(٢) ابن فُورَجَة : هو بالفاء المضمومة ، ثم واو ساكنة ، ثم راء مفتوحة ، ثم جيم مفتوحة أيضاً ، ثم هاء . والظاهر أنها تاء التأنيث .

(٣) مالك بن سليمان : قال العقيلي : والسليماني فيه نظر ، وضعَّفه الدارقطني ، الضعفاء الكبير ١٧٣/٤ .

(٤) يزيد بن عطاء : اليشكري ، قال أحمد : مقارب الحديث ، وقال ابن سعد : ضعيف . وقال أبو حاتم : لا يحتج به . وقال النسائي : ليس بالقوي .. ميزان الاعتدال ٤٣٥/٤ .

ولا يضرُّ الحديث هذا الضعف في راويين من هذا الطريق ، وذلك لرواية البخاري له من طريق آخر صحيح .

(٥) رجل : هو عباد بن بشر بن قيظي ، كما رواه ابن منده من حديث طويلة بنت أسلم . وقيل : هو عَبَّاد ابن نَهِيك ، بفتح النون وكسر الهاء .. فتح الباري ٩٧/١ .

(٦) رواه البخاري في كتاب الإيمان (باب الصلاة من الإيمان) رقم /٤٠/ .

ورويناه من طريق ابن سعد : حدثنا الحسن بن موسى ، حدثنا زهير ، حدثنا أبو إسحاق ، عن البراء .. الحديث . وفيه : وأنه صلَّى أوَّلَ صلاة صلَّاها العصر ، وصلَّاها معه قوم ، فخرج رجلٌ ممن صلَّاها معه ، فمر على أهل مسجد وهم راكعون ، فقال : أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قِبَلَ مكة ، فداروا كما هم قِبَلَ البيت .

وكان يعجبه أن يُحوَّل قِبَلَ البيت ، وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يُصلي قِبَلَ بيت المقدس ، وأهلُ الكتاب ، فلما ولَّى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك .

وفيه : أنه مات على القبلة قَبل أن تُحول قِبَلَ البيت : رجالٌ ، وقُتلوا ، فلم ندر ما نقول فيهم ، فأنزل الله تعالى ﴿ وما كانَ الله لِيُضيعَ إيمانَكم إنَّ الله بالنَّاس لرؤوف رحيم ﴾[1] [البقرة : ١٤٣] .

وقد اتفق العلماء على أن صلاة النبيِّ ﷺ بالمدينة كانت إلى بيت المقدس ، وأن تحويلَ القبلة إلى الكعبة كان بها ، واختلفوا كم أقام النبيُّ ﷺ يُصلِّي إلى بيت المقدس بعد مقدمه المدينة ؟ وفي أي صلاة كان التحويل ؟ وفي صلاته عليه الصلاة والسلام قبل ذلك بمكة كيف كانت ؟

فأما مدة صلاة النبي ﷺ إلى بيت المقدس بالمدينة فقد رويناه أنه كان ستة عشر شهراً ، أو سبعةَ عشر شهراً ، أو ثمانيةَ عشر شهراً ، وروينا بضعة عشر شهراً .

قال الحربي : ثم قدم النبيُّ ﷺ المدينة في ربيع الأول فصلَّى إلى بيت المقدس تمام السنة ، وصلَّى من سنة اثنتين ستة أشهر ثم حُولِّت القبلة في رجب .

وكذلك روينا عن ابن إسحاق ، قال : ولمَّا صُرفت القبلة عن الشام إلى الكعبة ، وصرفت في رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة[2] . في خبر ذكره ، وسنذكره بعد تمام هذا الكلام إن شاء الله تعالى .

وقال موسى بن عقبة وإبراهيم بن سعد : عن ابن شهاب ، عن عبد الرحمن بن عبد الله ابن كعب بن مالك ؛ أن القبلة صرفت في جمادى .

---

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ١/٢٤٢ — ٢٤٤ .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٦٠٦ .

وقال الواقدي : إنما صرفت في صلاة الظهر يوم الثلاثاء في النصف من شعبان . كذا وجدته عن أبي عمر بن عبد البر . والذي رويناه عن الواقدي من طريق ابن سعد : حدثنا إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة ، عن داود بن الحصين عن عكرمة ، عن ابن عباس . قال ابن سعد : وأخبرنا عبد الله بن جعفر الزهري ، عن عثمان بن محمد الأخنسي وعن غيرهما ، أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة صلَّى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً ، وكان يُحبُّ أن يُصرف إلى الكعبة ، فقال : يا جبريل ! وددتُ أن الله صرف وجهي عن قبلة يهود . فقال جبريل : إنما أنا عبد فادعُ ربَّك وسلْه ، وجعل إذا صلى إلى بيت المقدس يرفع رأسه إلى السماء ، فنزلت : ﴿ قد نَرَى تقلُّبَ وجهِكَ في السَّماءِ فلنولينَّكَ قبلةً تَرْضَاهَا فولِّ وجهَكَ شطرَ المسجدِ الحَرَام ﴾ [البقرة : ١٤٤] فوَجَّه إلى الكعبة إلى الميزاب . ويُقال : صلى رسول الله ﷺ ركعتين من الظهر في مسجده بالمسلمين ، ثم أُمر أن يُوجِّه إلى المسجد الحرام ، فاستدار إليه ، ودار معه المسلمون ، ويقال : بل زارَ رسولُ الله ﷺ أَمَّ بشر بن البراء بن معرور في بني سلمة ، فصنعت له طعاماً ، وحانت الظهر فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه ركعتين ، ثم أُمر أن يُوجِّه إلى الكعبة ، فاستقبل الميزاب ، فسُمِّي المسجدُ مسجدَ القبلتين ، وذلك يوم الاثنين للنصف من رجب على رأس سبعة عشر شهراً . وفُرض صوم شهر رمضان في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً . قال محمد بن عمر : وهذا الثبت عندنا[1] .

قال القرطبي[2] : الصحيح سبعة عشر شهراً وهو قول مالك وابن المسيب وابن إسحاق .

وقد روي ثمانية عشر ، وروي بعد سنتين ، وروي بعد تسعة أشهر أو عشرة أشهر ، والصحيح ما ذكرناه أولاً .

وأما الصلاة التي وقع فيها تحويل القبلة ، ففي خبر الواقدي هذا أنها الظهر ، وقد ذكرنا في حديث البراء قبل هذا أنها العصر . وقد روينا عن ابن سعد ، قال : أخبرنا عفان بن

---

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢٤٢/١ .

(٢) قال سبط ابن العجمي في « نور النبراس » هذا يحتمل أن يكون القرطبي هذا : صاحب « المفهم في شرح صحيح مسلم » أو أن يكون تلميذه ، صاحب التفسير والتذكرة ، وكلاهما عالم ، لكن الشيخ أعلم فيما يظهر ، والتلميذ أكثر نقولاً .

مسلم ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، قال : أخبرنا ثابت ، عن أنس ابن مالك ، أن رسول الله ﷺ كان يُصلي نحو بيت المقدس فنزل : ﴿ قد نَرَى تقلُّبَ وجهِكَ في السَّماءِ فلنُوَلينَّك قبلةً تَرْضَاهَا فولِّ وجهَكَ شطرَ المسجدِ الحرام ﴾ [البقرة : ١٤٤] فمر رجلٌ بقوم من بني سلمة وهم ركوع في صلاة الفجر (وقد صَلُّوا ركعةً)[١] ، فنادى : ألا إن القبلة قد حُوِلَت إلى الكعبة ، فمالوا إلى الكعبة[٢] .

وروينا عن ابن سعد ، قال : أخبرنا الفضل بن دُكين ، حدثنا قيس بن الربيع ، حدثنا زياد بن علاقة ، عن عُمارة ابن أوس الأنصاري ، قال : صَلَّينا إحدى صلاتي العشيّ ، فقام رجلٌ على باب المسجد ونحن في الصلاة ، فنادى : إن الصلاة قد وجهت نحو الكعبة ، فتحول أو تحرَّفَ إمامنا نحو الكعبة والنساء والصبيان[٣] ، وليس في هذين الخبرين ما يعارض ما قبلهما لأن بلوغ التحويل غير التحويل .

وقرىء على أبي عبد الله بن أبي الفتح بن وثَّاب الصوري ، وأنا أسمع ، أخبرَكم الشيخان : أبو مسلم المؤيد بن عبد الرحيم بن أحمد بن محمد بن الإخوة البغدادي نزيل أصبهان ، وأبو المجد زاهر بن أبي طاهر الثقفي الأصبهاني إجازة ، قال الأول : أخبرنا أبو الفرج سعيد بن أبي الرجاء الصيرفي ، وقال الثاني : أخبرنا أبو الوفاء منصور بن محمد بن سليم ، قالا : أخبرنا أبو الطيب عبد الرزاق بن عمر بن موسى بن شمة ، قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم ، قال : أخبرنا علي بن العباسي المقالعي ، عن محمد ابن مروان ، عن إبراهيم بن الحكم بن ظهير ، قال : وحدثنا سفيان ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، قال : كانوا يُصلون الصبح فانحرفوا وهم ركوع[٤] .

وأما كيف كانت صلاته ﷺ قبل تحويل القبلة ، فمن الناس من قال كانت صلاته ﷺ إلى بيت المقدس ، من حين فُرضت الصلاة بمكة إلى أن قدم المدينة ، ثم بالمدينة إلى وقت التحويل .

---

(١) ما بين القوسين من الطبقات الكبرى ١٤٢/١ .

(٢) المصدر السابق ١٤٢/١ .

(٣) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢٤٢/١ ـ ٢٤٣ .

(٤) الأثر عن ابن عمر رضي الله عنهما ضعيف جداً ، فيه محمد بن مروان السدي الصغير ضعيف جداً ، وإبراهيم بن الحكم بن ظُهير شيعي ضعيف أيضاً .

روينا من طريق أبي بكر محمد بن إبراهيم بن المقرىء بالسند المذكور آنفاً ، قال أخبرنا علي بن العباس المقالعي ، عن محمد بن مروان ، عن إبراهيم بن الحكم بن ظُهير ، عن أبيه ، عن السدي في كتاب « الناسخ والمنسوخ » له قال : قوله تعالى : ﴿ سيقولُ السفهاءُ من الناس ما وَلَّاهُم عن قبلتِهم التي كانوا عليها ﴾ [البقرة : ١٤٢] قال : قال ابنُ عباس : أول ما نسخَ الله تعالى من القرآن حديث القبلة . قال ابن عباس : إن الله تبارك وتعالى فرضَ على رسوله الصَّلَاة ليلة أسري به إلى بيت المقدس ركعتين ركعتين ، الظهر والعصر والعشاء والغداة والمغرب ثلاثاً ، فكان يُصلِّي إلى الكعبة ووجهه إلى بيت المقدس . قال : ثم زيد في الصلاة بالمدينة حين صرفَه الله إلى الكعبة ركعتين ركعتين إلا المغرب فتُركت كما هي . قال : وكان رسولُ الله ﷺ وأصحابه يُصلُّون إلى بيت المقدس . وفيه : قال : فصلَّاها رسولُ الله ﷺ بمكة سنةً حتى هاجر إلى المدينة . قال : وكان رسول الله ﷺ يُعجبه أن يُصلِّي قِبَلَ الكعبة ، لأنها قبلة آبائه إبراهيم وإسماعيل . قال : وصلَّاها رسول الله ﷺ بمكة حتى هاجرَ إلى المدينة وبعدما هاجرَ ستة عشر شهراً إلى بيت المقدس . قال : وكان رسول الله ﷺ إذا صلَّى رفع رأسه إلى السماء ينظرُ لعلَّ الله أن يصرفَه إلى الكعبة . قال : وقال رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام : وددتُ أنك سألت الله أن يصرفني إلى الكعبة . فقال جبريل : لست أستطيع أن أبتدىء الله جل وعلا بالمسئلة ، ولكن إن سألني أخبرته . قال فجعلَ رسولُ الله ﷺ يُقلِّب وجهَه في السماء ينتظر جبريل ، ينزل عليه ، قال : فنزل عليه جبريل وقد صلَّى الظهر ركعتين إلى بيت المقدس وهم ركوع ، فصرف الله القبلة إلى الكعبة .. الحديث . وفيه : فلما صرف الله القبلة اختلف الناس في ذلك ، فقال المنافقون : ما ولَّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ؟ وقال بعضُ المؤمنين : فكيف بصلاتنا التي صَلَّيْنا نحو بيت المقدس ؟ فكيف بمن مات من إخواننا وهم يُصلون إلى بيت المقدس ؟ نقول : قَبِلَ الله عز وجل منا ومنهم أم لا ؟ وقال ناس من المؤمنين : كان ذلك طاعة وهذا طاعة ، نفعل ما أمرنا النبي ﷺ . وقالت اليهود : اشتاق إلى بلد أبيه وهو يُريد أن يرضي قومه ، ولو ثبت على قبلتنا لرجونا أن يكون هو النبي الذي كنا ننتظر أن يأتي ، وقال المشركون من قريش : تحيَّر على محمد دينُه ، فاستقبلَ قبلتكم وعلم أنكم أهدى منه ، ويوشِكُ أن يدخل في دينكم . فأنزل الله في جميع الفرق كلها :

فأنزل في المنافقين : ﴿ ما وَلَّاهُم عن قبلتِهِمُ التي كانُوا عليها قلْ للهِ المشرقُ والمغربُ يهدي مَنْ يشاءُ إلى صِرَاطٍ مُستقيم ﴾ إلى دين الإسلام ﴿ وكذلكَ جَعَلْنَاكُم أمةً وَسَطاً ﴾ [البقرة : ١٤٢ - ١٤٣] إلى آخر الآية .

وأنزل في المؤمنين : ﴿ وما جَعَلْنَا القبلةَ التي كنتَ عليها إلا لنعلمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرسولَ ممنْ ينقلبُ على عَقِبَيْهِ ﴾ يقول : إلا لنبتلي بها . وإنما كانت قبلتك التي تبعث بها إلى الكعبة ، ثم تلا : ﴿ وإنْ كانتْ لكبيرةً إلا على الذينَ هَدَى الله ﴾ قال : من المتقين . قال المؤمنون كانت القبلة الأولى طاعة وهذه طاعة ، فقال الله عز وجل : ﴿ وما كانَ اللهُ ليُضيعَ إيمانَكُم ﴾ [البقرة : ١٤٣] . قال : صلاتكم ، لأنكم كنتم مطيعين في ذلك ، ثم قال لرسول الله ﷺ : ﴿ قد نرى تقلُّبَ وجهِكَ في السماءِ ﴾ يقول : تنتظر جبريل حتى ينزل عليك ﴿ فلنُوَلِيَنَّكَ قبلةً تَرْضَاهَا ﴾ يقول : تحبها ﴿ فولِّ وجْهَكَ شطرَ المسجدِ الحَرَامِ ﴾ [البقرة : ١٤٤] نحو الكعبة ﴿ وإنه لَلْحَقُّ من ربِّك ﴾ [البقرة : ١٤٩] أي أنك تبعث بالصلاة إلى الكعبة .

وأنزل الله في اليهود : ﴿ ولئنْ أتيتَ الذينَ أُوتوا الكتابَ بكلِّ آيةٍ ما تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ﴾ [البقرة : ١٤٥] قال : لئن جئتهم بكل آية أنزلها الله في التوراة في شأن القبلة أنها إلى الكعبة ما تبعوا قبلتك ، قال : وأنزل الله في أهل الكتاب : ﴿ الذينَ آتيناهُم الكِتَابَ يعرفونَه كما يَعْرِفُونَ أبناءَهم وإنَّ فَرِيقاً منهم ليَكْتُمونَ الحقَّ وهم يَعلمون ﴾ [البقرة : ١٤٦] قال : يعرفون أن قبلة النبي الذي يبعث من ولد إسماعيل عليهما السلام قبل الكعبة ، كذلك هو مكتوب عندهم في التوراة ، وهم يعرفونه بذلك كما يعرفون أبناءهم ، وهم يكتمون ذلك ، وهم يعلمون أن ذلك هو الحق ، يقول الله تعالى : ﴿ الحقُّ من ربِّك فلا تَكُونَنَّ من المُمْتَرِين ﴾ [البقرة : ١٤٧] يقول من الشاكين .

قال : ثم أنزل في قريش وما قالوا ، فقال : ﴿ لِئَلَّا يكونَ للناسِ عليكُم حُجَّةٌ ﴾ قال : لكيلا يكون لأحد من الناس حجة ﴿ إلا الذينَ ظَلَمُوا منهم ﴾ يعني قريشاً ، وذلك قول قريش : قد عرف محمد أنكم أهدى منه فاستقبل قبلتكم ، ثم قال : ﴿ فلا تَخْشَوْهُم ﴾ قال : فحين قالوا يوشك أن يرجع إلى دينكم يقول : لا تخشوا أن أردكم في دينهم ، قال

﴿ ولأتمَّ نِعمَتي عليكُم ﴾ [البقرة : ١٥٠] أي أُظهر دينكم على الأديان كلها .

كل هذا عن السدي من كتابه في « الناسخ والمنسوخ » وهو مروي لنا بالإسناد المذكور ، وهو مروي عن أبي مالك ، عن ابن عباس ، ثم يتخلل سياق خبره فوائدُ عن بعض رواة الكتاب ، ثم يقول جامعه عند انقضائها وعوده إلى الأول : رجع إلى السدي . ثم يقول عنه : قال ابن عباس كذا في أخبار متعددة متغايرة ، فيحتمل أن يكون ذلك عنده عن أبي مالك عن ابن عباس ، ويحتمل الانقطاع ، ولو كان ذلك في خبر واحد لكان أقرب إلى الاتصال .

والسُّدي هذا هو الكبير : إسماعيل بن عبد الرحمن ، يروي عن أنس ، وعبد خير ، روى عنه الثوري وشعبة وزائدة ، وكان يجلس بالمدينة في مكان يُقال له السُّد فنُسب إليه ، احتج به مسلم ، ووثقه بعضُهم وتكلم فيه آخرون .

والسّدي الصغير : هو محمد بن مروان المذكور في الإسناد إليه ، مضعف عندهم .

وقال آخرون إنه عليه الصلاة والسلام صلَّى أول ما صلى إلى الكعبة ثم إنه صُرف إلى بيت المقدس .

قال أبو عمر : ذكر سُنيد ، عن حجّاج ، عن ابن جريج ، قال : صلَّى ا لنبيُّ ﷺ أَوَّلَ ما صلى إلى الكعبة ، ثم إنه صُرف إلى بيت المقدس ، فصلت الأنصار نحو بيت المقدس قبل قدومه عليه الصلاة والسلام بثلاث ، وصلى النبيُّ ﷺ بعد قدومه ستة عشر شهراً ثم وجهه الله تعالى إلى الكعبة(١) .

وقال ابن شهاب : وزعم ناس ـ والله أعلم ـ أنه كان يسجد نحو بيت المقدس ويجعل وراء ظهره الكعبة وهو بمكة ، ويزعم ناس أنه لم يزل يستقبل الكعبة حتى خرج منها ، فلما قدم المدينة استقبل بيت المقدس(٢) .

قال أبو عمر : وأحسن من ذلك قول من قال : إنه عليه الصلاة والسلام كان يُصلي بمكة مستقبل القبلتين ، يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس(٢) .

---

(١) و(٢) ذكر أبو عمر ابن عبد البر هاتين الروايتين : عن سُنيد ، وابن شهاب في كتابيه « التمهيد »

وقد روينا ذلك من طريق مجاهد عن ابن عباس ؛ قرأت على الإمام الزاهد أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن أحمد بن فضل بن الواسطي بسفح قاسيون ، أخبركم الشيخ أبو البركات داود بن أحمد بن محمد بن ملاعب البغدادي ، وأبو الفضل عبد السلام بن عبد الله بن أحمد بن بكران بن الزاهري سماعاً عليهما ، الأول بالشام والثاني بالعراق ، قالا : أخبرنا أبو بكر محمد بن عُبيد الله بن نصر بن البُسْري بن الزَّاغُوني ، زاد ابن ملاعب : وأبو منصور أنُوشتكين بن عبد الله الرضواني ، قال : أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن البسري ، وقال ابن الزاغوني : أخبرنا الشريف أبو نصر محمد بن محمد الزينبي ، قالا : أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن بن العباس المخلص ، حدثنا يحيى ، حدثنا الحسن بن يحيى الأرُزِّي أبو علي بالبصرة ، حدثنا يحيى بن حماد ، حدثنا أبو عوانة ، عن سليمان – يعني الأعمش – عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله ﷺ يُصلي وهو بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه ، وبعدما هاجر إلى المدينة ستة عشر شهراً ، ثُمَّ صُرِف إلى الكعبة .

وروينا عن ابن سعد قال : أخبرنا هاشم بن القاسم ، حدثنا أبو معشر ، عن محمد ابن كعب القُرظي ، قال : ما خالف نبيٌّ نبياً قط في قبلة ولا في سنة ، إلا أن رسولَ الله ﷺ استقبل بيت المقدس من حين قدم المدينة ستة عشر شهراً ثم قرأ : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصَّى بن نوحاً ﴾(1) [الشورى : ١٣] .

وقد ذكرنا فيما سلفَ حديثَ البراء بن معرور وتوجهه إلى الكعبة ، وفيه دليل على أن الصلاة كانت يومئذ إلى بيت المقدس . ولما كان ﷺ يتحرَّى القبلتين جميعاً ولم يتبين توجُّهَهُ إلى بيت المقدس للناس حتى خرجَ من مكة .

قال السهيلي : وكرر الباري سبحانه وتعالى الأمر بالتوجه إلى البيت الحرام في ثلاث آيات ، لأن المنكرين لتحويل القِبلة كانوا ثلاثة أصناف : اليهودُ ؛ لأنهم لا يقولون بالنسخ

= و« الاستذكار » . انظر « الدرر في اختصار المغازي والسير » ص ١٠١ .

(1) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢٤٣/١ .

في أصل مذهبهم . وأهلُ الرِّيْب والنفاق اشتد إنكارهم له ، لأنه كان أوَّلَ نسخ نزل . وكفار قريش ، لأنهم قالوا : ندمَ محمد على فراق ديننا ، وكانوا يحتجون عليه ، فيقولون : يزعم محمد أنه يدعونا إلى ملة إبراهيم وإسماعيل وقد فارق قبلة إبراهيمَ وإسماعيلَ وآثرَ عليها قبلة اليهود ، فقال الله له حين أمره بالصلاة إلى الكعبة : ﴿ لئلا يَكونَ للنَّاسِ عليكُم حُجَّةٌ إلا الذينَ ظَلَمُوا مِنْهم ﴾ [البقرة : ١٥٠] على الاستثناء المنقطع ، أي : لكن الذين ظلموا منهم لا يرجعون ولا يهتدون ، وذكر الآيات إلى قوله تعالى : ﴿ لَيَكتمون الحقَّ وهم يَعلمون ﴾ [البقرة : ١٤٦] أي يكتمون ما علموا من أن الكعبة هي قبلة الأنبياء[١] .

وروينا من طريق أبي داود في كتاب « الناسخ والمنسوخ » له : حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا عنبسة ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، قال : كان سليمانُ بن عبد الملك لا يُعَظِّمُ إيلياء[٢] كما يُعَظِّمُهَا أهلُ بيته ، قال : فسرتُ معه وهو وليُّ عهد ، قال : ومعه خالد بن يزيد بن معاوية ، قال سليمان وهو جالس فيها : والله إن في هذه القِبلة التي صلَّى إليها المسلمون والنصارى لعجباً . قال خالد بن يزيد : أما والله إني لأقرأ الكتاب الذي أنزلَه الله على محمد ﷺ ، وأقرأ التوراة ، فلم تجدها اليهود في الكتاب الذي أنزل الله عليهم ، ولكن تابوت السكينة كان على الصخرة ، فلما غضب الله على بني إسرائيل رفعَه ، فكانت صلاتُهم إلى الصخرة على مشاورة منهم .

وروى أبو داود أيضاً : أن يهودياً خاصم أبا العالية[٣] في القبلة ، فقال أبو العالية : إن موسى عليه السلام كان يُصلي عند الصخرة ويستقبل البيت الحرام ، فكانت الكعبة قبلته ، وكانت الصخرة بين يديه ، وقال اليهودي : بيني وبينك مسجد صالح النبي عليه السلام ، فقال أبو العالية : فإني صليت في مسجد صالح وقبلتُه إلى الكعبة ، وأخبر أبو العالية أنه صلى في مسجد ذي القرنين وقبلتُه إلى الكعبة .

---

(١) الروض الأنف ؛ للسهيلي ٢/٢٠١ .

(٢) « إيلياء » : بيت المقدس .

(٣) أبو العالية : رُفَيْع بن مهران الرياحي ، قال الذهبي : وهو ثقة . فأما قول الشافعي رحمه الله تعالى : حديث أبي العالية الرِّيَاحي رِياح . فإنما أراد به حديثه الذي أرسله في القهقهة فقط . وقال ابن عدي : ولأبي العالية الرياحي أحاديث صالحة .. انظر ميزان الاعتدال ٢/٥٤ ، والكامل في الضعفاء ٣/١٠٢٢ .

قلت : قد تقدم في حديث البراء أن رجلاً صلَّى مع النبي ﷺ يوم تحويل القبلة ، ثم أتى قوماً من الأنصار فأخبرهم وهم ركوع فاستداروا ، ولم يُسمَّ المُخبرُ في ذلك الخبر ، والرجل هو عباد بن نُهَيْك بن إساف الشاعر بن عدي بن زيد بن جشم بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو (النَّبيت) بن مالك بن الأوس ، عُمِّرَ في الجاهلية زماناً ، وأسلم وهو شيخ كبير ، فوضع النبيُّ ﷺ عنه الغزو ، وهو الذي صلَّى مع النبي ﷺ القبلتين في الظهر ، ركعتين إلى بيت المقدس وركعتين إلى الكعبة يوم صُرفت القبلة ، ثم أتى قومَه بني حارثة وهم ركوع في صلاة العصر ، فأخبرَهم بتحويل القبلة ، فاستداروا إلى الكعبة . وقد ذكر أبو عمر[1] هذا الرجل بذلك لكنه لم يرفع نسبه ، إنما قال : عباد ابن نُهَيْك فقط ، ونسبَه الخَطَمِيَّ ، فلم يصنع شيئاً ، فخطمة هو عبد الله بن جشم بن مالك بن الأوس ليس هذا منه ، هذا حارثي وبنو خَطَمة تأخر إسلامهم .

* * *

(١) الاستيعاب على هامش الإصابة ، لابن عبد البر ٤٥٧/٢ .

ذكر فرض صيام شهر رمضان
وزكاة الفطر ، وسُنّة الأضحية

روينا عن ابن سعد أخبرنا محمد بن عمر ، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الجمحي ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة . قال الواقدي : وأخبرنا عبد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر . قال : أخبرنا عبد العزيز بن محمد ، عن رُبيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري ، عن أبيه ، عن جده ، قالوا : نزلَ فرضُ شهر رمضان بعدما صُرفت القبلة إلى الكعبة بشهر ، في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مُهَاجر رسول الله ﷺ .

وأمر رسولُ الله ﷺ في هذه السنة بزكاة الفطر ، وذلك قبل أن تُفرض الزكاة في الأموال ، وأن تُخرجَ عن الصغير والكبير والحر والعبد والذكر والأنثى ، صاعٌ من تمر أو صاعٌ من شعير ، أو صاع من زبيب ، أو مُدّان من بر . وكان يخطب ﷺ قبل الفِطر بيومين ، فيأمر بإخراجها قبل أن يغدوَ إلى المُصَلّى ، وقال : أَغْنُوهم ـ يعني المساكين ـ عن طواف هذا اليوم . وكان يقسمها إذا رجع ، وصلّى رسول الله ﷺ صلاة العيد يومَ الفطر بالمصلّى قبل الخُطبة .

وصلَّى العيد يوم الأضحى وأمر بالأضحية ، وأقام بالمدينة عشر سنين يُضَحّي في كل عام ، قالوا : وكان يُصلي العيدين قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة ، وكان تُحمل العَنَزَة[1] بين يديه ، وكانت العَنَزَة للزبير بن العوام ، قدم بها من أرض الحبشة ، فأخذها منه رسولُ الله ﷺ . قالوا : وكان رسولُ الله ﷺ إذا صلَّى اشترى كبشين سمينين أقرنين أملحين[2] ، فإذا صلَّى وخطبَ أُتِي بأحدهما وهو قائم في مصلاه ، فيذبحه بيده بالمُدية ،

---

(١) « العَنَزَة » : مثل نصف الرمح ، وفيها سِنان مثل سنانه ، وهي الحربة ، وكانت تحملُ لتغرز في الأرض سترة بين يديه ﷺ .

(٢) « أملحين » : الأملح : هو الذي يكون بياضه أكثر من سواده ، وقيل : هو النقيُّ البياض .

ثم يقول : هذا عن أمتي جميعاً ، ممن شهدَ لك بالتوحيد وشهدَ لي بالبلاغ . ثم يُؤتى بالآخر فيذبحه هو عن نفسه ، ثم يقول : هذا عن محمد وآل محمد ، فيأكل هو وأهله منه ، ويُطعم المساكين ، وكان يَذبح عند طرف الزقاق عند دار معاوية .

قال محمد بن عمر : وكذلك تصنعُ الأئمة عندنا بالمدينة[1] .

* * *

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ١/٢٤٨ ــ ٢٤٩ .

ذكر المنبر وحنين الجذع

قرأت على الشيخة الأصيلة أم محمد مُؤنسة خاتون بنت السلطان الملك العادل سَيف الدين أبي بكر بن أيوب بالقاهرة ، قلت لها : أخبرتك الشيخة أم هانيء عفيفة بنت أحمد ابن عبد الله الفَارْقَانية إجازة ؟ فأقرَّتْ به ، قالت : أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن عبد الواحد الصبَّاغ ، أخبرنا أبو نُعيم أحمد بن عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو علي بن الصواف ، حدثنا الحسين بن عمر ، حدثنا أبي ، حدثنا المعلَّى بن هلال ، عن عمَّار الدُّهني ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أم سلمة ، أنها قالت : قال لي رسولُ الله ﷺ : « إنَّ قوائمَ مِنبري هذا رواتب[1] في الجنة »[2] . قال : وكانت أساطين المسجد من دَوْمٍ ، وظِلاله من جريد النخل ، وكانت الأسطوانةُ التي تلي المنبرَ عن يسار المنبر إذا اسْتَقبَلْتَه دَوْمةً . قالت : وكان رسولُ الله ﷺ يُسند ظهره إليها يوم الجمعة إذا خطب الناس قبلَ أن يُصنعَ المنبرُ . فأول يوم وُضع المنبرُ استوى عليه رسول الله ﷺ قاعداً في الساعة التي كان يستند فيها إلى الأسطوانة ، ففقدته الأسطوانة فجأرت جؤار الثور ، أو خارت خُوار الثور ، والنبيُّ ﷺ على المنبر ، فنزلَ النبيُّ ﷺ إليها ، فأتاها فوضع يده عليها ، وقال لها : « اسكني ، أو اسكتي » ثم رجعَ النبيُّ ﷺ إلى منبره[3] .

وقرأتُ على أبي الفتح يوسف بن يعقوب الشيباني بسفح قاسيون ، أخبركم أبو العباس الخضر بن كامل بن سالم بن سُبيع قراءة عليه وأنتم تسمعون سنة ست أو سبع وستمائة ، وأبو اليمن زيد بن الحسن الكندي إجازة ، إن لم يكن سماعاً ، قال الأول : أخبرنا أبو الدر ياقوت بن عبد الله الرومي ، وقال الثاني : أخبرنا أبو الفتح محمد بن محمد بن البيضاوي ،

---

(١) « رواتب » : جمع راتب ، من قولهم : رتبَ رُتُوباً ؛ إذا انتصب قائماً . النهاية ؛ لابن الأثير ١٩٢/٢ .

(٢) رواه النسائي ٣٤/٢ عن أم سلمة رضي الله عنها ، والبيهقي في الدلائل ٥٦٣/٢ .

(٣) حديث أم سلمة بطوله ، وفيه جؤار الأسطوانة ، أخرجه أبو حاتم ، عزاه إليه المحب الطبري في أحكامه ؛ كما في نور النبراس .

قالا : أخبرنا أبو محمد بن عبد الله بن محمد بن هِزَارَمَرْد[1] . « ح »[2] وقرأتُ على أبي النور إسماعيل بن نور بن قمر الهِيْتي ، أخبركم الشيخ أبو نصر موسى بن الشيخ عبد القادر الجيلي قراءة عليه وأنت تسمع ؟ فأقر به ، أخبرنا أبو القاسم سعيد بن أحمد بن الحسين بن البنا ، أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن البُسْري قالا : أخبرنا أبو طاهر محمد ابن عبد الرحمن بن العباس المخلِّص ، حدثنا عبد الله ـ يعني البَغوي ـ حدثنا شيبان بن فروخ ، حدثنا مُبارك بن فضالة ، حدثنا الحسن ، عن أنس بن مالك ، قال : كان رسولُ الله ﷺ يخطبُ يوم الجمعة إلى جنب خشبة مسنداً ظهره إليها ، فلما كثُر الناسُ ، قال : ابنوا لي مِنبراً . قال : فبنَوْا له مِنبراً له عتبتان ، فلما قام على المنبر يخطُب حَنَّتِ الخشبة إلى رسول الله ﷺ . قال أنس : وأنا في المسجد فسمعتُ الخشبة تحِنُّ حنين الواله ، فما زالت تَحِنُّ حتى نزل إليها فاحتضنها فسكنت . فكان الحسنُ إذا حدَّثَ بهذا الحديث بكى ، ثم قال : يا عِبَادَ الله ، الخشبةُ تحِن إلى رسول الله ﷺ شوقاً إليه ؛ لمكانه من الله عز وجل ، فأنتم أحقُّ أن تشتاقوا إلى لقائه[3] .

قال القاضي عياض : رواه من الصحابة بضعة عشر منهم : أُبيُّ بن كعب ، وجابر ابن عبد الله ، وأنس بن مالك ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وسهل بن سعد ، وأبو سعيد الخدري ، وبُريدة ، وأم سلمة ، والمطلب بن أبي وداعة ، كلُّهم يحدث بمعنى هذا الحديث[4] ، قال الترمذي[5] : وحديث أنس صحيح .

(١) « هِزَارَمَرْد » : لفظة فارسية ، ومعناها ابن ألف رجل ؛ كما في نور النبراس .

(٢) « ح » رمز لتحويل السند . وقال سبط ابن العجمي : اعلم أن « ح » حرف جرت عادة أهل الحديث كتابته إذا كان للحديث إسنادان فأكثر ... فإذا انتقلوا من سند إلى سند آخر كتبوا بينهما « ح » ... والذي عليه أهل الحديث أن ينطق بها القارىء كذلك مفردة ..

(٣) رواه الإمام أحمد ٢٢٦/٢ : عن هاشم ، عن المبارك ، عن الحسن عن أنس . ورواه أبو القاسم البغوي . كما رواه الحافظ أبو نُعيم من حديث الوليد بن مسلم ، عن سالم بن عبد الله الخياط ، عن أنس بن مالك . فذكره ، ورواه البيهقي في الدلائل ٥٥٩/٢ .

(٤) الشفا للقاضي عياض ، ونظم المتناثر من الحديث المتواتر ص ١٣٤ ، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح : حديث حنين الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلاً مستفيضاً يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث دون غيرهم ممن لا ممارسة له في ذلك ، والله أعلم .

(٥) رواه الترمذي في كتاب المناقب (باب رقم ٩) رقم /٣٦٣١/ .

وفي حديث جابر : فلما صُنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العِشَار[1] .

وفي رواية أنس : حتى ارتجَّ المسجدُ بخُواره .

وفي رواية سهل : وكثر بكاء الناس لما رأوا به .

وفي رواية المطلب : حتى تصدَّعَ وانشقَّ ، حتى جاء النبيُّ ﷺ فوضعَ يده عليه فسكت ، زاد غيره : فقال النبيُّ ﷺ : « إن هذا بكى لما فقد من الذكر » وزاد غيره : « والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيامة » تحزناً على النبيِّ ﷺ ، فأمر به فدُفن تحت المنبر .

وفي حديث أبيّ أنه أخذه أبيّ فكان عندَه إلى أن أكلته الأرض وعاد رفاتا . وفي حديث بُريدة ، فقال – يعني النبي ﷺ – : « إنْ شئتَ أردُّك إلى الحائط الذي كنتَ فيه ، تنبتُ لك عروقُك ويكمل خلقُك ، ويُجدد لك خوص وثمرة ؟ وإن شئتَ أغرسْك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك ؟ ثم أصغَى له عليه الصلاة والسلام يستمع ما يقول ، فقال : بل تغرسني في الجنة . فسمعه من يليه ، فقال عليه الصلاة والسلام : « قد فعلتُ » .

وأخبرنا عبد الرحيم بن يوسف المَوْصلي بقراءة والدي عليه ، أخبرنا ابن طبرزذ ، أخبرنا ابن عبد الباقي ، أخبرنا الجوهري ، أخبرنا ابن الشِّخير ، حدثنا العباس بن أحمد ، حدثنا محمد بن أبان ، حدثنا أبو القاسم بن أبي الزناد ، عن سلمة بن وَرْدان ، قال : سمعت أبا سعيد بن المعلى يقول ، سمعتُ علياً يقول ، سمعت رسولَ الله ﷺ يقول : « ما بين قبري ومِنبري روضة من رياض الجنة »[2] .

ورويناه من حديث جابر وفيه « وإن منبري على ترعة من ترع الجنة »[3] .

---

(١) حديث جابر رضي الله عنه رواه البخاري في كتاب الجمعة (باب الخطبة على المنبر) رقم /٩١٨/ ، والنسائي في كتاب الجمعة (باب مقام الإمام في الخطبة) ١٠٢/٣ . و « العِشار » : النوق الحوامل .

(٢) رواه الترمذي في المناقب (باب ما جاء في فضل المدينة) رقم /٣٩١١/ عن علي رضي الله عنه ، وعن أبي هريرة /٣٩١٢/ وقال الترمذي : غريب حسن من هذا الوجه ، وإنما آثر المؤلف رحمه الله تعالى إخراجه من غير طريق الترمذي للعلو . وسلمة بن وردان : ضعيف ، لكن للحديث طرق صحيحة ، وهو متواتر ، أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن زيد بلفظ « ما بين بيتي ومنبري .. » انظر « نظم المتناثر في الحديث المتواتر » ص ١٢٨ .

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ٣٨٩/٣ ولفظه : « إن ما بين منبري إلى حجرتي روضة من رياض الجنة ،

غزوة بدر الكبرى

وكانت يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من رمضان

قال ابن إسحق : ثم إن رسولَ الله ﷺ سمع بأبي سفيان بن حرب مقبلاً من الشام في عير لقريش عظيمة ، فيها أموال لقريش وتجارة من تجاراتهم ، وفيها ثلاثون رجلاً من قريش ، أو أربعون ، منهم : مخرمة بن نوفل ، وعمرو بن العاص[1] . وقال ابن عقبة وابن عائذ في أصحاب أبي سفيان : هم سبعون رجلاً ، وكانت عيرهم ألف بعير ، ولم يكن لحويطب بن عبد العزى فيها شيء فلذلك لم يخرج معهم .

وقال ابن سعد : هي العير التي خرج لها حتى بلغ ذا العُشَيرة ، تحيَّنَ قفولها من الشام ، فبعثَ طلحةَ بن عبيد الله التيمي وسعيدَ بن زيد بن عمرو بن نفيل يَتجسَّسان خبرَ العير[2] . قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن مسلم الزهري ، وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ، ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، وغيرُهم من علمائنا ، عن ابن عباس ، كلٌّ قد حدثني بعض الحديث ، فاجتمع حديثُهم فيما سقت من حديث بدر ، قالوا : لما سمع رسولُ الله ﷺ بأبي سفيان مقبلاً من الشام ، ندبَ المسلمين إليهم وقال : هذه عير قريش ، فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها ، لعل الله ينفلكموها ، فانتدب النَّاسُ ، فخفَّ بعضُهم ، وثقُل بعضُهم ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسولَ الله ﷺ يلقى حرباً . وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتجسس الأخبارَ ويسأل من لقي من الركبان ، تخوفاً من أمر الناس ، حتى أصابَ خبراً من بعض الركبان أن محمداً قد استنفرَ أصحابَه لك ولعيرك ، فحذر عند ذلك ، فاستأجرَ ضمضمَ بن عمرو الغِفاري ، فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه ، فخرج ضمضمُ بن عمرو سريعاً إلى مكة[3] .

= وإن منبري على ترعة من ترع الجنة » .

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٦٠٦ .

(٢) الطبقات الكبرى ، لابن سعد ٢/١١ .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٦٠٦ .

قال ابن سعد : فخرجَ المشركون من أهل مكة سِراعاً ، ومعهم القِيَان والدفوف ، وأقبل أبو سفيان بن حرب بالعير ، وقد خافوا خوفاً شديداً حين دنوا من المدينة ، واستبطؤوا ضمضماً والنفيرَ ، حتى وردوا بدراً ، وهو خائف ، فقال لمجديّ بن عمرو : هل أحسستَ أحداً من عيون محمد[1] .

قال ابن إسحاق : فأخبرني من لا أتهم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، قالا : وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رؤيا أفزعتها ، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب ، فقالت له : يا أخي ، والله لقد رأيت الليلة رؤيا ، لقد أفظعتني ، وتخوّفتُ أن يدخلَ على قومك منها شرٌّ ومصيبة ، فاكتم عني ما أحدثك . فقال لها : وما رأيتِ ؟ قالت : رأيت راكباً أقبلَ على بعير له حتى وقفَ بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته ألا انفروا يا آل غُدر[2] لمصارعكم في ثلاث ، فأرى الناسَ اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجدَ والناس يتبعونه ، فبينما هم حولَه مَثَلَ[3] به بعيره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بمثلها ألا انفروا يا آل غُدَر لمصارعكم في ثلاث ، ثم مَثَلَ به بعيره على رأس أبي قُبيس ، فصرخ بمثلها ، ثم أخذَ صخرةً[4] فأرسلها ، فأقبلت تهوي حتى إذا كانت بأسفل الجبل ، ارفضّتْ[5] ، فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها منه فِلْقَةٌ . قال العباس : والله إن هذا لرؤيا ، وأنتِ فاكتميها ولا تذكريها . ثم خرجَ العباس فلقي الوليدَ بن عتبة بن ربيعة ، وكان صديقاً له ، فذكرها له ، واستكتمه إياها ، فذكرها الوليدُ لأبيه عتبة ، ففشا الحديثُ حتى تحدثت به قريش ، قال العباس : فغدوتُ لأطوفَ بالبيت ، وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة ، فلما رآني أبو جهل ، قال : يا أبا الفضل : إذا فرغتَ من طوافك فأقبل إلينا ، فلما فرغتُ أقبلت حتى جلست معهم ، فقال لي أبو جهل : يا بني عبد المطلب ! متى حَدَثَتْ فيكم

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/١٣ .

(٢) « يا آل غُدَر » : غدر ، معدول عن غادر للمبالغة ، وأكثر ما يستعمل هذا في النداء بالشتم . ويقال للذكر : غُدَر ، وللأنثى : غُدَار ، وفي الجمع يا آل غُدَر .

(٣) « مَثَلَ به بعيرُه » : قامَ .

(٤) في الأصول : « ثم أخذ صخرة من الجبل فأرسلَها » .

(٥) « ارْفَضَّتْ » : تفتَّت وتفرقت .

هذه النَّبيَّةُ ؟ قال : قلت : وما ذاك ؟ قال : ذاك[1] الرؤيا التي رأت عاتكة . قال فقلت : وما رأت ؟ قال : يا بني عبد المطلب ! أما رضيتم أن تتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم ؟! قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال : انفروا في ثلاث ، فستربص بكم هذه الثلاث ، فإن يك حقاً ما تقول فسيكون ، وإن تَمْضِ الثلاث و لم يكن من ذلك شيء نكتبُ عليكم كتاباً أنكم أكذبُ أهل بيت في العرب ، قال العباس : فوالله ما كان مني إليه كبير ، إلا أني جحدت ذلك ، وأنكرت أن تكون رأت شيئاً[2] .

وعند ابن عقبة في هذا الخبر ؛ أن العبَّاسَ قال لأبي جهل : هل أنت منته ؟ فإن الكذبَ فيك وفي أهل بيتك . فقال من حضرهما : ما كنتَ يا أبا الفضل جَهولاً ولا خَرِقاً . وكذلك قال ابن عائذ ، وزاد فقال له العباس : مهلاً يا مُصَفِّرَ استه ، ولقي العباس من عاتكة أذى شديداً حين أفشى من حديثها .

رجعٌ إلى خبر ابن إسحاق : قال : ثم تفرقنا ، فلما أمسيتُ لم تبق امرأةٌ من بني عبد المطلب إلا أتتني ، فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ؟ ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ؟ ثم لم تكن عندك غِيَرٌ[3] لشيء مما سمعت ؟ قال : فقلت قد والله فعلتُ ، ما كان مني إليه من كبير ، وايم الله لأتعرضنَّ له ، فإن عاد لأكفينَكُنَّه قال : فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مُغضَب ، أرى أني قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه . قال : فدخلت المسجد فرأيته ، فوالله إني لأمشي نحوَه أتعرَّضه ليعودَ لبعض ما قال ، فأوقع به ، وكان رجلاً خفيفاً ، حديدَ الوجه ، حديدَ اللسان ، حديدَ النظر . قال : إذ خرج نحو باب المسجد يشتدُّ . قال : قلت في نفسي : ماله لعنه الله ، أكلُّ هذا فَرَقٌ مني أن أشاتمه ؟ قال : فإذا هو قد سمع ما لم أسمع صوتَ ضمضم بن عمرو الغِفاري وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره ، قد جَدَّع بعيرَه ، وحوَّلَ رحلَه ، وشقَّ قميصَه ، وهو يقول : يا معشر قريش ، اللطيمةَ اللطيمةَ ، أموالُكم مع أبي سفيان قد عَرَض لها محمد في أصحابه ، لا أرى أن تُدركوها ، الغَوْثَ الغَوْثَ . قال : فشغلني عنه وشغله عني ما

---

(١) كذا في الأصول ، وفي السيرة النبوية ؛ لابن هشام « تلك الرؤيا » .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٠٧/١ — ٦٠٩ .

(٣) « غِيَرٌ » : تغيير وإنكار .

جاء من الأمر ، فتجهَّز الناسُ سِراعاً ، وقالوا : أيظنُّ محمد وأصحابه أن تكونَ كعير ابن الحضرمي ، كلا والله ليعلمنَّ غير ذلك ، فكانوا بين رجلين ؛ إما خارج وإما باعث مكانه رجلاً ، وأوعبت قريش ، فلم يتخلف من أشرافها أحدٌ ، إلا أن أبا لهب ابنَ عبد المطلب قد تخلَّف وبعثَ مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة ، وكان قد لاط[1] له بأربعة آلاف درهم كانت له عليه ، أفلس بها فاستأجره بها على أن يجزي عنه بعثُه ، فخرج عنه وتخلّف أبو لهب[2] .

قال ابن عقبة وابن عائذ : خرجوا في خمسين وتسعمائة مقاتل ، وساقوا مائة فرس .

وروينا عن ابن سعد : أخبرنا عبيد الله بن موسى ، عن شيبان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة بن عبد الله ، عن أبيه ، قال : لما أسرنا القومَ في بدر ، قلنا : كم كنتم ؟ قالوا : كنا ألفاً[3] .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نَجيح ؛ أن أمية بن خلف كان أجمع القعودَ ، وكان شيخاً جليلاً جسيماً ثقيلاً ، فأتاه عقبةُ بن أبي مُعيط وهو جالس في المسجد بين ظهراني قومه بمجمرة يحملها ، فيها نار ومَجمر[4] ، حتى وضعها بين يديه ، ثم قال : يا أبا عليّ ! استجمرْ ، فإنما أنت من النساء . قال : قبحك الله وقبَّح ما جئت به . قال : ثم تجهز فخرج مع الناس[5] .

قيل : وكان سببُ تَثَبُّطِه ، ما ذكرَه البخاري في الصحيح ، من حديثه مع سعد بن معاذ وأبي جهل بمكة ، وقول سعد له : إني سمعت رسولَ الله ﷺ يقول : « إنه قاتلك »[6] .

قلت : المشهور عند أرباب السير أن النبيَّ ﷺ إنما قال ذلك لأخيه أبيِّ بن خلف

---

(١) « لاطَ له » : لزمتْ له عليه رباً ، والتصقت به ، فاحتبسه بها .
(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٠٩/١ .
(٣) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢١/٢ .
(٤) « ومَجْمَرٌ » : عود يُتبخر به .
(٥) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦١٠/١ .
(٦) رواه البخاري في كتاب المغازي (باب ذكر النبي ﷺ مَنْ يُقتل ببدر) رقم /٣٩٥٠/ .

بمكة قبل الهجرة ، وهو الذي قتله النبيُّ ﷺ بعد ذلك يوم أحد بحربته ، وهذا أيضاً لا يُنافي خبرَ سعد ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق : ولما فرغوا من جهازهم وأجمعوا السير ، ذكروا ما بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب ، فقالوا : إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا ، فتبدَّى لهم إبليسُ في صورة سراقة بن مالك بن جُعْشُم الكِنَاني المُدْلِجي ، وكان من أشراف بني كِنانة ، فقال : أنا جارٌ لكم من أن تأتيكم كِنانةُ من خلفكم بشيء تكرهونه ، فخرجوا سِراعاً[1] .

وذكر ابنُ عقبة وابنُ عائذ في هذا الخبر : وأقبلَ المشركون ومعهم إبليس – لعنه الله – في صورة سراقة يُحَدِّثهم أن بني كِنانة وراءَه ، قد أقبلوا لنَصْرِهم ، وأنه لا غالبَ لكم اليوم من الناس وإني جارٌ لكم .

قال ابن إسحاق : وعميرُ بن وَهْب أو الحارث بن هشام كان الذي رآه حين نَكَصَ على عقبيه عند نزول الملائكة ، وقال إني أرى ما لا ترون ، فلم يزل حتى أوردهم ثم أسلمهم ، ففي ذلك يقول حسان :

سرنا وساروا إلى بدرٍ لِحَيْنِهِمُ ... لو يعلمونَ يقينَ العلم ما سَاروا
دلَّاهُمُ بغرورٍ ثم أسْلَمَهمْ ... إنَّ الخبيثَ لمن وَالاهُ غَرَّارُ

في أبيات ذكرها[2] .

قال ابن إسحاق : وخرجَ رسول الله ﷺ من المدينة في ليال مضت من شهر رمضان في أصحابه ، قال ابن هشام : لثمانِ ليالٍ خلون منه[3] .

وقال ابن سعد : يوم السبت[4] لاثنتي عشرة ليلة خلت منه ، بعد ما وجَّه طلحةَ بن عبيد الله وسعيدَ بن زيد بعشر ليال ، وضربَ رسولُ الله ﷺ عسكرَه ببئر أبي عِنَبَة ،

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦١٢/١ .
(٢) المصدر السابق ٦١٣/١ .
(٣) المصدر السابق ٦١٢/١ .
(٤) في الأصول « الاثنين » والتصحيح من الطبقات الكبرى .

وهي على ميل من المدينة ، فعَرَضَ أصحابه ، وردَّ من استصغرَ ، وخرج في ثلاثمائة رجل وخمسة نفر ، كان المهاجرون منهم أربعة وسبعين[1] رجلاً ، وسائرهم من الأنصار ، وثمانية تخلفوا لعذر ، ضربَ لهم رسولُ الله ﷺ بسهامهم وأجورهم : ثلاثة من المهاجرين ؛ عثمان بن عفان ، خَلَّفه رسولُ الله ﷺ على ابنته رقية بنت رسول الله ﷺ ، وكانت مريضة ، فأقام عليها حتى ماتت . وطلحةُ ، وسعيد بن زيد ، بعثهما يتَجسَّسان خبرَ العير . وخمسة من الأنصار : أبو لبابة بن عبد المنذر ، خلَّفه على المدينة ، وعاصم بن عدي العجلاني ، خلَّفه على أهل العالية ، والحارث بن حاطب العَمْري ردَّه من الروحاء إلى بني عمرو بن عوف لشيء بلغه عنهم ، والحارث بن الصِّمة كُسر من الروحاء ، وخَوَّات بن جُبير كُسر أيضاً[2] .

قال ابن إسحاق : ودفعَ اللواءَ إلى مصعب بن عُمير — وكان أبيضَ — وكان أمامَ رسول الله ﷺ رايتان سوداوان ، إحداهما مع عليّ بن أبي طالب والأخرى مع بعض الأنصار[3] .

وقال ابن سعد : كان لواء المهاجرين مع مصعب بن عمير ، ولواءُ الخزرج مع الحُباب ابن المنذر ، ولواءُ الأوس مع سعد بن معاذ .

كذا قال[4] ، والمعروف أن سعدَ بن معاذ كان يومئذ على حرس رسول الله ﷺ في العريش ، وأن لواءَ المهاجرينَ كان بيد عليّ[5] . قرىءَ على أبي حفص عمر بن عبد المنعم ابن عمر بن عبد الله بن غدير بعربيل — قرية بغوطة دمشق — وأنا أسمع ، أخبركم أبو القاسم عبدُ الصمد بن محمد بن أبي الفضل بن الحرستاني قراءة عليه وأنت حاضر في الرابعة ؟ فأقرَّ به ، أخبرنا أبو الحسن علي بن المسلم بن محمد السلمي سماعاً ، أخبرنا أبو عبد الله

---

(١) في الأصول « ومئتين » والتصحيح من الطبقات الكبرى .

(٢) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/١١ — ١٢ .

(٣) السيرة النبوية ، لابن هشام ١/٦١٢ .

(٤) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/١٤ .

(٥) قال الصالحي في السيرة الشامية « سبل الهدى والرشاد ... » بعد إيراده اعتراض ابن سيد الناس ٤/٣٩ : قلت : العريش كان ببدر ، والذي ذكر ابن سعد كان في الطريق .

الحسن بن أحمد بن أبي الحديد ، أخبرنا أبو الحسن علي بن موسى بن الحسين السِّمْسار ، أخبرنا أبو القاسم المظفر بن حاجب بن مالك بن أرَّكِين الفَرْغاني ، أخبرنا أبو الحسن محمد ابن يزيد بن عبد الصمد الدمشقي ، حدثنا أحمد ـ يعني ابن أبي أحمد ـ الجرجاني ، حدثنا شبَّابة بن سوار الفِزاري ، حدثنا قيس بن الربيع ، عن الحجَّاج بن أرطاة ، عن الحكم ، عن مِقسم ، عن ابن عباس ؛ أن النبيَّ ﷺ أعطى علياً الراية يومَ بدر ، وهو ابن عشرين سنة[1] .

قال ابن إسحاق : وكانت إبل أصحابِ رسول الله ﷺ يومئذ سبعين بعيراً ، فاعتقبوها ، فكان رسول الله ﷺ وعليّ بن أبي طالب ومَرْثد بن أبي مَرْثد يعتقبون بعيراً ، وكان حمزة وزيدُ بن حارثة وأبو كبشة وأَنَسة موليا رسول الله ﷺ يعتقبون بعيراً ، وكان أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف يعتقبون بعيراً[2] .

وروينا عن ابن سعد : أخبرنا يونس بن محمد المؤدِّب ، حدثنا حمّاد بن سَلَمة ، عن عاصم ، عن زِرّ ، عن ابن مسعود ، قال : كنا يوم بدر كلُّ ثلاثة على بعير ، وكان أبو لبابة وعليّ زَمِيلَي رسولِ الله ﷺ ، فكان إذا كانت عُقبة النبي ﷺ قالا : اركبْ حتى نمشي عنك ، فيقول : « ما أنتما بأقوى مني على المشي ، وما أنا بأغنى عن الأجر منكما »[3] .

انتهى ما رويناه عن ابن سعد ، والمعروف أن أبا لبابة رجع من بئر أبي عِنَبَة ولم يصحبهم إلى بدر ، ردَّه رسولُ الله ﷺ والياً على المدينة ، وقد تقدم .

قال ابن إسحاق : وجعلَ على السَّاقة قيسَ بن أبي صعصعة ، أحدَ بني مازن بن النجار ،

---

(١) حديث ابن عباس ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩٣/٦ وقال : رواه الطبراني وفيه الحجاج بن أرطاة ، وهو مدلس ، وبقية رجاله ثقات .
(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦١٣/١ .
(٣) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢١/٢ ، ورواه الإمام أحمد في المسند ٤١١/١ : حدثنا عبد الله ، حدثني أبي ، حدثنا عفَّان ، حدثنا حماد ... كما رواه الحاكم في المستدرك ٢٠/٣ ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦٩/٦ عن عبد الله بن مسعود ، وقال رواه أحمد والبزار ، وفيه عاصم بن بهدلة ، وحديثه حسن ، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح .

فسلكَ طريقَه من المدينة حتى إذا كان بعِرق الظَّبية لقوا رجلاً من الأعراب ، فسألوه عن الناس فلم يجدوا عنده خبراً ، ثم ارتحلَ حتى أتى على واد يُقال له ذَفِرَان ، وجَزَعَ[1] فيه ثم نزلَ ، فأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم ، فاستشارَ النَّاسَ ، وأخبرهم عن قريش ، فقام أبو بكر الصديق ، فقال وأحسنَ ، ثم قام عمرُ بن الخطاب فقال وأحسنَ ، ثم قام المِقدادُ بن عمرو ، فقال : يا رسول الله ! امضِ لما أمركَ الله ، فنحن معك ، والله لا نقولُ لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهبْ أنتَ وربُّك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن اذهبْ أنتَ وربُّك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فوالذي بعثَك بالحقّ لو سِرتَ بنا إلى بَرْكِ الغِمَاد[2] لجالدنا معك من دونه حتى تبلُغَه . فقال له رسولُ الله ﷺ خيراً ، ودعا له بخير[3] .

ثم قال رسولُ الله ﷺ : أشيروا عليَّ(أيها الناس[4]). فذكر ابنُ عقبة وابنُ عائذ أن عمرَ قال : يا رسول الله ! إنها قريش وعزُّها ، والله ما ذلَّت منذ عزَّتْ ، ولا آمنتْ منذ كفرتْ ، والله لتقاتلنَّك ، فأَهِّبْ[5] لذلك أُهبته ، وأعدد لذلك عدته .

رجع إلى خبر ابن إسحاق : قال : وإنما يريد الأنصار[6] ، وذلك أنهم عدد الناس ، وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا : يا رسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلنا إليها فأنت في ذمتنا ، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا . فكان رسولُ الله ﷺ يتخوَّفُ أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دَهِمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم ، فلما قال ذلك رسولُ الله ﷺ قال : له سعد

---

(١) « وجزعَ فيه » : توسط فيه .

(٢) « برك الغماد » : مكان في اليمن ، وجاء مفسراً في رواية ابن عائذ ، عن عروة مرسلاً : ولو سِرْتَ بنا حتى تبلغَ البركَ من غمد ذي يمن . وقيل : هو موضع من وراء مكة بخمس ليال بناحية الساحل ، وقال القاضي عياض وغيره : هو موضع بأقاصي هجر .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام بتصرف واختصار ١/٦٠٣ - ٦١٥ .

(٤) ما بين القوسين أثبتناه من السيرة النبوية .

(٥) في الأصول « فاتَّهِبْ » وفي شرح المواهب ٢/٤١٢ « فتأَهَّبْ » ، والتصحيح من السيرة الشامية ٤/٤٢ .

(٦) أي في قوله ﷺ : أشيروا عليَّ أيها الناس .

ابن معاذ : لعلك تريدُنا يا رسول الله ؟ فقال : أجل . قال : فقد آمنا بك وصدَّقناك ، وشهدنا أن ما جئتَ به هو الحقُّ ، وأعطيناك على ذلك عهودَنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامضِ يا رسولَ الله لما أردتَ ، فنحن معك ، والذي بعثَكَ بالحقِّ لو استعرضتَ بنا هذا البحر فخضتَه لخضناه معكَ ، ما تخلَّفَ منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدوناً غداً ، إنا لصبرٌ في الحرب ، صدقٌ في اللقاء ، لعلَّ الله يُريكَ منا ما تقرُّ به عينُك ، فسِرْ بنا على بركة الله تعالى[1] .

وقد روينا من طريق[2] مسلم أن الذي قال ذلك سعد بن عبادة سيد الخزرج ، وإنما يُعرف ذلك عن سعد بن معاذ . كذلك رواه ابن إسحاق وابن عقبة وابن سعد وابن عائذ وغيرهم .

واختلف في شهود سعد بن عبادة بدراً ، لم يذكره ابن عقبة ولا ابن إسحاق في البدريين ، وذكره الواقدي والمدائني وابن الكلبي فيهم . وروينا عن ابن سعد : أنه كان يتهيأ للخروج إلى بدر ، ويأتي دورَ الأنصار يحضُّهم على الخروج ، فنُهش[3] قبل أن يخرج ، فأقام ، فقال رسول الله ﷺ : لئن كان سعد لم يشهدْها لقد كان عليها حريصاً[4] . قال : وروى بعضُهم أن رسول الله ﷺ ضرب له بسهمه وأجره وليس ذلك بمجمع عليه ، ولا ثبتَ ، ولم يذكرْه أحد ممن يروي المغازي في تسمية من شهد بدراً ، ولكنه قد شهد أحداً والخندق والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ .

رجع إلى الأول[5] : قال فسُرَّ النبي ﷺ بقول سعد ، ونشَّطه ذلك ، ثم قال : سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني الآنَ أنظرُ إلى مصارع القوم . ثم ارتحلَ رسولُ الله ﷺ من ذَفِران ، ثم نزلَ قريباً من بدر ، فركبَ هو ورجل من أصحابه ـ قال ابن هشام : هو أبو بكر الصديق ـ قال ابن إسحاق : كما حدثني محمد

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٤٨/١ .
(٢) رواه مسلم في كتاب الجهاد والسير (باب غزوة بدر) رقم /١٧٧٩/ .
(٣) « فنُهِشَ » : لُسِعَ .
(٤) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٦١٣/٣ .
(٥) أي إلى ابن إسحاق .

ابن يحيى بن حَبَّان : حتى وقف على شيخ من العرب ، فسأله عن قريش ، وعن محمد وأصحابه ، وما بلغه عنهم ، فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبراني من أنتما . فقال له رسول الله ﷺ : إذا أخبرتنا أخبرناك . فقال الشيخ : ذاك بذاك ؟ قال : نعم . قال الشيخ : فإنه قد بلغني أن محمداً وأصحابَه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذي به رسولُ الله ﷺ ، وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذي أخبرني صدقَ فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذي به قريش . فلما فرغَ من خبره ، قال : ممن أنتما ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : نحن من ماء . ثم انصرف عنه ، قال : يقول الشيخ:ماء ؟ مَنْ ماء ؟ أمن ماءٍ بالعراق[1] ؟ ثم رجع رسولُ الله ﷺ إلى أصحابه ، فلما أمسى بعثَ عليَّ بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وسعد ابن أبي وقاص ، في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون الخبر له عليه ، فأصابوا راويةً[2] لقريش ، فيها أسلمُ غلامُ بني الحجاج ، وعَريضٌ أبو يسار غلامُ بني العاص بن سعيد ، فأتوا بهما فسألوهما ، ورسولُ الله ﷺ قائم يُصلّي ، فقالا : نحنُ سقاة قريش ، بعثونا نسقيهم من الماء . فكره القومُ خبرَهما ، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان ، فضربوهما ، فلما أذلقوهما[3] ، قالا : نحن لأبي سفيان . فتركوهما ، وركعَ رسولُ الله ﷺ وسجد سجدتيه ثم سلَّم ، وقال : إذا صدقاكما ضربتموهما ، وإذا كذباكما تركتموهما ، صدقا ، والله إنهما لقريش . أخبراني عن قريش ؟ قالا : هم وراء هذا الكَثيب الذي ترى بالعُدوة القصوى ، والكثيب العقنقل[4] . فقال لهما رسول الله ﷺ : كم القوم ؟ قالا : كثير . قال : ما عدتهم ؟ قالا : ما ندري . قال : كم ينحرون كلَّ يوم ؟ قالا : يوماً تسعاً ويوماً عشراً . قال رسولُ الله ﷺ : القوم ما بين التسعمائة والألف . ثم قال لهما : فمَن فيهم من أشراف قريش ؟ قالا : عقبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو البَخْتري بن هشام ،

---

(١) كذا في « أ » وهو الصواب ، وفي بقية النسخ وسيرة ابن هشام ، والسيرة الشامية « ما من ماءٍ ؟! أمن ماء العراق ؟ » .

(٢) « راوية » : الراوية : الإبل التي يُستقى عليها الماء .

(٣) « أذلقوهما » : أجهدوهما ضرباً .

(٤) « العَقَنْقَل » : الكثيب العظيم ، المتداخل الرمل .

وحكيم بن حزام ، ونوفل بن خويلد والحارث بن عامر بن نوفل ، وطعيمة بن عدي بن نوفل ، والنضر بن الحارث ، وزمعة بن الأسود ، وأبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف ، ونُبَيْه ومُنَبّه ابنا الحجّاج ، وسهيل بن عمرو ، وعمرو بن عبد وُدّ . فأقبلَ رسولُ الله ﷺ على الناس فقال : هذه مكة قد ألقتْ إليكم أفلاذَ كبدها[1] .

قال ابن عقبة : وزعموا أن أوَّلَ من نحرَ لهم حين خرجوا من مكة أبو جهل بن هشام عشر جزائر[2] ، ثم نحرَ لهم صفوان بن أمية بعُسفان تسع جزائر ، ونحر لهم سهيل بن عمرو بقُديد عشر جزائر ، ومالوا من قُديد إلى مناة من نحو البحر ، فظَلُّوا فيها ، فأقاموا فيها يوماً فنحر لهم شيبة بن ربيعة تسع جزائر ، ثم أصبحوا بالجحفة فنحر لهم عتبة بن ربيعة عشرَ جزائر ، ثم أصبحوا بالأبواء فنحرَ لهم مِقْيَس بن عمرو الجمحي تسعَ جزائر ، ونحرَ لهم العباس بن عبد المطلب عشرَ جزائر ، ونحرَ لهم الحارث بن عامر بن نوفل تسعاً ، ونحرَ لهم أبو البَختريّ على ماء بدر عشر جزائرَ ، ونحرَ لهم مِقْيَس الجمحي على ماء بدر تسعاً ، ثم شغلتهم الحرب فأكلوا من أزوادهم .

وقال ابن عائذ : كان مسيرهم وإقامتهم حتى بلغوا الجحفة عشر ليال .

قال ابن إسحاق : وكان بَسْبَسُ بن عمرو وعديُّ بن أبي الزَّغْبَاء قد مضيا حتى نزلا بدراً ، فأناخا إلى تل قريب من الماء ، ثم أخذا شَنًّاً[3] لهما يستقيان فيه ومجديُّ بن عمرو الجُهني على الماء ، فسمع عديُّ وبَسْبَس جاريتين من جواري الحاضر[4] ، وهما تَلازَمانِ على الماء ، والملزومة تقول لصاحبتها : إنما تأتي العير غداً أو بعد غد ، فأعمل لهم ثم أقضيك الذي لك . فقال مجدي : صدقت ، ثم خلَّص بينهما ، وسمع ذلك عدي وبَسْبَس ، فجلسا

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦١٥/١ ــ ٦١٧ .

(٢) « جزائر » : جمع جَزور ، وهي فَعول بمعنى مفعول ، وهو كل ما يُجزر ــ يُنحر ويُذبح ــ من الإبل ، ذكراً كان أو أنثى .

(٣) « شَنًّاً » : القِرْبة البالية من الجِلْد .

(٤) « الحاضر » : القوم النازلون على الماء ، والتلازم : تعلّق الغريم بغريمه ، والملزومة : التي عليها الدَّيْن لصاحبتها .

على بعيريهما ، ثم انطلقا ، حتى أتيا رسولَ الله ﷺ ، فأخبراه بما سمعا .

ثم أقبل أبو سفيان حتى تقدَّمَ العيرَ حذراً ، حتى ورد الماء ، فقال لمجديّ بن عمرو : هل أحسستَ أحداً ؟ قال : ما رأيت أحداً أنكره ، إلا أني قد رأيتُ راكبين ، قد أناخا إلى هذا التل ، ثم استقيا في شَنٍّ لهما ، ثم انطلقا . فأتى أبو سفيان مُناخهما ، فأخذ من أبعار بعيريْهما ، ففتَّه ثم شمَّه ، فإذا فيه النوى ، فقال : هذه والله علائفُ يثرب ، فرجع إلى أصحابه سريعاً ، فضرب وجهَ عيره عن الطريق ، فساحل بها ، وترك بدراً بيسارٍ ، وانطلق حتى أسرع . وأقبلت قريش ، فلما نزلوا الجحفة ، رأى جُهيم بن أبي الصَّلْت بن مَخرمة بن عبد المطلب بن عبد مناف رؤيا ، فقال : إني فيما يرى النائم ، وإني لبين النائم واليقظان ، إذ نظرتُ إلى رجل أقبل على فرس ، حتى وقف ومعه بعير له ، ثم قال : قُتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمية بن خلف ، وفلان وفلان ـ فعدَّدَ رجالاً ممن قتل يوم بدر من أشراف قريش ـ ثم رأيته ضربَ في لَبَّةِ بعيره ، ثم أرسله في العسكر ، فما بقي خِبَاء من أخبية العسكر إلا أصابَه نَضْحٌ[1] من دمه . قال : فبلغت أبا جهل ، فقال : وهذا أيضاً نبيٌّ آخر من بني المطلب ، سيعلم غداً مَن المقتول إن نحن التقينا .

قال ابن إسحاق : ولما رأى أبو سفيان بن حرب أنه قد أحرز عيرَه ؛ أرسل إلى قريش إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيرَكم ورجالَكم وأموالَكم ، وقد نجَّاها الله ، فارجعوا . فقال أبو جهل بن هشام : والله لا نرجع حتى نردَ بدراً ـ وكان بدر موسماً من مواسم العرب تجتمع لهم به سوق كلَّ عام ـ فنقيم عليه ثلاثاً ، فننحَرُ الجُزُرَ ، ونُطعم الطعام ، ونُسقي الخمر ، وتعزفُ علينا القيانُ ، وتسمع بنا العرب ، وبمسيرنا وجمعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها . وقال الأخنسُ بن شَرِيق ـ وكان حليفاً لبني زهرة ـ يا بني زهرة ! قد نجَّى الله أموالَكم وخلَّص لكم صاحبَكم : مَخرمة بن نوفل ، وإنما نفرتم لتمنعوه ومالَه ، فاجعلوا لي جُبْنَها وارجعوا ، فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في غير ضَيْعةٍ[2] ، لا ما يقول

---

(١) « نَضْحٌ » : رشاش .

(٢) « ضيعة » : مُفتقد .

هذا ، فرجعوا فلم يشهدها زُهْري ولا عَدَوِيٌّ أيضاً . ومضى القوم ، وكان بين طالب ابن أبي طالب – وكان في القوم – وبينَ بعض قريش محاورةٌ ، فقالوا : والله لقد علمنا يا بني هاشم وإن خرجتم معنا إن هواكم لمع محمد . فرجع طالبٌ إلى مكة مع من رجع ، ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي خلف العقنقل وبطن الوادي ، وبعثَ الله السماء ، وكان الوادي دَهَساً[1] ، فأصابَ رسولَ الله ﷺ وأصحابَه منها ما لبَّدَ لهم الأرضَ ولم يمنعهم من المسير ، وأصاب قريشاً منها ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه ، فخرج رسولُ الله ﷺ يبادرُهم إلى الماء ، حتى جاء أدنى ماء من بدر فنزل به .

قال ابن إسحاق : فحُدِّثتُ عن رجال من بني سلمة أنهم ذكروا أن الحُبابَ بن المنذر ابن الجَموح قال : يا رسول الله ! أرأيتَ هذا المنزل ، أمنزلٌ أنزلكَه الله ليس لنا أن نتقدمَه ولا أن نتأخرَ عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة . قال : يا رسول الله ! إن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ، ثم نُغوِّرُ ما وراءَه من القُلُب[2] ، ثم نبني عليه حوضاً فنملأه ماء ، فنشرب ولا يشربون . فقال رسول الله ﷺ : لقد أشرتَ بالرأي ، فنهضَ رسول الله ﷺ ومن معه من الناس ، فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم فنزل عليه ، ثم أمر بالقُلُب فغوِّرت ، وبنى حوضاً على القَليب الذي نزل عليه ، فمُلِئَ ماءً ، ثم قذفوا فيه الآنية[3] .

وروينا عن ابن سعد في هذا الخبر : فنزلَ جبريل عليه السلام على النبي ﷺ ، فقال : الرأي ما أشار به الحُباب[4] .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حُدِّثَ أن سعدَ بن معاذ ، قال : يا نبيَّ الله ! ألا نبني لك عريشاً تكون فيه ، ونُعِدُّ عندك ركائبَك ، ثم نلقى عدوَّنا ، فإن أعزَّنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلستَ على ركائبك

---

(١) « دَهَساً » : سهلاً .

(٢) « نُغوِّر ما وراءَه من القُلُب » : القُلب : جمع قليب ، وهو البئر . وتغويرها : دفنها وطمسها ، ويروى بالعين المهملة ، وهو الإفساد .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٦١٧ – ٦٢٠ .

(٤) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/١٥ .

فلحِقْتَ بمن وراءَنا ، فقد تخلَّفَ عنك أقوامٌ يا نبيَّ الله ما نحنُ بأشدَّ لك حباً منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلَّفوا عنك ، يمنَعُك الله بهم ، يُناصحونك ويُجاهدون معك ، فأثنى عليه رسولُ الله ﷺ خيراً ودعا له بخير ، ثم بُني لرسول الله ﷺ عريشٌ ، فكان فيه .

قال ابن إسحاق : وقد ارتحلتْ قريش حين أصبحت ، فأقبلت ، فلما رآها رسولُ الله ﷺ تُصوِّبُ من العقنقل ــ وهو الكثيب الذي جاؤوا منه ــ إلى الوادي ، قال : اللهم هذه قريش قد أقبلتْ بخُيلائها وفخرها تُحادُّك وتُكذِّبُ رسولَك ، اللهم فنصرَك الذي وعدتني ، اللهم أحِنْهُم[1] الغداةَ .

وقد قال رسولُ الله ﷺ ــ ورأى عتبة بن ربيعة في القوم على جمل له أحمر ــ إن يكُ في أحد من القوم خيرٌ فعند صاحب الجمل الأحمر ، إن يُطيعوه يَرشدوا[2] .

وقد كان خُفاف بن إيماء بن رَحَضَة ــ أو أبوه إيماء بن رَحَضَة الغِفاري ــ بعث إلى قريش حين مروا به ابناً له بجزائرَ أهداها لهم ، وقال : إن أحببتم أن نمدَّكم بسلاح ورجال فعلنا ، قال : فأرسلوا إليه مع ابنه : أنْ وَصَلَتْكَ رَحِم ، قد قضيتَ الذي عليك ، فلعمري لئن كنا إنما نقاتل الناسَ ما بنا من ضعف عنهم ، ولئن كنا إنما نُقاتلُ الله كما يزعمُ محمد ما لأحد بالله من طاقة .

فلما نزلَ الناسُ أقبل نفرٌ من قريش حتى وردوا حوضَ رسول الله ﷺ ، منهم حكيم بن حزام ، فقال رسول الله ﷺ : دعوهم . فما شربَ منه رجل يومئذ إلا قُتل ، إلا ما كان من حكيم بن حزام فإنه لم يُقتل ، ثم أسلم بعد ذلك فحسُن إسلامه ، فكان إذا اجتهد في يمينه ، قال : لا والذي نَّجاني من يوم بدر .

قال : وحدثني أبي رحمه الله إسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم ، عن أشياخ من الأنصار ، قالوا : لما اطمأن القوم بعثوا عمير بن وهب الجمحي ، فقالوا : احزرْ[3] لنا

---

(١) « أحِنْهُم » : أهلكهم ، من الحَيْن وهو الهلاك .

(٢) وقد كان عُتبةُ ينهى قومه عن القتال ، كما في السيرة الشامية ٤/٥٠ ويقول : يا قوم ! اعصبوها برأسي وقولوا : جَبُن عُتْبة . وأبو جهل يأبى .

(٣) « احزُرْ » : أمر من الحزر ، وهو التقدير بالحدس والظن .

أصحابَ محمد ، فاستجال بفرسه حول العسكر ، ثم رجع إليهم ، فقال : ثلاثمائة رجل يزيدون قليلاً أو ينقصون ، ولكن أمهلوني حتى أنظر أللقوم كمين أو مدد ؟ قال : فضرب في الوادي حتى أبعدَ فلم يرَ شيئاً ، فرجع إليهم فقال ما رأيتُ شيئاً ، ولكني قد رأيتُ يا معشر قريش البلايا[1] تحملُ المنايا ، نواضحُ يثرب تحمل الموتَ الناقع ، قومٌ ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، والله ما أرى أن يُقتلَ رجل منهم حتى يُقتلَ رجلٌ منكم ، فإذا أصابوا منكم أعدادهم ، فما خير العيش بعد ذلك ، فرُوا رأيكم . فلما سمع حكيمُ ابن حِزام ذلك مشى في الناس ، فأتى عتبةَ بن ربيعة ، فقال : يا أبا الوليد إنك كبيرُ قريش وسيّدُها والمطاعُ فيها ، هل لك إلى أن لا تزال تذكر منها بخير إلى آخر الدهر ؟ قال : وما ذاكَ يا حكيم ؟ قال : ترجعُ بالناس ، وتحملُ أمرَ حليفك عمرو بن الحضرمي . قال : قد فعلت ، أنتَ علي بذلك ، إنما هو حليفي فعلي عَقْلُه وما أُصيب من ماله ، فائت ابن الحنظلية[2] ــ يعني أبا جهل بن هشام ــ ثم قام عتبة خطيباً ، فقال : يا معشر قريش ! إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً ﷺ وأصحابَه شيئاً ، والله لئن أصبتموه لا يزالُ رجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه ، قتل ابن عمه وابن خاله ورجلاً من عشيرته ، فارجعوا وخلُّوا بين محمد وبين سائر العرب ، فإن أصابوه فذاك الذي أردتُم ، وإن كان غير ذلك ألفاكم و لم تَعرَّضوا منه ما تُريدون . قال حكيم : فانطلقتُ حتى جئتُ أبا جهل ، فوجدتُه قد نَثَل[3] درعاً له من جرابها ، فقلت له : يا أبا الحكم ! إن عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا ، للذي قال . فقال انتفخَ والله سَحْرُه[5] حين رأى محمداً وأصحابَه ، كلا والله لا نرجعُ حتى يحكمَ الله بيننا وبين محمد ، وما بعتبةَ ما قال ، ولكنه قد رأى أن محمداً وأصحابَه أكلةُ جزور ، وفيهم ابنه ، قد تخوَّفَ عليه ، ثم بعث إلى عامر الحضرمي ، فقال

---

(١) « البلايا » : جمع بلية ، وهي الناقة ، أو الدابة تربط على قبر الميت ، فلا تُعلف ولا تُسقى حتى تموت ، كما في النهاية ؛ لابن الأثير ١/١٥٦ .

(٢) قال ابن هشام : الحنظلية أم أبي جهل ، وهي أسماء بنت مُخرِّبة ، أحد بني نَهْشل بن دارم بن مالك ابن حَنْظلة من تميم .

(٣) « نَثَل » : أخرج .

(٤) « انتفخَ والله سَحْره » : السَّحْر : الرئة ، وما حولها ، مما يَعْلَقُ بالحلقوم من فوق السُّرة ، والعبارة كناية عن الجبن .

هذا حليفُك يُريد أن ترجعَ بالناس ، وقد رأيتَ ثأرَك بعينيك ، فقم فانشدْ خُفْرَتَك[١] ومقتلَ أخيك . فقام عامرُ بن الحضرمي فاكتشفَ ، ثم صرخَ واعمراه واعمراه ، فحميت الحرب ، وحَقِبَ[٢] أمرُ الناس واستوسقوا[٣] على ما هم عليه من الشر ، وأُفسدَ على الناس الرأيُ الذي دعاهم إليه عُتبة .

فلما بلغ عُتبة قول أبي جهل : انتفخ والله سَحْره ، قال : سيعلم مُصَفِّرُ استِه[٤] من انتفخ سَحْره ؟ أنا أم هو ؟ ثم التمس عتبة بيضة[٥] ليُدخلَها في رأسه ، فما وجد في الجيش بيضة تسعه من عظم هامته ، فلما رأى ذلك اعتجرَ على رأسه ببرد[٦] له .

وقال ابن عائذ : وقال رجال من المشركين لما رأوا قلة أصحاب رسول الله ﷺ : غرَّ هؤلاء دينُهم ، منهم أبو البَختري بن هشام ، وعُتبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام — وذكرَ غيرهم — لما تقالُّوا أصحابَ رسول الله ﷺ في أعينهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ﴾ [الأنفال : ٤٩] الآية . حتى نزلوا وتعبؤوا للقتال ، والشيطان معهم لا يفارقهم .

قال ابن إسحاق : وقد خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي ، وكان رجلاً شرساً سيّءَ الخلق ، فقال : أعاهدُ الله لأشربنَّ من حوضهم ، أو لأهدمنَّه ، أو لأموتن دونه ، فلما خرج ، خرج إليه حمزةُ بن عبد المطلب ، فلما التقيا ضَربه حمزةُ فأطنَّ[٧] قدمه بنصف ساقه ، وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره تشخبُ رجله دماً نحو أصحابه ، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه ، يريد أن تبر[٨] يمينُه ، واتبعه حمزة فضربه حتى قتله في

(١) « فانشدْ خُفْرَتكَ » : أي اطلب من قريش الوفاء بعهدهم لك .
(٢) « حَقِبَ أمر الناس » : اشتد .
(٣) « استوسقوا » : اجتمعوا .
(٤) « مُصَفِّرُ استِه » : يُريد صفرة الطيب ، والعبارة كناية عن الترفه وعدم الغزو والقعود عن الحروب .
(٥) « البَيْضة » : الخوذة . والاعتجار : لف العمامة ونحوها على الرأس .
(٦) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٦٢٠ — ٦٢٤ .
(٧) « أطنَّ » : أسرع قطعها فطارت .
(٨) في الأصول : « يريدُ (زعم) أنْ تبرَّ يمينُه » .

الحوض . ثم خرج بعده عتبةُ بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ، حتى إذا فصلَ من الصف دعا إلى المبارزة ، فخرج إليه فتية من الأنصار ، وهم : عوف ، ومعوّذ ابنا الحارث – وأمُّهما عفراء – ورجل آخر يُقال هو عبد الله بن رواحة ، فقالوا : من أنتم ؟ قالوا : رهط من الأنصار . قالوا : ما لنا بكم من حاجة[1] .

وقال ابن عقبة وابن عائذ حين ذكروا خروج الأنصار ، قال : فاستحيا النبيّ ﷺ من ذلك ، لأنه كان أوّلَ قتال التقى فيه المسلمون والمشركون ، ورسول الله ﷺ شاهد معهم ، فأحبَّ النبيُّ ﷺ أن تكون الشوكة لبني عمه ، فناداهم النبي ﷺ أن ارجعوا إلى مصَافِّكم وليقم إليهم بنو عمهم .

رجع إلى ابن إسحاق : ثم نادى مناديهم : يا محمد أخرجْ إلينا أكفاءَنا من قومنا . فقال النبي ﷺ : قم يا عبيدة بن الحارث ، وقم يا حمزة ، وقم يا علي . فلما قاموا ودنوا منهم ، قالوا : من أنتم ؟ قال : عُبيدة : عبيدة . وقال حمزة : حمزة . وقال علي : عليٌّ . قالوا : نعم ، أكفاء كرام . فبارز عُبيدة – وكان أسنَّ القوم – عتبةَ بن ربيعة ، وبارز حمزةُ شيبةَ بن ربيعة ، وبارزَ عليٌّ الوليدَ بن عتبة . فأما حمزة فلم يُمهل شيبة أن قتله ، وأما عليٌّ فلم يُمهل الوليدَ أن قتله ، واختلف عُبيدةُ وعُتبة بينهما ضربتين ، كلاهما أثبتَ[2] صاحبَه ، وكرَّ حمزةُ وعليٌّ بأسيافهما على عُتبة فذففا[3] عليه ، واحتملا صاحبهما فحازاه[4] إلى أصحابه .

قال : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن عتبة بن ربيعة قال للفتية من الأنصار حين انتسبوا : أكفاء كرام ، إنما نريدُ قومَنا . قال : ثم تزاحفَ الناسُ ، ودنا بعضُهم من بعض ، وقد أمَرَ رسولُ الله ﷺ أصحابَه أن لا يحملوا حتى يأمُرَهم ، وقال : إن اكتنفكم القومُ فانضحوهم عنكم بالنبل ، ورسول الله ﷺ في العريش معه أبو بكر الصديق .

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٦٢٤ .
(٢) « أثبت صاحبَه » : أصابَ منه مقتلاً .
(٣) « فَذَفَّفَا عليه » : أجهزا عليه وأتمَّا قتلَه .
(٤) « فحازاه » : ضمَّاه .

قال : وحدثني حَبَّان بن واسع بن حَبَّان ، عن أشياخ من قومه ، أن رسولَ الله ﷺ عدَّل صفوفَ أصحابه يوم بدر ، وفي يده قِدْح يُعدِّل به القوم ، فمرَّ بسواد بن غَزِيّة حليف بني عدي بن النجار ، وهو مستنتلٌ[1] من الصف ، قال ابن هشام : فطعن في بطنه بالقِدْح ، وقال : استو يا سواد . فقال : يا رسول الله أوجعتني ، وقد بعثك الله بالحقّ والعدل ، فأقدني[2] . قال : فكشف رسولُ الله ﷺ عن بطنه ، وقال : استقدْ . فاعتنقه فقبَّلَ بطنه . فقال : ما حملَكَ على هذا يا سواد ؟ قال : يا رسول الله ! حضرَ ما ترى ، فأردتُ أن يكونَ آخرُ العهدِ بك أن يَمَسَّ جلدي جلدَك . فدعا له رسولُ الله ﷺ بخير وقاله له .

قال ابن إسحاق : ثم عدَّل رسولُ الله ﷺ الصفوفَ ورجع إلى العريش فدخله ومعه أبو بكر ليس معه فيه غيره ، ورسولُ الله ﷺ يُناشد ربَّه ما وعدَه من النصر ، ويقول فيما يقول : اللهم إن تهلك هذه العِصَابة اليوم لا تعبد . وأبو بكر يقول : يا رسول الله ! بعضَ مناشدتِكَ ربَّك ، فإن الله منجزٌ لك ما وعدك . وقد خفقَ[3] رسولُ الله ﷺ خفقةً وهو في العريش ، ثم انتبه ، فقال : أبشر يا أبا بكر ، أتاك نصرُ الله ، هذا جبريلُ آخذٌ بعِنان فرسه يقودُه ، على ثناياه النقع[4] — يريدُ الغبار — .

وقال ابن سعد في هذا الخبر : وجاءت ريح لم يروا مثلَها شدةً ، ثم ذهبت فجاءت ريح أخرى ، ثم ذهبت فجاءت ريح أخرى ، فكانت الأولى جبريل في ألف من الملائكة مع رسول الله ﷺ ، والثانية ميكائيل في ألف من الملائكة عن ميمنة رسول الله ﷺ ، والثالثة إسرافيل في ألف من الملائكة عن ميسرة رسول الله ﷺ[5] .

وروينا من طريق مسلم ، حدثنا هَنّاد بن السري ، حدثنا ابن المبارك ، عن عكرمة ابن عمّار ، قال : حدثني سِمَاك الحنفي ، قال : سمعت ابنَ عباس يقول : حدثني عمرُ

---

(١) « مستنتل » : متقدم . قال ابن هشام : ويُقال : مستنصل .

(٢) « فأَقِدْني » : اقتصَّ لي من نفسِكَ .

(٣) « خفق » : غلبه النعاس وهو جالسٌ حتى هوت ذَقْنُه على صدره .

(٤) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٦٢٥ — ٦٢٦ .

(٥) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/١٦ .

ابن الخطاب رضي الله عنه ، قال : لما كان يومُ بدرٍ نظرَ رسولُ الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف ، وأصحابه ثلاثمائة وسبعة عشر رجلاً ، فاستقبلَ نبيُّ الله ﷺ القبلةَ ، ثم مدَّ يديه ، فجعلَ يهتفُ بربِّه : « اللهم أنجزْ لي ما وعدتني » وفيه : فأنزل الله عز وجل عند ذلك : ﴿ إذ تستغيثونَ رَبَّكم فاستجابَ لكم أني مُمِدُّكُم بألفٍ من الملائكة مُردفين ﴾ [الأنفال : ٩] فأمدَّه الله بالملائكة .

قال أبو[١] زُمَيل : فحدثني ابنُ عباس قال : بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه ، إذ سمع ضربةً بالسوط فوقه ، وصوتُ الفارس يقول أقدمْ حيزومُ[٢] ، فنظرَ إلى المشرك أمامه خرَّ مستلقياً ، فنظر إليه فإذا هو قد خُطم[٣] أنفُه وشُقَّ وجهُه ، كضربة السوط ، فاخضرَّ ذلك أجمع ، فجاء الأنصاري فحدَّثَ بذلك رسولَ الله ﷺ ، فقال : « صدقتَ ، ذلك من مَدَدِ السماء الثالثة » فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين .. الحديث[٤] .

وروينا من طريق البخاري : حدثني إبراهيم بن موسى ، أخبرنا عبد الوهاب ، حدثنا خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ أن النبيَّ ﷺ قالَ يومَ بدرٍ : « هذا جبريلُ آخذٌ برأس فرسِهِ عليه أداة الحرب »[٥] .

وروينا عن ابن سعد : أخبرنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا أيوب ويزيد بن حازم ؛ أنهما سمعا عكرمة يقرأُ[٦] : ﴿ فَثَبِّتوا الذينَ آمنوا ﴾ قال حماد : وزاد أيوب ، قال قال عكرمة : ﴿ فاضرِبوا فوقَ الأعناق ﴾ [الأنفال : ١٢] قال : كان يومئذ يَنذُر رأسُ الرجل لا يُدرى من ضربه ، وتندرُ يدُ الرجل لا يُدرى من ضَرَبه[٧] .

(١) أبو زُميل : هو سِماك الحنفي ، راوي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما .
(٢) « أَقْدِمْ حيزومُ » : أقدِمْ : بفتح همزة القطع ، وكسر الدال ، من الإقدام ، وهي كلمة زجر للفرس معلومة في كلامهم . وحيزوم : اسم فرس المَلَك ، وهو منادى بحذف حرف النداء ، أي يا حيزوم .
(٣) « خُطم أنفه » : الخطم : الأثر على الأنف .
(٤) رواه مسلم في كتاب الجهاد والسير (باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر) رقم /١٧٦٣/ .
(٥) رواه البخاري في كتاب المغازي (باب شهود الملائكة بدراً) رقم /٣٩٩٥/ .
(٦) كذا في الطبقات ، وفي الأصول « يقرؤها » .
(٧) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/٢٥ ــ ٢٦ .

قال ابن إسحاق : وقد رُمي مِهْجع مولى عمر بن الخطاب بسهم فقُتل ، فكان أوّلَ قتيل من المسلمين ، ثم رمي حارثةُ بن سراقة ــ أحد بني عدي بن النجار وهو يَشرب من الحوض ــ بسهم ، فأصاب نحرَه فقُتل . ثم خرج رسولُ الله ﷺ إلى الناس فحرَّضهم ، وقال : والذي نفسُ محمد بيده لا يُقاتلُهم اليومَ رجلٌ فيقتلُ صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة . فقال عُميرُ بن الحُمام ــ أخو بني سَلِمة ، وفي يده تمرات يأكلهن ــ : بخٍ بخٍ أفما بيني وبين أن أدخلَ الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ؟ قال : ثم قذفَ التمراتِ من يده وأخذ سيفَه فقاتل القوم حتى قُتل[1] .

وقال ابن عُقبة : أوّلُ قتيل من المسلمين يومئذٍ عُمير بن الحُمام .

وقال ابنُ سعد : فكان أوّلَ من خرجَ من المسلمين مِهجعُ مولى عمر بن الخطاب ، فقتله عامرُ بن الحضرمي . وكانَ أوّلَ قتيل قُتل من الأنصار حارثةُ بن سُراقة ، ويُقال : قتله حِبَّان بن العَرِقة ، ويُقال : عُمير بن الحُمام قتلَه خالد بن الأعلم العُقيلي[2] .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ؛ أن عوفَ بن الحارث ــ وهو ابن عفراء ــ قال : يا رسول الله ، ما يُضحكُ الربَّ من عبده ؟ قال : غمسُهُ يدَه في القوم[3] حاسراً . فنزعَ درعاً كانت عليه ، فقذفها ، ثم أخذ سيفَه فقاتل القومَ حتى قُتل . وحدثني محمد بن مسلم ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَير العُذْري ــ حليف بني زهرة ــ أنه حدثه ، أنه لما التقى الناسُ ودنا بعضُهم من بعض ، قال أبو جهل : اللهم أقطعنا للرحم ، وآتانا بما لا يُعرف ، فأحِنْه الغداةَ . فكان هو المُستفتحُ[4] على نفسه . قال : ثم إن رسولَ الله ﷺ أخذَ حفنةً من الحَصباء فاستقبلَ بها قريشاً ، ثم قال : شاهتِ الوجوهُ . ثم نفحهم بها ، وأمر أصحابَه ، فقال : شُدُّوا . فكانت الهزيمة ، فقتل الله من قُتل من صناديد قريش وأُسر من أُسر من أشرافهم[5] .

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٢٧/١ .

(٢) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ١٦/٢ ــ ١٧ .

(٣) كذا في « أ » و« ب » وفي السيرة النبوية ؛ لابن هشام و« ج » : « غمسُه يده في العدو ... » .

(٤) « المستفتح على نفسه » : أي : أن أبا جهل كان هو الحاكمُ على نفسه بهذا الدعاء .

(٥) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٢٧/١ ــ ٦٢٨ .

قال ابن عُقبة وابن عائذ : فكانت تلك الحصباء عظيماً شأنها ، لم تترك من المشركين رجلاً إلا ملأتْ عينيه ، وجعل المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم ، وبادر[1] النفرُ ، كلُّ رجلٍ منهم ــ منكباً على وجهه ــ لا يدري أين يتوجه ، يعالجُ الترابَ ينزعه من عينيه .

رجع إلى خبر ابن إسحاق : فلما وضعَ القومُ أيديهم ، يأسِرون ، ورسولُ الله ﷺ في العريش ، وسعد بن معاذ قائمٌ على باب العريش الذي فيه رسول الله ﷺ متوشحٌ السيفَ في نفر من الأنصار ، يحرسون رسولَ الله ﷺ ، يخافون عليه كَرَّةَ العدو ، ورأى رسولُ الله ﷺ ــ فيما ذكر لي ــ في وجه سعد بن معاذ الكراهيةَ لما يصنعُ النَّاسُ ، فقال له رسولُ الله ﷺ : والله لكأنك يا سعد تكرهُ ما يصنعُ القوم ؟ قال : أجل والله يا رسولَ الله : كانت أوّلَ وقعة أوقعَها الله بأهل الشرك ، فكان الإثخانُ في القتل أحبَّ إليَّ من استبقاء الرجال .

قال : وحدثني العبّاسُ بن عبد الله بن مَعبد ، عن بعض أهله ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ؛ أن النبي ﷺ قال لأصحابه يومئذ : إني قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرِهم قد أُخرجوا كُرهاً ، لا حاجة لهم بقتالنا ، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتلْه ، ومن لقي أبا البختري بن هشام فلا يقتلْه ، ومن لقي العبَّاسَ بنَ عبد المطلب فلا يقتلْه ، فإنما خرج مُستكرَهاً[2] .

وذكر ابنُ عقبة فيهم عَقيلاً ونوفلاً .

قال[3] : فقال أبو حذيفة : أَنقتلُ آباءنا وإخواننا وعشيرتَنا ونتركُ العبَّاسَ ، والله لئن لقيتُه لأُلجمنَّه السيفَ ، قال : فبلغتْ رسولَ الله ﷺ ، فقال لعمر بن الخطاب : يا أبا حفص ! ــ فقال عمر : والله إنه لأوّلُ يوم كنّاني فيه رسولُ الله ﷺ بأبي حفص ــ أَيضربُ وجهُ عمِّ رسول الله ﷺ بالسيف ؟ فقال عمر : يا رسول الله ! دعني فلأضربْ عنقَه بالسيف ، فوالله لقد نافق . فكان أبو حذيفة يقولُ : ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلتُها يومئذ ، ولا أزالُ منها خائفاً إلا أن تكفرها عني الشهادةُ . فقُتل يوم اليمامة شهيداً .

---

(١) « بادرَ النفرُ » : أسرعَ المشركون .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٦٢٨ ــ ٦٢٩ .

(٣) أي ابن إسحاق .

فلقي أبا البختري المُجَذَّرُ بن ذياد البلوي ، فقال له : إن رسولَ الله ﷺ قد نهانا عن قتلك . ومع أبي البختري زميل له خرج معه من مكة ، وهو جُنادة بن مُليحة . قال : وزميلي ؟ قال له المُجَذَّر : لا والله ، ما نحن بتاركي زميلَك ، ما أمرنا رسولُ الله ﷺ إلا بك وحدَكَ . قال : لا والله إذن لأموتنَّ أنا وهو جميعاً ، لا تُحدِّث عني نساءُ مكة أني تركت زميلي حِرْصاً على الحياة . فقتلَه المُجَذَّر ، ثم أتى رسولَ الله ﷺ ، فقال : والذي بعثَك بالحقِّ لقد جَهْدِتُ عليه أن يستأسرَ فآتيك به ، فأبى إلا أن يقاتلني ، فقاتلني فقتلتهُ(1) .

قال ابن عقبة : ويزعمُ ناسٌ أن أبا اليَسَر قَتَلَ أبا البختريّ بن هشام ، ويأبى عُظْمُ الناس إلا أن المُجَذَّر هو الذي قتله ، بل قتله من غير شك أبو داود المازني وسلبه سيفَه ، فكان عند بنيه حتى باعه بعضُهم من بعض ولد أبي البَختريّ .

قال ابن إسحاق : حدثني يحيى بن عباد ، عن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، قال : وحدثنيه أيضاً عبدُ الله بن أبي بكر وغيرُهما ، أن عبد الرحمن بن عوف لقيه أميّةُ بن خلف ، ومعه ابنُه علي ، ومع عبد الرحمن أدراعٌ استلبَها ، قال : هل لك فيَّ ؟ فأنا خيرٌ لك من هذه الأدراع التي معك . قال : قلت : نعم ، فطرحت الأدراعَ من يديَّ ، وأخذت بيده ويد ابنه ، وهو يقول : ما رأيتُ كاليوم ِ قط ! أما لكم حاجة في اللبن ؟ ثم خرجتُ أمشي بهما(2) .

قال : حدثني عبدُ الواحد بن أبي عون ، عن سعد بن إبراهيم عن أبيه ، عن عبد الرحمن ابن عوف ، أن أمية بن خلف قال له : من الرجل منكم المُعْلِمُ بريشةِ نَعامة في صدره ؟ قال : قلت ذاك حمزة بن عبد المطلب . قال : ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل . قال عبدُ الرحمن : فوالله إني لأقودُهما إذ رآه بلال معي ، وكان هو الذي يُعذِّبُ بلالاً بمكة على ترك الإسلام ، فيخرجه إلى رمضاءِ مكة إذا حميت ، فيضجعه على ظهره ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتُوضع على صدره ، ثم يقول : لا تزالُ هكذا أو تُفارقَ دينَ محمد . فيقول بلال :

---

(1) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٢٩/١ .
(2) السيرة النبوية ٦٣٢/١ وقال ابن هشام : يريد باللبن ، أن من أسرني افتديت منه بإبل كثيرة اللَّبَن .

أحد أحد . قال : فلما رآه قال : رأس الكفر أميّةُ بن خلف ؟ لا نجوتُ إن نجا . قال : قلتُ أيْ بلال ، أبأسيريَّ ؟ قال : لا نجوت إن نجا . قال : ثم صرخَ بأعلى صوته : يا أنصار الله ! رأسُ الكفر أميّةُ بن خلف ، لا نجوتُ إن نجا . قال : فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المَسَكة[1] وأنا أذبُّ عنه . قال : فأخلفَ رجلٌ السيفَ فضربَ رجل ابنه فوقعَ ، وصاح أميةُ بنُ خلف صيحةً ما سمعتُ مثلَها قط . قال : فقلتُ انجُ بنفسك ولا نجاءَ به ، فوالله ما أغني عنك شيئاً . قال : فهبَّروهما بأسيافهم حتى فرغوا منهما . قال : فكان عبد الرحمن يقول : يرحمُ الله بلالاً ، ذهبت أدراعي وفجعني بأسيريَّ[2] .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، أنه حُدِّث عن ابن عباس ، قال : حدثني رجل من بني غفار ، قال : أقبلتُ أنا وابنُ عم لي ، حتى أصعدنا في جبل يُشرف بنا على بدر ، ونحن مُشركان ننتظر الوقعة على من تكون الدَّبْرة[3] ، فننتهبُ مع من ينتهب . قال : فبينا نحن في الجبل إذ دنت منا سحابةٌ ، فسمعنا فيها حمحمةَ الخيل ، فسمعتُ قائلاً يقول : أَقْدم حيزومُ . فأما ابنُ عمي فانكشفَ قناعُ قلبه ، فمات مكانه . وأما أنا فكدت أهلكُ ثم تماسكت .

قال : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن بعض بني ساعدة ، عن أبي أُسيد مالك ابن ربيعة ، وكان قد شهد بدراً ، قال بعد أن ذهب بصره : لو كنتُ اليومَ ببدرٍ ومعي بصري لأريتُكم الشِّعبَ الذي خرجت منه الملائكةُ ، لا أشك ولا أتمارى .

قال : وحدثني أبي إسحاقُ بن يسار ، عن رجال من بني مازن بن النجار ، عن أبي داود المازني ــ وكان شهد بدراً ــ قال : إني لأتْبَعُ رجلاً من المشركين يومَ بدر لأضربَه ؛ إذ وقع رأسُه قبلَ أن يصل إليه سيفي ، فعرفتُ أنه قد قتله غيري[4] . وحدثني من لا أتهمُ عن مِقْسم مولى عبد الله بن الحارث ، عن عبد الله بن عباس ، قال : كانت

(١) « المَسَكَة » : السُّوار والخلخال ، أي : أحدقوا بنا وجعلونا في حلقة كالسوار .
(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٣٢/١ .
(٣) « الدَّبْرة » الهزيمة .
(٤) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨٣/٦ وقال : رواه الإمام أحمد وفيه رجل لم يُسَم .

سيما الملائكة يوم بدر عمائمَ بيضاً ، قد أرسلوها في ظهورهم ، ويومَ حنين عمائمَ حمراً[1] .

وروينا هذا الخبرَ من طريق مالك بن سليمان الهروي ، عن الهِيَاج ، عن الحسن بن عُمارة ، عن الحكم ، عن مِقسم ، عن ابن عباس بمعناه ، ولم تقاتل الملائكة في يوم سوى يوم بدر ، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عدداً ومدداً لا يضربون[2] .

وذكر ابنُ هشام عن بعض أهل العلم أن جبريلَ عليه السلام كانت عليه يومَ بدر عِمامةٌ صفراء[3] ، وكان شعارهم[4] يومَ بدرٍ أحد أحد .

قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسولُ الله ﷺ من عدوّه أمر بأبي جهل أن يُلتمسَ في القتلى ، وكان أوّلَ من لقي أبا جهل كما حدثني ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس وعبدُ الله بن أبي بكر أيضاً قد حدثني ذلك ، قالا : قالا : معاذ بن عمرو بن الجَموح – أخو بني سَلِمةَ – : سمعتُ القوم وأبو جهل في مثل الحَرَجة ، وهم يقولون : أبو الحكم لا يُخلص إليه . قال : فلما سمعتها جعلتُه من شأني ، فصمدتُ نحوه ، فلما أمكنني حملتُ عليه فضربته ضربةً أطنت قدمَه بنصف ساقه ، فوالله ما شبَّهتها حين طاحت إلا بالنواة تطيحُ من تحت مِرْضخة النوى حين يُضرب بها ، قال : وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي ، فتعلقت بجلدة من جسمي ، وأجهضني القتالُ عنه ، فلقد قاتلت عامة يومي ، وإني لأسحبُها خلفي ، فلما آذتني وضعتُ عليها قدمي ، ثم تمطّيتُ بها عليها حتى طرحتُها[5] .

قال القاضي أبو الفضل عِياضُ بنُ موسى : وزاد ابنُ وهب في روايته : فجاء يَحمل يدَه فبصقَ عليها رسولُ الله ﷺ فلصقت[6] .

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٦٣٣ .

(٢) إسناد الحديث ضعيف جداً ، فيه مالك بن سليمان الهروي ضعيف ، والهَيَّاج بن بِسطاح فيه ضعف أيضاً ، والحسن بن عمارة متروك . والحديث رواه ابن إسحاق عمن لا يتهمه ، عن مِقسم ..

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٦٣٣ – ٦٣٤ .

(٤) وكان شعارهم : أي شعار المسلمين ، والشعار : العلامة التي يتعارفون بها للقتال .

(٥) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٦٣٤ .

(٦) الشفاء ؛ للقاضي عياض ١/٦٢٢ .

قال ابن إسحاق : ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمن عثمان . ثم مر بأبي جهل – وهو عقير – مُعَوِّذُ بن عفراء ، فضرَبه حتى أثبتَه وبه رمق . وقاتل مُعَوِّذُ حتى قُتل . فمرَّ عبدُ الله بن مسعود بأبي جهل حين أمرَ رسولُ الله ﷺ أن يُلتمسَ في القتلى ، وقد قال لهم رسولُ الله ﷺ فيما بلغني : انظروا إن خفي عليكم في القتلى إلى أثر جُرح في ركبته ، فإني ازدحمت يوماً أنا وهو على مأدبةٍ لعبد الله بن جُدعان ، ونحن غلامان ، وكنت أشفَّ[1] منه بيسير ، فدفعته فوقع على ركبتيه ، فجُحِشَ[2] على أحدهما جَحْشاً لم يزل أثرُه به . قال عبدُ الله بن مسعود فوجدته بآخر رمقٍ ، فعرفته ، فوضعت رجلي على عنقه – قال : وقد كان ضَبَثَ بي[3] مرة بمكة فآذاني ولكزني – ثم قلت له : هل أخزاكَ الله يا عدوَّ الله ؟ قال : وبماذا أخزاني ؟ أَعْمَدُ[4] من رجل قتلتموه ؟ أخبرني لمن الدَّبْرَة اليوم ؟ قال : قلت لله ولرسوله . قال ابن هشام : ويقال : أعارٌ على رجل قتلتموه ؟ أخبرني لمن الدائرة اليوم ؟ . قال ابنُ إسحاق : وزعم رجالٌ من بني مخزوم أن ابن مسعود كان يقول : قال لي : لقد ارتقيتَ يا رويعيَ الغنم مرتقًى صعباً . قال : ثم احتززتُ رأسَه ، ثم جئتُ به رسولَ الله ﷺ ، فقلتُ : يا رسول الله ! هذا رأسُ عدوّ الله أبي جهل . قال : فقال رسولُ الله ﷺ : آللهِ[5] الذي لا إله غيرُه – قال : وكان يمينَ رسول الله ﷺ – قال : قلت : نعم والله الذي لا إله غيره . ثم ألقيت رأسه بين يديْ رسول الله ﷺ ، فحمد الله تعالى[6] .

أخبرنا عبدُ الرحيم بن يوسف الموصلي بقراءة والدي عليه ، قال : أخبرنا أبو علي حنبلُ ابن عبد الله الرُّصَافي ، أن أبا القاسم بن الحصين أخبره ، قال : أخبرنا أبو علي بن المُذْهِب ،

---

(١) « أشفَّ منه » : من الشَّفّ ؛ وهو الزيادة أو النقص (ضد) .

(٢) « جُحِشَ » : خُدِش .

(٣) « ضَبَثَ » : قال ابن هشام : قبض عليه ولزمه .

(٤) « أَعْمَدُ » : أغضبُ أو أعجبُ ، وهي على الاستفهام ، والتقدير : أأعمدُ من رجل قتلتموه ؟ أي : إن قتلي لا خزيٌ فيه ولا عار ؛ إذ أنه لا يزيد عن رجل من أمثالي قتله قومه .

(٥) « آللهِ » اسم الجلالة بالكسر ؛ لأن الاستفهام عوض عن حرف القسم المقدر ، ومعلوم أن المقسم به مجرور بالباء أو بالتاء أو بالواو . وهذا من المواضع القليلة في العربية التي يجوز فيها إضمار حرف الجر .

(٦) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٦٣٥ – ٦٣٦ .

قال : أخبرنا أبو بكر القطيعي ، أخبرنا عبدُ الله بن أحمد بن حنبل ، حدثنا أبي ، حدثنا يوسف ابن الماجشون ، عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن ابن عوف ، أنه قال : إني لواقف يوم بدر في الصف ، نظرتُ عن يميني وعن شمالي ، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثةٍ أسنانُهما ، تمنيت لو كنتُ بين أضلعَ[1] منهما ، فغمزني أحدُهما ، فقال : يا عم ! هل تعرف أبا جهل بن هشام ؟ قال : قلت : نعم ، وما حاجتك يا ابن أخي ؟ قال : بلغني أنه كان يسبُّ رسولَ الله ﷺ ، والذي نفسي بيده لئن رأيتُه لم يفارق سوادي سوادَه حتى يموتَ الأعجلُ منا . قال : فغمزني الآخرُ فقال مثلَها . قال : فعجبتُ لذلك . قال : فلم أَنْشَبْ أن نظرتُ إلى أبي جهل يزولُ[2] في الناس ، فقلت لهما : ألا تريان ؟ هذا صاحبكما الذي تسألان عنه . فابتدراه بسيفيهما ، فضرباه حتى قتلاه ، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه ، فقال : أيُّكما قتلَه . فقال كلُّ واحد منهما : أنا قتلتُه . قال : هل مسحتما سيفيْكُما ؟ قالا : لا . فنظرَ في السيفين ، فقال : « كِلاكُما قتلَه » . وقضى بسَلَبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح ، وهما : معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ ابن عفراء[3] . رواه مسلم عن يحيى بن يحيى عن يوسف بن الماجشون فوقع لنا عالياً .

وروينا عن ابن عقبة : أن عبدَ الله بن مسعود وجده مقنعاً في الحديد ، وهو مُنكَّبٌ لا يتحرك ، فظنَّ أنه قد أُثبتَ ، فتناولَ قائمَ سيفه فاستلَّه وهو منكّبٌ لا يتحرّكُ ، فرفع

(١) « أضلعَ » : أقوى وأمثل .

(٢) « يزول » : يكثر الحركة ولا يستقر ، وفي المسند : « يجول » .

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ١٩٢/١ ، ومسلم في كتاب الجهاد والسير (باب استحقاق القاتل سلب القتيل) رقم /١٧٥٢/ .

وجمع الحافظ ابن حجر بين الروايات المختلفة فيمن قتل أبا جهل من الأربعة المتقدمين (معاذ بن عمرو ، ومعاذ ومعوّذ ابني عفراء ، وابن مسعود) باحتمال أن معاذ بن عفراء شدَّ عليه مع معاذ بن عمرو ، وضربَه بعد ذلك معوِّذ بن عفراء حتى أثبته ، ثم حزَّ رأسه عبد الله بن مسعود . انظر فتح الباري ٢٩٥/٧ ــ ٢٩٦ . وقال النووي : اشترك الثلاثة ــ يعني معاذ بن عمرو وابني عفراء ــ في قتله لكن ابن الجموح أثخنه أولاً ، فاستحق السَّلَب ، وإنما قال ﷺ : « كلاكما قتله » تطييباً لقلب الآخر من حيث إن له مشاركة في قتله . انظر شرح صحيح مسلم ؛ للنووي ٦١/١٢ ــ ٦٢ ، وشرح المواهب اللدنية ، للزرقاني ٤٢٨/١ .

سابغةَ البيضة[1] عن قفاه فضرَبه ، فوقع رأسه بين يديه ، ثم سلبَه ، فلما نظر إليه ، إذ هو ليس به جراح ، وأبصرَ في عنقه جَدْرَاً[2] ، وفي يديه وكتفيه ، كهيئة آثار السياط ، فأتى النبيَّ ﷺ فأخبره ، فقال : ذاك ضربُ الملائكة .

وروينا عن ابن عائذ : حدثنا الوليد ، قال : حدثني خليد ، عن قتادة ؛ أنه سمعه يُحدِّث : أنَّ رسول الله ﷺ قال : إن لكلِّ أمةٍ فرعوناً ، وإن فرعونَ هذه الأمة أبو جهل قَتلَه الله شرَّ قِتلة ، قتلَه ابنا عفراء ، وقتلته الملائكة ، وتذافَّه ابنُ مسعود . يعني أجهز عليه[3] .

قال ابن إسحاق : وقاتلَ عُكَّاشة بن مِحْصَن الأسدي يومَ بدر بسيفه حتى انقطع في يده ، فأتى رسولَ الله ﷺ فأعطاه جِذْلاً[4] من حطب ، فقال : قاتل بهذا يا عُكَّاشة ، فلما أخذَه من رسول الله ﷺ هزَّه فعادَ سيفاً في يده طويلَ القامة ، شديد المتن ، أبيضَ الحديدة ، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين ، وكان ذلك السيف يُسمى العون ، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قُتل في الردة وهو عنده[5] .

وقال الواقدي : وحدثني أسامة بن زيد الليثي ، عن داود بن الحُصين ، عن رجال من بني عبد الأشهل ، قالوا : انكسر سيف سلمة بن أسلم بن الحَريش يومَ بدر ، فبقي أعزلَ لا سلاح معه ، فأعطاه رسولُ الله ﷺ قَضيْباً كان في يده من عراجين ابن[6] طاب ، فقال : اضربْ به . فإذا هو سيف جيد ، فلم يزل عنده حتى قُتل يوم جسر أبي عُبيد[7] .

قال ابنُ إسحاق : وحدثني يزيد بن رومان : عن عروة بن الزبير ، عن عائشة رضي

(١) « سابغة البيضة » : الجزء الساترُ للعنق من الخوذة .
(٢) « جَدْرَاً » : هو بالجيم ، وليس بالخاء كما ذكره بعض الشُّراح ، وهو الكَدْم أو الوَرَم من ضرب أو جراحة .
(٣) خبر ابن عائذ مرسل ، وفي إسناده خُلَيْد بن دَعْلَج ، فيه ضعف ، ضعَّفه أحمد ويحيى ، وقال أبو حاتم : صالح ليس بالمتين . انظر ميزان الاعتدال ١/٦٦٣ .
(٤) « جِذْلاً » : بكسر الجيم وفتحها ، وتُجمع على أجذال ، ومن معانيها عود الحطب ، وعُرجون النخل ؛ وهو أصل العِذق الذي يعوَّج وينعطف بالشماريخ ، يُقطع معها عند الجِذاذ ، أو يبقى على النخلة يابساً .
(٥) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٦٣٧ ، ورواه البيهقي في الدلائل ٣/٩٨ — ٩٩ عن ابن إسحاق .
(٦) في السيرة الشامية : من عراجين نخل ابن طاب .
(٧) رواه الواقدي في المغازي ١/٩٣ — ٩٤ ، والبيهقي في الدلائل عنه ٣/٩٩ .

الله عنها ، قالت : لما أمرَ رسولُ الله ﷺ بالقتلى أن يُطرحوا في القَليب طُرحوا فيه إلا ما كان من أمية بن خلف فإنه انتفخ في درعه فملأها ، فذهبوا ليحركوه فتزايل ، فأقروه ، وألقوا عليه ما غيَّبه من التراب والحجارة[1] .

ورويناعن الطبراني : حدثنا موسى بن الحسن الكِسائيّ ، حدثنا شيبانُ بن فروخ ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، قال : أنشأ عمرُ بن الخطاب يُحدِّثنا عن أهل بدر ، فقال : إن رسول الله ﷺ كان يُرينا مصارعَ أهلِ بدر بالأمس من بدر ، يقول : هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله . قال عمر : فوالذي بعثَه بالحقِّ ما أخطؤوا الحدودَ التي حدَّها رسولُ الله ﷺ ، حتى انتهى إليهم ، فقال : يا فلان بن فلان ، ويا فلانُ بن فلان ، هل وجدتم ما وعدَكم الله ورسولُه حقاً فإني وجدتُ ما وعدني الله حقاً ؟ فقال عمر : يا رسول الله ! كيف تُكلِّم أجساداً لا أرواحَ فيها ؟ فقال : ما أنتم بأسمعَ لما أقول منهم ، غير أنهم لا يستطيعون أن يردُّوا شيئاً[2] .

ورويناعن ابن عائذ : أخبرني الوليد بن مسلم ، أخبرني سعيدُ بن بشير ، عن قتادة ، عن أنس ، عن أبي طلحة ، أن رسولَ الله ﷺ كانَ إذا ظهر على قوم ، أقام بالعَرصَة ثلاثاً ، فلما كان يومُ بدر أقام ثلاثاً ، وألقى بضعةً وعشرين رجلاً من صناديد قريش في طَوِيٍّ[3] من أطواء بدر ، ثم أمر براحلته فشُدَّ عليها رحلُها ، فقلنا : إنه منطلق لحاجة ، فانطلق حتى وقفَ على شفى الرَّكِي[4] ، فجعل يقول : يا فلان بن فلان ، ويا فلان بن فلان ... الحديث[5] .

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٣٨/١ .

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير ، وهو عند الإمام أحمد في المسند ٢١٩/٣ وإسناده صحيح . كما رواه البخاري ومسلم والنسائي عن عمر رضي الله عنه مختصراً .

(٣) « طويٍّ » : الطويُّ : القليب .

(٤) « شَفَى الركيّ » : حافة القليب .

(٥) حديث ابن عائذ رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ، قال سبط ابن العجمي في نور النبراس : وإنما عدل المؤلف عن أن يخرجه من هذه الكتب أو بعضها ؛ لأنه من طريق ابن عائذ يقع له أعلى بدرجة مما لو أخرجه من هذه الكتب أو بعضها ، والله أعلم .

وروينا من طريق مالك بن سليمان الهروي ، حدثنا معمر ، عن حُميد الطويل عن أنس وفي آخره ؛ قال قتادة : أحياهم الله حتى سمعوا كلامَ رسول الله ﷺ توبيخاً لهم . هذا حمل لهذا الخبر على ظاهره[1] .

وقد روينا عن عائشة رضي الله عنها أنها تأوَّلت ذلك ، وقالت : إنما أراد النبي ﷺ أنهم الآن ليعلمون أن الذي أقول لهم هو الحق ثم قرأت ﴿ إنك لا تُسمع الموتى ﴾ [النمل : ٨٠] الآية[2] .

رجع إلى الخبر عن ابن إسحاق : قال : وتغير وجه أبي حذيفة بن عُتبة عند طرح أبيه في القليب ، ففطن له رسولُ الله ﷺ ، فقال له : لعلَّكَ دخلكَ في شأن أبيك شيء ؟ فقال : لا والله ، لكني كنتُ أعرفُ من أبي رأياً وحِلْماً وفضلاً ، فكنتُ أرجو أن يهديَه الله للإسلام ، فلما رأيتُ ما ماتَ عليه أحزنني ذلك . فدعا له رسولُ الله ﷺ بخير ، وقال له خيراً .

وماتَ يومئذٍ فتيةٌ من قريش على كفرهم ممن كان فُتن على الإسلام ، افْتَتنَ[3] بعد إسلامه ، منهم من بني أسد : الحارث بن زمعة بن الأسود ، ومن بني مخزوم أبو قيس ابن الفاكه ، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة . ومن بني جُمح : علي بن أمية بن خلف .

(١) قول قتادة بهذا الإسناد ضعيف ؛ لضعف مالك بن سليمان الهروي ، ولعل اسم معمر صحف عن معتمر كما ذكر في نور النبراس ، وقد ورد هذا القول عن قتادة في حديث البخاري ومسلم : عن أنس بن مالك ، عن أبي طلحة .. وتمامه : أحياهم الله حتى أسمعهم قوله ، توبيخاً ، وتصغيراً ، ونقمة ، وحسرة ، وندماً .

(٢) رواه البخاري في كتاب المغازي (باب قتل أبي جهل) رقم /٣٩٨٠/ . قال الإسماعيلي : كان عند عائشة من الفهم والذكاء وكثرة الرواية والغوص على غوامض العلم مالا مزيد عليه ، لكن لا سبيل إلى رد رواية الثقة إلا بنص مثله ، يدل على نسخه أو تخصيصه أو استحالته ، فكيف والجمع بين الذي أنكرته وأثبته غيرها ممكن ، لأن قوله تعالى ﴿ إنك لا تُسمع الموتى ﴾ لا يُنافي قوله ﷺ : « إنهم الآن يسمعون » لأن الإسماع هو إبلاغ الصوت من المُسمِع في أُذن السامع ، فالله تعالى هو الذي أسمعهم بأن أبلغهم صوت نبيه ﷺ بذلك . وأما جوابها بأنه إنما قال : « إنهم ليعلمون » فإن كانت سمعت ذلك ، فلا يُنافي رواية يسمعون ، بل يؤيدها . انظر فتح الباري ٣٠٤/٧ .

(٣) في الأصل « فافتتن » وفي السيرة النبوية ؛ لابن هشام : « أنهم كانوا أسلموا ورسول الله ﷺ بمكة ، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ، حبسهم آباؤهم وعشائرهم بمكة ، ففتنوهم فافْتُتنوا ، ثم ساروا مع قومهم إلى بدر ، فأُصيبوا به جميعاً .. » .

ومن بني سَهْم : العاصي بن مُنَبِّه بن الحجَّاج . فنزلَ فيهم ﴿ إنَّ الذين توفَّاهمُ الملائكةُ ظالمي أنفسهم ﴾ [النساء : ٩٧] .

ثم أمَرَ رسول الله ﷺ بما في العسكر مما جَمع النَّاس ، فجُمع ، فاختلفَ المسلمون فيه ، فقال من جَمَعه : هو لنا ، وقال الذين كانوا يُقاتلون العدو ويطلبونه : لولا نحنُ ما أصبتموه ، نحن شغلنا عنكم العدو فهو لنا ، وقال الذين كانوا يحرسون رسولَ الله ﷺ : لقد رأينا أن نقتل العدو حين منحنا الله أكتافهم ، ولقد رأينا أن نأخذَ المتاع حين لم يكن له من يمنعه ، ولكنا خِفنا على رسول الله ﷺ كرَّةَ العدو ، فما أنتم بأحقَّ به منا . فنزعَه الله من أيديهم فجعلَه إلى رسوله ، فقسمه في المسلمين عن بَواء ، يقول : على السواء[١] .

وروينا عن ابن عائذ : أخبرني الوليدُ بن مسلم ، قال : وأخبرني سعيد بن بَشير ، عن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، أن رسول الله ﷺ لما كان يومُ بدر ، قال : من قَتَل قتيلاً فله سلبُه ، ومن جاء بأسير فله سلبُه . فجاءَ أبو اليَسَر بأسيرين ، فقال سعد : أي رسولَ الله ! أما والله ما كان بنا جُبْن عن العدو ولا ضَنٌّ بالحياة أن نصنعَ ما صنعَ إخواننا ، ولكن رأيناكَ قد أُفْرِدْتَ ، فكرهنا أن تكون بمضيعة . قال : فأمرهم رسول الله ﷺ أن يوزعوا تلك الغنائم بينهم[٢] .

المشهور أن قول رسول الله ﷺ « من قتل قتيلاً فله سلبُه »[٣] إنما كان يوم حنين وأما قوله ذلك يوم بدر وأحد فأكثرُ ما يُوجد من رواية من لا يُحتج به .

وقد روى أربابُ المغازي والسير أن سعدَ بن أبي وقاص قَتَل يوم بدر سعيدَ بن العاص ، وأخذ سيفه ، فنفلَه رسولُ الله ﷺ إيَّاه ، حتى نزلت سورة الأنفال ، وأن الزبيرَ بن العوام بارز يومئذ رجلاً فنفلَه رسولُ الله ﷺ سَلَبَه ، وأن ابنَ مسعود نفلَه رسولُ الله ﷺ يومئذ سَلَبَ أبي جهل . وأما ابن الكلبيّ فمُضَعَّفٌ عندهم ، وروايته عن أبي صالح عن ابن عباس

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٦٤٠ — ٦٤٢ .

(٢) خبر ابن عائذ عن ابن عباس ضعيف جداً ، فيه محمد بن السائب الكلبي متروك ، ولا يُحتج به ، وأبو صالح لم ير ابن عباس .. انظر ميزان الاعتدال ٣/٥٥٦ — ٥٥٩ .

(٣) رواه البخاري ومسلم والموطأ وأبو داود والترمذي في غزوة حنين من كتاب الغزوات ، عن أبي قتادة رضي الله عنه . انظر جامع الأصول ٦/٥٨٧ .

مخصوصةً بمزيد تضعيف .

رجعٌ إلى خبر ابن إسحاق : ثم بعثَ رسولُ الله ﷺ عبدَ الله بنَ رواحة بشيراً إلى أهل العالية[1] بما فتحَ الله على رسوله وعلى المسلمين ، وبعث زيدَ بن حارثة إلى أهل السَّافلة[1] . قال أسامة بن زيد : فأتانا الخبر حين سوينا على رُقَيَّةَ بنتِ رسول الله ﷺ ، ثم أقبل عليه الصلاة والسلام قافلاً إلى المدينة ومعه الأسارى من المشركين ، وفيهم عقبة ابن أبي معيط ، والنضر بن الحارث ، واحتمل رسولُ الله ﷺ معه النَّفَل الذي أُصيب من المشركين ، وجعل عليه عبدَ الله بن كعب من بني مازن بن النجار ، ثم أقبل عليه الصلاة والسلام حتى إذا خرج من مضيق الصفراء ، فقسم النَّفَلَ بين المسلمين على السواء ، وبالصفراء أمر علياً فقتل النَّضرَ بن الحارث ، ثم بعِرْق الظُّبْيَة قتل عقبة بن أبي مُعيط ، فقال حين قتله : من للصبية يا محمد ؟ قال : النار . والذي قتلَه عاصمُ بن ثابت بن أبي الأقلح ، وقيل : عليّ . والذي أسره عبدُ الله بن سلمة ، ثم مضى رسولُ الله ﷺ حتى قدم المدينة قبل الأسارى بيوم[2] .

قال ابن إسحاق : وحدثني نُبَيْه بن وهب ، أخو بني عبد الدار أن رسولَ الله ﷺ حين أقبل بالأسارى فرَّقهم بين أصحابه ، وقال استوصوا بهم خيراً . قال : فكان أبو عزيز ابن عُمير بن هاشم أخو مُصعب لأبيه وأمه في الأسارى فقال : مرَّ بي أخي مصعب ورجلٌ من الأنصار يأسرني ، فقال له : شُدَّ يديك به فإن أمَّه ذاتُ متاع ، لعلها تفديه منك . فكنتُ في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر ، فكانوا إذا قدَّموا غداءَهم وعشاءَهم خصُّوني بالخبز وأكلوا التمر ؛ لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا ، ثم فُدِي بأربعة آلاف درهم وهي أعلى الفداء[3] .

---

(١) « العالية » : أعالي المدينة ، سميت بذلك لعلو مستوى الأرض ، وتقع في الجنوب والجنوب الشرقي منها ، ومنه المنطقة المعروفة بالعوالي الآن .
و« السافلة » : أسافل المدينة ، سمي بذلك لانخفاض مستوى أرضه ، ويقع في وسطها وشمالها ، ومنه موقع المسجد النبوي الشريف .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٤٢/١ — ٦٤٤ .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٤٥/١ — ٦٤٦ .

وذكر قاسم بن[1] ثابت في « دلائله » أن قريشاً لما توجهت إلى بدر مر هاتف من الجن على مكة في اليوم الذي أوقع بهم المسلمون ، وهو يَنْشُد بأبعد صوت ولا يُرى شخصه :

أزارَ الحنيفيـون بـدراً وقيعـةً سينقَضُّ منها ركنُ كسرى وقيصرا
أبادتْ رجالاً من قريشٍ وأبـرزتْ خَرائِـدَ يَضْرِبْـنَ التـرائبَ حُسَّرا
فيـا ويـحَ مـن أمسى عـدوَّ محمـد لقد جارَ عـن قصد الهوى وتحيَّـرا

فقال قائلهم : مَن الحنيفيون ؟ فقالوا : هو محمد وأصحابه ، يزعمون أنهم على دين إبراهيم الحنيف ، ثم لم يلبث النفر أن جاءهم الخبر .

رجع إلى الأول : وكان أوَّلَ من قدم بمُصابهم الحَيْسمان بن عبد الله الخزاعي ، ـ وكان يُسمَّى ابن عبد عمرو ، وأسلم بعد ذلك[2] ـ فقال : قُتل عتبة وشيبة وأبو الحكم وأمية وفلان وفلان . فقال صفوان بن أمية وهو جالس في الحِجْر : والله إن يعقل هذا فسلوه عني ، فسألوه ، فقال هو ذاك جالساً في الحِجْر ، وقد رأيت أباه وأخاه حين قُتلا[3] .

ذكر الخبر عن مهلك أبي لهب

قال ابن إسحاق : وحدثني حسينُ بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، قال : قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ : كنتُ غلاماً للعبّاس بن عبد المطلب وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت ، فأسلم العباس ، وأسلمت أمُّ الفضل ، وأسلمت أنا ، وكان العبَّاسُ يهاب قومَه ويكره خلافهم ، فكان يكتمُ إسلامَه ، وكان ذا مال ، فلما جاء الخبرُ عن مُصابِ قريش ببدر ، وكنتُ رجلاً ضعيفاً أعملُ الأقْدَاح ، أنحتها

---

(١) قاسم بن ثابت : بن حزم العوفي السَّرَقُسْطي أبو محمد ، عالم بالحديث واللغة ، له كتاب « الدلائل على معاني الحديث بالشاهد والمثل » . توفي سنة ٣٠٢ هـ . الأعلام ٥/١٧٤ .

(٢) ما بين المعترضتين من كلام المؤلف .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٦٤٦ .

في حجرة زمزم ، فوالله إني لجالسٌ فيها أنحت أقداحي ، وعندي أمُّ الفضل جالسةٌ ، وقد سرَّنا ما جاءَنا من الخبر ، إذ أقبل أبو لهب يجرُّ رجليه بشرٍّ[1]، حتى جلسَ على طُنُب الحجرة ، فكان ظهرُه إلى ظهري ، فبينما هو جالس إذ قدم أبو سفيان بن الحارث ، فقال أبو لهب : هلم إليّ فعندك الخبر . فقال : والله ما هو إلا أن لقينا القومَ فمنحناهم أكتافنا ، يقتلوننا كيف شاؤوا ، ويأسروننا كيف شاؤوا ، وايم الله مع ذلك ما لمتُ النّاسَ ، لَقِينَا رجالٌ بيضٌ على خيل بُلق بين السماء والأرض ، والله ما تُليق[2] شيئاً ولا يقوم لها شيء ، قال أبو رافع : فرفعتُ طُنُبَ الحجرة بيدي ، ثم قلت : تلك والله الملائكة . قال فرفع أبو لهب يده فضربَ وجهي ضربةً شديدةً . قال : وثاورته[3] ، فاحتملني فضربَ بي الأرضَ ، ثم بركَ عليَّ يضربني ، فقامت أم الفضل إلى عمودٍ فضربته به ضربةً فَلَغَتْ[4] في رأسه شَجَّةً منكرة ، وقالت : استضعفتَه أن غابَ عنه سيّدُه . فقام مُولّياً ذليلاً ، فوالله ما عاش إلا سبعَ ليالٍ ، حتى رماه الله بالعَدَسَة[5] فقتلتْه[6] .

قال ابن إسحاق في رواية يُونس بن بُكَيْر عنه : أنهم لم يحفروا له ، ولكن أسندوه إلى حائط ، وقذفوا عليه الحجارة من خلف الحائط ، حتى وارَوْه .

وذَكر محمد بن جرير الطبري في تاريخه : أن العدسة قرحةٌ كانت العرب تتشاءم بها ، ويرون أنها تُعدي أشدّ العدوى ، فلما أصابت أبا لهب تباعدَ عنه بنوه ، وبقي بعد موته ثلاثاً لا تُقرب جنازتُه ، ولا يُحاول دفنُه ، فلما خافوا السُّبَّةَ في تركه ، حفروا له ثم دفعوه بعود في حفرته ، وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى وَارَوه[7] . ويُروى أن عائشة رضي الله عنها كانت إذا مَرّتْ بموضعه ذلك غَطَّتْ وَجَهَها .

(١) كذا في جميع النسخ والسِّير ، ولعلها « بشدة » أي : بصعوبة وضعف ؛ بسبب مرضه .
(٢) « ما تُليق » : ما تُبقي .
(٣) « ثاورته » : واثبته .
(٤) « فَلَغَتْ » : وتروى بالعين المهملة ، أي : شدخت وشقت .
(٥) « العَدَسة » : بثرة تشبه العدسة تخرج في موضع من الجسد تقتل صاحبها غالباً ، وهي من البثور المعدية ، ولعلها هي المرض المعروف بالجدري اليوم .
(٦) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٤٦/١ — ٦٤٧ .
(٧) تاريخ الطبري ٤٦٢/٢ .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : ناحت قريشٌ على قتلاهم ، ثم قالوا : لا تفعلوا فيبلغَ محمداً وأصحابَه فيشمَتوا بكم ، ولا تبعثوا في أسراكم حتى تَسْتأنُوا[1] بهم لا يَأْرَبْ[2] عليكم محمد وأصحابُه في الفداء[3] .

قال ابن عقبة : أقامَ النَّوْحُ شهراً .

قال ابن إسحاق : وكان الأسودُ بن المطلب قد أُصيب له ثلاثةٌ من ولده : زمعة بن الأسود ، وعقيل بن الأسود ، والحارث بن زمعة ، وكان يُحِبُّ أن يبكيَ على بنيه ، قال : فبينما هو كذلك ، إذ سمعَ صوت نائحةٍ من الليل ، فقال لغلام له وقد ذهب بصرُه : انظر هل أُحِلَّ النَّحْبُ ؟ هل بكتْ قريشٌ على قتلاها ؟ لعلي أبكي على أبي حُكيمة – يعني زمعة – فإن جوفي قد احترقَ . قال : فلما رجع إليه الغلام ، قال : إنما هي امرأة تبكي على بعير لها أضلَّتْه ، قال : فذلك حين يقول الأسود :

أتبكي أن يَضِلَّ لها بعيرٌ ... ويمنعها من النوم السُّهودُ
فلا تبكي على بَكْرٍ ولكنْ ... على بدرٍ تقاصرتِ الجُدُود[4]

وكان في الأسارى أبو وَداعة بن ضُبيرة السَّهمي ، فقال رسول الله ﷺ : إن له بمكة ابنا كيّساً تاجراً ذا مال – يعني المطلب – وكأنكم به قد جاء في طلب فداء أبيه . فلما قالت قريش : لا تعجلوا بفداء أسراكم ، لا يأرَبْ عليكم محمد وأصحابه . قال المطلب : صدقتم لا تعجلوا ، وانسل من الليل ، فقدم المدينة ، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم وانطلق ، فبعثت قريش في فداء الأسارى ، فقدم مِكْرزُ بن حَفْص بن الأخيف في فداء سهيل بن عمرو ، وكان الذي أسره مالك بن الدُّخْشُم ، وكان سهيل أعلمَ من شفته السفلى[5] .

---

(١) « تستأنوا » : تنتظرون بهم زمناً ، ولا تتعجلوا فداءهم .
(٢) « لا يأربْ » : لا يتشدد ، والماضي منه « أَرِبَ » .
(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٤٧/١ .
(٤) « بَكْر » : الفتي من الإبل ، « الجدود » : الحظوظ ، جمع جُدٍّ .
(٥) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٤٨/١ ، و « الأعلمُ » : المشقوق الشفة العليا ، فلهذا قيده . و« الأفلح » : المشقوق الشفة السفلى .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن عمرو بن عطاء أخو بني عامر بن لؤي ، أن عمرَ بن الخطاب قال لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ! (دعني)[1] أنزعْ ثنيتيْ سُهيل ابن عمرو يدلعْ لسانُه ، فلا يقوم عليك خطيباً في موطن أبداً . فقال رسول الله ﷺ : لا أُمَثِّل به فيمثِّل الله بي وإن كنتُ نبياً .

قال ابن إسحاق : وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال لعمر في هذا الحديث : إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تذمُّه .

فلما قاولهم مِكرز وانتهى إلى رضاهم ، قالوا : هاتِ الذي لنا . قال : اجعلوا رجلي مكان رجله وخلُّوا سبيلَه حتى يبعث إليكم بفدائه ، ففعلوا . وكان عمرو بن أبي سفيان أسيراً في يدي رسول الله ﷺ ، فقيل لأبي سفيان : افد عمراً ابنك . فقال : أيجمعُ عليَّ دمي ومالي ، قتلوا حنظلة وأفدي عمراً ، دعوه في أيديهم يمسكونه ما بدا لهم . قال : فبينا هو كذلك إذ خرج سعد بن النعمان بن أكَّال أخو بني عمرو بن عوْف معتمراً ، فعدا عليه أبو سفيان فحبسه بابنه عمرو ، ثم قال أبو سفيان :

أرهطَ ابنِ أكَّالٍ أجيبوا دُعاءَه ... تَعاقدتمُ لا تُسلموا السَّيِّدَ الكَهلا
فإن بني عمرو بن عوف أذلّةٌ ... لئن لم يفكوا عن أسيرهم الكَبْلَا[2]

وفي رواية : « بني عمرٍو لئامٌ أذلّةٌ » . فُفدي به .

وكان فيهم أبو العاص بن الربيع خَتَنُ[3] رسول الله ﷺ على ابنته زينب ، بعثت فيه بقِلادةٍ لها كانتْ خديجة أدخلتها بها عليه حين بنى عليها . قال : فلما رآها رسولُ الله ﷺ رقَّ لها رقة شديدة ، وقال : إن رأيتم أن تُطلقوا لها أسيرها وتَردُّوا عليها (قِلادتها)[4] فافعلوا . قالوا : نعم يا رسول الله ! فأطلقوه وردوا عليها الذي لها[5] .

---

(١) ما بين القوسين أثبتناه من السيرة النبوية ؛ لابن هشام .
(٢) « الكبلا » : القيد .
(٣) « ختن رسول الله » : زوج ابنته ، ويُجمع على أختان . قال في النهاية : والأختان من قبل المرأة ، والأحماءُ من قبل الرجل ، والصِّهر يجمعهما .
(٤) ما بين القوسين أثبتناه من « ج » وفي السيرة النبوية والشامية « مالَها » .
(٥) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٤٩/١ ــ ٦٥٣ .

وروينا من طريق أبي داود : حدثنا عبد الله بن محمد النُّفيلي ، حدثنا محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عباد ، عن أبيه عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن عائشة رضي الله عنها بنحوه ، وفي آخره : فكان النبيُّ ﷺ أخذَ عليه ، أو وعدَه ، أن يخلّي سبيلَ زينب إليه ، وبعث رسولُ الله ﷺ زيدَ بن حارثة ورجلاً من الأنصار ، فقال : « كونا ببطن يأجَجَ حتى تمرَّ بكما زينب ، فتصحباها حتى تأتيا بها »[1] .

وممن مَنَّ عليه رسول الله ﷺ بغير فداء أيضاً : المطلب بن حَنطب ، وصيفي بن أبي رِفاعة ، وأبو عَزَّة الجُمحي وأخذ عليه أن لا يُظاهر عليه أحداً .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : جلسَ عُمير بن وهب الجُمحي مع صفوان بن أمية بعد مُصاب أهل بدر من قريش بيسير في الحِجْر ، وكان عُمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش ، وكان ممن يُؤذي رسولَ الله ﷺ وأصحابَه ، ويلقون منه عَناء وهو بمكة ، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر ، فذكر أصحابَ القليب ومُصابَهم ، فقال صفوان : إنْ في العيش[2] والله خير بعدهم . قال له عمير : صدقت أما والله لولا دَيْنٌ عليَّ ليس له عندي قضاء ، وعيالٌ أخشى عليهم الضَّيْعة بعدي ، لركبت إلى محمد حتى أقتلَه ، فإن لي فيهم عِلّة ، ابني أسير في أيديهم . قال : فاغتنمها صفوان ، فقال : عليَّ دينُك أنا أقضيه عنك ، وعيالُك مع عيالي أواسيهم ما بقوا ، لا يسعني شيء ويعجز عنهم . قال عمير : فاكتم عني شأني وشأنَك . قال : أفعل . قال : ثم أمر عمير بسيفه فشُحذ له وسُمَّ . ثم انطلق حتى قدم المدينة ، فبينا عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ، ويذكرون ما أكرمهم الله به ، وما أراهم من عدوهم ، إذ نظر عمر إلى عُمير بن وهب حين أناخ على باب المسجد متوشحاً السيفَ . فقال : هذا الكلب عدوُّ الله عمير بن وهب ما جاء إلا لشر ، وهذا الذي حرَّش بيننا وحزرنا للقوم يوم بدر ، ثم دخل عمر على رسول الله ﷺ ، فقال : يا نبي الله ! هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفَه . قال : فأدخله عليّ . قال : فأقبل عمر حتى أخذ

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الجهاد (باب في فداء الأسير بالمال) رقم /٢٦٩٢/ . و « يأجج » : مثلثة الجيم ، اسم وادٍ على ثمانية أميال من مكة .

(٢) في « ج » : ليس في العيش والله خير بعدهم .

بحِمالةِ سيفه في عنقه ، فلبَّبه بها ، وقال لرجال ممن كانوا معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده واحذروا عليه هذا الخبيث فإنه غيرُ مأمون . ثم دخل به على رسول الله ﷺ ، فلما رآه رسولُ الله ﷺ وعمرُ آخذ بحمالة سيفه في عنقه . قال : أرسله يا عمر . ادن يا عمير ، فدنا ، ثم قال : أنْعِمُوا صباحاً ــ وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم ــ فقال رسولُ الله ﷺ قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ، بالسلام تحيّةِ أهل الجنة . قال : أما والله إن كنتُ بها يا محمد لحديث عهد . قال : فما جاء بك يا عُمير ؟ قال : جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم ، فأحسنوا فيه . قال : فما بالُ السيف في عنقك ؟ قال : قبَّحها الله من سيوف ، وهل أغنت عنا شيئاً ! قال : اصدقني ما الذي جئتَ له ؟ قال : ما جئتُ إلا لذلك . قال : بلى ، قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحِجْر ، فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثم قلت : لولا دَينٌ عليَّ وعِيالٌ لي لخرجت حتى أقتل محمداً ، فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلني له ، والله حائلٌ بينك وبين ذلك . قال عمير : أشهد أنك رسولُ الله ، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما تأتي به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق . ثم تشهد شهادة الحق . فقال رسول الله ﷺ : فقِّهوا أخاكم في دينه ، وأقرئوه القرآن ، وأطلقوا له أسيرَه ، ففعلوا ذلك . ثم قال : يا رسول الله ! إني كنتُ جاهداً على إطفاء نور الله ، شديدَ الأذى لمن كان على دين الله ، فأنا أحبُّ أن تأذنَ لي ، فأقدمَ مكة فأدعوهم إلى الله وإلى الإسلام ، لعلَّ الله يهديهم وإلا آذيتُهم في دينهم كما كنتُ أؤذي أصحابَك في دينهم . قال : فأذن له رسولُ الله ﷺ ، فلحق بمكة ، قال : وكان صفوان حين خرج عُمير يقول : أبشروا بوقعة تأتيكم الآن في أيام تُنسيكم وقعة بدر . وكان صفوان يسأل عنه الركبان ، حتى قدمَ راكبٌ فأخبرَه عن إسلامه ، فحلف أن لا يكلمه أبداً وأن لا ينفعه بنفع أبداً(١) .

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٦٦١ ــ ٦٦٣ .

ذكر فوائد تتعلق بهذه الأخبار

● بدرُ بن قريش بن يخلد بن النضر حفر هذه البئر فنُسبت إليه .

● والتحسُّس ـ بالحاء ـ أن تتسمعَ الأخبار بنفسك ـ وبالجيم ـ أن تفحص عنها بغيرك .

● واللطيمة : العير تحمل الطيب والبَزَّ .

● وضيعة الرجل : حرفته وصناعته .

● والمِقْنب زهاء ثلاثمائة من الخيل .

● وقوله : لاط له بأربعة آلاف درهم ، أي أربى له ، ومنه الحديث « وما كان من دين لا رهن فيه فهو لياط » وأصل هذه اللفظة من اللصوق .

● وتُعوّر ما وراءَه من القُلُب : قيد بالعين المهملة وبالغين المعجمة وتشديد الواو ، والسُّهيلي يقول بضم العين المهملة وسكون الواو ، قال : وجاء على لغة من يقول : قُولَ القولُ وبُوعَ المتاعُ .

● وحقبت الحرب : اشتدت .

● ومستنتِلٌ : متقدم أمام الصف .

● والعريش : ما يُستظلّ به .

● وأطنَّ قدمَه : أسرعَ قطعها فطنَّت ، أي طارت .

● والمَسَكة : السوار من الذَّبْل ، وهو جلد السلحفاة .

● وأخلفَ الرجل سيفَه : مَدَّه لحاجته .

● اقْدُم حيزوم : بضم الدال ، أي أقدم الخيل ، وحيزوم اسم فرس جبريل ، وقيل في تقييدها غير ذلك .

● ومرضخة النوى : بالحاء المهملة وبالمعجمة ، وقيل : الرضح بالمهملة : كسر اليابس ، وبالمعجمة : كسر الرَّطْب .

● وضبثَ الشيءَ : قبض عليه بيده ، وضبثه : ضربه .

● وجُهيم بن الصلت : أسلم عام خيبر ، ووقع في الرواية : ابن أبي الصلت .

● ومعوِّذ بن عفراء ، بكسر الواو ، وكان الوقشيُّ يأبى إلا الفتح .

● والمُجذَّر عبد الله بن ذِياد ، قال أبو عمر : ويقال ذَياد ، والكسر أكثر .

● وأبو أُسيد مالك بن ربيعة : قال عياض : قال فيه عبد الرزاق ووكيع : بضم الهمزة . وقال ابن مهدي : بفتحها ، قال أحمد بن حنبل : والصواب الأول .

● وأبو داود المازني : اسمه عمرو ، وقيل عمير بن عامر ، وكان الجَيَّاني يقول : أبو دُؤادٍ .

● وذكر عياض أن ابن مسعود إنما وضع رجله على عنق أبي جهل لتصدقَ رؤياه ، قال ابن قتيبة : ذُكر أن أبا جهل قال لابن مسعود : لأقتلنك . فقال : والله ، لقد رأيت في النوم أني أخذت حدجةَ حنظلٍ فوضعتها بين كتفيك ، ورأيتني أضربُ كتفيك بنعلي ، ولئن صدقتْ رؤياي لأطأنَّ على رقبتك ولأذبحنَّك ذبح الشاة . الحدجة : الحنظلة الشديدة .

فلما انقضى أمرُ بدر أنزل الله فيه سورة الأنفال بأسرها(١) .

* * *

(١) يعني أن نزول القرآن في موقعة بدر حصل بعد الفراغ منها ، انظر السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٦٦٦ .

ذكر تسمية من شهد بدراً من المسلمين

(أولاً : من شهدها من المهاجرين)

● من بني هاشم بن عبد مناف : محمد رسول الله ﷺ ، وحمزة بن عبد المطلب ، وعليّ بن أبي طالب .

ومن مواليهم : زيد بن حارثة ، وأَنَسَة ، وأبو كبشة .

ومن حلفائهم : أبو مرثد حليف حمزة ، وابنه مرثد = ثمانية .

● ومن بني المطلب بن عبد مناف : عُبيدة بن الحارث بن المطلب ، وأخواه : الطفيل والحصين ، ومسطح بن أُثاثة = أربعة .

● ومن بني عبد شمس بن عبد مناف : عثمان بن عفان - خلَّفه عليه الصلاة والسلام على ابنته رقيّة ، وضَرَبَ له بسهمه وأجره ، فهو معدود فيهم - وأبو حذيفة بن عُتْبة بن ربيعة ، وسالم مولاه ، وصَبيح مولى أبي العاص بن أمية ، وقيل : رجع لمرض أصابه ، ثم شهد ما بعد بدر .

ومن حلفائهم : عبد الله بن جحش ، وعُكَّاشة بن مِحْصن ، وأخوه أبو سنان وابنه سنان بن أبي سنان ، وشُجاع وعُقبة ابنا وهب ، ويزيد بن رُقيش بن رئاب بن يعمر بن صبُرة بن مرة بن كبير بن غَنْم بن دودان بن أسد بن خزيمة ، ومُحْرزِ بن نضلة ، وربيعةُ ابن أكثم(١) .

ومن حلفاء بني كبير بن غنم بن دُودان : ثَقِفُ بن عمرو ، وأخواه مالك ومدلج ، ويقال : مدلاج ، وأبو مخشيّ سُويد بن مخشي الطائيُ حليفٌ لهم = سبعة عشر .

● ومن بني نوفل بن عبد مناف : عُتْبة بن غَزْوان ، وخبَّاب مولاه = رجلان .

● ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي : الزبير بن العوام ، وحاطب بن أبي

---

(١) كل هؤلاء الحلفاء لبني عبد شمس هم من بني أسد بن خزيمة . انظر السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٧٩/١ .

بلتعة[1] : عمرو بن راشد بن معاذ اللخمي مولى الزبير ، وسعد مولى حاطب = ثلاثة .

● ومن بني عبد الدار بن قصي : مصعب بن عُمير ، وسُويبط = رجلان .

● ومن بني زُهرة : عبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وأخوه عمير .

ومن حلفائهم : المقداد بن عمرو ، وعبد الله بن مسعود ، ومسعود بن ربيعة ، وذو الشمالين عمير بن عبد عمرو بن نضلة بن غُبشان بن سليم بن مَلْكان بن أفْصى بن حارثة ابن عمرو بن عامر بن خزاعة ، وخبَّاب بن الأَرَتّ بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب ابن سعد بن زيد مناة مِن تميم ـ لحقه سباءٌ في الجاهلية ـ فاشترته امرأة من خزاعة وأعتقته ، وكانت من حلفاء بني زهرة = ثمانية .

● ومن بني تيم بن مرة : أبو بكر الصِّديق ، ومولياه : بلال وعامر بن فُهيرة ، وصهيب بن سنان ، وطلحة بن عبيد الله « س » ـ وكان بالشام ، فضربَ له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره = خمسة .

● ومن بني مخزوم : أبو سلمة بن عبد الأسد « س » ، وشمَّاس بن عثمان « س » ، والأرقم بن أبي الأرقم « س » ، وعمار بن ياسر ـ مولاهم ـ « س » ومُعَتِّب بن عوف السَّلُولي ـ حليف لهم ـ « س » = خمسة .

● ومن بني عدي بن كعب : عمر بن الخطاب « س » ، وأخوه زيد ، ومِهْجع مولاه ، وعمرو بن سُراقة « هب » ، وأخوه عبد الله « هب » ، وواقد بن عبد الله « هب » ، وخَوْليٌّ ومالك ابنا أبي خَوْلي « هب » ، وعامر بن ربيعة « س » . وعامر « س » ، وخالد « س » ، وإياس ، وعاقل : بنو البُكير ، وسعيدُ بن زيد بن عمرو بن نفيل « س » ، قدم من الشام بعدما قدم رسولُ الله ﷺ من بدر ، فكلَّمه فضربَ له بسهمه وأجره = أربعة عشر .

● ومن بني جُمحَ بن عمرو : عثمان بن مظعون « س » ، وأخواه : قدامة وعبد الله ، وابنه السائب بن عثمان ، ومَعْمر بن الحارث « س » = خمسة .

---

(١) قال ابن هشام : واسم أبي بلتعة عمرو ، لخميٌّ ، وسعد مولى حاطب كلبي .

● ومن بني سهم : خُنَيْس بن حُذافة « س » = رجلٌ واحد .

● ومن بني عامر بن لؤي : أبو سَبْرةَ بن أبي رُهْم « ها » ، وعبدُ الله بن مَخْرمة « ها » ، وعبد الله بن سُهيل بن عمرو « ها » ، وعمير بن عوف مولى سُهيل بن عمرو ، وسعد بن خولة حليفٌ لهم « ها » = خمسة .

● ومن بني الحارث بن فهر : أبو عُبيدة بن الجراح « س » ، وعمرو بن الحارث « ها » ، وسهيل بن وهب « ها » ، وأخوه صفوان ابنا بيضاء ، وعمرو بن أبي سَرْح « ها » = خمسة .

وذكر أبو عمر[1] فيهم وهب بن أبي سرح ، أخا عمرو المذكور ، وحكاه عن موسى ابن عقبة ، ولم نره في مغازيه ، ويُشبه أن يكون وَهَماً . وقد ذكر ابن[2] هشام عن غير ابن إسحاق في بني عامر بن لؤي ، وهب بن سعد بن أبي سَرْح ، وهو ابن الحارث بن حَبِيب ــ ويقال حُبيّب بتشديد الياء ــ بن خزيمة بن مالك بن حِسْل بن عامر فيمن شهدَ بدراً وهو عند ابن عقبة .

وذكر ابن عقبة فيهم : عياض بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن أهيب ابن ضبة بن الحارث بن فهر « ها » ، وبعضهم يقول : هلال بن مالك بن ضبة ، وذكره فيهم أيضاً خليفة بن خياط ، والواقدي ، وحكاه أبو عمر[3] عن ابن إسحاق من رواية إبراهيم بن سعد عنه .

وحاطب بن عمرو العامري « س » ذكره ابن[2] هشام ، وحكاه أبو عمر[3] عن موسى ابن عقبة ، ولم نجده في مغازيه .

وممن ذكره أبو عمر فيهم : خُريم بن فاتك الأسدي ، وهو خُريم بن الأخرم بن شدَّاد ابن عمرو بن الفاتك بن القليب بن عمرو بن أسد بن خزيمة ، وأخوه سبرة . قال أبو عمر : وقد قيل إن خريماً هذا وابنه أيمن بن خُريم أسلما جميعاً يوم فتح مكة ، والأول أصح .

---

(١) الاستيعاب ٧٢٦/٣ .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٨٥/١ .

(٣) الاستيعاب ١٢٧/٣ .

وقد صحَّحَ البخاري وغيره أن خرَيماً[1] وأخاه سبرة شهدا بدراً ، وهو الصحيح إن شاء الله .

وطُليب بن عُمير « ها » ، قاله الزبير والواقدي ، وروي عن ابن إسحاق من غير طريق البكائي .

وممن ذُكر فيهم : كُثير بن عمرو السلمي حليف بني أسد ، ذكره ابن السراج في روايته عن عمر بن محمد بن الحسن الأسدي عن أبيه ، عن زياد عن ابن إسحاق ، وذكر أخويه مالك بن عمرو وثَقِف بن عمرو ، وقد تقدم ذكرهما . قال أبو عمر : لم أر كُثيراً في غير هذه الرواية ، ولعله أن يكون ثَقِف له لقباً واسمه كُثير[2] .

ويزيد بن الأخنس السلمي « س » ، وابنه معن بن يزيد ، وأبوه الأخنس ، ولا يُعرف فيمن شهد بدراً ثلاثة أب وجد وابن إلا هؤلاء ، وأكثرُ أهل العلم بالسِّيَر لا يُصحح شهودَهم بدراً .

● فهؤلاء أربعة وتسعون .

وقد روينا عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن الزبير ، قال : ضُرِبَ يوم بدر للمهاجرين بمائة سهم .

(ثانياً : من شهدها من الأنصار)

وشهدها من الأنصار ، ثم من الأوس ، ثم :

● من بني عبد الأشهل : سعد بن معاذ بن النعمان بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل ، وأخوه عمرو ، والحارث بن أوس بن معاذ ، والحارث بن أنس بن رافع بن امرىء القيس ، وأخوه شريك ، وابنه عبد الله ، ويزيد بن السَّكن بن رافع بن امرىء القيس ، وابنه عامر ، وأخوه زياد بن السكن — عند ابن الكلبي وحده — وابنه عُمارة بن زياد ، وسعد بن زيد « عج » ، وسَلمة بن سلامة بن وَقْش ، وعبَّاد بن بِشر بن وَقْش « عج » ، وسلمة

(١) الاستيعاب ٤٢٥/١ — ٤٢٦ .
(٢) الاستيعاب ٣١٧/٣ .

ابن ثابت بن وَقْش ، ورافع بن يزيد بن كُرز بن سكن بن زَعُورا ، وإياس بن أوس بن عَتيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن عامر بن زَعُورا بن جُشم أخي عبد الأشهل من ساكني راتج[١] ، وأخوه الحارث بن أوس عند ابن عُقبة ـ ومن الناس من يقول في عتيك عبيد ـ وأبو الهيثم بن التَّيِّهان « عب » ، وأخوه عُبيد ـ ويُقال عَتيك ـ والحارث بن خرمة بن عدي بن أبي بن غَنْم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، حليف لهم ، ومحمد بن مسلمة بن خلف بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث (حليف لهم)[٢] . من بني حارثة ، وسلمة بن أسلم بن حَريش بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث (حليف لهم)[٢] ، وعبد الله بن سهل بن زيد بن كعب بن عامر بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث (حليف لهم)[٢] = ثلاثة وعشرون .

● ومن بني ظَفر : وهو كعب بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سَواد بن كعب ، وعُبيد بن أوس بن مالك بن سَواد ، ونضر ابن الحارث بن عُبيد بن رَزاح بن كعب ، ومُعتِّب بن عُبيد عمه . ومن حلفائهم عبد الله بن طارق البَلَوي = خمسة .

● ومن بني حارثة بن الحارث بن الخزرج : مسعود بن عبد سعد بن عامر بن عدي ابن جُشم بن مَجدعة بن حارثة ، وأبو عبس عبد الرحمن بن جَبر بن عمرو بن زيد بن جُشم . ومن حلفائهم من بَلي : أبو بُردة هانىء بن نيار بن عمرو بن عُبيد بن كلاب بن دهمان بن غنم بن ذُبيان بن هُميم بن كاهل بن ذُهْل بن هُني أخي فَرَّان ابني بليّ أخي بهراء ابني عمرو بن الحاف بن قضاعة = ثلاثة .

● ومن بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، ثم من بني ضُبيعة بن زيد بن مالك ابن عوف بن عمرو بن عوف : عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح قيس بن عِصْمة بن مالك ابن أمية بن ضُبيعة ، ومعتب بن قُشير بن مُليل بن زيد بن العَطَّاف بن ضُبيعة ، وأبو مُليل ابن الأزعر بن زيد بن العَطَّاف بن ضُبيعة ، وعُمير بن معبد بن الأزعر بن زيد بن العَطَّاف ابن ضُبيعة = أربعة .

---

(١) « راتج » : أحد آطام المدينة (حصونها) سميت الناحية به .

(٢) من السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٨٦/١ .

● ومن بني أمية بن زيد بن مالك : مُبشِّر بن عبد المنذر بن زَنْبَر بن زيد بن أمية ، ورِفاعة بن عبد المنذر بن زنبر ، وسعد بن عُبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن زيد ابن أمية ، وعُوَيْم بن ساعدة « عب » ، ورافع بن عُنْجُدة ــ وهي أمه ، وأبوه عبد الحارث ــ حليف لهم من بَلي ، وعُبيد بن أبي عبيد ، وثعلبة بن حاطب ، وزعموا أن أبا لبابة بن عبد المنذر والحارث بن حاطب بن عمر بن عبيد بن أمية بن زيد خرجا مع رسول الله ﷺ فرَجَعهما رسولُ الله ﷺ ، وأمَّر أبا لبابة على المدينة ، فضربَ لهما بسهمين مع أصحاب بدر = تسعة نفر .

● ومن بني عُبيد بن زيد بن مالك : أُنيس ، وخِداش : ابنا قتادة بن ربيعة بن مَطروف بن الحارث بن زيد بن عُبيد ، واسم مطروف خالد . ومن حلفائهم من بلي : معن بن عدي بن الجد بن العجلان بن ضُبيعة ، وأخوه عاصم ، ضرب له بسهمه في بدر ، وثابت بن أقرم ــ ويقال أقران ــ بن ثعلبة بن عدي بن الجد بن العجلان ، وعبد الله بن سلمة بن مالك بن الحارث بن عدي بن الجد بن العجلان ، وزيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدي المذكور . ورِبْعي بن رافع بن الحارث بن زيد بن حارثة بن الجد بن العجلان = ثمانية نفر .

● ومن بني معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف : جبر بن عَتيك بن قيس ابن هَيْشة بن الحارث بن أمية بن معاوية ، وعمه الحارث بن قيس . ومن حلفائهم : مالك ابن نُميلة بن مُزينة ــ ونُميلة أمه ــ وهو مالك بن ثابت ، والنعمان بن عَصَر بن عُبيد ابن واثلة بن حارثة بن ضبيعة بن حَرَام بن جُعيل بن عمرو بن جُشيم بن وَدْم بن ذُبيان ابن هُميم بن كاهل بن ذُهْل بن هني بن بلي ــ وعَصَر بفتحتين ، عند ابن الكلبي ، ومكسور العين ساكن الصاد عند ابن إسحاق والواقدي وأبي مَعْشر وابن عقبة ، قاله الدمياطي ــ = أربعة .

● ومن بني حَنَش بن عوف بن عمرو بن عوف : سهل بن حُنيف بن واهب بن العُكَيْم بن ثعلبة بن الحارث بن مجدعة بن عمرو بن حَنَش = رجل .

● ومن بني كُلفة بن عوف بن عمرو بن عوف : المنذر بن محمد بن عُقبة بن أُحيحة ابن الجُلَاح ابن الحُرَيش بن جَحْجَبا بن كُلفة . ومن حلفائهم : أبو عقيل عبدُ الرحمن

ابن عبد الله بن ثعلبة بنَ بَيْحان بن عامر بن الحارث بن مالك بن عامر بن أُنَيْف بن جُشم ابن عائذ الله بن تميم بن عوف بن مَناة بن ناج بن تيم بن أراش بن عامر بن عَبيلة بن قِسْميل ابن فَرَّان بن بليّ = رجلان .

● ومن بني ثعلبة بن عمرو بن عوف : عبد الله بن جُبير بن النعمان بن أمية بن البُرَك ، وهو امرؤ القيس بن ثعلبة ، وأخوه خَوَّات بن جُبير ، قيل : خرج إلى بدر فكُسر بالروحاء ، فردَّه رسولُ الله ﷺ وضرب له بسهمه وأجره ، وعمُّهما الحارث بن النعمان ، وأبو ضَيَّاح النعمان بن ثابت بن النعمان بن أمية ، والنعمان والحارث ابنا أبي خَزمة بن النعمان بن أمية بن البُرَك ، وأبو حَبَّة – بالباء – بن ثابت أخو أبي ضَيَّاح – عند ابن القَدَّاح – وأبو حنة – بالنون – بن مالك بن عمرو بن ثابت بن كُلْفة بن ثعلبة ، وسالم ابن عُمير بن ثابت بن كُلْفة بن ثعلبة ، وعاصم بن قيس بن ثابت بن كُلْفة بن ثعلبة = عشرة .

● ومن بني غنم بن السَّلم بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس : سعد بن خيثمة ، والمنذر ، ومالك : ابنا قدامة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النَّحَاط ، والحارث بن عَرْفجة بن الحارث بن مالك ، ذكره ابنُ عقبة والواقدي وغيرُهما ، وتميم مولى بني غَنْم ابن السَّلَم = خمسة .

فجملة من ذكرنا من الأوس أربعة وسبعون .

وشهدها من الأنصار ، ثم من الخزرج ، ثم :

● من بني مَغَالة : وهم بنو عدي بن عمرو بن مالك بن النجار : أبو شيخ أبيّ بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي ، وأخوه أوس ، وأبو طلحة زيدُ ابن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي المذكور = ثلاثة .

● ومن بني حُدَيْلة – وهي بنت مالك بن زيد مناة بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشم بن الخزرج ، وهي أم معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار – : أنس بن معاذ بن أنس بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك ابن النجار ، وأبيّ بن كعب « عج » ، وأبو حبيب بن زيد بن الحُباب بن أنس بن زيد بن عُبيد بن زيد بن معاوية – قاله ابن الكلبي – = ثلاثة .

● ومن بني غَنْم بن مالك بن النجار : أبو أيوب خالد بن زيد « عج » ، وعمارة ابن حزم « عج » ، وثابت بن خالد بن النعمان بن خنساء بن عُشيرة – وقال ابن هشام : عُسَيرة بن عبد بن عوف بن غنم[1] – ، وسراقة بن كعب بن عمرو بن عبد العزى ابن غزية بن عمرو بن عبد بن عوف بن غنم : ومنهم من أسقط بعد كعب عمراً = أربعة .

● ومن بني ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار : سُلَيم بن قيس بن قهد – واسمه خالد ابن قيس بن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم ، وحارثة بن النعمان بن نَقْع بن زيد بن عبيد ابن ثعلبة بن غنم ، وسُهيل وأخوه سهل ابنا رافع بن أبي عمرو بن عائذ بن ثعلبة بن غنم ، ومسعود بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم ، وأخوه أبو خُزيمة بن أوس ، ورافع بن الحارث بن سَواد بن زيد بن ثعلبة بن غنم – كذا عند الواقدي سواد ، وعند ابن عُمارة : الأسود – = سبعة .

● ومن بني سَواد بن غنم بن مالك بن النجار – كذا عند ابن الكلبي ، وابنُ سعد يقول : سواد بن مالك بن غنم بن مالك – : معاذ « عب » ومُعَوِّذ وعوف « ها » بنو الحارث بن رفاعة ، وأمهم عفراء بنت عُبيد – وهم ثلاثة عند أبي معشر والواقدي وابن القَدَّاح ، وكان ابن إسحاق يزيد فيهم رابعاً يُسمِّيه : رفاعة ، شهد عنده بدراً ، وأنكره الواقدي.والنُّعيمان بن عمرو « عج » ، وعامرُ بن مُخَلَّد بن الحارث بن سَواد ، وعبد الله ابن قيس بن خَلْدَة بن الحارث بن سواد ، وعمرو بن قيس بن زيد بن سَواد – مذكورٌ في البدريين عند أبي معشر وابن القدَّاح والواقدي – وقيس ابنه عندهم أيضاً – ولم يذكرهما في البدريين ابن عقبة ولا ابن إسحاق – وثابت بن عمرو بن زيد بن عدي بن سَواد = عشرة .

● ومن بني مَبذول – وهو عامر بن مالك بن النجار – : ثعلبة بن عمرو بن محصن ابن عمرو بن عَتيك بن عمرو بن عامر ، والحارث بن الصِّمة بن عمرو بن عتيك – خرج إلى بدر فكُسر بالروحاء ، فردَّه رسول الله ﷺ ، وضربَ له بسهمه وأجره – وسهل بن عَتيك « عج » وعامر بن سعد بن عمرو بن ثقف – واسمه كعب بن مالك ابن مَبذول ، ذكره ابن عُمارة ، قال ابن سعد : ولم يذكره غيرُه .

(١) في السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٧٠١ قال ابن هشام : ويُقال : عُسيرة وعُشيرة . وقوله : « ابن عبد ابن عوف بن غنم » هو من كلام ابن إسحاق .

ومن حلفائهم : عدي بن أبي الزَّغْبَاء سِنان بن سُبيع بن ثَعلبة بن ربيعة بن زُهرة بن بُديل بن سعد بن عدي بن نَصر بن كاهل بن مالك بن غَطَفان بن قيس بن جُهينة حليف بني عائذ بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ، ووديعة بن عمرو بن جَرَاد بن يَربوع ابن طُحيل بن عمرو بن غَنْم بن الربعة بن رشدان بن قيس بن جُهينة حليف بني سَواد ابن غنم بن مالك بن النجار ، وأبو مَعشر - يُسميه رفاعة بن عمرو - وعُصَيْمة حليف لهم من أشجع و لم يذكره ابن عقبة وذكره غيره - كذا قاله ابن سعد - والذي في السيرة[1] : أن عُصيمة من بني أسد بن خزيمة ، وأنه حليف بني مازن بن النجار ، وكذا ذكره ابن سعد في بني مازن - = سبعة .

● ومن بني عديّ بن النجار ، ثم من بني عدي بن مالك بن عديّ بن النجار : حارثة بن سُراقة بن الحارث بن عدي ، وهو أول قتيل بعد مِهْجع ، وعمرو بن ثعلبة بن وهب بن عدي ، ومُحرز بن مالك بن عامر بن عدي ، وسَلِيْط بن قيس بن عمرو بن عُبيد بن مالك بن عدي ، وأبو سَلِيط أُسيرة ابن أبي خارجة عمرو بن قيس بن مالك بن عدي ، وذكر ابنُ الكلبي أن أباه أبا خارجة شهد بدراً ، وفيه نظر . وعامرُ بن أمية بن زيد بن الحَسْحَاس بن مالك بن عديّ ، وأبو صِرْمة قيس بن أبي قيس صِرْمة بن أبي أنس قيس ابن صرمة بن مالك بن عدي . قال أبو عمر : لم يُختلف في شهوده بدراً ، ولم يذكره فيهم ابن عُقبة ، ولا ابن إسحاق ، ولا ابن سعد ، وهذا عجيب من أبي عمر رحمه الله = ثمانية .

● ومن بني حَرَام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار : أبو الأعور الحارث بن ظالم بن عَبْس بن حَرَام ، وحرام وسُليم ابنا مِلْحان بن خالد بن زيد بن حَرام ، أمهما مُليكة بنت مالك بن عدي بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار .

ومن حلفاء بني عدي بن النجار : سواد بن غَزيّة بن وهب من بليّ ، وهو الذي قال له النبيُّ ﷺ : استقد مني . وهو الذي أسرَ خالداً والعاصي والحارث إخوة أبي جهل ابن هشام = أربعة[2] .

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٧٠٥ .

(٢) سواد بن غزيّة هذا - رضي الله عنه - حليف لبني حرام ولبني عدي بن مالك المذكورين قبلهم ؛

● ومن بني عمرو بن عوف بن مَبذول بن عمرو بن غَنْم بن مازن : عبد الله بن كعب بن عمرو = واحد .

● ومن بني خنساء بن مبذول المذكور : وأبو داود عمير بن عامر بن مالك بن خنساء ، وسراقة بن عمرو بن عطية بن خنساء = اثنان .

● ومن بني ثعلبة بن مازن بن النجار : قيس بن مُخَلَّد بن ثعلبة بن صخر بن حبيب ابن الحارث بن ثعلبة ، وأبو حسن المازني تميم بن عبد عمرو بن قيس بن مُحرِّث بن الحارث ابن ثعلبة ــ قال أبو عمر : شهد بدراً . وقال شيخنا الحافظ أبو محمد الدمياطي : وهذا غير ثابت . وكذا هو عند ابن سعد ، معدودٌ في الطبقة الثالثة ممن شهد الخندق وما بعدها ــ = اثنان .

● ومن بني دينار بن النجار : سُليم بن الحارث بن ثعلبة بن كعب بن عبد الأشهل ابن حارثة بن دينار ، والنعمان والضَّحاك ابنا عبد عمرو ، وكعب بن زيد بن قيس بن مالك بن كعب بن عبد الأشهل ، وسعيد بن سهل بن مالك بن كعب بن عبد الأشهل ــ وابن إسحاق وأبو معشر يقولان في سهل : سهيل ــ وبُجير بن أبي بُجير ــ حليف لهم من بلي أو جهينة ــ = ستة .

● ومن بني الحارث بن الخزرج ، ثم من بني مالك الأغرّ بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج : عبدُ الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرىء القيس الأصغر بن عمرو بن امرىء القيس الأكبر بن مالك الأغر ــ قال ابن سعد : ليس له عقب ، وليس كذلك ــ وسعدُ بن الربيع « ق » ، وخارجة بن زيد « عج » ، وخلَّاد بن سُويد « عج » ، وبشير بن سعد « عج » ، وسِماك بن سعد أخوه = ستة .

● ومن بني حارثة بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج : يزيد بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمر بن حارثة = واحد .

● ومن بني عديّ بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرَج : خُبيب بن يَساف ،

= لأنهم جميعاً يرجع نسبهم لبني عدي بن النجار ، كما ذكر المؤلف رحمه الله . فمجموع بني عدي بن النجار مع حليفهم سواد اثنا عشر رجلاً .

ويقال : إساف بن عِنبة بن عمرو بن خديج بن عامر بن جُشم . وعن خُبيب بن عبد الرحمن أن جده خُبيباً هذا ضُرِبَ يوم بدر فمال شِقُّه ، فتفلَ عليه رسولُ الله ﷺ ولأمَه وردَّه فانطلق[1] . = واحد .

● ومن بني زيد مناة – وبعضهم يُسقط مناة – بن الحارث بن الخزرج : عبد الله ابن زيد بن عبد ربه صاحب الأذان « عج » ، وأخوه حُريث ، وسفيان بن نسر – ويقال : بشر – بن عمرو بن الحارث بن كعب بن زيد مناة = ثلاثة .

● ومن بني عوف بن الحارث بن الخزرج ، ثم من بني جُدارة بن عوف : تميم بن يُعَار بن قيس بن عدي بن أمية بن جُدارة ، وابن عمه زيد بن المُزَيْن بن قيس بن عديّ ، وعبد الله بن عُمير بن حارثة بن ثعلبة بن خِلاس بن أمية بن جُدارة – ولم يذكره ابنُ عمارة في البدريين وذكره غيرُه – وعبد الله بن عُرْفُطة بن عدي بن أمية بن جُدارة – وكذا نسبه ابنُ إسحاق ، وابن سعد يقول : عبد الله بن عُرْفطة – حليفٌ لهم ، وعقبة بن عمرو أبو مسعود البدري « عج » – عدَّه البخاريُّ في البدريين ، والمشهورُ أنه لم يشهدْ بدراً وإنما هو منسوبٌ إلى الماء – = خمسة .

● ومن بني الأبجر خُدْرةُ بن عوف : عبد الله بن الربيع « عج » = واحد .

● ومن بني طَريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج : سعد بن عبادة « ق » ، – وقع في صحيح مسلم ولم يصحّ شهوده بدراً – وعبدُ ربِّه بن حق بن أوس ابن عامر بن ثعلبة بن وَقْش بن ثعلبة بن طريف = اثنان .

● ومن بني ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة : المنذر بن عمرو « ق » ، وأبو دُجانة سِماك ابن خَرَشة بن لَوْذان بن عبد ودّ بن زيد بن ثعلبة – وابن الكلبي – يقول : سماك ابن أوس بن خَرَشة = اثنان .

● ومن بني عمرو بن الخزرج بن ساعدة : أبو أُسيد مالك بن ربيعة بن البَدَن – وبعضهم يقول البديّ – بن عامر – وقيل : عمرو بن عوف بن حارثة بن عمرو ، وقيل : البَدَن هو عامر ، أو عمرو بن عوف – وابن عمه مالك بن مسعود بن البَدَن ،

---

(١) الإصابة ٤١٨/١ ، وهو عند الإمام أحمد في المسند ، والواقدي ١٦٦/١ ، والسيرة الشامية ١٤٩/٤ .

وسعد بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو ، تجهز لبدر فمات فضربَ له رسولُ الله ﷺ بسهمه وأجره .

ومن حلفائهم : بَسْبَسُ بن عمرو بن ثعلبة بن خَرَشة بن عمرو بن سعد بن ذُبيان ابن رشدان بن قيس بن جُهينة ، وأخواه : زياد وضَمرة ، وبعضهم يقول في ضمرة : ابن أخي زياد ، وعند ابن سعد : زياد بن كعب بن عمرو بن عدي بن عامر بن رفاعة ابن كُليب بن مُودَعة بن عديّ بن غَنْم بن الربعة بن رَشدان بن قيس بن جُهينة ، وعبدُ الله بن عامر البلوي ، وكعب بن جمّاز ، – وبعضُهم يقول جمان ، وعند الزمخشري حمَّاز – بن مالك بن ثعلبة بن خَرَشة ، وبعضهم يُسقط من نسبه مالكاً = ثمانية .

● ومن بني الحُبْلى : أوس بن خَوْلي بن عبد الله بن الحارث بن عُبيد بن مالك بن سالم الحُبلى ، وزيد بن وَديعة بن عمرو بن قيس بن جَزء بن عدي بن مالك بن سالم ، ورفاعة بن عمرو « عج » ، وابنه مالك « عج » ، – ذكره الأموي فيمن شهد العقبة وبدراً – ومَعْبَد بن عَبّاد بن قشعر – ويقال قُشَيْر – ابن الفَدْم بن سالم بن مالك بن سالم .

ومن حلفائهم : عقبة بن وهب « عج » ، وعامر بن سلمة بن عامر ، وعاصم بن العُكَيْر من مزينة = ثمانية .

● ومن بني غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج – وهو قوقل – : عبادة ابن الصامت « عب » ، والنعمان الأعرج بن مالك بن ثعلبة بن أصرم بن فهر بن ثعلبة ابن غنم ، والنعمان بن مالك بن ثعلبة بن دَعد بن فِهر بن ثعلبة بن غَنْم ، ومالك بن الدُّخْشُم « عج » ، والحارث بن خَزْمة بن عدي بن أُبيّ بن غَنْم – حليف لبني عبد الأشهل من الأوس – ونوفل بن عبد الله بن نَضْلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غَنْم بن سالم ، وعِتْبان ابن مالك بن عمرو بن العجلان ، ومُلَيْل بن وَبْرة بن خالد بن العجلان ، وابن أخيه : عصمة بن الحصين بن وَبْرة عند ابن القداح والواقدي – وهُبَيْل أخوه – ذكره إبراهيم ابن المنذر ، قال : حدثني عبدُ الله بن محمد بن يحيى بن عروة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، فيمن شهد بدراً ، حكاه أبو عمر ، وفيه نظر – وثابت بن هَزّال بن عمرو بن

قَريوش بن غَنْم بن أمية بن لَوْذان بن سالم ، والربيع ووذْفة[1] ابنا إياس بن عمرو بن غنم ابن أمية .

ومن حلفائهم المجذر بن ذياد بن عمرو بن زُمْزُمة بن عمرو بن عمارة بن مالك بن غُصَيْنة بن عمرو بن بُثيرة بن مشنوء بن القَشْر بن تَيْم بن عَوذ مناة بن ناج بن تيم بن إراشة ابن عامر بن عُميلة بن قسميل بن فَرَان بن بليّ بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة ـ وعند ابن إسحاق : مشنوء بن قَسْر بن تيم بن إراش بن عامر ، بإسقاط ما زاد على ذلك ـ البلوي ، وعبدةُ بن الحَسْحَاس ـ عند الواقدي مهملة الحاء والسين ، ومعجمتهما عند ابن إسحاق ـ وقيل : عُبادة ،وبَحَّاث بن ثعلبة بن خَزْمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة ـ بالباء الموحدة وآخرها ثاء مثلثة عند ابن الكلبي ، وعند ابن إسحاق بالنون وآخرها باء موحدة ـ وأخوه عبد الله بن ثعلبة ، وعتبة بن ربيعة بن خالد بن معاوية من بني بَهراء أخي بليّ ابني عمرو بن الحاف بن قضاعة ـ وابن هشام وابن القدَّاح يقولان : من بني بهز ، لابهراء ، قال أبو عمر : وقد اختُلف في شهوده بدراً ـ وعمرو ابن إياس بن زيد بن جُشم من أهل اليمن من غسان = تسعة عشر .

● ومن بني سلِمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جُشم ، ثم من بني حرام بن كعب بن غنم بن سلِمة : عبدُ الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن عمرو ابن حَرام ، أبو جابر ، وقد ذُكر فيهم ابنه جابر ـ قال الواقدي : غَلِط من عدَّه في البدريين من أهل العراق ، لم يذكره ابنُ عقبة ولا ابن إسحاق ولا أبو مَعْشر ـ وعمرو ابن الجَمُوح « عج » ، وأولادُه مُعوِّذ وخَلَّاد ومُعاذ . وخِراش بن الصِّمَّة بن عمرو ابن الجَموح بن زيد بن حرام ، وأخوه مُعاذ بن الصِّمَّة ـ وقال محمد بن عمر : ليس بمثبت ولا مجمع عليه ـ وعُمير بن حرام بن عمرو بن الجموح ـ شهد بدراً عند الواقدي وابن عُمارة ، ولم يذكره ابن عقبة ولا ابن إسحاق ولا أبو معشر ـ وعُمير بن الحمام ابن الجموح ، والحُباب بن المنذر بن الجموح ، وعُقبة بن عامر بن نابي « عا » ، وعمير ابن عامر أخوه ـ شهد بدراً وغيرها عند ابن الكلبي ، وقال الدمياطي : ولم أرَ من تابع

(١) في السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٩٥/١ : « ورقة » .

ابن الكلبي على ذكره في الصحابة – وثابت بن ثعلبة – وهو ابن الجِذْع – وعمرو « عج » – وقيل عمير – بن الحارث .

ومن مواليهم : تميم مولى خِراش بن الصِّمَّة ، وحبيب بن الأسود = سبعة عشر .

● ومن بني سِنان بن كعب بن غنم بن كعب بن سلِمة : عمرو بن طَلْق بن زيد ابن أمية بنِ سنان – ولم يذكره ابن عقبة = واحد .

● ومن بني عُبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلِمة : البراءُ بن مَعرور « ق » ، وابنه بشر ، وعبدُ الله بن الجَدّ بن قيس بن صخر بن خنساء بن سِنان بن عُبيد ، وعُتبة ابن عبد الله بن صخر بن خنساء بن سنان ، وسنان بن صَيْفي « عج » ، والطفيل بن مالك « عج » ، والطفيل بن النعمان بن خنساء – قال ابن سعد : ولا أحسبُه إلا وَهَلاً – وجَبَّار بن صخر « عج » ، ويزيد بن حَرَام ، ومسعود بن زيد = عشرة .

● ومن بني خُنَاس بن سنان بن عبيد : يزيد بن المنذر « عج » ، وأخوه معقل « عج » ، وعبدُ الله بن النعمان بن بَلْذَمة بن خُناس ، وأبو قتادة بن ربعي بن بَلْذَمة بن خُناس – مختلف في شهوده بدراً – = أربعة .

● ومن بني النعمان بن سِنان بن عُبيد : عبدُ الله بن عبد مناف بن النعمان ، وخُلَيْد وخَلَّاد ولَبْدةُ بنو قيس بن النعمان ، وجابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان = خمسة .

● ومن بني ثعلبة بن عُبيد بن عديّ بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة : الضحَّاك بن حارثة « عج » ، وسواد بن رزن بن زيد بن ثعلبة = اثنان .

● ومن بني ربيعة بن عُبيد : معبد بن قيس بن صيفي بن صخر بن حَرَام بن ربيعة ، وأخوه عبدُ الله ، وحمزة بن الحُمَيِّر من حلفائهم – وابن إسحاق يُسمِّيه خارجة – وأخوه عبد الله ، والنعمان بن سِنان مولى لهم = خمسة .

● ومن بني سَواد بن غنم بن كعب بن سَلِمة : قُطْبة بن عامر بن حَدِيدة « عا » ، وابن عمه سُليم بن عمرو بن حَدِيدة ، وأبو اليَسَر كعب بن عمرو « عج » ، وصيفي بن سواد « عج » ، وثعلبة بن غَنَمة « عج » ، وعبس بن عامر بن سِنان « عج » ، وسهل ابن قيس ابن أُبيّ بن كعب بن عمرو بن القَيْن بن كعب بن سَواد .

ومن حلفائهم : معاذ بن جبل « عج » = ثمانية .

● ومن بني زُرَيق : ذكوان بن عبد قيس « عب » ، وسعد بن عثمان بن خَلْدة ، وأخوه عُقبة ، وابن عمهما قيس بن مِحْصن بن خَلْدة بن مُخَلَّد بن عامر بن زُرَيق ، والحارثُ بن قيس « عج » ، وجُبير بن إياس بن خلدة بن مُخَلَّد بن عامر بن زُرَيق ، ومسعود بن خَلْدة بن مُخَلَّد بن عامر بن زُريق ، وعبَّاد بن قيس « عج » ، ورافع بن مالك « عج » ، وابناه : رِفَاعة وخَلَّاد ، وعُبيد بن زيد بن عامر بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زُريق ، والعجلان بن النعمان بن عامر بن العجلان ، وأسعد بن يزيد بن الفاكه بن زيد بن خَلْدة ابن عامر بن زريق ، والفاكِه بن بِشْر[1] بن الفاكِه بن زيد بن خَلْدة ، ومُعاذ وعائذ ابنا ماعص بن قيس بن خَلْدة بن عامر ، ومسعود بن سعد بن قيس بن خَلْدة بن عامر .

ومن حلفائهم من بني مالك أخي الحارث : رافع بن المُعَلَّى بن لَوْذَان بن حارثة ابن زيد بن ثعلبة بن عدي بن مالك ، وأخوه هلال بن المُعَلَّى – ولم يذكره ابن إسحاق – قال ابن الكلبي : وشهد رافع وراشد وهلال وأبو قيس بنو المعلى بدراً ، ولم يذكر ابن إسحاق منهم سوى رافع = اثنان وعشرون .

● ومن بني بَياضة بن عامر بن زريق : زياد بن لبيد « عج » ، وخليفة بن عدي بن عمرو بن مالك بن عامر بن بَياضة ، وفروة بن عمرو « عج » ، وغَنَّام بن أوس بن عمرو ابن مالك بن عامر بن بَياضة – ذكره ابن الكلبي – وخالد بن قيس « عج » ، ورُحَيْلة ابن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة بن عامر بن بَياضة ، وعَطيّة بن نوير بن عامر بن عَطيّة بن عامر بن بَياضة – قاله ابن الكلبي – = سبعة .

فجملة من ذكرنا :

من الخزرج : مائة وخمسة وتسعون .

ومن الأوس : أربعة وسبعون .

ومن المهاجرين : أربعة وتسعون .

فذلك ثلاثمائة وثلاثة وستون .

(١) وفي « ج » : « نَسْر » ، قال الصالحي في السيرة الشامية ١٧٤/٤ : الفاكه بن بِشْر ، ويقال غير ذلك .

وهذا العدد أكثرُ من عدد أهل بدر ، وإنما جاء ذلك من جهة الخلاف في بعض من ذكرنا ، وقد تقدَّم نظيرُ ذلك في أهل العقبة ، والله أعلم .

وكان معهم من الخيل : فرس مَرْثد بن أبي مَرْثد الغنوي : السَّبَل . وفرسُ المقداد : بعزجة ، ويقال : سبحة . وقيل : وفرس الزبير : اليعسوب . وقال ابن عُقبة : ويقال : كان مع النبي ﷺ فرسان : على إحداهما مصعب بن عمير ، وعلى الأخرى سعد بن خيثمة ، ومرة الزبير بن العوام ، ومرة المقداد بن الأسود .

(من استُشهد من المسلمين يوم بدر)

واستُشهد مع رسول الله ﷺ يوم بدر من المسلمين : عُبيدة بن الحارث وعُمير بن أبي وقاص – وكانت سنه ستة عشر أو سبعة عشر عاماً – وعُمير بن الحُمام من بني سلِمة من الأنصار ، وسعدُ بن خَيثمة من بني عمرو بن عوف من الأوس ، وذو الشِّمالين ابن عبد عمرو بن نَضْلة الخزاعي حليفُ بني زُهرة ، ومُبشر بن عبد المنذر من بني عمرو ابن عوف ، وعاقل بن البُكير الليثي ، ومِهْجع مولى عمر حليفُ بني عدي ، وصفوان ابن بيضاء الفِهْري ، ويزيد بن الحارث من بني الحارث بن الخزرج ، ورافع ابن المُعلى – وقد تقدم الخلاف في أخيه هلال – وحارثة بن سُراقة من بني النجار ، وعوف ومُعوّذ ابنا عفراء = أربعة عشر : ستة من المهاجرين ، وثمانية من الأنصار ؛ ستة من الخزرج ، واثنان من الأوس .

(من قُتل وأُسِرَ ببدر من المشركين)

وقُتل من المشركين سبعون وأُسر سبعون . وروينا من طريق البخاري : حدثني عمرو ابن خالد ، حدثنا زهير ، حدثنا أبو إسحاق ، قال : سمعتُ البراءَ ، قال : جعلَ النبيُّ ﷺ على الرماة يوم أُحد عبدَ الله بن جُبير ، فأصابوا منا سبعينَ ، وكان النبيُّ ﷺ وأصحابُه يومَ بدر أصابَ من المشركين أربعين ومائة : سبعين أسيراً ، وسبعين قتيلاً[1] .

(١) رواه البخاري في المغازي (باب غزوة بدر) رقم /٣٩٨٦/ . وفيه : « أصابوا من المشركين يومَ بدرٍ .. » .

فمن مشاهير القتلى : من بني عبد شمس : حنظلة بن أبي سفيان ؛ قتله زيد بن حارثة . وعُبيدة بن سعيد بن العاص ؛ قتله الزبير . وأخوه العاصي بن سعيد ؛ قتله علي وقيل غيره . وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ، والوليد بن عتبة ؛ قتلهم حمزة وعبيدة وعلي كما تقدم . وعقبة بن أبي مُعيط ؛ قتله عاصم بن ثابت صَبْراً – وقيل : بل عليٌّ بأمر رسول الله ﷺ له بذلك – والحارث بن عامر بن نوفل ؛ قتله علي . وطُعيمة بن عدي ؛ قتله حمزة ، وقيل : بل قتل صَبْراً ، والأول أشهر . وزمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، وابنه الحارث ابن زمعة ، وأخوه عقيل بن الأسود ، وأبو البختري بن العاصي بن هشام – وقد تقدم الخلاف في قاتله مَنْ هو – ونوفل بن خُويلد بن أسد ، قتله علي ، وقيل الزبير . والنضر ابن الحارث ، قُتل صبراً بالصفراء . وعُمير بن عثمان ، عم طلحة بن عُبيد الله بن عثمان . وأبو جهل بن هشام . وأخوه العاصي بن هشام ، قتله عمر . ومسعود بن أبي أمية المخزومي أخو أم سلمة . وأبو قيس بن الوليد ، أخو خالد بن الوليد . وقيس بن الفاكِه بن المغيرة . والسَّائب بن أبي السائب المخزومي ، وقد قيل لم يُقتل يومئذ ، وأسلم بعد ذلك . ومنبِّه ونبيه ابنا الحجاج بن عامر السَّهْمي . والعاصي والحارث ابنا منبه بن الحجاج . وأمية بن خلف الجمحي ، وابنه علي .

وأسر يومئذ : مالك بن عُبيد الله ، أخو طلحة ، فمات أسيراً . وحذيفة بن أبي حُذيفة ابن المغيرة ، ثم قُتل ، وقُتل أخوه هشام بن أبي حذيفة . وأُسر من بني مخزوم ، ومن حلفائهم يومئذ أربعة وعشرون رجلاً . ومن بني عبد شمس وحلفائهم اثنا عشر رجلاً ، منهم عمرو ابن أبي سفيان ، والحارث بن أبي وَجْزَة بن أبي عمرو بن أمية . وأبو العاصي بن الربيع صهرُ رسول الله ﷺ على ابنته زينب . وأُسر من بني هاشم : العباس بن عبد المطلب ، وعَقيل بن أبي طالب ، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب . ومن بني المطلب بن عبد مناف : السائب بن عبيد ، والنعمان بن عمرو . ومن بني نوفل : عديّ بن الخيار . ومن بني عبد الدار:أبو عَزيز بن عُمير . ومن سائر قريش : السائب بن أبي حُبيش ، والحارث بن عامر ابن عثمان بن أسد ، وخالد بن هشام أخو أبي جهل ، وصَيفيّ بن أبي رفاعة ، وأخوه أبو المنذر بن أبي رفاعة ، والمطلب بن حَنطب ، وخالد بن الأعلم ، وهو القائل :

ولسنا على الأعقاب تَدْمَى كُلومُنا ... ولكنْ على أقدامنا تقطرُ الدِّما

وهو أول من فر يوم بدر ، فأُدرك وأُسر . وعثمان بن عبد شمس بن جابر المازني حليف لهم ، وهو ابن عمة عُتبة بن غَزْوَان ، وأمية بن أبي حذيفة بن المغيرة ، وأبو قيس بن الوليد أخو خالد بن الوليد ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ، وأبو عطاء عبد الله بن أبي السائب ابن عائذ المخزومي ، وأبو وَدَاعة بن صُبيرة السهمي ـ وهو أول أسير فُدي منهم ـ وعبد الله بن أُبيّ بن خَلف الجُمحي ، وأخوه عمرو ، وأبو عزة الجمحي ، وسُهيل بن عمرو العامري ، وعبد بن زمعة[1] بن قيس العامري ، وعبيد الله بن حميد بن زهير الأُسدي .

هؤلاء المشاهير من الأسرى والقتلى ، نقلت ذلك عن أبي عمر ، ولولا خشية الإطالة لأتيت عليهم .

وكان الفِداء من أربعة آلاف ، إلى ثلاثة آلاف ، إلى ألفين إلى ألف درهم .

وروينا عن ابن سعد ، أخبرنا الفضل بن دُكين ، حدثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر ، قال : أسرَ رسولُ الله ﷺ يوم بدر سبعين أسيراً ، وكان يُفادي بهم على قدر أموالهم ، وكان أهلُ مكة يَكتُبون ، وأهل المدينة لا يكتبون ، فمن لم يكن عنده فداء دُفع إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة يعلّمهم ، فإذا حَذَقوا فهو فداؤه[2] .

وروينا عنه قال : أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، حدثنا هشام بن حسان ، حدثنا محمد بن سيرين ، عن عَبيدة ، أن جبريلَ نزلَ على النبيّ ﷺ في أُسارى بدر ، فقال : إن شئتم قتلتموهم ، وإن شئتم أخذتم منهم الفداء ، ويُستشهد قابلٌ منكم سبعون . قال : فنادى النبيُّ ﷺ في أصحابه ، فجاؤوا ـ أو من جاء منهم ـ فقال : إن هذا جبريل يُخيِّركم بين أن تقدموهم فتقتلوهم ، وبين أن تُفادوهم ويُستشهد قابلَ منكم بعدَّتهم ،

---

(١) في الأصول « عبد الله بن زمعة » والتصحيح من الإصابة ٤٣٣/٢ ، وقال : وهو أخو أم المؤمنين سودة بنت زمعة .

(٢) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢٢/٢ ، والخبر مرسل إن كان عامر هو الشعبي ، عامر بن شراحيل ، الإمام الثقة ، وهو الظاهر ، ويحتمل أن يكون عامر بن واثلة أبا الطفيل ، لأن جابر بن يزيد الجعفي يروي عنهما ، وأبو الطفيل صحابي ، فإن كان هو فالإسناد متصل .. والله أعلم . عن النبراس لسبط ابن العجمي باختصار .

فقالوا : بل نُفاديهم فنتقوَّى به عليهم ، ويدخل قابلَ منا الجنة سبعون ، ففادَوْهم[1] .

ذكر من أسلم من أسرى بدر بعد ذلك

العباس بن عبد المطلب ، عقيل بن أبي طالب ، نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، أبو العاص بن الربيع ، أبو عزيز بن عمير العبدري ، السائب بن أبي حُبيش ، خالد بن هشام المخزومي ، عبد الله بن أبي السائب ، المطلب بن حنطب ، أبو وداعة السهمي ، عبد الله بن أبيّ بن خلف الجمحي ، وهب بن عُمير الجمحي ، سهيل بن عمرو العامري ، عبد الله بن زمعة ـ أخو سودة ـ قيس بن السائب المخزومي ، نِسْطاس مولى أمية بن خلف .

ويُذكر أن العباس ـ وكان جسيماً ـ أسره أبو اليَسَر كعب بن عمرو ـ وكان دميماً ـ فقيل للعباس : لو أخذته بكفك لوسعتْه كفُّك . فقال : ما هو إلا أن لقيتُه فظهرَ في عيني كالخندمة ـ والخندمة : جبل من جبال مكة ـ .

فضل من شهد بدراً

روينا من طريق البخاري : حدثني إسحاق بن إبراهيم ، أخبرنا جرير ، عن يحيى بن سعيد ، عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزُّرَقي ، عن أبيه ـ وكان أبوه من أهل بدر ـ قال : جاء جبريلُ إلى النبي ﷺ فقال : « ما تعدُّون أهلَ بدر فيكم ؟ قال : من أفضل المسلمين ـ أو كلمةً نحوها ـ قال : كذلك من شهد بدراً من الملائكة »[2] .

---

(١) الطبقات الكبرى ٢/٢٢ وهو حديث مرسل ؛ لأن عبَيدة بن عمر وقيل ابن قيس السلماني تابعي مشهور . وهذا المرسل أخرجه بنحوه الترمذي والنسائي ، كلاهما في السير من حديث علي رضي الله عنه ، وأخرجه الترمذي مرسلاً ، وإنما آثر المؤلف إخراجه من الطبقات لأنه يقع له أعلى منهما .. نور النبراس .

(٢) رواه البخاري في كتاب المغازي (باب شهود الملائكة بدراً) رقم /٣٩٩٢/ .

ما قيل من الشعر في بدر

قال حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه :

ألم تر أمراً كان من أعجب الدهر … وللحَيْن أسبابٌ مُبيَّنةُ الأمر
وما ذاكَ إلا أن قوماً أفادهمْ … فحانوا تواصٍ بالعقوق وبالكفر[1]
عشيةَ راحُوا نحو بدرٍ جميعُهمْ … فكانوا رهوناً للرَّكيَّةِ من بدر[2]
وكنا طلبنا العير لم نبغِ غيرَها … فساروا إلينا فالتقينا على قدر
فلما التقينا لم تكن مَثْنَوِيّةٌ … لنا غيرَ طعنٍ بالمثقّفةِ السُّمر[3]
وضربٍ ببيضٍ يختلي الهامَ حدُّها … مُشَهَّرَةَ الألوان بَيِّنَةَ الأثْرِ[4]
ونحن تركنا عُتبةَ الغيّ ثاوياً … وشيبة في قتلى تُجَرْجَمُ في الجَفْر[5]
وعمرو ثوى فيمن ثوى من حُماتهم … فشُقَّتْ جُيوبُ النائحاتِ على عمرو
جُيوبُ نساءٍ من لؤيٍّ بن غالب … كرامٍ تفرَّعْنَ الذوائبَ من فِهر
أولئك قومٌ قُتِّلوا في ضلالهم … وخَلَّوْا لواءً غيرَ مُحتضَرِ النصر
لواءَ ضلالٍ قاد إبليسُ أهلَه … فخاس بهم ، إن الخبيثَ إلى غَدْرِ
وقال لهم إذ عاين الأمرَ واضحاً … برئتُ إليكم ما بِيَ اليومَ من صبر
فإني أرى ما لا ترونَ وإنني … أخافُ عقابَ الله والله ذو قسْرِ
فقدّمهم للحَيْنِ حتى تورّطُوا … وكان بما لم يَخبَرِ القومُ ذا خُبْر
فكانوا غداةَ البئر ألفاً وجمعنا … ثلاثُ مِئِين كالمُسدَّمة الزُّهْرِ

---

(١) « تواصٍ » : فاعل أفادهم .

(٢) « الركيَّة » : البئر غير المطوية .

(٣) « لم تكن مثنوية » : لا ثاني لأمرهم إلا ما ذُكر من الطعن والنزال .

(٤) « يختلي » : يقطع . و« الأَثر » : بفتح الهمزة وكسرها ، فرند السيف ، وهو ما يتراءى فيه من لمعان وبريق .

(٥) « تُجرجَمُ » : تُصرع .

وفينــا جنــود الله حين يُمِدُّنــا بهم في مقام ثمَّ مُستَوْضَحِ الذِّكْر
فشدَّ بهم جبريـــلُ تحت لوائنـــا لـدى مَأْزِقٍ فيـه مناياهـمُ تجري

● فاد الرجل : فيداً وفَوْداً : مات ، وأفادَه الله .
● والجَفْر : البئر غير المطوية .
● والمُسَدَّمة : من قولهم ، فحلٌ سَدِمٌ إذا كان هائجاً .
● والمأزِق : موضع الحرب .
● ومن الناس من ينكرها لحمزة .

فأجابه الحارثُ بن هشام[1] المخزومي :

ألا يــا لقَــوم للصبابــةِ والهجْــر وللحــزن منــي والحزازة في الصَدْر
وللدمـعِ مـن عينـيَّ جـودٌ كأنَّــه فريـدُ هـوى مـن سِلْك ناظمـه يجري
على البطـلِ الحلـوِ الشَّمائل إذ ثَـوَى رهيـنَ مقـامٍ للرَّكيّـة مـن بـدر
فلا تبعَـدنْ يـا عمـروُ مـن ذي قرابةٍ ومن ذي نِدام كان ذا خُلـقٍ غمر[2]
فـإنْ يكُ قـومٌ صَادفـوا منـك دُولـةً ولابـد للأيــام مــن دُوَلِ الدَّهْــر
فقد كنتَ في صَرْفِ الزمان الذي مضى تـريهمْ هَوانـاً مـنك ذا سُبُـلٍ وَعْـر

في أبيات .

ومما يُعزى لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه من أبيات :

ألم تـــرَ أنَّ الله أبلى رسولَـــه بـلاءَ عزيـزٍ ذي اقتـدارٍ وذي فَضْل
بما أنـــزلَ الكفـــارَ دارَ مذلّـــةٍ فلاقـوْا هوانـاً مـن إسارٍ ومـن قَتْـل

فأجابه الحارثُ بن هشام :

عجـبتُ لأقــوام تغنَّــى سفيهُهــم بأمر سَفاهٍ ذي اعتـراضٍ وذي بُطـل
تغنَّــى بقــتلى يــوم بــدر تتابعــوا كرامِ المساعي ، من غُلامٍ ومِنْ كَهل
مَصاليتَ، بيضٍ، من ذؤابة غالبٍ، مَطاعينَ في الهيجا ، مَطَاعيمَ في المَحْل

(١) قالوا : وكان هذا قبل إسلامه .
(٢) « نِدام » : جمع نديم ، مثل كِرامٍ وكريم .

أُصيبوا كراماً لم يَبيعوا عشيرةً ... بقومٍ سواهم نازحي الدار والأهل
كما أصبحتْ غسانُ فيكم بِطَانةً ... لكم بدلاً منا ، فيا لكَ من فِعْل
عقوقاً وإثماً بيِّناً ، وقطيعةً ... يرى جَوْرَكمْ فيها ذَوو الرأي والعَقْل
فإن يكُ قومٌ قد مَضَوْا لسبيلهمْ ... وخيرُ المنايا ما يكونُ من القتل
فلا تفرحوا أنْ تقتلوهم فقتلهمْ ... لكم كائنٌ خَبْلاً مُقيماً على خَبْلِ

في أبيات ذكرها .

وقال ضرار بن الخطاب الفِهْري :

عجبتُ لفخر الأوس والحَيْنُ دائرٌ ... عليهمْ غداً ، والدهرُ فيه بصائرُ
وفخرُ بني النجار إنْ كان معشرٌ ... ببدر أُصيبوا كلُّهم ثَمَّ صائر
فإِك تكُ قتلى غُودرت من رجالنا ... فإنا رجالاً بعدَهم سنغادر
وتَرْدي بنا الجردُ العناجيجُ وَسْطَكم ... بني الأوس حتى يشفيَ النفسَ ثائرُ[1]
ووسطَ بني النجار سوف تكرُّها ... لنا بالقنا والدَّارِعينَ زوافرُ[2]
فنترك صرعى تَعْصِبُ الطيرُ نحوَهم ... وليس لهم إلا الأمانيُّ ناصرُ
وتبكيهمُ من أهْلِ يثربَ نسوةٌ ... لهن بهاليلٌ عن النوم ساهرُ
وذلك أنا لا تزالُ سيوفُنا ... بهنَّ دمٌ مما يُحاربنَ مائرُ
فإنْ تَظفروا في يومِ بدرٍ فإنما ... بأحمدَ أمسى جَدُّكم وهو ظاهر[3]
وبالنَّفَرِ الأخيارِ هم أولياؤُه ... يُحامون في اللأواءِ والموتُ حاضر
يُعَدُّ أبو بكرٍ وحمزةُ فيهمُ ... ويُدعى عليٌّ وَسْطَ من أنتَ ذاكرُ
أولئك ، لا من نَتَّجَتْ من ديارها ... بنو الأوس والنَّجار حين تُفاخِرُ
ولكنْ أبوهمْ من لؤيِّ بن غالبٍ ... إذا عَدَّتِ الأنسابَ كعبٌ وعامرُ
همُ الطاعنون الخيلَ في كلِّ معركٍ ... غداةَ الهياج ، الأطيبون الأكابر

● العناجيج : جياد الخيل ، واحدها عُنجوج . ومائر : متردد .

---

(١) « تَرْدي » : تجري .

(٢) « زوافرُ » : يقصدُ الخيل .

(٣) « جَدُّكم » : حظكم .

ومما قاله حسان بن ثابت الأنصاري :

تَبَلَتْ فؤادَكَ في المقام خريدةٌ ... تشفي الضجيعَ ببارِدٍ بَسَّامِ
كالمِسْكِ تخلطُه بماءِ سحابةٍ ... أو عاتقٍ كدمِ الذبيحِ مُدَامِ
أما النَّهارُ فلا أُفَتِّرُ ذكرَها ... والليلُ تُوزِعُني بها أحلامي
أقسمتُ أنساها وأتركُ ذكرَها ... حتى تُغَيَّبَ في الضريح عظامي
بل مَنْ لعاذلةٍ تلومُ سفاهةً ... ولقد عَصَيْتُ على الهوى لُوَّامي
إنْ كنتِ كاذبةَ الذي حَدَّثْتِني ... فنجوتِ منجَى الحارثِ بن هشام
تركَ الأحِبَّةَ أن يُقاتِلَ دُونَهم ... ونجا برأسِ طِمِرَّةٍ ولجام[1]

في أبيات : يُعير الحارث بن هشام بالفرار ، وكان الحارث يقول :

الله يعلمُ ما تركتُ قتالهمْ ... حتى رَمَوْا فرسي بأشقرَ مُزبدِ
وعلمتُ أني إن أُقاتلْ واحِداً ... أُقتلْ ولا يضررْ عدوِّيَ مَشهدي
فصددتُ عنهمْ والأحِبّةُ فيهمُ ... طمعاً لهم بلقاءِ يومٍ مُفسدِ

وكان الأصمعي يقول : هذا أحسنُ ما قيل في الاعتذار عن الفرار ، وكان خلفُ الأحمر يقول : أحسنُ ما قيل في ذلك أبيات هُبيرة بن أبي وهب المخزومي :

لعمْرُكَ ما وَلَّيْتُ ظهري محمداً ... وأصحابَه جُبْناً ، ولا خيفةَ القتلِ
ولكنني قلَّبتُ أمري ، فلم أجدْ ... لسيفي مساغاً إن ضربتُ ، ولا نَبْلي
وقفتُ ، فلما خِفْتُ ضيعة موقفي ... رجعتُ لعوْدٍ كالهِزَبْرِ أبي الشِّبْلِ

وإن تقاربا لفظاً ومعنى ، فليس ببعيد من أن يكون الثاني أجودَ من الأول ، لأنه أكثرُ انتفاء من الجبن ، من خوف القتل ، وإنما علَّل فرارَه بعدم إفادة وقوفه فقط ، وذلك في الأول جزءُ عِلّة ، والجزء الآخر قوله : أقتل . وقوله : رَمَوْا فرسي بأشقر مزبد ؛ يعني الدم ، ويُحتمل أن يكون ذلك مقيداً بكون مشهده لا يضرُّ عدوَّه ، ومع ذلك فالثاني أسلم من ذلك معنى وأصرح لفظاً .

---

(١) « طِمِرَّة » : الفرس الكثيرة الجري .

وبما قاله حسان رضي الله عنه :

لقد علمتْ قريشٌ يومَ بدرٍ غداةَ الأسرِ والقتلِ الشديدِ
بأنّا حينَ تشتجرُ العوالي حماةُ الحربِ يومَ أبي الوليدِ
قتلنا ابنيْ ربيعة يومَ ساروا إلينا في مُضاعفةِ الحديدِ
وفرَّ بها حكيمٌ يوم جَالتْ بنو النجار تخطُرُ كالأسودِ
وذلّت عند ذاك جموع فهر وأسلمَها الحُويرثُ من بعيد

وقالت قُتَيْلة بنت الحارث أخت النضر بن الحارث :

يا راكباً إن الأثيلَ مظنةٌ من صُبحِ خامسةٍ وأنت مُوَفقُ[1]
أبلغْ بها ميتاً بأن تحيّةً ما إن تزال بها النجائبُ تخفِقُ
مني إليك وعبرةً مسفوحةً جادتْ بواكِفها وأخرى تخنُقُ
هل يسمعنَّ النضرُ إن ناديتُه أم كيف يسمعُ ميّتٌ لا ينطقُ
أمحمد يا خير ضَنْءِ كريمة في قومها والفحلُ فحلٌ مُعرقُ[2]
ما كان ضرَّك لو مننتَ وربما مَنَّ الفتى وهو المَغِيْظُ المُحَنقُ
أو كنتَ قابلَ فديةٍ فلنُنفقنْ بأعز ما يغلو به ما يُنفَقُ
فالنضرُ أقربُ من أسرت قرابةً وأحقُّهم إن كان عِتْقٌ يُعتَقُ
ظلت سيوفُ بني أبيه تنوشُه لله أرحامٌ هُناكَ تُشَقَّقُ
صبراً يُقادُ إلى المنية متعباً رسفَ المُقَيَّدِ وهو عانٍ مُوثقُ

فيقال : إن رسول الله ﷺ قال : لو بلغني هذا الشعر قبل قتله لمننت عليه .

وكان فراغُ رسول الله ﷺ من بدر في عقب رمضان أوائلَ شوال .

* * *

(١) « الأثيل » : موضع متصل بوادي الصفراء من جهة بدر .
(٢) « ضَنْو » : الضِّنْو : الولد ، كما في القاموس .

فصل

قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر رحمه الله : فلما أوقع الله بالمشركين يوم بدر ، واستأصل وجوههم ، قالوا : إن ثأرنا بأرض الحبشة ، فلنرسل إلى ملكها يدفع إلينا مَنْ عنده من أتباع محمد ، فلنقتلهم بمن قتل ببدر . قال : أخبرنا عبد الله بن محمد بن بكر، حدثنا أبو داود ، حدثنا ابن السَّرح ، حدثنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، قال : بلغني أن مخرجَ عمرو بن العاص وابنَ أبي ربيعة إلى أرض الحبشة فيمن كان بأرضهم من المسلمين ، كان بعد وقعة بدر ، فلما بلغ رسولَ الله ﷺ مخرجُهما ، بعث عمرو بن أمية من المدينة إلى النجاشي بكتاب[1] .

قلت : وقد تقدم القول عند ذكر الهجرة إلى أرض الحبشة أن توجه عمرو بكتابي رسول الله ﷺ في المحرم سنة سبع يدعوه في أحدهما إلى الإسلام والثاني في تزويجه عليه الصلاة والسلام أم حبيبة ، وقيل : في شهر ربيع الأول منها ، وقيل : في سنة ست . حكاه أبو عمر عن الواقدي . وأما عمرو بن أمية فشهد بدراً وأحداً مع المشركين وأسلم بعد ذلك ، وكان أوَّلَ مشهد شهدَهُ بئرُ معونة ، فأسرته بنو عامر يومئذ ، فقال له عامر بن الطفيل : إنه كان على أمي نسمة ، فاذهب فأنت حر عنها ، وجزَّ ناصيتَه . وبعثَه أيضاً رسولُ الله ﷺ إلى أبي سفيان بن حرب بهدية إلى مكة ، وسيأتي ذكر كتاب النبي ﷺ إلى النجاشي مع عمرو عند ذكر كتب النبي ﷺ إلى الملوك في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

وهذا الفصلُ ذكره أبو عمر في هذا الموضع من كتابه في المغازي وفيه نظر .

سرية عُمير بن عديّ

روينا عن ابن سعد قال : ثم سرية عُمير بن عدي بن خَرَشة الخَطْمي[2] إلى عصماء بنت مروان من بني أمية بن زيد ، لخمس ليالٍ بقين من شهر رمضان ، على رأس تسعة عشر

(١) الدرر ؛ لابن عبد البر ص ١٣١ .

(٢) « الخَطْمِيُّ » : نسبة إلى خَطْمة ، حيٌّ من الأوس كانوا يسكنون بعوالي المدينة .

شهراً من مُهاجر رسول الله ﷺ ، وكانت عصماء عند يزيد بن زيد بن حصن الخَطْمي ، وكانت تعيبُ الإسلام وتؤذي النبيَّ ﷺ وتحرِّضُ عليه ، وتقولُ الشعر ، فجاءها عميرُ ابن عدي في جوف الليل ، حتى دخل عليها بيتَها ، وحولها نفر من ولدها نيام ، منهم من تُرضعه في صدرها ، فجسَّها بيده ، وكان ضريرَ البصر ، ونحَّى الصبيَ عنها ، ووضع سيفه على صدرها حتى أنفذه من ظهرها ، ثم صلَّى الصبحَ مع النبيِّ ﷺ بالمدينة ، فقال له رسولُ الله ﷺ : أقتلت ابنة مروان ؟ قال : نعم ، فهل عليَّ في ذلك من شيء ، فقال « لا ينتطحُ فيها عنزان » فكانت هذه الكلمة أول ما سمعت من رسول الله ﷺ ، وسمَّى رسولُ الله ﷺ عميراً البصيرَ[1] .

قيل : وكان أوَّلَ من أسلم من خَطْمَةَ عميرُ بن عدي ، وكان يُدعى القارىء ، كان إمام قومه وقارئَهم .

سرية سالم بن عُمير

روينا عن ابن سعد ، قال : ثم سريةُ سالم بن عُمير إلى أبي عَفَك اليهودي في شوال على رأس عشرين شهراً من مُهاجَرِ رسول الله ﷺ ، وكان أبو عَفَك من بني عمرو بن عوف شيخاً كبيراً قد بلغ عشرين ومائة سنة ، وكان يهودياً ، وكان يُحرِّض على رسول الله ﷺ ويقول الشعر ، فقال سالم بن عُمير — وهو أحدُ البكائين وممن شهد بدراً — عليَّ نذرٌ أن أقتل أبا عفك أو أموتَ دونه ، فأمهلَ يطلب له غِرَّةً ، حتى كانت ليلةٌ صائفة ، فنام أبو عَفَك بالفِناء ، وسمع به سالمُ بن عُمير ، فأقبلَ فوضعَ السيف على كبده ، ثم اعتمد عليه حتى خشَّ في الفراش ، وصاح عدوُّ الله ، فثابَ إليه ناسٌ ممن هم على قوله ، فأدخلوه منزلَه وقبروه[2] .

فقالت أُمامة الزيدية[3] في ذلك :

---

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/٢٧ — ٢٨ .

(٢) المصدر السابق ٢/٢٨ .

(٣) « الزيدية » : نسبة إلى بني زيد بن مالك بن عوف من الأوس ، كانت مساكنهم شرقي مسجد قباء ،

تُكــذِّبُ ديــنَ الله والمرءَ أحمداً   لعمرُ الذي أمناكَ أن بئسَ ما يُمني
حبـاك حنيـفٌ آخـرَ الليـل طعنـةً   أبا عُـفَك خذْهـا على كَبْـرَة السِّن

البيتان عن غير ابن سعد[1] .

وكان أبو عفك ممن نجم نفاقُه حين قتلَ رسولُ الله ﷺ الحارث بن سُويد بن الصامت .

وشهدَ سالمٌ بدراً وأُحداً والخندقَ والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ ، وتوفي في خلافة معاوية بن أبي سفيان ، وقال فيه موسى بن عقبة : سالم بن عبد الله .

غزوة بني سُليم

قال ابن إسحاق : فلم قدم رسولُ الله ﷺ المدينةَ — يعني من بدر — لم يُقم إلا سبعَ ليالٍ ، حتى غزا بنفسه يُريد بني سُليم . قال ابن هشام : واستعملَ على المدينة سِبَاعَ ابن عُرْفُطة الغفاري ، أو ابنَ أمّ مكتوم . وقال ابن إسحاق : فبلغَ ماءً من مياههم يُقال له الكُدْر[2] ، فأقام عليه ثلاثَ ليالٍ ، ثم رجعَ إلى المدينة ولم يلقَ كيداً .

غزوة بني قَيْنُقَاع

قال ابن سعد : وكانت يومَ السبت للنصف من شوال على رأس عشرين شهراً من مُهاجَرِه[3] .

قال ابن إسحاق : وكان من أمر بني قينقاع أن رسولَ الله ﷺ جمعهم بسوق بني

= وهي صحابية ، ذكرها ابن حجر في الإصابة ٢٣٨/٤ . وقد وردت نسبتها في « أ » والمطبوع : « المريدية » وفي « ب » و« ج » و« د » : « المرثدية » . وفي الإصابة : « الربذية » وفي السيرة النبوية ؛ لابن هشام « المزيرية » . وبهامش « ب » : « الزيدية » وما أثبتناه ، هو الصواب إن شاء الله ؛ إذ بنو زيد — قومها من أبناء عمومة بني عمرو بن عوف — قوم أبي عفك ، ومساكن الحيين متقاربة .

(١) البيتان في السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٣٦/٢ .

(٢) « الكُدْر » : ماء لبني سليم . وانظر المغانم المطابة ص ٣٥٦ .

(٣) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢٩/٢ .

قينقاع ، ثم قال : يا معشر يهود ! احذروا من الله مثلَ ما نزل بقريش من النِّقمة ، وأسلموا ، فإنكم قد عرفتم أني نبيٌّ مرسل ، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم . قالوا : يا محمد ! إنك ترى أنَّا قومُك ! ولا يغرنَّكَ أنك لقيتَ قوماً لا علم لهم بالحرب ، فأصبتَ لهم فرصة ، إنا والله لو حاربناك لتعلمنَّ أنا نحنُ الناس . فحدثني مولى لآل زيد بن ثابت ، عن سعيد بن جُبير ـ أو عن عكرمة ـ عن ابن عباس ، قال : ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيهم : ﴿ قل للذين كفروا ستُغلبون وتُحشرون إلى جهنَّم وبئسَ المِهاد . قد كان لكم آية في فئتين التقتا ـ أي أصحاب بدر من أصحاب رسول الله ﷺ وقريش ـ فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يُؤَيِّد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار ﴾ [آل عمران : ١٢ ـ ١٣] . قال : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ؛ أنهم كانوا أوَّلَ يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ ، وحاربوا فيما بين بدر وأُحد ، فحاصرَهم رسولُ الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه . قال ابن هشام : وذكر عبدُ الله بن جعفر بن المِسوَر بن مَخرمة ، عن أبي عَوْن ، قال : كان من أمر بني قينقاع أن امرأةً من العرب قدمت بجَلَبٍ[1] لها فباعته بسوق بني قينقاع ، وجلست إلى صائغ ، فجعلوا يُريدونها على كشفِ وجهها ، فأبت ، فعَمِد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقدَه إلى ظهرها ، فلما قامتْ انكشفتْ سوءتُها ، فضحكوا منها ، فصاحت ، فوثب رجلٌ من المسلمين على الصائغ فقتلَه ، وكان يهودياً ، وشدَّتِ اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخَ أهلُ المسلم المسلمين على اليهود ، فغضب المسلمون ، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع ، وتبرَّأ عبادةُ بن الصامت من حلفهم إلى رسول الله ﷺ ، وتشبَّث به عبد الله بن أبيّ فيما روينا عن ابن إسحاق ، عن أبيه ، عن عبَّاد بن الوليد بن عبادة بن الصامت[2] .

قال : وفيه وفي عبد الله نزلت : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضُهم أولياءُ بعض ﴾ إلى قوله : ﴿ فإن حزبَ الله هم الغالبون ﴾[3] [المائدة : ٥١ ـ ٥٦] .

(١) « بجلب » : كل ما يُجلب للأسواق ليباعَ فيها من إبل وغنم وغيرها .
(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٤٧ ـ ٤٨ .
(٣) المصدر السابق ٢/٤٩ .

وروينا عن ابن سعد ، قال : وكانوا قوماً من يهود حلفاء لعبد الله بن أبيّ بن سلول ، وكانوا أشجعَ يهود ، وكانوا صاغةً ، فوادعوا النبيَّ ﷺ ، فلما كانت وقعةُ بدر أظهروا البغيَ والحسدَ ، ونبذوا العهدَ والمدة ، فأنزلَ الله تعالى : ﴿ وإما تخافنَّ من قوم خيانةً فانبذْ إليهم على سواءٍ إنَّ الله لا يحبُّ الخائنين ﴾ [الأنفال : ٥٨] فقال رسول الله ﷺ : أنا أخاف من بني قينقاع . فسار إليهم ولواؤه بيد حمزةَ بن عبد المطلب – وكانَ أبيضَ ، ولم تكن الرايات يومئذٍ – واستخلف على المدينة أبا لُبابة بن عبد المنذر ، وحاصرَهم خمسَ عشرة ليلة إلى هلال ذي القعدة ، وكانوا أوَّلَ من غدر من اليهود ، وحاربوا وتحصَّنوا في حصنهم ، فحاصرَهم أشدَّ الحصار ، حتى قذف الله في قلوبهم الرعبَ ، فنزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، على أن لرسول الله ﷺ أموالَهم ، وأن لهم النساء والذرية ، فأنزلهم ، فكُتِّفوا ، واستعمل على كِتَافهم المنذر بن قدامة السَّلِمي ، فكلَّمَ ابنُ أبيّ فيهم رسولَ الله ﷺ وألحَّ عليه ، فقال : حُلُّوهم لعنهم الله ولعنه معهم ، وتركهم من القتل ، وأمرَ بهم أن يُجلَوْا من المدينة ، وتولى ذلك عبادةُ بن الصامت ، فلحقوا بأذرعات ، فما كان أقل بقاءهم بها . وذكرَ[1] ما تنفَّلَ رسولُ الله ﷺ من سلاحهم ، وسيأتي ذكرنا له ، وخُمِّسَتْ أموالُهم ، فأخذَ رسولُ الله ﷺ صفيَّهُ الخمسَ ، وفضَّ أربعةَ أخماسٍ على أصحابه ، فكانَ أوَّلَ ما خُمِّس بعد بدر . وكان الذي ولي قبض أموالهم محمد بن مسلمة[2] . انتهى ما وجدته عن ابن سعد .

كذا وقع صفيُّهُ الخمسَ ، والمعروف أن الصفيَّ[3] غير الخمس . روينا عن الشعبي ، من طريق أبي داود ، قال : كان لرسول الله ﷺ سهمٌ يُدعى الصفيَّ (يختاره) قبلَ الخمس[4] . وعن عائشة رضي الله عنها كانت صفيَّةُ رضيَ الله عنها من الصفيّ[5] .

---

(١) أي : ابن سعد .

(٢) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢٨/٢ – ٣٠ .

(٣) « الصفيُّ » : من الغنيمة ، ما اختاره الرئيس لنفسه قبل القسمة .

(٤) رواه أبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء (باب ما جاء في سهم الصفيّ) رقم /٢٩٩١/ وقال المنذري : هذا مرسل .

(٥) رواه أبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء (باب ما جاء في سهم الصفي) رقم /٢٩٩٤/ .

فلا أدري أسقطت الواو أو كان هذا قبل حكم الصفي ، والله أعلم . وكانوا أربعمائة حاسر[1] ، وثلاثمائة دارع ، وكانوا حلفاءَ الخزرج .

غزوة السَّويق[2]

روينا عن محمد بن إسحاق ، قال : ثم غزا أبو سفيان بن حرب في ذي الحجة غزوة السَّويق .

وذكر ابن سعد خروج النبي ﷺ من المدينة لخمسٍ خلونَ من ذي الحجة يوم الأحد على رأس اثنين وعشرين شهراً من مُهَاجره[3] .

رجع إلى ابن إسحاق ، قال : وكان أبو سفيان — كما حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، ويزيد بن رومان ، ومَنْ لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، وكان من أعلم الأنصار — حين رجع إلى مكة ، ورجع فَلُّ قريش من بدر ، نذرَ أن لا يمسَّ رأسَه ماءٌ من جَنابة حتى يغزو محمداً ﷺ ، فخرج في مائتي راكب من قريش ليَبرَّ يمينَه ، فسلكَ النجدية ، حتى نزل بصدر قناة ، إلى جبل يُقال له يَتِيْب[4] من المدينة على بريد أو نحوه ، ثم خرج من الليل حتى أتى بني النضير تحت الليل ، فأتى حيَّي بن أخطب ، فضرب عليه بابه ، فأبى أن يفتحَ له بابه وخافه ، فانصرف عنه إلى سَلَّام بن مِشْكَم ، وكان سيِّد بني النضير في زمانه ذلك وصاحبَ كنزهم ، فاستأذن عليه فأذن له ، فقَرَاه وسقاه وبَطَنَ له من خبر الناس ، ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه ، فبعث رجالاً من قريش فأتوا ناحية منها يقال لها العُرَيْض ، فحرَّقوا في أصْوَار[5] من نخل بها ، ووجدوا رجلاً من الأنصار وحليفاً لهم في حرثهما فقتلوهما ، ثم انصرفوا راجعين ، ونَذِر[6] بهم النَّاسُ ،

---

(١) « حاسر » : هي هنا ضد الدارع ، أي : من لا درع له .

(٢) « السويق » : هو دقيق الحنطة أو الشعير المحمصين ، يمزج بالماء وحده أو بالسمن والعسل .

(٣) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/٣٠ .

(٤) « يَتِيْب » : جبل بالمدينة له ذكر في حدود الحرم . المغانم المطابة ؛ للفيروز آبادي ص ٤٣٧ .

(٥) « أصوار » : جمع صَوْر ، النخل المجتمع .

(٦) « نذر بهم » : علموا .

فخرجَ رسول الله ﷺ في طلبهم في مائتين من المهاجرين والأنصار – وهذا العدد عن ابن سعد – واستعملَ على المدينة بشيرَ بن عبد المنذر فيما قال ابن هشام ، حتى بلغ قَرْقَرَةَ الكُدْرِ[1] . قال ابن سعد : وجعل أبو سفيان وأصحابُه يتخفَّفُون للهرب ، وكان أصحابُه مائتين كما قدمنا ، وقيل كانوا أربعين فيلقون جُرُبَ السَّويق ، وهي عامة أزوادهم ، فيأخذها المسلمون ، فسُمِّيت غزوة السَّويق ، ولم يلحقوهم ، وانصرفَ رسول الله ﷺ راجعاً إلى المدينة ، وكان غاب خمسة أيام .

وقال ابن إسحاق : وقال المسلمون حين رجع بهم رسول الله ﷺ : يا رسول الله ! أنطمعُ أن تكون لنا غزوة ؟ قال : نعم[2] .

غزوة قَرْقَرَةُ الكُدْر

قال ابن سعد : ويقال قرارة الكُدْر ، للنصف من المحرم ، على رأس ثلاثة وعشرين شهراً من مُهاجَره ، وهي بناحية مَعْدِنِ بني سُلَيم ، قريب من الأَرْحَضِيَّة ، ووراء سد معونة ، وبين المَعْدِن وبين المدينة ثمانيةُ بُرُد . وكان الذي حمل لواءَ رسول الله ﷺ عليُّ بن أبي طالب ، واستخلف على المدينة ابنَ أمِّ مكتوم ، وكان بلغه أن بهذا الموضع جمعاً من بني سُلَيم وغطفان ، فسار إليهم ، فلم يجد في المحال أحداً ، وأرسل نفراً من أصحابه في أعلى الوادي ، واستقبلَهم رسولُ الله ﷺ في بطن الوادي ، فوجد رعاء ، منهم غلام يقال له يَسَار ، فسأله عن الناس ، فقال : لا علم لي بهم ، إنما أُورد لِخِمْسٍ[3] وهذا يوم رِبعيّ[4] ، والناس قد ارتفعوا في المياه ونحن عُزّاب[5] في النَّعم ، فانصرف رسولُ الله ﷺ وقد ظفر بالنعم ، فانحدر به إلى المدينة ، واقتسموا غنائمَهم بصِرَار على ثلاثة أميال من المدينة ، وكانت النَّعم خمسمائة بعير ، فأُخرَجَ خمسَه ، وقسم أربعة أخماسه على المسلمين ،

(١) « قرقرة الكدر » : موضع بين المدينة ومعدن بني سليم (ويعرف هذا المعدن اليوم بالمهد) .
(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٤/٢ – ٤٥ .
(٣) « لِخِمْسٍ » : الخِمْس : هو أن ترد الإبل الماء وترعى ثلاثة أيام ، وترد في اليوم الخامس .
(٤) « رِبْعَي » : أن ترد الإبل الماء وترعى يومين ، وترد الماء في اليوم الرابع .
(٥) « عُزَّاب » : جمع عازب وهو البعيد .

فأصاب كلُّ رجل منهم بعيران ، وكانوا مائتي رجل ، وصار يسارُ في سهم النبي ﷺ فأعتقه ، وذلك أنه رآه يُصَلِّي . وغابَ رسولُ الله ﷺ خمسَ عشرة ليلة[1] .

والقرقرة : أرضٌ ملساء ، والكُدْر : طير في ألوانه كدرة ، عرف بها ذلك الموضع .

وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يذكر مسيره مع رسول الله ﷺ في تلك الغزوة .

سريّةُ كعب بن الأشرف

روينا عن ابن سعد : أنها كانت لأربع عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول ، على رأس خمسة وعشرين شهراً من مُهَاجَره عليه الصلاة والسلام[2] .

قال ابن إسحاق : وكان من حديث كعب بن الأشرف أنه لما أُصيب أصحابُ القليب يوم بدر ، وقدم زيد بن حارثة إلى أهل السَّافِلة ، وعبد الله بن رَوَاحة إلى أهل العالية ، بشيرين بالفتح ، قال كعب – وكان رجلاً من طيء ، ثم أحد بني نبهان ، وكانت أمُّه من بني النضير – : أحقٌّ هذا ؟ أترون أن محمداً قتل هؤلاء الذين يُسمِّي هذان الرجلان ، فهؤلاء أشراف العرب وملوكُ الناس ، والله إن كان محمّدٌ أصابَ هؤلاء القوم ، لبطنُ الأرض خير من ظهرها . فلما أيقنَ عدوُّ الله الخبرَ خرجَ حتى قدِمَ مكة ، فنزل على المطلب بن أبي وَدَاعة السَّهمي ، وجعلَ يُحرِّض على رسول الله ﷺ ، ويُنشد الأشعار ويبكي على أصحاب القليب ، ثم رجع إلى المدينة فشبَّب بنساء المسلمين حتى آذاهم[3] .

وروينا من طريق ابن عائذ : عن الوليد بن مسلم ، عن عبد الله بن لَهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، قال : ثم انبعثَ عدوُّ الله يهجو رسولَ الله ﷺ والمؤمنين ، ويمتدحُ عدوَّهم ، ويحرِّضُهم عليهم ، فلم يرضَ بذلك ، حتى ركبَ إلى قريش فاستغواهم على رسول الله ﷺ ، فقال له أبو سفيان والمشركون : أديننا أحبُّ إليك أم دينُ محمد وأصحابِهِ ؟ وأي ديننا أهدى في رأيك وأقرب إلى الحق ؟ فقال : أنتم أهدى منهم سبيلاً

(١) و(٢) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/٣١ .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٥١ .

وأفضل وفيةً . فقال رسول الله ﷺ : من لنا من ابن الأشرف ؟ فقد استعلن بعداوتنا وهجائنا ، وقد خرج إلى قريش فأجمعَهم على قتالنا ، وقد أخبرني الله عز وجل بذلك ، ثم قدَّمَ أخبثَ ما كان ، ينتظرُ قريشاً تقدمُ عليه فيقاتلَنا ، ثم قرأ على المسلمين ما أنزل الله تعالى عليه فيه : ﴿ ألم ترَ إلى الذين أُوتوا نصيباً من الكتاب ﴾ الآية [آل عمران : ٢٣] وخمسَ آيات فيه وفي قريش .

رجع إلى خبر ابن إسحاق : فقال كما حدثني عبدُ الله بن المُغيث بن أبي بُردة : مَن لي من ابن الأشرف ؟ فقال له محمد بن مسلمة ـ أخو بني عبد الأشهل ـ : أنا لك به يا رسول الله ، أنا أقتله . قال : فافعل إن قدرت على ذلك . فرجع محمد بن مسلمة ، فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما تَعْلَقُ به نفسُه ، فذُكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فدعاه فقال له ، لم تركتَ الطعامَ والشرابَ ؟ قال : يا رسول الله ! قلتُ لك قولاً لا أدري هل أفينَّ لك به أم لا . قال : إنما عليك الجهد . قال : يا رسول الله ! إنه لابد لنا من أن نقول . قال : قولوا ما بدا لكم ، فأنتم في حِلٍّ من ذلك . فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة ، وسِلْكان بن سَلامة بن وَقْش ، وكان أخاً لكعب من الرَّضاعة ، وعباد بن بشر ابن وَقْش أحد بني عبد الأشهل ، والحارث بن أوس بن معاذ ، وأبو عبس بن جبر .

قلت : وهؤلاء الخمسة من الأوس .

ثم قدَّموا إلى عدو الله كعب بن الأشرف قبل أن يأتوه سلكانَ بن سلامة ، فجاءه فتحدَّث معه ساعة ، وتناشدا شعراً ، وكان أبو نائلة سِلْكان يقولُ الشعر ، ثم قال : ويحك يا ابن الأشرف ! إني قد جئتُك لحاجةٍ أريدُ ذكرها لك ، فاكتمْ عني . قال : أفعل . قال : كان قدوم هذا الرجل علينا بلاءً من البلاء ، عادتنا العرب ، ورمتنا عن قوس واحدة ، وقطعت عنا السبل ، حتى جاع العيال ، وجهدت الأنفسُ ، وأصبحنا قد جُهِدْنا وجُهِدَ عيالُنا . فقال كعب : أنا ابن الأشرف ، أما والله لقد كنتُ أُخبرك يا ابنَ سلامة أن الأمر سيصير إلى ما أقول . فقال له سِلْكان : إني قد أردتُ أن تبيعنا طعاماً ونرهنَك ونوثقَ لك ، ونحسنَ في ذلك . قال : أترهنوني أبناءَكم ؟ قال : لقد أردتَ أن تفضحنا ؟ إن معي أصحاباً على مثل رأيي ، وقد أردتُ أن آتيكَ بهم فتبيعَهم وتحسنَ في ذلك ، ونرهنَك من الحَلْقة ما فيه وفاء ـ وأراد سِلْكان أن لا ينكرَ السلاح إذا جاؤوا بها ـ قال : إن في الحَلْقة

لوفاءً . قال : فرجع سِلْكان إلى أصحابه فأخبرَهم خبرَه ، وأمرهم أن يأخذوا السِّلاحَ ، ثم ينطلقوا فيجتمعوا إليه ، فاجتمعوا عند رسول الله ﷺ .

قال ابن هشام : ويُقال : قال : أترهنوني نساءَكم ؟ قالوا : كيف نرهنُك نساءَنا وأنت أشبُّ أهل يثرب وأعطرُهم ! قال : أترهنوني أبناءَكم ؟ .

قال ابن إسحاق : فحدثني ثور بن زيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : مشى معهم رسولُ الله ﷺ إلى بقيع الغرقد[1] ، ثم وجَّههم وقال : انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعنهم . ثم رجعَ رسولُ الله ﷺ إلى بيته وهو في ليلة مقمرة ، وأقبلوا حتى انتهوا إلى حصنه ، فهتف به أبو نائلة ، وكان حديثَ عهد بعرس ، فوثبَ في مِلْحَفته ، فأخذتْ امرأتُه بناحيتها وقالت : إنك امرؤ مُحاربٌ ، وإن أصحابَ الحرب لا ينزلون في مثل هذه الساعة . قال إنه أبو نائلة ، لو وجدني نائماً ما أيقظني . فقالت : والله إني لأعرف في صوته الشرَّ . قال : يقول لها كعب : لو يُدعى الفتى لطعنةٍ لأجاب . فنزلَ فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه ، وقالوا : هل لك يا ابن الأشرف أن تمشي معنا إلى شعب[2] العجوز فنتحدَّثَ به بقيَّةَ ليلتنا ، فقال : إن شئتم . فخرَجوا يتماشون ، فمشوا ساعة ، ثم إن أبا نائلة شامَ يده في فَوْد[3] رأسه ، ثمَّ شمَّ يده ، فقال : ما رأيتُ كالليلة طِيباً أعطر ، ثم مشى ساعة ، ثم عاد لمثلها ، حتى اطمأن ، ثم مشى ساعة ، ثم عاد لمثلها ، فأخذَ بفَوْد رأسه ، ثم قال : اضربوا عدوَّ الله . فضربوه ، فاختلفتْ عليه أسيافُهم فلم تُغن شيئاً . قال محمد بن مسلمة : فذكرتُ مِغْوَلاً[3] في سيفي حين رأيتُ أسيافنا لا تغني شيئاً ، فأخذتُه وقد صاح عدوُّ الله صيحةً لم يبقَ حولنا حِصْنٌ إلا أُوقدت عليه نار . قال فوضعته في ثُنَّتِه[3] ، ثم تحاملت عليه حتى بلغَ عانتَه ، فوقعَ عدوُّ الله . وقد أُصيب الحارث بن أوس بن معاذ ، فجُرح

---

(١) « بقيع الغرقد » : البقيع : كل أرض منخفضة فيها أصول شجر ، والغرقد : شجر شوكي من فصيلة العضاه . وبقيع الغرقد : هو مقبرة أهل المدينة ، ويقع شرق المسجد النبوي .

(٢) « شعب العجوز » : الشعب : الطريق في الجبل ، ومسيل الماء في أرض ، وشعب العجوز : مكان بظاهر المدينة .

(٣) سيأتي في تفسير المؤلف للغريب .

في رأسه أو في رجله ، أصابَه بعضُ أسيافنا . قال : فخرجنا حتى سلكنا على بني أميّةَ بن زيد ، ثم على بني قريظة ، ثم على بُعاث ، حتى أسندنا في حرة العُرَيض ، وقد أبطأ علينا صاحبُنا الحارث بن أوس ، ونزفه الدم ، فوقفنا له ساعة ، ثم أتانا يتبعُ آثارنا ، قال : فاحتملناه ، فجئنا به رسولَ الله ﷺ آخرَ الليل وهو قائم يُصلي ، فسلمنا عليه ، فخرجَ إلينا ، فأخبرناه بمقتل عدوِّ الله ، وتَفَلَ على جُرح صاحبنا ، ورجعنا إلى أهلنا ، فأصبحنا وقد خافتْ يهودُ لوقعتنا بعدوِّ الله ، فليس بها يهوديٌّ إلا وهو يخافُ على نفسه . انتهى خبرُ ابن إسحاق[1] .

وقال عَبَّادُ بن بشر في ذلك شعراً :

صرختُ به فلم يَعرضْ لصوتي ... وأوفى طالعاً من رأس خِدْر
فعدتُ له فقال مَن المنادي ... فقلت : أخوكَ عبَّادُ بن بشر
وهذي دُرعنا رهناً فخذها ... لشهرٍ إنْ وَفى أو نصفَ شهر
فقال : معاشرٌ سَغِبُوا وجاعوا ... وما عَدِمُوا الغنى من غير فقر
فأقبلَ نحونا يهوي سريعاً ... وقال لنا : لقد جئتم لأمرِ
وفي أيماننا بِيْضٌ حِداد ... مجرَّبةٌ بها الكفارَ نفري
فعانقَه ابنُ مَسْلمةَ المُردَّى ... به الكفارُ كالليث الهِزَبر
وشدَّ بسيفه صَلْتاً عليه ... فقطَّره أبو عبس بن جَبْر
وكانَ اللهُ سادسَنا ، فأُبنا ... بأنعمِ نعمةٍ وأعزِّ نصرِ
وجاءَ برأسِه نفرٌ كرامٌ ... همُ ناهيكَ من صِدْقٍ وبرِّ

واستُشهد عبَّاد بن بشر يومَ اليمامة . وذكر موسى بن عُقبة عن ابن شهاب ، قال : وممن شهد بدراً مع رسول الله ﷺ عبَّادُ بنُ بشرٍ وقُتل يوم اليمامة شهيداً ، وكان له يومئذ بلاء وغَنَاء ، فاستُشهد وهو ابنُ خمس وأربعين سنة .

* * *

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢/٥١ — ٥٧ .

خبر مُحَيِّصة بن مسعود مع ابن سُنينة

قال ابن إسحاق : وقال رسول الله ﷺ : مَنْ ظَفِرتم به من رجال يهود فاقتلوه ، فوثب مُحَيِّصَةُ بن مسعود على ابن سُنَيْنَة ـ ويقال : ابن سُبَينة عن ابن هشام ، رجل من تجار يهود ، وكان يلابسهم ويُبايعهم ـ فقتله ، وكان حُوَيِّصة بن مسعود إذ ذاك لم يُسلم ، وكان أسنَّ من مُحَيِّصَة ، فلما قتلَه جعلَ حُوَيِّصةُ يضربُه ويقول أي عدوَّ الله ! أقتلتَه ؟ أما والله لرُبَّ شحمٍ في بطنك من ماله . قال مُحَيِّصَةُ : فقلت : والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لضربتُ عنقَك . قال : فوالله إن كان لأوّلَ إسلام حُوَيِّصة . قال : أي والله لو أمركَ محمّدٌ بقتلي لقتلتني ؟ قال : قلتُ : نعم والله ، لو أمرني بضربِ عنقِكَ لضربتُها . قال : والله إن ديناً يبلغُ بك هذا لعَجبٌ ، فأسلم حُوَيِّصةُ .

قال ابن إسحاق : حدثني هذا الحديث مولىً لبني حارثة ، عن ابنة مُحَيِّصَة ، عن أبيها ، فقال مُحَيِّصَةُ في ذلك :

يلومُ ابن أمي لو أُمرتُ بقتلـه ... لطبَّقتُ ذِفْـرَاه بأبـيضَ قـاضبِ
حسامٍ كلون الملح أُخلصَ صقلُـه ... متـى مـا أُصوِّبْـه فلـيس بكـاذبِ
ومـا سرَّني أني قتلـتُك طائعـاً ... وأن لنا ما بينَ بُصرى ومـارب[1]

وقيل : إن الذي قتلَه مُحَيِّصَةُ ، وقال له أخوه حُوَيِّصة في حقِّه ما قال ، وراجعه بما ذكرنا : كعب بن يهوذا .

وروينا عن ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن حُميد العبدي ، عن معمر بن راشد ، عن الزهري في قوله تعالى : ﴿ ولتسمعنَّ من الذين أُوتوا الكتابَ من قبلِكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً ﴾ [آل عمران : ١٨٦] قال : هو كعبُ بن الأشرف[2] .

* * *

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٥٨ ـ ٥٩ .
(٢) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/٣٣ .

ذكر فوائد تتعلق بهذا الخبر[1]

● مما نقلتُه من الحواشي التي ذكرتُها بخط جدي رحمه الله على قوله : ما تعلَّقَ به نفسُه . قال : هو مأخوذ من العُلْقة ، والعُلْقة والعلاق : بُلغة من الطعام إلى وقت الغداء ، ومعناه : ما يُمسك رَمَقَه من الغِذاء ، ومنه : ليس المتعلِّقُ كالمُتأنِّق .

● وعلى قوله : إنه لابدَّ لنا من أن نقول . قال المبرد في الكامل : حَقُّه أن يقولَ : نتقول ، يُريد افتعل قولاً احتالَ به ، قال : وفي « العين »[2] : قوَّلْته ما لم يقل ، وقوَّلْته : ادعيته عليه .

● وعلى قوله : نرهنَكَ من الحَلْقة . قال : هذا هو المعروف ، يعني سكون اللام ، وحكى سيبويه عن أبي عمر أنهم قالوا : حَلَقة ، بفتح اللام .

● وعلى قوله : بقيع الغرقد . قال الأصمعي : قُطعت غَرْقَداتٌ فدُفن فيها عثمانُ بن مظعون ، فسُمِّي المكانُ « بقيعَ الغرقد » لهذا السبب .

● وعلى قوله : شَامَ يدَه في فَوْدِه . أي : أدخل يدَه ، والفَودُ : الشعرُ مما يلي الأُذن ، وشِمْتُ السيفَ : إذا أغمدته ، وهو من الأضداد .

● قال : والمِغول : سيفٌ قصير يشتملُ عليه الرجلُ .

● والثُّنة : بين السُّرَّة والعانة .

● وعلى قول ابن هشام : ابن سُبَيْنة : وقال الأستاذ أبو علي ـ يعني شيخَه عمرو ابن محمد الأزدي : ولم يذكرْه أصحاب الحديث ـ يعني سبينة ـ .

● وعلى قوله : لطَبَّقتْ ذِفْرَاه . طَبَّق : أصابَ المِفْصَل ، والذِّفرى[3] : في القفا .

● وأبو عبس بن جبر : اسمه عبد الرحمن . وسلْكان : اسمه سعد .

---

(١) أي : « سريَّةُ كعبٍ » و« خبرُ مُحَيِّصَة » .

(٢) معجم في اللغة معروف ؛ للخليل بن أحمد الفراهيدي .

(٣) « الذِّفْرَى » : العظم الناتىء خلف الأذن .

ذكر غزوة غطفان بناحية نجد

قال ابن إسحاق : وهي غزوة ذي أَمَرّ ، واستعملَ على المدينة عثمان بن عفان فيما قال ابن هشام . قال ابن إسحاق : فأقام بنجد صفراً كلَّه وقريباً من ذلك ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلقَ كيداً[1] .

وقال ابنُ سعد : ذو أَمَرّ بناحية النُّخَيْل ، وكانت في شهر ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهراً من مُهَاجَره ، وذلك أنه بلغ رسولَ الله ﷺ أن جمعاً من ثعلبة ومحارب بذي أَمَر ، قد تجمعوا يُريدون أن يُصيبوا من أطراف رسول الله ﷺ ، جَمَعهم رجلٌ منهم يُقال له : دُعثور بن الحارث من بني محارب ، فندبَ رسولُ الله ﷺ المسلمين ، وخرج لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول في أربعمائة وخمسينَ رجلاً ، ومعهم أفراسٌ ، واستخلف على المدينة عثمانَ ، فأصابُوا رجلاً منهم بذي القَصَّة ، يُقال له جَبَّار[2] من بني ثعلبة ، فأُدخل على رسول الله ﷺ فأخبرَه من خبرهم ، وقال : لن يُلاقوكَ ، لو سمعوا بمسيرِكَ هربوا في رؤوس الجبال ، وأنا سائرٌ معك ، فدعاه رسولُ الله ﷺ إلى الإسلام فأسلم ، وضمَّه رسولُ الله ﷺ إلى بلال ، ولم يُلاق رسولُ الله ﷺ أحداً ، إلا أنه ينظرُ إليهم في رؤوس الجبال ، وأصابَ رسولَ الله ﷺ وأصحابَه مطرٌ ، فنزعَ رسولُ الله ﷺ ثوبيْه ونشرَهما ليَجِفَّا ، وألقاهما على شجرة ، واضطجعَ ، فجاء رجلٌ من العدو يُقال له دُعثور بن الحارث ، ومعه سيف ، حتى قام على رأس رسول الله ﷺ ، ثم قال : مَنْ يَمنعُكَ مني اليوم ؟ قال رسول الله ﷺ : الله . ودفعَ جبريلُ في صدرِه ، فوقعَ السيفُ من يده ، فأخذه رسولُ الله ﷺ وقال له : من يمنُعك مني ؟ قال : لا أحد ، أشهدُ أن لا إله إلا الله وأشهدُ أن محمداً رسولُ الله . ثم أتى قومَه ، فجعلَ يدعوهم إلى الإسلام ، ونزلت هذه الآية : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمةَ الله عليكم إذْ همَّ قومٌ ﴾ الآية [المائدة : ١١] ثم أقبلَ رسولُ الله ﷺ ولم يلقَ كيداً ، وكانت غيبته إحدى عشرة ليلة[3] .

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٤٦ .

(٢) في الأصول « حِبّان » والتصحيح من ابن سعد والإصابة ١/٢٢٠ .

(٣) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/٣٤ ــ ٣٥ . ويشهد للحديث ما رواه البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

غزوة بُحْرَان

قال ابن إسحاق : ثم غزا يُريد قريشاً ، واستعمل على المدينة ابنَ أم مكتوم فيما قال ابن هشام ، حتى بلغ بُحران ، معدناً بالحجاز من ناحية الفُرُع ، فأقام به شهرَ ربيع الآخر وجُمادى الأولى ، ثم رجعَ إلى المدينة ولم يلقَ كَيْداً[1] .

وقال ابن سعد : إنه خرج لستٍّ خلوْنَ من جُمادى الأولى على رأس سبعة وعشرين شهراً من مُهاجَرِه ، وذلك أنه بلغه أن بها جمعاً من بني سُلَيم كثيراً ، فخرج في ثلاثمائة رجل من أصحابه ، قال : فأغذَّ السيرَ حتى وردَ بُحْرَان ، فوجدهم قد تفرقوا في مياهِهم ، فرجعَ ولم يلقَ كيداً ، وكانت غيبتُه عشرَ ليالٍ[2] .

والفَرَع بفتح الفاء[3] والراء ، قيَّده السهيلي .

سرية زيد بن حارثة
إلى القَرْدَة « اسم ماء »

قال ابن إسحاق : وكان من حديثها أن قريشاً خافوا من طريقهم التي يَسلكون إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان ، فسلكوا طريق العراق ، فخرجَ منم تجَّارٌ فيهم أبو سفيان بن حرب ، ومعهم فِضَّةٌ كثيرة ، وهي عُظْمُ تجارتهم ، واستأجروا رجلاً يُقال له : فُرات بن حَيَّان ، يدلهم في ذلك الطريق ، وبعثَ رسولُ الله ﷺ زيدَ بن حارثة ، فلقيَهم على ذلك الماء ، فأصابَ تلك العير وما فيها ، وأعجزَه الرجالُ ، فقدم بها على رسول الله ﷺ ، فقال حسان بن ثابت بعد أُحد في غزوة بدر الآخرة يُؤَنِّبُ قريشاً في أخذها تلك الطريق :

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٤٦ .

(٢) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/٣٥ — ٣٦ .

(٣) والأكثرون على ضمها .

دَعُوا فلجاتِ الشَّام قد حالَ دُونَها   جِلَادٌ كأفواه المخاض الأوارك[1]
بأيدي رجالٍ هاجرُوا نحوَ ربِّهم   وأنصاره حَقّاً وأيدي الملائك
إذا سلكتْ للغورِ من بطنِ عالجٍ   فقولا لها ليس الطريقُ هُنالكِ[2]

وقال ابن سعد : كانت لهلال جُمادى الآخرة ، على رأس ثمانية وعشرين شهراً من مُهاجَرِه ، وهي أوَّلُ سرية خرج فيها زيدٌ أميراً . والقَرْدة من أرض نجد بين الرَّبَذة والغَمرة ناحيةَ ذاتِ عِرْق . بعثه رسولُ الله ﷺ يعترضُ العيرَ لقريش ، فيها صفوان بن أمية وحُويطب بن عبد العزى وعبدُ الله بن أبي ربيعة ، ومعه مال كثيرٌ وآنيةُ فِضّة وزنُ ثلاثين ألف درهم ، وكان دليلهم فراتُ بن حَيّان ، فخرج بهم على ذاتِ عِرْقٍ ، طريق العراق ، وبلغَ رسولَ الله ﷺ أمرُهم ، فوجَّه زيدَ بن حارثة في مائة راكب ، فاعترضَ لها ، فأصابُوا العيرَ ، وأفْلتَ أعيانُ القوم ، وقدموا بالعير على رسول الله ﷺ ، فخمَّسها ، فبلغ الخمسُ قيمةَ عشرينَ ألف درهم ، وقسمَ ما بقي على أهل السَّرِيّة . وأُسر فراتُ بن حَيَّان ، فأُتي به النبيَّ ﷺ ، فقيل له : إن تُسلم تُتركْ . فأسلم ، فتركَه رسولُ الله ﷺ من القتل .

وحَسُنَ إسلامُ فرات بعد ذلك ، وفيه قال عليه الصلاة والسلام : « إنَّ منكم رجالاً نكلُهم إلى إسلامهم منهم فراتُ »[3] .

والفَرْدة : بالفاء المفتوحة وسكون الراء ، وضبطها بعضهم بفتح القاف والراء ، والله أعلم بالصواب .

---

(١) « فَلَجَاتِ الشام » : الفَلَجَاتُ : جمع فلجة ، وهي العين الجارية . و « المخَاض » : الإبل الحوامل . و « الأوارك » : الإبل التي ترعى الأراك .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٥٠ .

(٣) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٦/٤٠ . وأخرج الحديث أبو داود في سننه والبخاري في التاريخ . انظر الإصابة ٣/٢٠١ .

فهارس الجزء الأول

من عيون الأثر

(١) فهارس الأحاديث النبوية
(٢) فهرس الأعلام
(٣) فهرس الموضوعات

(أ) فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث **الصفحة**

همزة الوصل

همزة القطع

طرف الحديث	الصفحة
أتاني ربي في أحسن صورة	١٧٦
أُتِيَ بدابة فوقَ الحمار ودون البغل	٢٤٤
أُتيت بالبراق ، وهو دابة أبيض طويل	٢٤٥
أخبرني بهنَّ جبريل آنفاً	٣٣٢
إذا مَسَّ أحدُكم فرجَه	٥٨
إذا نَعِسَ أحدُكم يوم الجمعة	٥٨
أرأيتكِ الذي كنتُ أحدِّثكِ ورأيتُه	١٦٧
أشعرتِ أني نمتُ اليومَ في المسجدِ الحرامِ	٢٤١
أشيروا عليَّ أيُّها الناس	٣٨٥
أضلَّته اليهود والنَّصارى	٢٦٦
أفشوا السَّلام ، وأطعموا الطَّعامَ	٣١٢
أفعمياوانِ أنتُما ؟	
ألا ترضى يا عبد الله أن يُعطيك الله بها داراً في الجنة ؟	٢٨٧
ألا رجل يعرضُ عليَّ قومه	٢٥٧
ألم تري قومكِ حين بنوا الكعبة	١٢٢
أمَّا أوَّلُ أشراط الساعة	٣٣٢
أما ترضى أن أكونَ أخاك ؟	٣٢١
أما ترضى أن تكونَ أُمُّك مع أمي ؟	٢٣٠
أما والله لأستغفرنَّ لكَ ما لم أُنه عن ذلك	٢٢٩
أمرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يقولوا	٣٥٢
أُمُّك في النَّار	٢٣٠
إنَّ الله اختارَ العربَ على الناس	٧٤

حرف الباء

طرف الحديث	الصفحة

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الراء

طرف الحديث	الصفحة

حرف السين

حرف الصاد

حرف الفاء

حرف القاف

طرف الحديث | الصفحة

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

طرف الحديث **الصفحة**

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

طرف الحديث	الصفحة

* * *

(٢) فهرس الأعلام

الاسم الصفحة

الاسم	الصفحة

الاسم	الصفحة

الاسم **الصفحة**

الاسم	الصفحة

الاسم	الصفحة

الاسم | الصفحة

- م -

الاسم	الصفحة

* * *

(٣) فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

* * *

تمَّ الجزء الأول من « عيون الأثر ... »
ويليه الجزء الثاني